

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أحمد دراية

- أدرار -

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية والعلوم الاسلامية

قسم العلوم الانسانية

أثر الأئمة الأشعري ومالك والجنيد على الغرب
الإسلامي

مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الاجتماعي والثقافي المغاربي عبر العصور

❖ إشراف الأستاذ الدكتور:

عبد القادر بوباية

❖ إعداد الطالب:

سماويل شلال

الإسم واللقب	الرتبة العلمية	الصّفة	الجامعة الأصلية
أ.د محمد حوتية	أستاذ التعليم العالي	رئيسا	جامعة أدرار
أ.د عبد القادر بوباية	أستاذ التعليم العالي	مشرفا ومقرّرا	جامعة وهران
أ.د محمد دباغ	أستاذ التعليم العالي	عضوا مناقشا	جامعة أدرار
د. محفوظ رموم	أستاذ محاضر " أ "	عضوا مناقشا	جامعة أدرار

نوقشت بتاريخ: 22 شعبان 1436هـ الموافق لـ 10 جوان 2015م

السنة الجامعية: 1435هـ/1436هـ الموافق لـ 2014م/2015م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أحمد دراية

- أدرار -

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية والعلوم الاسلامية

قسم العلوم الانسانية

أثر الأئمة الأشعريِّ ومالكٍ والجُنَيْدِ عَلَى الغَرْبِ
الإِسْلَامِيِّ

مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الاجتماعي والثقافي المغاربي عبر العصور

❖ إشراف الأستاذ الدكتور:

عبد القادر بوباية

❖ إعداد الطالب:

سماويل شلال

الإسم واللقب	الرتبة العلمية	الصِّفَة	الجامعة الأصلية
أ.د محمد حوتية	أستاذ التعليم العالي	رئيسا	جامعة أدرار
أ.د عبد القادر بوباية	أستاذ التعليم العالي	مشرفا ومقررا	جامعة وهران
أ.د محمد دباغ	أستاذ التعليم العالي	عضوا مناقشا	جامعة أدرار
د. محفوظ رموم	أستاذ محاضر " أ "	عضوا مناقشا	جامعة أدرار

نوقشت بتاريخ: 22 شعبان 1436هـ الموافق لـ 10 جوان 2015م

السنة الجامعية: 1435هـ/1436هـ الموافق لـ 2014م/2015م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ

عَزِيزٌ غَفُورٌ

الآية 28 سورة فاطر

الإهداء

إلى روح سيّدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلّم صاحب المقام المحمود والحوض
المورود والشفاعة العظمى، والأنبياء والملائكة والأصحاب والأتباع وسلّم تسليمًا.

✽ إلى سادتنا أئمة الهدى: أبي عبد الله مالك بن أنس، وأبي الحسن علي الأشعري،
وأبي القاسم بن محمّد الجنيد رضي الله عنهم.

✽ إلى الوالدين العزيزين أدام الله علينا نعمة وعبادة النظر إلى وجهيهما.

✽ إلى الصالحين والعلماء العاملين الرّبّانيين وكل طالب علم.

✽ إلى أرواح أجدادي الطواهر.

✽ إلى الشهداء الأبرار، فخر الدين والوطن.

✽ إلى كل راع أمين على رعيّته.

✽ إلى الأستاذ المشرف كفه الله بالعناية.

✽ إلى أستاذتي وأمّي سعدو التالية رحمها الله.

✽ إلى فخامة رئيس الجمهورية السيّد عبد العزيز بوتفليقة والمعاونين له والقائمين

على القطاع.

✽ إلى إخوتي من النسب، وعائلي أعماما وأخوالا.

✽ إلى كل من عرفتهم وأحببتهم وأحبوني في ذات الله تعالى.

✽ إلى كلّ المحبّين في أهل العلم من غير المتعلّمين.

✽ إلى المذكورين آنفا أهدي زهر هذا المنجز العلمي المتواضع.

شكر وتقدير

أتوجّه بالشكر والحمد والثناء للمولى عز وجل على كريم لُطْفِهِ وَمَنِّهِ بإنجاز هذه الرسالة.
مع مشاعر الاحترام والتقدير إلى الوالدين العزيزين، وكافلي أخي الأكبر الشيخ الإمام محمّد الجيلالي شعلال وأخي الأصغر الأستاذ بوعلام سمير شعلال.

والشكر موصول إلى أساتذتي الأكارم، مع خصوصه إلى الأستاذ المشرف البروفيسور عبد القادر بوباية، على قبوله الإشراف على هذه الرسالة، وهذا رغم المشاغل والمهام الموكلة إليه، فلم يبخل عليّ بتسهيلاتهِ وتجربته وتصويباته القيّمة، وإرشاداته مع التوجيه العلمي والحثّ والتحفيز على إتمام وإتقان الموضوع.

ولا يفوتني في هذا المقام أن أوجّه عبارات الشكر والامتنان إلى أساتذة قسم التاريخ بجامعة العقيد أحمد دراية، وإلى كل عمّال قسم التاريخ و الجامعة الإفريقية.

والشكر كلّ الشكر للموظفين والقائمين على المكتبات العمومية والجامعية بأدرار، وتيارت ووهران، ومكتبة الحامة بالعاصمة، ومكتبة زاوية الشيخ مولاي التهامي غيثاوي رحمه الله.
ومن باب الاعتراف بالفضل أصل الشكر بإخوتي وأحبابي والأساتذة الذين تشرّفت بمعرفتهم، وسكان أدرار الطيّبين.

وأتوجّه بعبارات الشكر والعرفان إلى أعضاء اللجنة الموقّرة الذين قاموا بمناقشة هذه الرسالة وتممينها.

وأن يحسن الله عزّ وجلّ جزء كلّ من ساهم من قريب أو من بعيد في هذا العمل العلمي.

مقدمة

يعدّ التورخ للعقيدة الأشعرية والفقہ المالکي والتصوّف السّیّ علی طريقة الإمام الجنید من أهم ما یمكن الحدیث عنه بالنسبة للعالم الإسلامی عموماً، خاصة بمنطقة الغرب الإسلامی الذي عرف انتشار علوم ومذاهب الأئمة الثلاثة، والتي تميّزها سِمَةٌ بارزة وهي اتّصالها بمعلّم الأمة الأوّل سيّدنا مُحَمَّد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم سندا وطريقة، وأنّ حياة الأئمة كانت ضمن القرون الخيرية الثلاثة المتصدّرة عمر الأمة الإسلامیة. وكان لبلاد الغرب الإسلامی الحظّ الوافر من هذه المناهج التي أسّسها الأئمة أبو عبد الله مالك بن أنس، وأبي الحسن الأشعري، وأبي القاسم الجنيد رحمهم الله، والتي قام عليها كيان هذا الجزء من العالم جسداً وروحاً، وأسّهم الأئمة عن طريق مدارسهم الدینیة والفكریة والأخلاقیة في الحفاظ علی مقوّمات الحياة المعنویة والمادیة لسكان هذه المناطق، وحمایتها من الكثير من الأخطار التي تَهَدَّدَتْها من حين لآخر، بل وكادت تجتث أهل السنة والجماعة من بلاد الغرب الإسلامی لولا ثبات العلماء المنتمين لهذه المدارس والمرجعیات التي مثلت الهوية الموحّدة لسكان هذه البلاد.

وعلى هذا التّسقّ كانت خطوات هذا البحث، الذي اعتمدت في إنجازه علی مجموعة من المقوّمات العلمیة منها: أكبر إحاطة ممكنة ومُتأثّية بمخالطة أهل الاختصاص، واعتماد الأصول والروایات الصادرة عن جهابذة العلم والتاریخ المشهود لهم بالأمانة والكفاءة والدراية.

لا یكاد یختلف اثنان علی أهمية العلم في حياة الإنسان والمجتمع، وكل ما احتوته هذه الرسالة ینصب في هذا الإطار، وهذه الدراسة التاریخیة تنقل لنا ما كان علی أرض الواقع مما له صلة بجوانب مجتمع الغرب الإسلامی ابتداء من سیرة الأئمة وتلامذتهم، فالحياة العلمیة والثقافیة، وسياسة الرعیّة وتدبیر شؤونها، وإصلاح أحوال المجتمع المعنویة الأخلاقیة، والمادیة الاقتصادیة. إذ لولا بصمة الأئمة الثلاثة بهذه المنطقة لتغیر شكل ومضمون هذا المصر من العالم المسلم، ولم یوجد في تصانیف مؤرخي الإسلام ما هو موجود الآن من النصوص المشرفّة عن هذه الحقبة من تاریخ المسلمين.

وضمن هذا المسار كانت هذه الرسالة المعنونة بـ: "أثر الأئمة الأشعري ومالك والحنبل على الغرب الإسلامي"، أردت من خلالها - في صفة المحاول - الوقوف على أثر أئمة الدنيا في زمانهم على هذا الجزء من المعمورة.

الدراسات السابقة: لم أقف على دراسات تجمع الموضوع بأجزائه الثلاثة عدا بعض الرسائل والبحوث المتخصصة في كل جزئية من الموضوع، كرسالة الدكتوراه للباحثة: علياء هاشم بعنوان "فقهاء المالكية دراسة في علاقاتهم العلمية في الأندلس والمغرب" وهي دراسة متخصصة وقفت على الروابط العلمية بين المالكية في شقي الغرب الإسلامي وأثر ذلك على الدول والمجتمعات. ورسالة ماجستير للباحث الطاهر بونابي الموسومة بـ: "التصوّف في الجزائر" وبها حديث عن علم التصوّف ووصوله إلى المغرب الأوسط مع تراجم علماءه إلى عهد حديث. إضافة إلى دراسة قيّمة عن الأشاعرة أنجزها كلٌّ من حمد السنان وفوزي العنجري عنوانها: "أهل السنة الأشاعرة" حوت تعريفا لمصطلح الأشاعرة وترجمة الإمام الأشعري، وإيراداً لكبار علماء الأمة على عقد الأشعري، وتفصيلٌ كُبرى مسائل العقيدة مع تقرير من كبار العلماء المعاصرين. وأفدّت من هذه البحوث الإطلالة الأولى على جوانب الموضوع.

دوافع اختيار الموضوع: تتمثل الرغبة في اختيار موضوع البحث إحدى العوامل الأساسية المساعدة على إنجازه بأكبر قدر من الإتقان، وكانت هذه الرغبة وليدة مجموعة من الدوافع منها:

أولاً: منذ أن انتهى إلى سمعي قول الشيخ المالكي الأشعري الصوفي المغربي عبد الواحد ابن عاشر "رحمه الله": «في عقد الأشعري وفقه مالك وفي طريقة جنيد السالك». حرّكني الفضول العلمي لمعرفة المقصود من هذا القول، والبحث في جوانبه، والوقوف على معانيه التاريخية.

ثانياً: مثلت السنة الأولى من دراسات ما بعد التدرج المحطة التي اكتملت فيها صورة الرسالة من خلال المناقشات والحلق العلمية. وشكل هذا ميولا حقيقيا لدراسة التاريخ الإسلامي عموما وتاريخ المنطقة التي ننتمي إليها بصفة خاصة، والموافق لمشروع الماجستير، والمواد المدروسة به.

ثالثاً: يعتبر علم الأئمة الثلاثة وآرائهم بمثابة الهوية لهذا الصقع من العالم وصمام الأمان لسكانه، فأردت أن أبين ما نشره الأعلام الثلاثة في المغرب والأندلس من قيم ومبادئ، وحقيقة ذلك في بناء الحضارة بالغرب الإسلامي من عَدَمِهِ.

رابعاً: أردت من خلال هذا البحث أن أبين لقارئه والمطلع عليه، سرّ تمكّن مذاهب وآراء وأفكار الأئمة من سكان المنطقة المدروسة، عن طريق الإقناع بالحجة العلمية، هذا الإقناع الذي حمل لواءه تلامذة هؤلاء الأعلام من بعدهم، ولم تستطع التيارات الأخرى أن تحول دون ذلك رغم استعمال القوة.

خامساً: كثرت الكتابات في أجزاء هذا الموضوع، إلا أن الكثير من جوانبه لا تزال أرضه بكرًا، وذلك لبقاء كمّ هائل من المادة العلمية داخل بطون المصنفات في السير والتراجم والتاريخ بحاجة إلى الإظهار والتحليل والتنخيل، وإيصالها إلى القارئ سليمة قدر المستطاع من عيوب الكتابة التاريخية.

سادساً: هناك رغبة جامحة جعلتني أصبو إلى الوقوف على مكانة هؤلاء الأعلام، ومعرفة الأدوار التي قاموا بها في جميع مناحي حياة أهل بلاد الغرب الإسلامي، ومدى تعويل أهله على القائمين بهذه الأدوار.

اشكالية البحث: تلتف الرسالة حول اشكالية رئيسة والتي فحواها: ما هي حدود الأثر الذي أرساه الأئمة الثلاثة على الغرب الإسلامي؟ وما هي المجالات التي مسّها هذا الأثر؟.

ويتفرع عن هذه الإشكالية الأساس عدد من السؤالات الفرعية التي سأجيب عليها بين دفتي هذا البحث وهي على هذا المنوال:

- ما هي الظروف التي كانت محيطة بتكوين الأئمة؟ وما هي العوامل التي ساهمت في صقل هذه الشخصيات الفذة؟

- كيف دخلت مذاهب وآراء الأعلام الثلاثة إلى منطقة الغرب الإسلامي، وإقناع سكانه بها؟.

- وما مدى التأثير العلمي والثقافي الذي أحدثه الأئمة في التأسيس للمنظومة العلمية، وحفظها من الاندثار؟

- وما هي الإسهامات التي قدّمها الأشاعرة والمالكية والصوفية في البناء والاستقرار السياسي، وإنشاء الدول والإمارات السنيّة وحمايتها من الأخطار على الصعيدين الداخلي والخارجي؟

- وفيما تتجلى الأدوار الاجتماعية والاقتصادية التي اضطلع بها الذين حملوا علوم الأئمة وأخلاقهم من العلماء والفقهاء والصالحين؟

- وأين يكمن سرّ القوة الروحية والمعرفية التي تمتعوا بها؟ وسرّ التجاء الناس إليهم، والتفافهم حولهم؟.

إطار البحث: مسابقة لهدف البحث واختصاصه، واكتمال فكرته فقد كانت الحدود الزمنية له بين القرنين الثاني والسابع الهجريين، رغم اتساع حقبة الموضوع بكثير عن هذا التاريخ، غير أني اكتفيت بهذه المدة لاكتمال جوانب البحث، وتفاديا لزيادة ورقاته، عدا بعض الإشارات النادرة لفترات لاحقة من باب الاستشهاد والتوثيق، والتي لا تخرج عن حدود التأريخ لمنطقة الغرب الإسلامي.

أهداف البحث: مما سبق طرحه في الإشكالية المحورية، والأسئلة الفرعية سأحاول التوصل إلى حزمة من الأهداف:

1- الإحاطة بأصول ومرجعيات الأئمة الثلاثة، ومكانتهم في الأمة.

2- تفصيل طلب سكان الغرب الإسلامي لعلم الأئمة، وسرّ تمكّن وبقاء هذه العلوم والمناهج الدينية والتربوية والأخلاقية والسياسية.

3- إمطة اللثام على النتائج التي حقّقها علماء الفقه والكلام والتصوّف.

4- الوقوف على الدور الرئيس الذي تقلّده علماء المالكية والأشاعرة والصوفية في اصلاح المجتمع، وتقويم اعوجاجه، وحل مشكلاته الطارئة، والأخذ بأيدي الضعفاء فيه.

5- إبراز المهام الاقتصادية المبنية على الأسس العلمية، والتي تدعمها خبرة العلماء المهنية.

6- إيضاح القيمة التاريخية لمؤسسي المذهب المالكي والعقيدة الأشعرية والتصوف السني.

مناهج البحث: وللوصول للإجابة على الاشكالية والأسئلة الفرعية المطروحة آنفا، اعتمدت المناهج المواتية لخدمة خصوص الموضوع وهي:

أولاً: المنهج التاريخي الوصفي: يختص هذا المنهج بذكر الحوادث والوقائع ووصف تطورها الزمني، واستعمل في الحديث عن نشأة الأئمة وظهورهم، وتلامذتهم من بعدهم، ثم أهم الأحداث التي شملتها الدراسة المفضية إلى تحديد ملامح الغرب الإسلامي من جانب العلم والسياسة والمجتمع والاقتصاد.

ثانياً: المنهج التحليلي النقدي: واستفدت من انتقاء المادة العلمية عن طريق نقدها وتحليلها، حتى يزداد القارئ فهما للموضوع، هذا الأخير المحتاج لهذا النوع من المناهج لتداخل الأحداث وتشعبها، وإيصال الأثر الذي تركه فقه مالك، وعقيدة الأشعري، وتصوف الجنيّد.

ثالثاً: المنهج المقارن: عن طريقه تعرف مواطن الاتفاق والافتراق ومكامن الخطأ والصواب، وهو مهمّ جدّاً في مقارنة المبادئ والمفاهيم والمواقف التي اتّسم بها العلماء الذين جمعوا بين الفقه المالكي وعلم الكلام وعلم التصوف مع الأغلبية من العامة والخاصة. وبين المخالفين لهم وإعمال العقل والمنطق في الأحداث مع مراعاة ما نُقل إلينا من مادة علمية تاريخية.

بهذه المناهج يمكننا تقصي الحقيقة، والوصول إلى النتائج المرجوة، وتحقيق هدف الدراسة العام.

خطة البحث: ولتتصف الدراسة بصفة الأكاديمية عمدت إلى انتهاج خطة قوامها: مقدمة مع تمهيد وأربعة فصول، وخاتمة وملاحق حول الموضوع لزيادة التعريف به تاريخياً وجغرافياً. أما المقدمة فشملت التعريف بالموضوع وأهميته، ودوافع اختياره، مع ذكر اشكاليته، وتحديد إطاره الزمني والمكاني، والأهداف المتوخاة منه، وإبراز المناهج المتبعة في البحث، وتعدد الصعوبات المواجهة له مع عرض ونقد أهم المصادر والمراجع المعتمدة خلال الدراسة.

الفصل الأول: تطرقت إلى سيرة الأئمة موضوع الدراسة، من المولد والنشأة والعلوم والشيوخ والأساتذة الآخذين عنهم، والمصنفات التي تركوها ومقدارهم في تاريخ المسلمين. مع ذكر أهم التلاميذ والأصحاب الآخذين علمهم، وعوامل انتشار هذه المذاهب بمنطقة الغرب الإسلامي. أي متى وكيف حصل ذلك؟.

الفصل الثاني: يعرضُ للجانب والأثر العلمي للأئمة وما خلفوه بهذا الجزء من العالم الإسلامي بدءاً بالعلاقات العلمية التي كانت بين علماء المالكية الأشاعرة الصوفية، بينهم وبين إخوانهم بالمشرق، وبين شقّي المغرب الإسلامي: المغرب والأندلس، وإيراد لأهم المراكز العلمية التي درسوا بها ومختلف العلوم المُدرّسة على رأسها الفقه المالكي والعقيدة الأشعرية، والتصوّف أو علم تزكية الأخلاق والسلوك على طريقة الإمام الجنيد، والمنافحة العلمية عن الدين سواءً ما يقع بين العلماء فيما بينهم، أو الردّ على أصحاب الفرق الأخرى، أو المنتمين إلى نحل غير الإسلام الطاعنين في الدين.

الفصل الثالث: وخصّصته لدراسة الأثر السياسي للأئمة الثلاثة، من حدود توطيد السلطان وإقامة الدول وحماتها من الفتن، وتولي الخطط والولايات الإدارية، إلى تأديب الأمراء والملوك والسلاطين وتربيتهم وتعليمهم، والقضاء على القلاقل التي سببتها الحركات التي نشأت داخل مجتمع الغرب الإسلامي، وخارجه بمقاومة ودحض الطامعين من النصاريّ الفِرْبُجَّة في استرجاع ما فتحه المسلمون من الأراضي والأمصار.

الفصل الرابع: واختصّ بمعالجة الجانب الاجتماعي والاقتصادي، وأثر الأئمة البالغ في ذلك بنشر الأخلاق والقيم الفاضلة عن طريق أصحابهم وتلامذتهم والمتمذهبين بمذاهبهم من خيار الأمة، وحلّ المشكلات العويصة الطارئة على المجتمع، وبيان قيمة فقهاء المالكية وعلماء الأشاعرة والصوفية في مجتمع الغرب الإسلامي، وإشارة إلى إنشاء ورعاية المؤسسات الاجتماعية والاقتصادية، مع تولّي الخطط والأدوار الاقتصادية، وتنظيم حياة الناس في المعيشة والكسب والتصنيف في هذا المجال،

ووصلت إلى إعطاء أمثلة حيّة عن ممارسة العلماء لمختلف المهن والحرف بعد التنظير لها فجمعوا بين النظرية والتطبيق، وهذا علاوة على دورهم العلمي والسياسي والاجتماعي.

وإيصالا للمعنى واستيفاء له ختمت الدراسة بخاتمة حوّت أهم النتائج والجوابات عن الأسئلة المطروحة آنفا ضمن الإشكالية العامة للبحث إضافة إلى ملاحق وخرائط جغرافية.

صعوبات البحث: البحث في التاريخ عموما، وفي الإسلامي منه خصوصا يعترضه مجموعة من الصعوبات، وهذا بحسب موضوعه، ودرجته أهميته كما هو الحال بالنسبة لهذا البحث المتعلق بأعلام ثلاثة لهم وزنهم في تاريخ المسلمين. ومن أبرز الصعوبات:

- تصفّح المصادر شكل إحدى أكبر المشكلات في هذا البحث نظرا لصعوبة انتقاء المادة العلمية منها، وكبُر حجم هذه المصنفات والتي تقتضي وقتا وجهدا مضاعفا، للحصول على الجزئية المطلوبة.

- تضارب المعلومة الواردة عن الأشخاص والوقائع والأحداث بين المصادر والكثير من المراجع المعاصرة التي تصبُّ في سياق الموضوع.

- خصوصية الموضوع ودقته فرضت على التعامل معه بحذرٍ من ناحية الترجيح و إصدار الأحكام التاريخية، أو التعليق والتعقيب على المواقف والحوادث، هذا مع العلم أن جل المواقف المذكورة في الدراسة هي من صنع العلماء.

- وكان لجانب الألفاظ والمصطلحات تأثيره على مسار البحث، حيث أن السّمة الغالبة على المصادر والمراجع المتخصصة هي قوة اللغة التي كتبت بها ودقة المصطلحات، وهذا بالنسبة لكبار المؤرخين الذين جمعوا بين علوم الدين وعلم التاريخ.

- وضع خطة البحث ومنهجيته: إذ مثل هذا عقبة أمام انطلاق البحث، ولكن تم إزاحتها عن طريق ملاحظات الأساتذة، الصعوبة الأخيرة هذه زادت في عمر إنجاز الرسالة، مع تحصيل المصادر والمراجع الذي تطلّب مني وقتا لذلك.

- وحاولت جاهدا التخلّص من هذه الصعوبات بجمع المادة العلمية وتنسيقها وتوظيفها وفق المطلوب، مع الجِدّة في الرؤية في معالجة مضمون الدراسة.

عرض ونقد المصادر: ولتشكيل أسطر الرسالة، وما احتوته من معلومات تاريخية عن كبار العلماء والساسة من المالكية والأشاعرة والصوفية، وأثر الأئمة الثلاثة في صنع الاحداث اعتمدت على مجموعة من المصادر والمراجع الرئيسة منها:

الكتب التاريخية:

1- **البيان المُعرب في أخبار الأندلس والمغرب لمؤلفه ابن عذاري المراكشي (كان حيا سنة 712هـ/1312م)** يعتبر هذا المؤلف من أهم مصادر تاريخ الغرب الإسلامي نظرا لما يتضمنه من معلومات ذات قيمة تاريخية كبيرة أغلبها مقتبس من مصنفات لم تصل إلينا مثل كتاب الرقيق القيرواني والوزّاق وابن حيان وغيرهم، ولهذا السبب جاء الكتاب حافلا بمعلومات تاريخية قيّمة ينفرد بها عن غيره من المصادر، وبناء على ما سبق ذكره؛ فإنّ كتاب البيان المغرب يعتبر من المصادر الأساسية والمهمة في دراسة تاريخ الأندلس والمغرب، ومن أكثرها جدارة بالثقة، وقد أفدت منه في الجانب السياسي للموضوع كفتح المسلمين لبلاد الغرب الإسلامي، والحديث عن دولتي العبيديين والمرابطين أخذا من الجزأين الأوّل والثالث.

2- **نفع الطيب من غصن الاندلس الرّطيب لمؤلفه شهاب الدّين أبو العباس أحمد بن محمّد المقرئ التلمساني (ت 1041هـ/1631م)** يعتبر هذا الكتاب موسوعة للحياة الفكرية والأدبية والاجتماعية، ويحتوي على تراجم الرجال في الأندلس، كما يعتبر مصدرا أساسيا لجميع الباحثين في تاريخ الأندلس والمغرب، وينقسم الكتاب إلى قسمين: الأول يتعلّق بالأندلس، وفيه ثمانية أبواب: منها وصف جزيرة الأندلس وذكر قرطبة والتعريف ببعض من رحل من الأندلسيين إلى بلاد المشرق وذكر الوافدين على الأندلس من أهل هذه الأخيرة، أما القسم الثاني فقد خصّصه للتعريف بلسان الدّين ابن الخطيب، وفيه ثمانية أبواب تضمّنت ذكر أوليته وأسلافه ونشأته وترقيته ووزارته وذكر

مشايخه ومخاطبة الملوك والأكابر لحضرته وإيراد جملة من نشره وذكر مصنفاته وبعض تلامذته وأولاده، وتمكّن المؤلف من تصوير الحياة السياسية والاجتماعية والأدبية للأندلس اعتماداً على أهم المؤلفات التي اطلع عليها المقري وحفظها من الضياع، وقد اعتمدت عليه في الجانب العلمي والسياسي والاجتماعي وتراجم أهم الشخصيات الفاعلة بالأندلس نقلاً عن قسمي الكتاب.

3- الإحاطة في أخبار غرناطة لمؤلفه أبي عبد الله محمد بن عبد الله لسان الدين ابن الخطيب (ت 776هـ/1374م) يعتبر كتاب الإحاطة أشهر وأضخم مؤلفات لسان الدين ابن الخطيب، وقد قدّم صورة شاملة على كلّ ما يتعلّق بمدينة غرناطة من أوصاف وأخبار؛ فذكر مروجها وجبالها وأنهارها، ثمّ ترجم لثلاث وتسعين وأربعمائة شخصية أندلسية ممن حكموا غرناطة أو وفدوا إليها من المغرب أو المشرق من ملوك وأمراء وأعيان وولاة ووزراء وقضاة وعلماء وزهاد وصوفية...، وكتاب الإحاطة مصدر مهمّ في التاريخ الأندلسي عامة، وفي تاريخ غرناطة خاصة، وقد استعنت بمادته العلمية فيما يتعلّق بالمناحي الدينية العلمية والسياسية والاجتماعية الخاصة بهذه الحضارة.

4- معالم الايمان في معرفة أهل القيروان لمؤلفه أبي زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الأسيدي الدبّاغ (ت 696هـ/1296م): وهو من المصادر الموثوقة في التراجم، وفي الحياة الثقافية والعلمية الخاصة بمدينة القيروان، كما يتضمن الكتاب أيضاً إفادات عامة كثيرة عن رجال الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، ومن دخل القيروان من الصحابة والتابعين، ونخبة القادة الفاتحين إضافة إلى المعارف التاريخية المتعلقة بتخطيطها ومعالمها، وعادات أهلها وحرارتها وأسواقها الواردة في معرض الحديث عن المترجمين، ويعتبر كتاب المعالم من أكمل مصادر البحث المتعلقة بمدينة القيروان مهد العلم والحضارة في بلاد المغرب الإسلامي، وقد أفدت منه في ذكر الجوانب العلمية والسياسية والاجتماعية للقيروان، والتعرّض لحياة أبرز العلماء بها ومواقفهم المشهودة، وهذا من معين الأجزاء الثلاثة للكتاب.

5- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس لمؤلفه أبي الحسن علي بن عبد الله ابن أبي زرع الفاسي (كان بقيد الحياة سنة 726هـ/1326م): يتناول ابن أبي زرع الفاسي في كتابه تاريخ المغرب الأقصى من بداية الدولة الإدريسية عام 172هـ/1326م حتى سنة 726هـ/1326م، وبذلك يؤرخ لخمسة دول هي دولة الأدارسة ودولة زناتة (المغراويين اليفرنيين) ثم دولة المرابطين فالموحدين فبني مرين إلى أيام أبي سعيد الأول، ويتحدث عن مراحل التأسيس والأعمال التي قاموا بها، وعن الأحداث الاجتماعية والاقتصادية، ويعتبر كتاب الأنيس المطرب من المصادر الهامة المتعلقة بتاريخ المغرب الأقصى بصفة خاصة، وبتاريخ المغرب الإسلامي عامة نظرا لارتباط تاريخ هذه البلاد خلال العصور الوسطى، واستخدمت هذا السفر في تناول دولة الأدارسة ودولة المرابطين في جوانبهما الحضارية العلمية والسياسية.

الكتب الجغرافية:

1- المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب لمؤلفه أبي عبيد البكري (ت 487هـ/1094م): وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، ويكتسي هذا الكتاب أهمية خاصة لأن مؤلفه تمكن من استعمال مصادر لم يستعملها الجغرافيون الذين سبقوه إضافة إلى المعلومات التي استمدتها من تحرياته الخاصة، ومن هنا فهو يتوسّع في الحديث عن الفتح الإسلامي، ويقدم أخبارا مهمّة عن الدول التي قامت بالمغرب، ويعتبر كتاب البكري المصدر الأقدم عن تاريخ المرابطين في أيامهم الأولى، ولا يُغفل إبراز أسماء الأعلام من الدول التي يعرض لها، وبالخصوص علماء الأدارسة، كما يهتم بوصف المدن ومعمارها واقتصادها وعاداتها، وهذه الميزات كلها تجعل جغرافية البكري مصدرا متميّزا وبالغ الأهمية عن تاريخ وجغرافية المغرب الإسلامي، وأفدت منه في الجانبين الثقافي والسياسي لدولتي الأدارسة والمرابطين.

2- الروض المعطار في خبر الأقطار لمؤلفه محمد عبد المنعم الحميري (ت 750هـ/1349م): اهتم المؤلف بذكر المواضع المشهورة عند الناس من العربية والعجمية، والأصقاع

التي تعلّقت بقصة أو كان في ذكرها فائدة أو كلام فيه حكمة أو لها خبر ظريف أو معنى يستملح أو يستغرب ويحسن إيراده، ويذكر مؤلف الروض المعطار المدن والقرى وما إليها في قارات الدنيا المعروفة في عصره، ويعتبر كتاب الروض المعطار من أحسن الكتب الجغرافية التي ألفها المغاربة حيث تطرّق صاحبه إلى جميع المواضيع الجغرافية الهامة التي توجد بالعدوتين المغربية والأندلسية مع جملة من الأخبار التاريخية المتعلقة بالمدن، وكان هذا الكتاب حاضرا بالرسالة في التعريف بمختلف المواضيع المذكورة بمنطقة الغرب الإسلامي.

الكتب الفقهية:

1- الإعلام بنوازل الأحكام لمؤلفه أبي الأصبع عيسى بن سهل بن عبد الله الأسدي الجباني (ت 486هـ/1093م): قال عنه ابن بشكوال: " كان من جلة الفقهاء وكبار العلماء، حافظا للرأي، ذاكرا للمسائل، عارفا بالنوازل، بصيرا بالأحكام، مقدّما في معرفتها، وجمع فيها كتابا حسنا مفيدا"، وقسّم المؤلف كتابه إلى واحد وعشرين بابا منها باب في الحضانات والنفقات وباب في الطلاق وأسبابه وباب في البيوع وباب في الصدقات والهبات وباب في الحُبس وباب في مسائل الاحتساب وغيرها، وتضمّن الكتاب جملة من النوازل بمعلومات دقيقة عن الحياة اليومية الثقافية والفكرية المذهبية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية للمجتمعات الإسلامية، وتأتي أهمية هذا المصنّف في كون صاحبه كان على إطلاع مباشر بالقضايا التي كان يحياها المجتمع الأندلسي بحكم المناصب التي شغلها، والتي يأتي على رأيها منصب القضاء، واستمدت من هذا الكتاب معلومات عن النوازل و الأقضية بالمجتمع الأندلسي.

2- المعيار المُعرب و الجامع المُعرب عن فتاوى علماء أفريقية و الأندلس و المغرب لمؤلفه أبي العباس أحمد بن يحيى بن محمّد الونشريسي (ت 914هـ/1508م): أشار إليه صاحبه في مقدمة كتابه بقوله: "وبعد فهذا كتاب سمّيته بالمعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء أفريقية والأندلس والمغرب، جمعت فيه من أجوبة متأخريهم العصريين ومتقدّمهم ما يَعْسُرُ الوقوف على

أكثره في أماكنه، واستخراجه من مكانه، لتبدده وتفريقه، وانبهام محله وطريقه، رغبة في عموم النفع به، ومضاعفة الأجر بسببه ورتبه على الأبواب الفقهية ليسهل الأمر فيه على الناظر، وصرحت بأسماء المفتين إلا في اليسير النادر، ورجوت من الله أن يجعله سببا من أسباب السعادة، وسننا موصلا إلى الحسنى والزيادة، وهو المسؤول عز وجل في أجزل الثواب، وإصابة أصوب الصواب"، وقد ظلّ المعيار المعرب مصدرا أساسا لا مندوحة للباحثين من الرجوع إليه لكتابة تاريخ الغرب الإسلامي، ولا سيما في قضايا الاقتصاد والمجتمع، والحياة الثقافية والفكرية، واستعملت هذا المصدر في الإشارة إلى ردّ العلماء على الفرق ومقاومة الخوارج، وفي النوازل والأقضية السياسية والاجتماعية والاقتصادية مستمدا ذلك من أجزائه الثاني والسادس والسابع والتاسع والعاشر.

3- اثبات ما ليس منه بدّ لمن أراد الوقوف على حقيقة الدينار والدرهم والمدّ لمؤلفه أبي العباس أحمد العزفي السبتي (ت 633هـ/1235م): أفرده صاحبه للآراء الفقهية المالكية الخاصة بالمعاملات المالية والاقتصادية مع التوفيق بين آراء الفقهاء، والكتاب مكوّن من ثلاثة أقسام، القسم الأول يناقش فيه العزفي قضية المكاييل الشرعية والأوزان، والقسم الثاني يتناول فيه النقود الإسلامية، حيث يسطّر تاريخها ويقف عند أوزانها في المغرب والأندلس، والقسم الثالث خصّصه لإثبات أسماء المكاييل والموازن وتفسير ألفاظها وأجزائها ومقاديرها، حيث يقدّم لنا قاموسا بأهمّ المصطلحات المستعملة في هذا الميدان معتمدا على ما يقرب من الأربعين مؤلّفا من مؤلفات المشاركة والمغاربة والأندلسيين، والكتاب على قدر كبير من الأهمية خاصّة وأنّ صاحبه ذو سعة فقهية وإلمام بالتيارات المذهبية، وولي قضاء سبته بعد أبيه، فهو مصدر متخصص في المعاملات التجارية والاقتصادية للمسلمين بالغرب الإسلامي، ومعاملاتهم مع غير المسلمين أيضا، وقد أفدت منه في جانب المؤلفات الاقتصادية لعلماء المالكية وأثر ذلك على الحياة العامة لسكان المغرب والأندلس.

كتب التراجم والسير:

1- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعيان مذهب مالك لمؤلفه أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي (ت 544هـ/1149م): كتاب مهمّ صَحِبَ كل فصول الرسالة، ويُصدِّق صاحب القول «لولا عياض لما ذكر المغرب» فقد احتوى على تراجم علماء المالكية وذكر مذهبهم في العقيدة وزهدهم وتصوفهم، يقول صاحبه إنه سعى إلى وضع "كتابٍ حاوٍ لأسماء أعيان المالكية وأعلامهم، وتبيين طبقاتهم وأزمانهم، وجمع عيون فضائلهم وآثارهم، ونظم نثر فنون سيرهم وأخبارهم"، ويتدأى الكتاب بمدخل موضوعي، وبعده ترجمة الإمام مالك ثمّ ترجمة طبقات المالكية بدءاً بأصحاب مالك ثمّ تراجم أتباعهم مرتبة زمنياً وجغرافياً إلى عصر المؤلف، وقد بلغ عدد من ترجمهم "ألف اسم ممن عرف اسمه وصحّت روايته وشهرت صحبته"، وهو مصدر لا يستغنى عنه لدراسة نشأة المدرسة المالكية في هذا الجزء من العالم الإسلامي إضافة إلى أهميته في التأريخ للحركة العلمية والفكرية به، ومن خلال هذه التراجم استخرجت المادة العلمية في التعريف بالمذهب وإمامه، وعرضت للجانب الثقافي والعلمي، وأهم المواقف والمشاركات السياسية للعلماء، والدور الذي أدّوه في المجتمع والاقتصاد، وهذه المادة العلمية موجودة بالأجزاء من الأول إلى الخامس.

2- التشوّف إلى رجال التصوّف لمؤلفه أبي يعقوب يوسف بن يحيى التادلي ابن الزيات (ت 617هـ/1220م): كان الدافع لتأليف هذا الكتاب هو التعريف بالصالحين من أهل مراكش، ومن قدمها من أكابر الفضلاء نقلاً عن أهل الثقة والأمانة والخير والصلاح، وقد قسم ابن الزيات كتابه إلى ثلاثة أقسام فالأول منها خصّصه لذكر صفة الأولياء في حفظ قلوبهم وترك النكير عليهم وفي محبتهم وزيارتهم ومجالستهم وحسن الثناء عليهم وإثبات أحوالهم وكراماتهم، وتضمّن القسم الثاني تراجم وافية لعدد كبير من رجال التصوّف المغاربة وغيرهم من الأعلام المرموقين، أما القسم الثالث فتضمّن ترجمة وافية خصّصها أبو يعقوب التادلي لأخبار أبي العباس السبتي، وتكمن أهمية هذا الكتاب في احتفاظه بـ 277 ترجمة لرجال التصوّف المغاربة لا تُعرف أخبار أغلبهم إلا من كتاب التشوّف، ولذا يكتسي الكتاب أهمية خاصة في تاريخ التصوّف بالمغرب أيام المرابطين والموحدين وحتى

عصر المؤلف، وقد استفدت منه في التعريف بأرباب التصوّف وما كان لهم من أدوار في حياة الناس بهذا الصقع من العالم، واستقيت منه المادة العلمية في مختلف الجوانب خاصّة العلمية والاجتماعية والسياسية، وما قام به رجال التصوّف المشهورين في خدمة الصالح العام.

3- **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لمؤلفه أبي اسحاق إبراهيم بن علي ابن فرحون المالكي (ت 799هـ/1396م):** أورد صاحبه ذكر مشاهير الرواة، وأعيان الناقلين للمذهب المالكي والمؤلفين فيه وجملة من حفاظ الحديث، والمتصدّين للتأليف، والرواة الحفاظ من المتأخرين، وبلغ عدد التراجم في الديباج 632 ترجمة لأعيان المالكية من المشرق والمغرب، وبدأ بمؤسس المذهب ثمّ أعيان المالكية في العالم الإسلامي، ويعتبر كتاب الديباج المذهب من المصادر الأساسية في التأريخ للمذهب المالكي بالعالم الإسلامي عامة والغرب الإسلامي على وجه الخصوص، وقد استخرجت منه تأليف الإمام مالك والتعريف ببعض علماء المالكية.

4- **أعلام مالقة لمؤلفيه أبي عبد الله بن عسكر (ت 636هـ/1239م) وأبي بكر بن خميس:** جمع في هذا الكتاب بعض أخبار فقهاء مالقة وأدبائهم ومن سكن المدينة أو زارها أو اجتاز عليها، وجملا من أخبارهم وأدبهم ومحاسنهم ومراسلاتهم وبلاغتهم، وذكر من أخذوا عنه من فقهاء الأندلس وغيرهم، وبه قطعة تشتمل على 174 ترجمة حوت معلومات هامة عنهم، واتفق من أشعارهم ونثرهم فضلا على أخبار تاريخية تتعلّق بتاريخ الأندلس في الفترة ما بين القرنين الخامس والسابع الهجريين/الحادي عشر والثالث عشر الميلاديين، وهو وثيقة مهمّة في التعريف بأعلام مالقة من الفقهاء والأدباء وبمختلف الأدوار التي قاموا بها، واعتمدت هذا المصدر في التعريف بحاضرة مالقة ومن تولّى خطة القضاء بها، والمشاركين في إنشاء أوقافها، وذكر أخبار عن أخلاق علمائها.

المراجع: كما استفدت من المراجع التي مسّت جوانب مختلفة من موضوع مذكرتي ومنها:

- 1- الزهاد والمتصوفة في بلاد المغرب والأندلس لمؤلفه محمد بركات البيلي: سفر مهم ووثيقة تاريخية شاملة لخمسة قرون من الزمان حول الزهاد والصوفية في بلاد المغرب والأندلس.
- 2- مباحث في المذهب المالكي لمؤلفه عمر الجيدي: تحدّث صاحبه وأحاط بجوانب عدّة متعلّقة بالمذهب المالكي من حيث النشأة والأسس التي قام عليها والذبيوع وغير ذلك.
- 3- المونس في مصادر من تاريخ المغرب والأندلس لمؤلفه عبد القادر بوبايا: وثيقة تاريخية مهمّة ودراسة نقدية شاملة لأهم المصادر التي أُرّخت لمنطقة الغرب الإسلامي، ويذكر صاحبه هذه التآليف ابتداء من الفتح الإسلامي إلى غاية القرن 11هـ/17م.
- 4- مدينة فاس في عهد المرابطين والموحدين لمؤلفه جمال أحمد طه: كتاب خاص بتاريخ مدينة فاس الحضاري ولم يخلو من ذكر الجوانب العلمية والاجتماعية والاقتصادية بهذه الحاضرة.
- 5- الامام أبو الحسن اللخمي لمؤلفه محمد المصلح: تأليف في صلب الموضوع، المتطرّق لسيرة واحد من كبار أئمة المذهب المالكي، والعلماء الأشاعرة، والزهاد المتصوفة.
- 6- الجواهر الإكليلية لمؤلفه ناصر الدّين محمد الشريف: أفرده صاحبه للحديث عن تاريخ طرابلس الغرب وأعمالها وأحوازها، مع احتوائه على عدد كبير من التراجم.
- 7- التاريخ الاسلامي لجزر البليار لمؤلفه عصام سالم سيسالم: وفي كتابه هذا يلقي الضوء على التاريخ العام للجزائر الشرقية (الباليار) ابتداء من الفتح وإلى قرون متتالية.
- 8- أعلام التصوف في الجزائر لمؤلفه عبد المنعم القاسمي الحسني: ويعالج صاحبه موضوع التصوّف في منطقة المغرب الأوسط والوافدين إليها، ومساهماتهم في الرقيّ بالحياة العامة.
- 9- الإمام المازري لمؤلفه حسن حسني عبد الوهاب: وهو كتاب مهم جدا عن حياة الإمام العالم الفقيه الفاضل، المتكلّم الزاهد الإمام المازري.
- 10- قاموس المصطلحات الاقتصادية لمؤلفه محمد عمارة: مرجع يصل بالدراسة إلى مختلف التعاريف للمصطلحات ذات الصلة بالاقتصاد الإسلامي.

- 11- الحضارة الاسلامية في المغرب والأندلس لمؤلفه حسن علي حسن: ويُعنى هذا الكتاب بالتاريخ الحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين والموحدين.
- 12- أهل السنة الأشاعرة شهادة علماء الأمة وأدلتهم لمؤلفيه حمد السنان وفوزي العنجري: مرجع على جانب وفير من الأهمية، من حيث التعريف بالإمام الأشعري والأشاعرة والإمام الماتريدي.
- 13- دراسات في تاريخ وحضارة المغرب والأندلس لمؤلفه كمال السيد أبو مصطفى: دراسة حول جوانب من الدولة الحفصية، ومدينة طرطوشة وحضارتها في عصر ملوك الطوائف، والتأثيرات العلمية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية بين الأندلس وبين الإسكندرية.
- وأتمنى على الله عزّ وجلّ أن أكون وُفقت في إثراء هذا الموضوع بالوجه المطلوب حتى يفيّد منه قارؤه والمطلّع عليه، مع تقديم الشكر إلى كل المساهمين في إنجاز هذا البحث.

تمهید

تمهيد: شكّل كلٌّ من المغرب والأندلس وجزائر البحر، أجزاء بلاد الغرب الإسلامي موضوع أثر الأئمة. فحدُّ بلاد المغرب هو ضفة النيل بالإسكندرية، التي تلي بلاد المغرب، إلى آخر بلاد المغرب، وحده مدينة سلا. وينقسم أقساماً: فقسم من الإسكندرية إلى أطرابلس، وهو أكبرها، وأقلها عمارة، وقسم من أطرابلس وهي بلاد الجريد، ويقال أيضاً بلاد الزاب الأعلى، ويلي هذه البلاد بلاد الزاب الأسفل، وحدّها مدينة تيهرت، ويليها بلاد المغرب، وهي بلاد طنجة، وحدّها مدينة سلا، وهي آخر بلاد المغرب. وإذا جُزّت سلا وأخذت إلى ناحية الجنوب، تركت مغرب الشمس يُمَنَّةً، وأخذت منها قافلاً إلى القبلة، فتسمى تلك البلاد بلاد تامسنا. ويقال لها أيضاً بلاد السوس الأدنى. وحدّها إلى جبل درن. وإذا جزت هذا الجبل، فعن يمينك بلاد السوس الأقصى. ويقال له بلاد ماسّة. وبلاد الأندلس أيضاً من المغرب، وداخله فيه، لاتصالها به¹.

وأول بلاد المغرب جبال برقة وجبال ءاوتان في المشرق، وهذه الجبال آخر عمل مصر، وأول عمل القيروان، وينقسم المغرب على ثلاثة أصقاع: الصقع الأول: هو موضع إفريقية من جبال برقة وءاوتان إلى جبال نفوسة. والصقع الثاني: المغرب المتوسط وأوله تاهرت إلى سبتة إلى جبل درن. والصقع الثالث: السوس الأقصى، وحدّه في الغرب البحر الأعظم من ماسة إلى صحراء المرابطين².

قال صاحب التاريخ وهو ابن حيان: أعلم أن الأندلس من إقليم الشام، وهي آخر صقعٍ منها، وهي شكل مثلث طوله من المشرق إلى المغرب على ساحل البحر من الجبل المسمى أطرنجش إلى الطرف المسمى بطرف الأغر من مدينة الأشبونة على البحر الأعظم المحيط إلى جبل الشارات في الغرب تسعون فرسخاً³. وطوله من جبل الشارات إلى الجبل الذي بغرب جزيرة طريفة المسمى بجبل

¹ ابن عذاري المراكشي - البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب - تحقيق ج. س. كولان و إ. ليفي بروفنسال - دار الثقافة بيروت - ط3 - 1983م - ج 1 صص 5 - 6 .

² علي الجزنائي - جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس - تحقيق عبد الوهاب بن منصور - المطبعة الملكية - الرباط - ط2 - 1411هـ/1991م - ص 6.

³ الفرسخ: والجمع الفراسخ - في المقاييس -: ثلاثة أميال والفرسخ المربع يساوي 5544 متراً، وهناك اختلاف في الأذرع التي يتكوّن منها الفرسخ، وذلك بسبب اختلاف مقدار الذراع الذي يعتمد وحدة القياس. فقليل أن الفرسخ يساوي ثمانية عشر ألف =

الصوف إلى جبل أطرجنش المذكور على ثلاث مائة فرسخ ، وذلك من الأيام مسيرة ثلاثين يوماً ، وعرضها في المغرب من طرف الأغر إلى أشبونة على البحر الأعظم إلى أول جبل الشارات المذكور تسعون فرسخاً. وجبل طرنجس هو الفاصل بين بلاد الأندلس وبلاد الإفرنج. وقال ابن سيدة: الأندلس بلد أخذ في عرض الإقليمين الخامس والسادس من البحر الشامي في الجنوب إلى البحر المحيط في الشمال¹.

وسُمّيت جزيرة الأندلس بجزيرة لأن شكلها مثلث من ناحية شرق الأندلس حتى تكون بين البحر الشامي والبحر المظلم المحيط بالأندلس خمسة أيام، ورأسها العريض نحو من سبعة عشر يوماً، وهذا الرأس هو في أقصى المغرب في نهاية انتهاء المعمور من الأرض محصور في البحر المظلم. ويحيط بها البحر من جميع جهاتها الثلاث؛ فجنوبيها يحيط به البحر الشامي، وجنوبيها يحيط به البحر المظلم، وشمالها يحيط به بحر الأنقلشيين من الروم، وطول الأندلس من كنيسة الغراب على البحر المظلم إلى الجبل المسمى بهيكل الزهرة ألف ميل ومائة ميل، وعرضها ستمائة ميل. وقيل اسمها في القديم اباريا ثم سميت بعد ذلك اشبانية من اسم رجل ملكها في القديم كان اسمه اشبان، وقيل سميت بالاشبان سكنوها في الأول من الزمان، وسميت بعد ذلك بالأندلس من أسماء الأندليش الذين سكنوها².

وتعدّ إفريقية مهد العلم الإسلامي على يد الصحابة رضوان الله عليهم؛ فالتابعين الوافدين على المغرب إبان الفتوح، وعنهم كان تسلسل السند؛ فتلقاه منهم ناشئة العرب المولدون، وأبناء

=ذراع، لكن المشهور أنه إثنا عشر ألف ذراع. والفرسخ ثلاثة أقسام: فرسخ طولي المذكور آنفاً، وسمي بالخطي أيضاً، وفرسخ سطحي: وهو مربع الطولي، وفرسخ جسمي: وهو مكعب الطولي. محمد عمارة - قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية - دار الشرق - بيروت - القاهرة - ط1 - 1413هـ/1993م - ص 426.

¹ مجهول - تاريخ الأندلس - دراسة وتحقيق عبد القادر بوبايا - دار الكتب العلمية - بيروت - ط1 - 2007م - صص 40-45.

² محمد عبد المنعم الحميري - الروض المعطار في خبر الأقطار - تحقيق احسان عباس - مكتبة لبنان - بيروت - ط1 - 1975 - ط2 - 1974م - صص 32 - 33.

الأفارقة والبربر ممن دخلوا في الإسلام. وكان رواة هذا العلم من التابعين الأولين الذين اتخذوا تلك البلاد وطناً لهم ، بعد أن مُهّدت بها سبيل الإقامة بتأسيس مدينة القيروان وغيرها من المدائن العربية¹.

فتح بلاد المغرب الإسلامي: في عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه توسّعت الفتوحات لتبلغ أعماق آسيا في الهند والصين واقتربت من القسطنطينية، وأمر الخليفة بنشر الإسلام في المناطق الغربية ليلبغ الفتح افریقیة والأندلس². ولما فتح عمرو بن العاص رضي الله عنه الإسكندرية سار في جنده يريد المغرب حتى قَدِمَ برقة وهي مدينة أنطابلس فصالح أهلها على الجزية.

وفي سنة 22 هـ/642م فتح عمرو بن العاص طرابلس في جيش عظيم فيه معبد بن العباس بن عبد المطلب، ومروان بن الحكم، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمر، وعبد الرحمن بن أبي بكر ... رضي الله عنهم، فكان عمرو بن العاص قد ولى عقبة بن نافع الفهري رضي الله عنه: المغرب، وخرج في هذه الغزاة ممن حول المدينة من العرب خلق كثير³. وكانت غزوة عبد الله بن سعد رضي الله عنه تجربة مفيدة للعرب، إذ أوقفتهم على حالة هذه البلاد وعلى مدى أهميتها البالغة إليهم، وسيعقب جهود ابن سعد جهوداً أخرى موفّقة في عصر الدولة الأموية بفتح المغرب كله وتعريبه⁴. وقد اتفقت لعقبة بن نافع الفهري حين وضع القيروان، كرامات وإجابات مشهورة منها ما رواه علماء أهل التاريخ أن عقبة رضي الله عنه قال: يا أهل الوادي، اظعنوا فإننا نازلون، وأن ما وجدناه قتلناه، ونادى فيهم

¹ - حسن حسني عبد الوهاب - الإمام المازري - لجنة البعث الثقافي الإفريقي - دار الكتب الشرقية - تونس - 1955م - صص 10-11.

² - Hassan Amdouni - les quatre califes - al qalam edition - paris - 3^{em} edition - 2000 - p 275.

³ - أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري - البلدان وفتوحها وأحكامها - تحقيق سهيل زكار - دار الفكر - بيروت - ط1 - صص 221 - 224.

⁴ - السيد عبد العزيز سالم وسحر السيد عبد العزيز - نصوص تاريخية في التاريخ الإسلامي - مؤسسة شباب الجامعة - الإسكندرية - 1982م - ص 228.

ثلاثة أيام، فما رأوا منها شيئاً في ذلك الموضع أربعين سنة من سبع وذئب، ولو أُلْتُمست حيّة أو عقرب بألف دينار فما توجد¹.

ولما بويع لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه² بالخلافة، استعمل على إفريقية اسماعيل بن عبدالله بن أبي المهاجر مولى بني مخزوم؛ فأقام بها والياً سنة إحدى ومائة، وكان خير وال وخير أمير، وما زال حريصاً على دعوة البربر إلى الإسلام، فأسلم بقية البربر على يديه³.

إن عمر بن عبد العزيز من أفراد الخلفاء الذين لا يسمح بهم القدر كثيراً، ويرى المسلمون أنّ عمر هو الذي بعث على رأس المئة الثانية ليحدد للأمة أمر دينها كما جاء في حديث سيّدنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِئَةٍ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا»⁴. وهو

¹ - أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الأسيدي الدباغ - معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان - أكمله وعلّق عليه أبو الفضل أبو القاسم عيسى بن ناجي التّونخي - تصحيح إبراهيم شبوح - مكتبة الخانجي - مصر - ط 2 - 1388هـ/1968م - ج 1 صص 8 - 10.

² - عمر بن عبد العزيز: هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم، الأموي المدني، ثمّ الدمشقي، أمير المؤمنين والإمام العادل، روى عن أنس رضي الله عنه وصلى أنس خلفه. وقال: ما رأيت أحداً أشبه صلاة برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من هذا الفتى. وروى عن الربيع بن سبرة، والسائب بن زيد، وسعيد بن المسيّب، وجماعة. وعنه ابنه عبد الله وعبد العزيز، وأبو سلمة بن عبد الرحمن، والزهرري. قال ابن سعد: كان ثقة مأموناً له فقه وعلم وورع وروى حديثاً كثيراً وكان إمام عدل. حكم سنتين وخمسة أشهر وخمسة عشرة يوماً. وأمّه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكان يقال له أشجّ بني أمية، وتوفي عمر بن عبد العزيز المكّي أبا حفص سنة 101هـ/719م. أبو الفدا - التبر المسبوك في تواريخ الملوك - تحقيق محمد زينهم عزب - مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة - ط 1 - 1415هـ/1995م - ص 39/ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري - تاريخ الطبري - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - دار المعارف - مصر - ط 2 - 1971م - ج 6 صص 565 - 566.

³ - الرقيق القيرواني - تاريخ إفريقية والمغرب - تحقيق عبد الله العليّ الزيدان وعزّ الدين عمر موسى - دار الغرب الإسلامي - بيروت - ط 1 - 1990م - ص 62.

⁴ - الشيخ محمد الحضري بك - تاريخ الأمم الإسلامية - المكتبة التجارية الكبرى - مصر - ط 2 - 1344هـ/1962م - ج 2 ص 315.

الذي علم أهل إفريقية الحلال والحرام. وبعث معه عمر رضي الله عنه عشرة من التابعين¹ أهل علم وفضل، وكانت الخمر بإفريقية حلالا، حتى وصل هؤلاء التابعون؛ فبينوا تحريمها رضي الله عنهم².

دخول الإسلام إلى أرض الأندلس: لما انتهى حكم الأندلس إلى لذريق القوطي، وانتهت خلافة المسلمين إلى الوليد بن عبد الملك بن مروان، وكان الوليد حازما فاضلا، مواظبا للجهاد، فلما ولي واستقام له الأمر أمر قواده بغزو الروم في البر والبحر، وولى على إفريقية موسى بن نصير اللخمي؛ فخرج موسى غازيا من إفريقية إلى طنجة؛ فلما وصلها فرّت قبائل البربر أمامه الى المغرب والسوس الأقصى³ خوفا منه فصار في أثرهم يفتح البلاد والحصون ويؤمن من آمن، ويقتل من كفر حتى فتح جميع بلاد السوس الأقصى، ثم رجع الى إفريقية وقد استقام له أمر المغرب⁴.

واستعمل على طنجة وأقاليمها طارق بن زياد وتركه في ألفين من العرب واثنى عشر ألفا من البربر كانوا قد أسلموا وحسن إسلامهم، وترك معهم جماعة من القراء والفقهاء يعلمون البربر القرآن

¹ - **الفقهاء العشرة:** طائفة من فقهاء التابعين انتهت إليهم الإمامة والرئاسة في العلم وحفظ السنة وأيام العرب، أمده بهم أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، وكانوا عشرة قدموا برئاسة أبي عبد الرحمن عبد الله الحُبلي، ومنهم عبد الرحمن بن نافع التنوخي، وسعيد بن مسعود التجيبي، وأبو عبد الرحمن عبد الله بن يزيد العامري، وحيان بن حَبْلَةَ القرشي، وموهب بن جبير المعافري، وطلق بن جمال الفارسي، وبكر بن سواد، وزباد بن أنعم، وإسماعيل بن عبيد المعروف بتاجر الله. وقد فتح الله بهم على إفريقية فأفروا الدين في نصابه وأعادوا السيف إلى قرابه، وحلّ العلم والاجتهاد محلّ الجلاّد والطراد، حسبما نقلته الأخبار ودلت عليه الكتب والآثار. عبد العزيز الثعالبي - تاريخ شمال إفريقيا - تحقيق أحمد بن ميلاد ومحمد إدريس - تقديم حمادي الساحلي - دار الغرب الإسلامي - بيروت - ط2 - 1407هـ/1987م - ص ص 118 - 119.

² - ابن عذاري المراكشي - البيان المغرب - ج1 ص 48.

³ - **السوس الأقصى:** وهي مدن كثيرة وبلاد واسعة، يشقها نهر عظيم يصب في البحر المحيط يسمى وادي ماست، وعليه القرى المتصلة والعمارة الكثيرة، والبساتين والجنات، وعلى النهر قرية كبيرة تعرف بتارودانت، ومنها يجلب السكر الى جميع بلاد المغرب والأندلس وإفريقية. الحميري - الروض المعطار - ص 330.

⁴ - مجهول - جغرافية وتاريخ الأندلس - دراسة وتحقيق عبد القادر بويابة - مؤسسة البلاغ للنشر والدراسات والأبحاث - الجزائر - طبعة خاصة - 2013م - ص 203.

وشرائع الإسلام¹. وربط طارق بن زياد زمانا بطنجة، وكان المجاز الذي بينه وبين الأندلس عليه رجل من العجم يقال له يليان الذي كان يؤدي الطاعة إلى لذريق صاحب الأندلس. وكان يليان قد بعث بابنته ليؤدبها ويعلمها؛ فأحبها، وبلغ ذلك يليان فقال: لا أرى له عقوبة ولا مكافأة إلا أن أدخل عليه العرب، فبعث الى طارق: «إني مدخلك الأندلس»؛ فلما أمسى جاءه يليان بالمرائب، فحمله الى ذلك المجاز، فحملوا اليه حتى لم يبق منهم احد، ولا يشعر بهم أهل الأندلس².

ولما أدخل طارق السفن مع أصحابه غلبته عينة فكان يرى في نومه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحوله المهاجرون والأنصار، وقد تقلدوا السيوف وتكَبَّوا القسي؛ فيمرّ النبي صلى الله عليه وسلم، بطارق فيقول له: «تَقَدَّم لِسَانِكَ» ونظر في نومه إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأصحابه رضي الله عنهم، حتى أدخلوا الأندلس فاستبشر وبشّر أصحابه. وكان اجتماع طارق ولوذريك على وادي لكّة؛ فهزم الله لوذريق³. وقد بلغ طارق مدينة يقال لها: المائدة⁴ فيما فتحه من البلاد الأندلسية⁵. وفي سنة 712/هـ 93م فتح طليطلة⁶. وكتب إلى موسى يُعَلِّمُهُ بفتح الأندلس، فكتب موسى الى الوليد بن عبد الملك يعلمه بذلك، ثم خرج موسى الى الأندلس في رجب سنة 93هـ/ مايو 712م بوجه العرب

¹ - مجهول - جغرافية وتاريخ الأندلس - ص 203.

² - أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم - فتوح مصر والمغرب - تحقيق عبد المنعم عامر - الأمل للطباعة والنشر - القاهرة - 1961م - ج 1 صص 276 - 277.

³ - أبو بكر ابن القوطية - تاريخ افتتاح الأندلس - تحقيق اسماعيل العربي - المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر - 1989م - صص 19 - 23.

⁴ - المائدة: في أحواز طليطلة سميت بذلك لأنها وجدت فيها المائدة المنسوبة الى سليمان بن داود عليهما السلام، وهي خضراء من زرجد حافأها وأرجلها، وفيها ثلاثمائة وستون رجلا، وانتهى إليها طارق حين مضى إلى طليطلة سنة 93هـ/712م. الحميري أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم - صفة جزيرة الأندلس - تعليق لإ. لافي بروفنصال - دار الجيل - بيروت - ط 2 - 1408هـ/1988م.

⁵ - ابن القوطية - المصدر السابق - ص 101.

⁶ - Claudio Sanchez Albornoz - l'Espagne musulmane - opu/ publisud - edition espanya - calpe calpe - 1985 - p15.

والموالي¹ وعرفاء البربر². وشدّ حصون البلاد، واستخلف ابنه عبد العزيز الذي أتمّ فتح ما بقي من مدائن الأندلس³.

فتح جزائر البحر المتوسط الشامي: كان المسلمون قد غلبوا على البحر المتوسط الشامي من جميع جوانبه وعظمت صولتهم وسلطانهم فيه، وملكوا سائر الجزائر المتقطّعة عن السواحل فيه مثل ميورقة⁴ ومنورقة⁵ ويابسة⁶ وسردانية⁷ وصقلية⁸، وسائر ممالك الروم والإفرنج⁹.

¹ - **الموالي:** المُعْتَق انتسب بنسبك، ولهذا قيل للمعتقين الموالي، وقال أبو الهيثم المولى على ستة أوجه: المولى ابن العمّ والعمّ والأخ والابن والعصبات كلهم، والمولى الناصر، والمولى الولي الذي يلي عليك أمرك. ابن منظور محمد بن مكرم الأنصاري الأفرنجي. لسان العرب - تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرون - دار المعارف - القاهرة - ط1 - 1419هـ/1998م - مج6 - ج 55 ص 4921.

² - ابن عبد الحكم - فتوح مصر والمغرب - صص 279 - 280.

³ - ابن القوطية - تاريخ افتتاح الأندلس - ص 24.

⁴ - **ميورقة:** جزيرة في البحر الرقاعي تُسامتها من القبلة بجاية من برّ العدو ومن الجوف برشلونة، ومن الشرق إحدى جزيرتيها مُترقة، وشرقي ميورقة هذه سردانية، وغربيها جزيرة يابسة، وميورقة أمّ هاتين الجزيرتين، طولها من الغرب إلى الشرق سبعون ميلا، وعرضها من القبلة إلى الجوف خمسون ميلا. الحميري - صفة جزيرة الأندلس - ص 188.

⁵ - **منورقة:** جزيرة تقابل برشلونة، بينهما مجرى، وبينها وبين سردانية أربعة مجار، وهي إحدى جزيرتي ميورقة، وهما منورقة هذه ويابسة. الحميري - صفة جزيرة الأندلس - ص 185.

⁶ - **يابسة:** جزيرة حسنة كثيرة الكروم و الأعناب و بها مدينة صغيرة حسنة متحضرة، وأقرب الاندلس اليها مدينة دانية، وفي شرقي يابسة جزيرتي ميورقة ومنورقة. أبو عبد الله محمد الإدريسي - نزهة المشتاق في اختراق الآفاق - مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة - 1433هـ/2002م - مج2 ص 582.

⁷ - **سردانية:** جزيرة على طرف البحر الشامي، وهي كبيرة النظر كثيرة الجبال قليلة المياه، فيها ثلاثة مدن: الفيصنة وهي مدينة عامرة، ومنها مدينة قالمرة، والثالثة تسمى قشتالة، وقيل سميت سردانية باسم رودس بن هرقل الذي افتتحها، وهي كثيرة الزرع والضرع، وطولها مائة وثلاثون ميلا وعرضها مائة وعشرون ميلا. الحميري - الروض المعطار - ص 314.

⁸ - **صقلية:** من جزائر بحر المغرب مقابلة افريقية، وهي مثلثة الشكل بين كل زاوية وأخرى مسيرة سبعة أيام، وبينها وبين برّ افريقية افريقية مائة وأربعون ميلا، وهي جزيرة خصيبة كثيرة البلدان والقرى، وفي وسطها جبل يسمى قصر يانة عليه مدينة عظيمة شايخة وحوها من الحرث والبساتين شبيهُ كثير، تنفجر من أعلاها وحوها الأنهار وكذلك جبال الجزيرة، وهي كثيرة المواشي والمعادن دائمة الكأ. شهاب الدّين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي - معجم البلدان - دار صادر - بيروت - 1397هـ/1977م - ج3 صص 416 - 417.

⁹ - وفيق بركات - فن الحرب البحرية في التاريخ العربي الاسلامي - معهد التراث العلمي العربي - حلب - 1416هـ/1995م - ص 190.

وغزا معاوية بن حديج الكندي أيام معاوية بن أبي سفيان صقلية، وكان أول من غزاها ولم تزل تغزى بعد ذلك، وقد فتح آل الأغلب بن سالم التميمي منها نَيْفًا¹ وعشرين مدينة، وفتح أحمد بن محمد بن الأغلب في خلافة المتوكل على الله قصر يانة وحصن غليانة².

ونزل المسلمون بالجزيرة الخضراء³ ومن مدن الجزيرة مدينة طريف، وهي أول مدينة نزلها المسلمون أول الفتح⁴. وكان موسى بن نصير قد بعث رجلا من مواليه يقال له طريف ويكنى بأبي زرعة في أربعمئة راجل ومعهم مائة فارس فسار في أربعة مراكب حتى نزل جزيرة يقال لها جزيرة الاندلس التي هي معبر مراكبهم ودار صناعتهم يقال لها جزيرة طريف سميت به لنزوله بها؛ فأقام حتى تتام إليه أصحابه ثم نهض حتى أغار على الجزيرة فأصاب سيبا⁵ لم يرى موسى مثله ولا أصحابه ومالا ومالا جسيما ورجع سالما وذلك في رمضان 91هـ/يوليو 710م⁶.

وأما جزيرة ميورقة فإن أول من فتحها من أيدي النصارى عبد الله بن موسى بن نصير الذي فتح أبوه جزيرة الأندلس⁷.

¹ - نَيْفًا: أصله نيوف، يقال: عشرة ونَيْف، وكل ما زاد على العِقْدِ، فَيَيْف إلى أن يبلغ العقد الثاني، والنَيْف: الفضل، والإحسان، والإحسان، ومن واحدة إلى ثلاث. مجد اللّدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي - القاموس المحيط - تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة - إشراف محمد نعيم العرقوسي - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط8 - 1426هـ/2005م - ص 858.

² - أحمد بن يحيى بن جابر البغدادي البلاذري - فتوح البلدان - شركة طبع الكتب العربية - القاهرة - ط1 - 1319هـ/1901م - ص 244.

³ - الخضراء: مدينة ازلية من بنيان الأول، وهي على ضفة بحر الرقاق، وهي برية بحرية ذات مياه عذبة، وهواء معتدل وزرع وضيع، ومرساها أقرب المراسي إلى العدو وأوطاها، ويقال إنها مدينة الجدار الذي أقامه الخضر، ومن حصونها غوجين ونجارش وشمامة ووادي بيار. وهي أول مدينة افتتحت بالأندلس في صدر الإسلام وذلك في سنة 90هـ/709م، وافتتحها موسى بن نصير من قبيل المروانيين ومعه طارق بن زياد بن وائمو الزناتي ومعه قبائل البربر، وبها على باب البحر مسجد يسمّى مسجد الرايات. مجهول - تاريخ الاندلس - ص 122/الإدريسي - نزهة المشتاق - مج2 صص 439 - 440.

⁴ - مجهول - تاريخ الأندلس - ص 122.

⁵ - سبي: السَيْبُ: سبي العدو سَبِيًا وسَبَاءً، أسرته كاستَبَاه، فهو سَبِيٌّ وهي سَبِيٌّ أيضا، وسبي الله فلانا: غزّيه، وأبعده، وسبي الماء: حفر حتى أدركه. والسبي ما يُسبى. الفيروزآبادي - القاموس المحيط - ص 1293.

⁶ - مجهول - أخبار مجموعة في فتح الأندلس - مطبع ريدنير - مدريد - 1867م - ص 6.

⁷ - ابن سعيد المغربي - المغرب في حلى المغرب - تحقيق شوقي ضيف - دار المعارف - القاهرة - ط4 - 2009م - ج2 ص 467.

وفي سنة 117هـ/735م سار حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع إلى جزيرة سردانية ففتح فيها وعاد غانما. وفي سنة 130هـ/747م استولى المسلمون على جزيرة قوصرة¹ الواقعة في منتصف المسافة بين صقلية وساحل إفريقية².

وفي سنة 212هـ/827م أغزى زيادة الله صقلية واجتمع له سبعون مركبا، حمل فيها سبعمائة فارس وعرض القاضي أسد بن الفرات نفسه على زيادة الله في الخروج للغزو، فولّاه على الجيش، وأقرّه على القضاء مع القيادة؛ فخرج معه أشرف إفريقية، من العرب والهند والبربر والاندلسيين، وأهل العلم والبصائر، في ربيع الأول؛ فساروا إلى حصون الروم ومدنهم، وكثرت الغنائم عند المسلمين. وحاز القاضي أسد بمن معه على مدينة سرقوسة³ وحاصرها برا وبحرا، وجاءته الأمداد من إفريقية والاندلس وغيرها⁴.

وفي سنة 234هـ/848م استولى الأمير عبد الرحمن الأوّل على جزيرة ميورقة، وفي سنة 255هـ/869م افتتحت مالطة⁵ في عهد الأغالبة⁶.

وعكس ما يُروّج أعداء الإسلام فإن انتشاره لم يكن أبدا بالسيف كما يزعمون، بل كان للقادة والساسة الفاتحين وكبار الأعلام دور كبير في قبول سكان الغرب الإسلامي للدين الخاتم،

¹ - قوصرة: توازي نابل من أرض إفريقية، وجزيرة قوصرة صغيرة حصينة فيها آبار وسواحل وأشجار زيتون و فيها معز كثيرة، ومنها في عين الشرق جزيرة غودش و بينهما مائة ميل. الإدريسي - نزهة المشتاق - مج2 ص 587.

² - بركات - فن الحرب البحرية - ص212.

³ - سرقسطة: في شرق الاندلس وهي المدينة البيضاء. وهي قاعدة من قواعد الاندلس، كبيرة القطر أهلة ممتدة الأطناب واسعة الشوارع، حسنة الديار والمسالك، متصلة الجنات والبساتين، وهي على ضفة نهر كبير يأتي بعضه من بلاد الروم، ولها أقاليم عدة، وبسرقسطة جسر عظيم يجاز عليه إلى المدينة، ولها أسوار منيعة ومبان رفيعة. واسمها مشتق من اسم قيصر، وهو الذي بناها. الحميري - الروض المعطار - ص317.

⁴ - ابن عذاري - البيان المغرب - ج 1 صص 102 - 103.

⁵ - مالطة: وهي جزيرة كبيرة وفيها مرسى مأمون يفتح إلى الشرق، وفيها مدينة وهي كثيرة المرعي و الغنم والثمار والعسل الكثير، و بينها و بين أقرب بر من صقلية إلى موضع يقال له أكرنتة ثمانون ميلا وليس بعد مالطة هذه إلى ناحية الشرق و الغرب الا جزيرة إقريطش. الإدريسي - نزهة المشتاق - مج2 ص 588.

⁶ - بركات - المرجع السابق - ص 213.

والدخول فيه، بل والمساهمة في نشره والثبات عليه دون إكراه، السرّ في ذلك الأخلاق الراقية التي تحلّى بها المسلمون. وكثير من الكتابات المغرضة تصوّر لنا الحقبة والفاعلين فيها على أنها حقبة مظلمة في تاريخ المسلمين، عن طريق تضخيم وتأويل أحداث الصّدام بين الفاتحين وأهل هذه المناطق من جهة، وازدراء وتغييب الجانب الروحي الإيماني والمعرفي الذي قامت عليه هذه الفتوحات من جهة أخرى. وضمن هذا المنحى عُرف الأئمة الثلاثة واشتهروا بمذاهبهم في الفقه و علوم الشريعة، وفي العقيدة وعلم الكلام، وفي التصوّف و علم تزكية الأخلاق، والتي فيما يلي سيُسلط الضوء عليها تعريفاً وفهماً.

المذاهب الفقهية:

لغوياً: المذهب المعتقد الذي يُذهب إليه، وذهب فلان لذهبه، أي لمذهبه الذي يذهب فيه، وحكى اللحياني عن الكسائي: ما يدرى به أين مذهب، ولا يدرى له ما مذهب، أي لا يدرى أين أصله، ويقال ذهب فلان مذهبا حسنا¹.

والفقه العلم بالشيء والفهم له، وغلب على علم الدين لسيادته وشرفه وفضله على سائر أنواع العلم، كما غلب النجم على الثريا، والعود على المنديل، قال ابن الأثير: واشتقاقه من الشقّ والفتح، وقد جعله العرف خاصا بعلم الشريعة، شرفها الله تعالى، وتخصيصا بعلم الفروع منها².

قال غيره: والفقه في الأصل الفهم. يقال: أوتي فلان فقها في الدين، أي فهما فيه. قال الله تعالى: ﴿لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾³. أي ليكونوا علماء به، وفقّهه الله، ودعا النبي صلى الله عليه وسلّم لابن عباس رضي الله عنه فقال: «اللَّهُمَّ عَلِّمُهُ الدِّينَ، وَفَقِّهْهُ فِي التَّأْوِيلِ»، أي فَهِّمَهُ تَأْوِيلَهُ وَمَعْنَاهُ،

¹ - ابن منظور - لسان العرب - مج3 - ج17 ص 1522.

² - المصدر نفسه - م5 - ج42 ص 3450.

³ - سورة التوبة - الآية 122.

فاستجاب الله دعاءه، وكان من أعلم الناس في زمانه بكتاب الله. وفقه فقها: بمعنى علم علما، وقال ابن سيده: فِقْهٌ فِقَاهَةٌ وهو فقيه من قوم فقهاء، والأثنى فقيهة من نسوة فقائه¹.

الفقه لغة: الفهم والعلم والفتنة، ومنه قوله تعالى: ﴿فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾². وقوله تعالى ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾³. ومادة الفقه مشتقة من فِقْهٍ وقيل بالضم - أي فِقْهَةً - إذا صار له الفقه سجيّة⁴.

اصطلاحاً: هو مجموع الآراء الاجتهادية لإمام من الأئمة الذين دُوِّنت آراؤهم وحُرِّرت، وما تلاه من اجتهادات أصحابه على وفق قواعده وأصوله تخريجاً وترجيحاً. ويشمل المذهب اجتهادات إمام المذهب، واجتهادات أتباعه من تلامذته ومن تلاهم، بشرط أن تكون هذه الاجتهادات صادرة عن قواعد الإمام وأصوله، بما يجعل الاجتهاد منسوباً للمذهب ومَعْرُوضاً إليه؛ فمذهب المالكية: هو مذهب الإمام مالك بن أنس في آرائه الاجتهادية، ومذهب ابن القاسم وأشهب، وابن وهب، وأصبغ بن الفرّج، والقاضي إسماعيل، وابن أبي زيد القيرواني، والمازري، وابن رشد، وابن الحاجب، والقراقي، والشاطبي، وخليل، والخرشي، والعدوي، إلى غيرهم من علماء المذهب وفقهائه⁵.

والمذاهب الفقهية هي مذاهب الفقهاء الأربعة المجتهدين: الحنفي، المالكي، الشافعي، والحنبلي. وهي المذاهب المعمول بها عند جمهور المسلمين إلى اليوم والتي كُتِبَ لها البقاء والتغلب على سواها من مذاهب أهل السنة. كمذهب سفيان الثوري بالكوفة، والحسن البصري بالبصرة، والأوزاعي

¹ - ابن منظور - المصدر السابق - مج 5 - ج 42 ص 3450.

² - سورة النساء - الآية 78.

³ - سورة الأعراف - الآية 179.

⁴ - إسماعيل سالم عبد العال - البحث الفقهي - مكتبة الأسدي - مكة المكرمة - ط 1 - 1429هـ / 2008م - ص 103.

⁵ - حاتم باي - الأصول الاجتهادية التي يبنى عليها المذهب المالكي - وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الكويت - ط 1 - 1432هـ / 2011م - صص 18-19.

بالشام والأندلس وغيرها، ومحمد بن جرير الطبري وأبي ثور ببغداد، وداود الظاهري في كثير من البلدان وغيرها من مذاهب فقهاء الأمصار¹.

وكانت الفتيا - قبل حدوث المذاهب - تؤخذ في عصر الصحابة عن القراء منهم، وهم الحاملون لكتاب الله، العارفون بدلالاته؛ فلما انقضى عصرهم، وخلف من بعدهم التابعون، اتبع أهل كل عصر فتياً من كان عندهم من الصحابة، لا يتعدونها إلا في اليسير مما بلغهم عن غيرهم، فاتبع أهل المدينة في الأكثر فتاوى عبد الله بن عمر. وأهل الكوفة فتاوى عبد الله بن مسعود، وأهل مكة فتاوى عبد الله بن عباس وأهل مصر فتاوى عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهم أجمعين. وأتى بعد التابعين فقهاء الأمصار كأبي حنيفة ومالك وغيرهما ممن ذكر، فاتبع أهل كل مصر مذهب فقيه في الأكثر، وكان موطأ² الإمام مالك سبباً رئيساً في استفاضة المذهب بالغرب الإسلامي³.

ويتضح أن المذاهب الفقهية الأربعة الصحيحة عموماً تستمد مشروعيتها من المصادر الأولى للتشريع من كتاب وسنة، إذن فهي مؤسسة ومقعدة ومؤصلة، وقد جمع الإمام مالك أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم في كتاب الموطأ الذي هو أساس من أسس المذهب، وتفيد كتب السير والتراجم في فهم مراحل نشأة وظهور وانتشار هذه المذاهب التي كانت متضمنة في الشريعة الإسلامية.

¹ - أحمد تيمور باشا - المذاهب الفقهية الأربعة - دار الآفاق العربية - القاهرة - ط1 - 1421هـ/2001م - ص 47.

² - الموطأ: جمع الإمام مالك رضي الله عنه كتابه الموطأ في نحو من أربعين سنة واشتمل على نحو عشرة آلاف حديث، فلم يزل ينظر فيه كل سنة ويسقط منه حتى بقي هذا. وهو من كتب الصحاح في السنة. قال الشافعي: ما على ظهر الأرض كتاب أصح من كتاب مالك. قيل: إنه صنّفه بطلب من أبي جعفر المنصور، وروي أنه قال له: «... اقصد أوسط الأمور وما أجمع عليه الصحابة والأئمة، واجعل هذا العلم علماً واحداً». سمي الإمام مالك كتابه بالموطأ، ومعناه الممهّد، المنفتح. قال ابن فهر: لم يسبق مالكا أحد إلى هذه التسمية. فإن من ألف في زمانه سمي بعضهم بالجامع، وبعضهم بالمصنّف، وبعضهم بالمؤلف. أبو عبد الله مالك بن أنس الأصبحي - موطأ الإمام مالك - مؤسسة الأهرام - القاهرة - 1998م - صص 12 - 13.

³ - أحمد تيمور باشا - المرجع السابق - صص 47 - 48 - 68 - 69

علم الكلام والعقيدة: عَقَدَ: العقد: نقيض الحلِّ عَقَدَهُ يَعْقِدُهُ عَقْدًا وَتَعَقَّدًا وَعَقْدَهُ وَاغْتَقَدَهُ كَعَقْدَهُ، وعقد التاج فوق رأسه واعتقده: عصبه به، والعقيد: المُعاقِد، وفي حديث قيس بن عباد قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَلَكَ أَهْلُ الْعَقْدِ»¹.

قال أبو منصور: العقد: الولايات على الأمصار، وَعَقَدَ الْعَهْدَ وَالْيَمِينَ يَعْقِدُهُمَا عَقْدًا، وعقدهما: أكدهما والمعاقدة: المعاهدة. وعاقده: عاهدته. والعقيد: الحليف. والعقد: ما عقدت من البناء. وعُقْدَةُ النكاح والبيع: وجوبهما². والعقيدة: الْحُكْمُ الَّذِي لَا يُقْبَلُ الشك فِيهِ لَدَى مُعْتَقِدِهِ. وفي الدين ما يقصد به الاعتقاد، كعقيدة وجود الله، وبعثه الرسل. والجمع عقائد³.

ومفهوم الإيمان والعقيدة ينتظم ستة أمور:

أولاً- المعرفة بالله، والمعرفة بأسمائه الحسنى وصفاته العليا والمعرفة بدلائل وجوده، ومظاهر عظمتة في الكون.

ثانياً- المعرفة بكتب الله التي أنزلها لتحديد معالم الحق والباطل والخير والشر والحلال والحرام والحسن والقبيح.

ثالثاً- المعرفة بأنبياء الله ورسله، الذين اختارهم ليكونوا أعلام الهدى، وقادة الخلق إلى الحق.

رابعاً- المعرفة بالعالم غير المنظور، من ملائكة وجن وما إلى ذلك.

خامساً- المعرفة باليوم الآخر، وما فيه من بعث وجزاء، وثواب وعقاب، وجنة ونار.

¹ - ابن منظور - لسان العرب - مج5 - ج43 صص 3030 - 3031.

² - المصدر نفسه - مج5 - ج43 صص 3031 - 3032.

³ - المعجم الوسيط - مجمع اللغة العربية - إشراف عبد العاطي عطية وآخرون - مكتبة الشروق الدولية - جمهورية مصر العربية - ط5 - 1425هـ/2004م - ص614.

سادسا- المعرفة بالمخطط العام بالقضاء والقدر، والذي يسير عليه نظام الكون في الخلق والتدبير¹.

يهدف علم العقيدة الإسلامية إلى تهذيب السلوك، وتزكية النفوس، وتوجيهها نحو المثلى الأعلى، نحو التخلق بأخلاق الله سبحانه وتعالى، وبأخلاق أنبيائه ورسله الأطهار. وقد حدثنا الإمام أبو حنيفة النعمان رضي الله عنه، عن هذا العلم، بأنه الفقه الأكبر وهو أساس الفقه في دين الله².

جرى المسلمون في حياة سيدنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على اتباع كلام الله المنزل في القرآن الكريم، ثم سؤال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في كل ما أشكل عليهم والأخذ بهديه وحديثه والتأسي بفعاله، وبعد أن توفي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جرى العمل بسنته في الأمور التي لم ينزل فيها نص الكتاب، وهذه السنة مجموع الأقوال والأفعال التي تناقلها عنه الصحابة من بعدهم التابعين وأتباع التابعين. وكان العرب يدركون بفطرتهم السليمة المعاني التي جاء بها القرآن الكريم. ولم يكن هناك مجال كبير للخلاف فيها أول الأمر. هذا بالإضافة إلى ما ساد الإسلام منذ نشأته من نزعة عملية جعلت المسلمين يبتعدون عن المناقشات الجدلية النظرية، ويفضلون عليها النقاش حول ما يتصل بالأفعال الإنسانية، والحياة الواقعية النافعة للناس³.

حدثت الفتن بين المسلمين، وغلب البغي على أئمة الدين، وظهر اختلاف الآراء، والميل إلى البدع والأهواء، وكثرت الفتاوى والواقعات، والرجوع إلى العلماء في المَهَمَّات، فاشتغلوا بالنظر والاستدلال والاجتهاد والاستنباط وتمهيد القواعد والأصول، وترتيب الأبواب والفصول، وتكثير المسائل بأدلتها، وإيراد الشبه بأجوبتها، وتعيين الأوضاع والاصطلاحات، وتبيين المذاهب والاختلافات. ولأنه إنما يتحقق بالمباحثة وإدارة الكلام بين الجانبين، وغيره قد يتحقق بالتأمل، ومطالعة الكتب، ولأنه أكثر العلوم خلافا ونزاعا فيشتد افتقاره إلى الكلام مع المخالفين والرد عليهم،

¹ - أحمد علي الملا - دراسات في علم العقيدة الإسلامية - قصر الكتاب - البلدة - ط 1 - 1406هـ/1986م - صص 13 - 14.

² - المرجع نفسه - ص 14.

³ - يحيى هويدي - دراسات في علم الكلام والفلسفة الإسلامية - دار الثقافة للطباعة والنشر - القاهرة - ط 2 - د.ت - ص 79.

ولأنه ولقوة أدلته صار كأنه هو الكلام دون ما عداه من العلوم. كما يقال للأقوى من الكلامين: هذا هو الكلام، ولأنه لإبتناؤه على الأدلة القطعية المؤيد أكثرها بالأدلة السمعية أشد العلوم تأثيرا في القلب وتغلغلا فيه، فسمي بالكلام المشتق من الكلم، وهو الجرح. وهذا هو كلام القدماء. ومعظم خلافه مع الفرق خصوصا المعتزلة الذين توغّلوا في علم الكلام، وتشبّبوا بأذيال الفلاسفة في كثير من الأصول وشاع مذهبهم فيما بين الناس. وعمل أبو الحسن الأشعري ومن تبعه على إبطال آراء المعتزلة، وإثبات ما وردت به السنة، ومضى عليه الجماعة. فسموا أهل السنة والجماعة¹.

يعتبر علم الكلام من العلوم التي ندب الله لها طائفة من المدافعين عن العقيدة، هدفهم الدّود عنها وحراستها من تشويش أهل البدعة، وبدأت بواكير هذا العلم في صدر الإسلام خصوصا مع تلك التساؤلات حول بعض مرتكزات العقيدة القضاء والقدر، ومع تلك الاجتهادات في تفسير بعض الظواهر، وبعض الأحداث التي كانت تعترض بعض المسلمين إن على صعيد العلم أم على صعيد العمل، وخصوصا بعد وفاة سيّدنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم².

لقد بدأ إذن علم الكلام في صدر الإسلام وبداية العصر الأموي، فكثيرون كانوا يجادلون ويتساءلون ويحاولون إبداء الرأي في ما أنزل، وسؤال الإنسان وحديثه في القضاء والقدر والاختيار والأفعال والمكلفين، ومسائل الثواب والعقاب وغيرها مما ورد في علم الكلام الذي استوى علما قائما بذاته³، والكلام علم يُقْتَدَر معه على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج ودفع الشبه، والمراد بالعقائد ما يقصد به نفس الاعتقاد، وبالدينية المنسوبة إلى دين سيّدنا محمد صلّى الله عليه وسلّم، وإنما سُمّي كلاما إما لأنه بإزاء المنطق للفلاسفة، أو لأن أبوابه عُنُونَت أولا بالكلام في كذا، أو لأن مسألة الكلام أشهر أجزائه فغلب عليه، أو لأنه يُورث قدرة على الكلام في الشرعيات -ومع الخصم-

¹ - سعد الدين التفتزاني - شرح العقائد التفسيرية - تحقيق أحمد حجازي السقا - مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة - ط 1 - 1407هـ/1987م - صص 10-12.

² - سميع دُغيم - موسوعة مصطلحات علم الكلام الإسلامي - مكتبة لبنان ناشرون - بيروت - ط 1 - 1419هـ/1998م - ص 8.

³ - المرجع نفسه - ص 8.

وموضوعه أعمُّ الأمور وأعلاها، وغايته أشرف الغايات وأجداها، ودلائله يقينية يَحْكُمُ بها صريح العقل، وقد تأيَّدت بالنقل وهي الغاية في الوثاقة¹.

وهذه هي جهات شرف العلم لا تعدوها، فهو إذا أشرف العلوم². والإمامين الجليلين أبي الحسن الأشعري وأبي منصور الماتريدي³ انتصبا دليلين على طريق السلف الصالح ينافحان عن معتقداتهم ويذبان عن الكتاب والسنة، وهرع العلماء لنصرتهم، وانتهضوا لتأييدهم ونشر طريقتهم⁴. وحدوث علم الكلام والعقيدة في المسلمين ضرورة لا بد منها، للدفاع عن العقيدة الصحيحة من خطر الأفكار الداهية والدخيلة عليها، المستقاة من الفلسفة القديمة، أو الفرق الأخرى المتأولة في النصوص.

علم التصوف والتزكية: قال الأستاذ الشيخ الإمام القشيري: غلبت هذه التسمية على هذه الطائفة، فيقال رجل صوفي وللجماعة صوفية، ومن يتوصَّل إلى ذلك يقال له: متصوِّف، وللجماعة المتصوفة، وليس يُشهد لهذا الاسم اشتقاق من حيث العربية ولا قياس وإلا ظهر فيه أنه كاللقب، فأما قول من قال: إنه من الصوف، وتصوِّف إذ لبس الصوف، كما يقال تقمَّص إذ لبس القميص، فذلك وجه، ولكن القوم لم يختصوا بلبس الصوف، وقول من قال: إنه مشتق من الصف فكأنهم في الصف الأول بقلوبهم من حيث المحاضرة من الله تعالى، فالمعنى صحيح ولكن اللغة لا تقتضي هذه النسبة للصف،

¹ - عبد الرحمن بن أحمد الأبيجي - المواقف في علم الكلام - عالم الكتب - بيروت - د.ت - صص 7 - 8.

² - المصدر نفسه - صص 8 - 9.

³ - الإمام الماتريدي: هو الإمام أبو منصور محمَّد بن محمَّد بن محمود الماتريدي السمرقندي الأنصاري؛ فالماتريدي نسبة إلى "ماتريد" وهي محلة بسمرقند. وقد لقبه أصحابه بألقاب مختلفة؛ فهو إمام الهدى، وعلم الهدى وهو إمام المتكلمين، وهو مصحح عقائد المسلمين، وهو رئيس أهل السنة، كان له دور بارز في نصر السنة والدفاع عنها، حيث نهض الماتريدي بالأقاليم الشرقية من العالم الإسلامي، ونهض أبو الحسن الأشعري في الأقاليم المتوسطة لمجابهة ذوي الأفكار المتطرِّفة، من المعتزلة والروافض وغيرهما من الفرق. صار إماما مبرزاً في الفقه والتفسير والكلام. وقد ألَّف الإمام الماتريدي في العقيدة وأصول الفقه وتأويل القرآن الكريم. توفي سنة 333هـ/944م. أبو منصور محمَّد بن محمَّد السمرقندي الماتريدي - كتاب التوحيد - تحقيق بكر طوبال اوغلي ومحمَّد آروشي - دار صادر - بيروت - مكتبة الارشاد - استانبول - 1422هـ/2001م - صص 8 - 17.

⁴ - حمد السنان وفوزي العنجري - أهل السنة الأشاعرة شهادة علماء الأمة وأدلَّتهم - دار الضياء - الكويت - ط 1 - 2006م - صص 73 - 74.

ثم إن هذه الطائفة أشهر من أن يُحتاج في تعيينهم إلى قياس لفظٍ واستحقاق اشتقاقٍ، وتكلم الناس في التصوف ما معناه، وفي الصوفي من هو؟ فكلُّ عبّر بما وقع له¹.

والتصوّف: عبارة عن قصد طريق طائفة مخصوصة سُمّوا بالصُّوفية، إذ كان الناس بعد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُسَمَّونَ بالصحابية، فلا فضيلة فوقها، ثم من أدرك الصحابة يسمون تابعين، ثم أتباع التابعين، ثم اختلف الناس وتباينت المراتب فسمي خواص الناس ممن لهم شدة عناية بأمر الدين، الزهاد والعباد، ثم ظهرت البدع وحصل التداعي بين الفرق، فانفرد خواص أهل السنة، المراعون أنفسهم مع الله، الحافظون قلوبهم من طوارق الغفلة باسم التصوّف، واشتهر لهم هذا الاسم قبل المتئين من الهجرة²

وقال أستاذ الطائفة الجنيد بن محمد الفقيه: «التصوف ذكر مع اجتماع، ووجد مع استماع، وعمل مع اتباع»³، وقال أبو عثمان سعيد بن إسماعيل -أحد أكابر هذه الطائفة-: «التصوّف الصحبة مع الله بحسن الأدب ودوام الهيبة والمراقبة، والصحبة مع سيدنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ باتباع سنته ولزوم ظاهر العلم»⁴، وقال أبو الحسين أحمد بن محمد النوري -شيخ الطريقة: «التصوف ترك كل حظّ للنفس»⁵، وقال أبو عمرو إسماعيل بن نجيد: «التصوّف الصبر تحت الأمر والنهي»⁶.

¹ - أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري النيسابوري الشافعي - الرسالة القشيرية - تحقيق عبد الحلیم محمود ومحمد بن الشريف - مؤسسة دار الشعب - القاهرة - 1409هـ/1989م - ص 464.

² - أبو الفضل كمال الدين جعفر بن ثعلب الأدفوي المصري - الموفى بمعرفة التصوّف والصوفي - تحقيق محمد عيسى صالحية - مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع - الكويت - 1408هـ/1977م - صص 37 - 38.

³ - القشيري - المصدر السابق - ص 466.

⁴ - الأدفوي - المصدر السابق - ص 35.

⁵ - المصدر نفسه - ص 36.

⁶ - المصدر نفسه - ص 36.

وقال أبو محمد الحريري: «التصوف الدخول في كل خلق سني¹ والخروج من كل خلق دني»،
وقال محمد بن علي: «التصوف أخلاق كريمة»²، وقال القاضي شيخ الإسلام زكريا الأنصاري:
«التصوف علم تُعرف به أحوال تزكية النفوس، وتصفية الأخلاق وتعمير الظاهر والباطن لنيل السعادة
الأبدية». ويقول الشيخ زروق: «التصوف علم قصد لإصلاح القلوب، وإفرادها لله تعالى عما سواه،
والفقه لإصلاح العمل، وحفظ النظام، وظهور الحكمة بالأحكام، والأصول علم التوحيد لتحقيق
المقدمات بالبراهين، وتخليّة الإيمان بالإيقان، كالتبّ لحفظ الأبدان، وكالتّحو لإصلاح اللسان إلى
غير ذلك»³.

قال سيّد الطائفتين الإمام الجنيد: «التصوف استعمال كل خلق سني، وترك كل خلق دني»،
وقال بعضهم: «التصوف كله أخلاق، فمن زاد عليك بالأخلاق زاد عليك بالتصوف»، وقال أبو
الحسن الشاذلي: «التصوف تدريب النفس على العبودية، ورُدّها لأحكام الربوبية»، وقال ابن عجيبة:
«التصوف هو علم يُعرف به كيفية السلوك إلى حضرة ملك الملوك، وتصفية البواطن من الرذائل،
وتخليتها بأنواع الفضائل، وأوله علم، ووسطه عمل، وآخره موهبة»⁴.

وقال صاحب كشف الظنون: «هو علم يُعرف به كيفية ترقّي أهل الكمال من النوع الإنساني
في مدارج سعادتهم»⁵.

وكان الشيخ أحمد بن حنبل يقول لأبي حمزة البزاز البغدادي: «ما تقول في هذه المسألة يا
صوفي» وكان فقيها عالما بالقراءات. وأما من تنطلق عليه هذه النسبة: فقد قال أبو الحسن بن الصبّاغ
القوصي: «الصوفي الذي يقبل العثرة، ويستتر الزلة، ويسدّ الخلة»، وذكر المطجّن في كتابه الدليل في

⁶ سني: أسناه: رفعه. وسناه: تسنيته: سهله وفتحته. وسناه: رضاه وداناه، وأحسن معاشرته. وسني كرضي: صار ذا سناء.

الفيروزآبادي - القاموس المحيط - ص 1297.

² - الأدفوي - الموفي - ص 37.

³ - عبد القادر عيسى - حقائق عن التصوف - دار المقطم - القاهرة - 1426هـ/2005م - ص 23.

⁴ - المرجع السابق - ص 23 - 24.

⁵ - المرجع نفسه - ص 24.

الطريق مقالات لجماعة من أهل العلم والتصوف عن الصوفي منها قول الشيخ أحمد الرفاعي وكان فقيها شافعي المذهب: «من وفي جميع المطلوبات، وصفي من جميع الكدرات»، ويصفه الشيخ ابن الخطيب: «الصوفي من قلبه بالحب مملوء، ولسانه بالمعرفة يتلو»، وقال الشيخ محمد الباقلاني: «من يبذل الطعام، ويكون عذب الكلام، ويصوم النهار ويتعهد بالليل والناس نيام»، وقال الشيخ علي بن البوقي: «هو من يقف مع الشرع، ويوهد¹ في الطبع»، ويقول الشيخ رمضان الكردي: «هو من صفا سره مع الحق، وحسنت علانيته مع الخلق»، و ذكر الشيخ أحمد البقلي قوله: «هو من قلبه خال من الإيرادات، وجوارحه مشغلة بالعبادات، فإن في الله عن جميع الموجودات، سليم من الهفوات»، وقال الشيخ حسن الفارسي: «هو من يلاحظ أسرار القرآن، ويعادي الشيطان، ويكف لسانه عن الكلام، ويرجع على نفسه بالملام، ويتعهد بالليل والناس نيام»، ويعدّد صاحب الكرامات الشيخ عبد الملك العطار خصال الصوفي فيقول: «هو من طلب الحلال، وصحب الرجال، وكف لسانه عن المقال، فتخبر عنه الحال»، ويُعرّفه الشيخ أبو الفضل ابن أبي سعيد بقوله: «هو من يوجد بالموجودات ولا يخطر بباله شيء مفقود، ولا يكون في حق الإخوان بالحقود، وهو لهم خدوم ودود، وإذا ترك الدنيا فإليها لا يعود»، وقال الشيخ الحافظ أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي الفقيه: «هو من زهد في الإيرادات، وترك الشهوات، واستدرك من عمره ما فات، وأحيا منه ما مات، وصان خاطره من الشتات، واتقى ربه إلى الممات»، الشيخ أبو الفتوح الصوفي: «من لازم في سائر أوقاته التقوى، وصبر على البلوى، واستوى وقته مع الله في السر والنجوى» وقال الشيخ الحافظ الموفق البغدادي: «هو من يكون في حركاته السهل السّفوح²، وعن زلات إخوانه الصّفوح، وعلى دينه يبكي وينوح»، ويُبيّن الشيخ مهذب الدين أبو المظفر الدوري أنّ الصوفي: «هو من بالشرع تأدّب، وبالطريقة تهذب، ونفسه بالمجاهدة عدّب، واشتغل بذكر الحقّ عن الأمّ والأب»³.

¹ - يُوهّد: الوهّد والوهدة: المطمئن من الأرض، والمكان المنخفض. ابن منظور - لسان العرب - مج6 - ج55 ص4930.

² - السّفوح: الصخور اللينة، ورجل سقّاح: معطاء. ابن منظور - لسان العرب - مج3 - ج23 ص2023.

³ - الأدفوي - المصدر السابق - صص 38 - 45.

كانت هذه التعاريف على مَرِّ التاريخ المسلك الذي يسير عليه الصوفية، والمقياس الذي يعرفون به أهل التصوف الحقيقيين من الأدعياء، وهذا ما تعكسه أقوال علماء وشيوخ التصوف في مجالسهم ومؤلفاتهم التي حفظت هذا العلم من الاندثار.

وينبغي للعاقل أن يعرف شيئاً من أصول الصوفية وطريقة أهل الصدق منهم حتى يميّز بين المتشبهين بهم، والمتلبّسين لباسهم؛ فإن الصوفية أمان الله في أرضه وأخذان أسراره وعلمه، وصفوته من خلقه، وهم ممدوحون بلسان النبوة¹.

فهذه أقوال أهل الطريق وأصحاب العلم والتحقيق، ومدارها كلّها على أن الصوفي هو من اتّصف بالصفات المحمودة في الشرع، وتخلّق بالأخلاق الممدوحة، وإن بُعد منها الطبع، معرض عن الدنيا، مقبل على الأخرى، سالك الطريق التي هي أولى بالمرء وأخرى².

علم التصوف هو سيّد العلوم ورئيسها، ولباب الشريعة وأساسها، كيف لا، وهو تفسير لمقام الإحسان الذي هو مقام الشهود والعيان، كما أن علم الكلام تفسير لمقام الإيمان، وعلم الفقه تفسير لمقام الإسلام، وقد اشتمل حديث سيدنا جبريل عليه السلام³ على تفسير الجميع، فإذا تقرر أنه

¹ أبو عبد الرحمن محمد بن أحمد بن الحسين السلمي - المقدمة في التصوف - تحقيق يوسف زيدان - مكتبة الكليات الأزهرية - مصر - 1986م - صص 74 - 75.

² الأدفوي - الموفي - صص 45 - 46.

³ - حديث سيدنا جبريل عليه السلام: عن سيدنا عمر رضي الله عنه قال: «بينما نحن جلوس عند رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يُرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي صَلَّى الله عليه وسلّم؛ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام، فقال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم: الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان وتحجّ البيت إن استطعت إليه سبيلاً، قال: صدقت؛ فجعبتنا له يسأله ويصدّقه قال فأخبرني عن الإيمان قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره قال صدقت قال فأخبرني عن الإحسان قال أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك قال فأخبرني عن الساعة قال ما المسؤول عنها بأعلم من السائل قال فأخبرني عن أماراتها قال أن تلد الأمة ربّتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان ثم انطلق فلبث ملياً ثم قال يا عمر أتدري من السائل؟ قلت الله ورسوله أعلم قال فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم». رواه مسلم. ابن دقيق العيد أبو الفتح تقيّ الدّين - شرح الأربعين حديثاً النبوية - تصحيح محمد منير الدمشقي - إدارة الطباعة المنيرية - مصر - ط2 - 1352هـ - صص 18 - 19.

أفضل العلوم تبين أن الاشتغال به أفضل ما يُتقرب به إلى الله تعالى لكونه سببا للمعرفة الخاصة التي هي معرفة العيان، وقد اشتمل على حقائق غريبة وعبارات دقيقة، اصطاح القوم على استعمالها؛ فينبغي الوقوف على معانيها لمن أراد الخوض فيه والوقوف على معانيه¹.

إن علم التصوّف في الاسلام له موضوع هو التزكية وإن طبيعة هذا الموضوع ذوقية محضة، وإن له منهج هو التربية الروحية. وتُعنى نصوصه بالجانب الأخلاقي والعرفاني².

وبالطبع فإن مصطلح الصوفية لقب محمود، حيث جعله الله في أهل الحكمة، وأصحاب الحقّ المطلق، والذين يُدعَوْنَ أحيانا بالصوفية الكُمل³.

فموضوع التصوّف إذن هو تزكية الأخلاق والتحلّي بالحميد منها، والذي يعدّ الامام الجنيد أحد أكبر أقطابه و مؤسّسيه. والقاسم المشترك بين مذهب الإمام مالك والعقيدة على مذهب الإمام الأشعري والتصوّف على طريقة الإمام الجنيد هو انتهاء هذه المذاهب إلى سيّدنا و مولانا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كما يبيّن ذلك علم السند والرواية، ووليدهما علم التاريخ.

¹ - عبد الله أحمد بن عجيبة - معراج التشوف إلى حقائق التصوف - تحقيق عبد المجيد خيالي - مركز التراث الثقافي المغربي الدار البيضاء - ص 25.

² - محمد بن بركة - التصوّف الإسلامي - موسوعة الحبيب للدراسات الصوفية - دار المتون - الجزائر - ط1 - 1427هـ / 2006م - ج 1 صص 25 - 26.

³ - Jean Paul Dumont - les sophistes fragments et témoignages - presses universitaires de france - paris - 1^{ere} édition - 1969 - p22.



❖ الفصل الأول: ظهور مذاهب الأئمة

ووصولها إلى الغرب الإسلامي

❖ المبحث الأول: التعريف بالأئمة الثلاثة

❖ المبحث الثاني: أبرز تلامذة الأئمة والآخذين عنهم

❖ المبحث الثالث: انتشار مذاهب الأئمة بالغرب

الإسلامي



يمثل الغرب الإسلامي الشطر الذي يتبع بلاد المشرق في ظهور الدين، وانتشاره عن طريق الفتوحات، وهو قرينه أيضا في الأخذ من حظ العلوم التي صحت هذه الفتوحات، ويشتركان أيضا في فترة لاحقة في نشأة وظهور وانتشار مذاهب الأئمة الثلاثة فقه الإمام مالك وعقيدة الأشعري وتصوف الإمام الجنيد، وكان هذا لعوامل رئيسة تتقدمها مكانة الأئمة وعلو شأنهم، وسعة العلم والدراية، ومقدار المعرفة والخبرة مع تداول سيرتهم التي ذاعت في الآفاق، ولا بد أن يكون للأصحاب والتلاميذ من بعدهم أدوار فعالة في انتشار هذه المذاهب وحملها، وترسيخها في قلوب وعقول أهل الغرب الإسلامي، مع ما لعامل السلطان من دور في ذلك. وكذلك فإن ضرورة مثل هذه المذاهب في حياة الناس، وطريقة وصولها المبنية على الحجة والإقناع من شأنهما أن يسهلا ذبوع وتمكن هذه المذاهب من نفوس سكان هذا الجزء من العالم الإسلامي.

المبحث الأول: التعريف بالأئمة الثلاثة

1- الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه أبو عبد الله: كثيرا ما يتردد ذكر اسم الإمام مالك رضي الله عنه في كتب الشريعة والفقه والوعظ والتاريخ، وحتى في كتب علم الاجتماع التربوية وكتب الاقتصاد، فما هو السر في تكرار هذا الاسم ضمن هذه الأسفار، وعلى شفاه العلماء؟ فمن هو هذا الإمام؟.

مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث الأصبحي، وكان أبو عامر أبو جد مالك حليف¹ عثمان بن عبيد الله التيمي القرشي، وُلد سنة 93 أو 94هـ/711 أو 712م، وكنيته "أبو عبد الله". من سادات أتباع التابعين وجلة الفقهاء والصالحين ممن كثرت عنايته بالسنن وجمعه لها وذبه عن حريمها وقمعه من خالفها أو رام مباينتها مؤثرا لسنة سيدنا رسول الله صلى الله

¹ الحليف: المخالف. يقال حالف فلان فلانا، فهو حليفه، وبينهما حلف لأنهما تحالفا بالإيمان أن يكون أمرهما واحدا بالوفاء، فلما لزم ذلك عندهم في الأحلاف التي في العشائر والقبائل صار كل شيء لزم شيئا فلم يفارقه فهو حليفه، حتى يقال: فلان حليف الجود، وفلان حليف الإكثار. ابن منظور - لسان العرب - مج2 - ج11 ص 964.

عليه وسلّم على غيرها من المخترعات الداحضة قائلاً بما دون الاعتماد على المقاييس الفاسدة، مات رحمه الله سنة 179هـ/795م¹.

رُوي عن عبد الله بن مصعب الزبيري أنه قال: كنت جالسا مع مالك بن أنس في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلّم فجاء رجل فسلم على مالك وضمه إلى صدره وقال: والله لقد رأيت البارحة رسول الله "صلى الله عليه وسلّم" جالسا في هذا الموضع فقال عليّ بمالك، فأجلسك وملاً حجرك مسكاً منشورا، وقال: «ضُمَّه إلى صدرك وبُئْتُهُ في أمّتي»، قال فبكى رحمه الله بكاء طويلا وقال: الرؤيا بشر وإن صدقت رؤياك فهو العلم الذي أودعني الله².

سمع نافعا³ مولى ابن عمر، ومحمد بن المنكدر، وأبا الزبير، والزهري⁴، وعبد الله بن دينار، وأبا حازم، وخلائق آخرين من التابعين⁵.

¹ - محمد أبي حاتم بن أحمد بن حبان البستي - مشاهير علماء الأمصار - تعليق مجدي بن منصور سيد الشورى - دار الكتب العلمية - بيروت - ط 1 - 1416هـ/1995م - ص 169 - 170.

² - ابن خلفون الأندلسي - أسماء شيوخ الامام مالك بن أنس - تحقيق محمد زينهم محمد عزب - مكتبة الثقافة الدينية - الظاهر - 1989م - ص 37.

³ - الإمام نافع: أبو عبد الله نافع مولى عبد الله بن عمر رضي الله عنهم الإمام الحافظ الثبت، الأمين الثقة، من سادات التابعين وأكابر الصالحين سمع مولاة عبد الله وأبا سعيد الخدري وأبا لبابة وجماعة رضي الله عنهم، وعنه جماعة منهم الزهري ومالك. قال مالك كنت إذا سمعت حديث نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما: لا أبالي أن لا أسمع من أحد غيره، وأهل الحديث يقولون رواية أحمد عن الشافعي عن مالك عن نافع عن ابن عمر "سلسلة الذهب" لجلالة كل واحد من هؤلاء الرواة، مات سنة 118 أو 120 هـ/736 أو 738م. محمد بن محمد مخلوف - شجرة النور الزكية في طبقات المالكية - المطبعة السلفية ومكنتها - القاهرة - 1349 هـ - ص 48.

⁴ - الإمام الزهري: أبو بكر محمد بن مسلم بن شهاب الزهري القرشي أحد أعلام الفقهاء المحدثين التابعين بالمدينة رأى عشرة من الصحابة، منهم انس رضي الله عنه وروى عن جماعة من الصحابة وعنه جماعة من الأئمة منهم مالك والسفيانان، وله في الموطأ مرفوعا مائة وثلاثة وثلاثون حديثا، مات سنة 125هـ/742م. محمد مخلوف - شجرة النور الزكية - ص 46.

⁵ - الشيخ علي جمعة - المدخل إلى دراسة المذاهب الفقهية - دار السلام - القاهرة - ط 2 - 1422هـ/2002م - ص 139.

واختلف مالك إلى جعفر¹ بن محمد البغدادي. روى عنه يحيى الأنصاري، والزهرري، وهما من شيوخه، وابن جريح، ويزيد بن عبد الله الهادي، والأوزاعي، والثوري، وابن عينية، وشعبة، والليث بن سعد، وابن المبارك، وابن عليه، والشافعي، وابن وهب، ومن توفيق الله أن يكون أول شيخ له: "ابن هرمز"² فقد كان تابعيًا محدثًا كبيرًا³.

وظفر مالك بريعة الرأي⁴ وهو في ميعة الشباب، وكان ربيعة تابعيًا، سمع من الفقهاء السبعة، وكان محدثًا، وكان أكثر أهل عصره فقها، بل كان أكثرهم إغراقًا في الرأي، حتى لُقّب به⁵.

لقد كان لكبار الشيوخ المذكورين سابقا دور كبير في صقل شخصية الإمام مالك، وهذا هو السر في امتلاكه هذه الحصيلة العلمية، وهذه الشهرة التي أطبقت الآفاق، مع اتساع دائرته في الكثير من المعارف.

¹ - الإمام جعفر الصادق: جعفر بن محمد بن علي ابن ابي طالب أبو عبد الله القرشي الهاشمي المعروف بجعفر الصادق، وأمه فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، روى عن أبيه و أبي محمد القاسم، ونافع والزهرري، وغيرهم، روى عنه يحيى بن سعيد، وابن جريح، وشعبة بن الحجاج، وسفيان الثوري، وسفيان ابن عيينة، وغيرهم، توفي سنة 147 أو 148هـ/764 أو 765م. وكان فاضلا ثقة ورعا، لمزيد من التفاصيل عنه ينظر: أسماء شيوخ الامام مالك - صص 65 - 66.

² - الشيخ عبد الرحمن بن هرمز: أول من وضع العربية، وكان من أعلم الناس بالنحو وأنساب قريش. ويروى ان مالكا اختلف إلى ابن هرمز عدة سنين في علم لم يبيته في الناس، يروون أن ذلك من علم أصول الدين، وما يُرَدُّ به مقالة أهل الزيغ والضلالة. الزبيدي أبو بكر محمد بن الحسن الأندلسي - طبقات النحويين واللغويين - تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم - دار المعارف - مصر - ط2 - 1984م.

³ - عبد الغني الدقر - الامام مالك بن أنس إمام دار الهجرة - دار القلم - دمشق - ط3 - 1419هـ/1998م - ص6.

⁴ - الامام ربيعة الرأي: أبو عثمان ربيعة بن عبد الرحمن فروخ مولى المنكدر المدني المعروف بريعة الرأي، مفتي المدينة، الامام الجليل الثقة أدرك جماعة من الصحابة وأخذ عنهم منهم أنس رضي الله عنه، وعنه ائمة منهم مالك، قال مالك: ذهبَت حلوة الفقه منذ مات ربيعة الرأي توفي سنة 136هـ/753م. محمد مخلوف - شجرة النور الزكية - ص46.

⁵ - الدقر - المرجع السابق - ص6.

إمام الحرمين، المشهور في البلدين الحجاز والعراقين، المستفيض مذهبه في المغربين والمشرقين، مالك بن أنس رضي الله عنه، كان أحد النبلاء وأكمل العقلاء، ورث حديث الرسول صَلَّى الله عليه وسلّم ونشر في أمته علم الأحكام والأصول، وتحقق بالتقوى فابتلى بالبلوى¹.

كان الإمام مالك طويلاً، جسمياً، عظيم الهامة، أبيض الرأس واللحية، أشقر، أزرق العين، يلبس الثياب العربية البيض، وإذا اعتَمَّ جعلها تحت ذقنه، ويسدل طرفها بين كتفيه؛ روي أنه قال: «ما أفتيت حتى شهد لي سبعون أبا أهل لذلك، قلَّ رجل كنت أعلم منه ومات حتى يستفتيني»، وكان مالك عظيم المحبة لسيدنا رسول صَلَّى الله عليه وسلّم مبالغاً في تعظيم حديثه، حتى كان لا يركب في المدينة مع ضعفه وكبر سنه، ويقول: «لا أركب في بلد فيها جسد رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم مدفون» حُدِّثَ عنه لما قدم هارون الرشيد المدينة، وكان بلغه أن مالكا عنده الموطأ يقرأه على الناس، فوجه إليه البرمكي فقال: أقرئه السلام، وقل له يحمل إلي الكتاب ويقرأه علي؛ فقال مالك: أقرئه السلام وقل له: إن العلم يُؤتى ولا يأتي، وجلس هارون بين يديه وسمعه².

تأليفه: كان لمالك بن أنس أوضاعاً شريفة مروية عنه، أكثرها بأسانيد صحيحة في غير فن من العلم منها: "رسالة في القدر والرد على القدرية"، "وكتاب في النجوم"، "وحساب مدار الزمن ومنازل القمر"، "رسالته في الأفضية" إلى بعض القضاة، "ورسالته إلى أبي غسان" وهي في الفتوى مشهورة، ورسالته المشهورة إلى هارون الرشيد في "الآداب والمواعظ"، وكتابه في "التفسير لغريب القرآن"³.

¹ - أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني - حليه الأولياء وطبقات الأصفياء - دار الكتب العلمية - بيروت - ط 1 - 1409هـ/1988م - ج 6 ص 316.

² - محمد شهاب الدين ابن العماد - شذرات الذهب في أخبار من ذهب - تحقيق محمود الأرناؤوط - دار ابن كثير - دمشق - بيروت - ط 1 - 1407هـ/1979م - مج 2 ص 350.

³ - أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن فرحون المالكي - الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب - تحقيق مأمون بن محيي الدين الجنان - دار الكتب العلمية - بيروت - ط 1417هـ/1996م - ص 75.

وذكر الخطيب أبو بكر في تاريخه الكبير عن أبي العباس السراج النيسابوري أنه قال: هذه سبعون ألف مسألة لمالك، وأشار إلى منضدة عنده كتبها، ونُسب إليه كتاب "السيرة" من رواية ابن القاسم عنه، ومنها رسالة إلى الليث بن سعد في إجماع أهل المدينة¹.

وتدلّ مصنّفات الإمام مالك على سعة علمه ورؤيته، حيث صنّف في شتى العلوم، ما سيكون له شأن على الأثر الذي سيتركه هذا الإمام بين أصحابه وتلامذته في مختلف أصقاع العالم الإسلامي، هذا علاوة على مجالس العلم التي كان يعقدها بالمسجد النبوي الشريف.

من أقوال العلماء فيه: قال الإمام الشافعي: «إذا ذكر العلماء فمالك النجم، ومالك حجّة الله على خلقه بعد التابعين». وقال الإمام أحمد بن حنبل: «القلب يسكن إلى حديثه، وإلى فُتيائه، وحقيق أن يسكن إليه... مالك عندنا حجّة لأنه شديد الأتباع للأثار التي تصحّ عنده»، وقال الإمام النووي: «أجمعت طوائف العلماء على إمامة مالك وجلالته، وعظيم سيادته، وتبجيله وتوقيره، والإذعان له في الحفظ والتثبيت، وتعظيم حديث رسول الله صلوات الله وسلامه عليه»²، قال أبو عبد الرحمن الشبوبي: «أمناء الله على علم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ثلاثة: شعبة بن الحجاج ومالك بن أنس ويحيى بن سعيد القطان»³.

قال أبو عبد الله الحميدي الأندلسي: أنشدني والدي أبو طاهر ابراهيم:

إِذَا قِيلَ مَنْ نَجْمُ الْحَدِيثِ وَ أَهْلُهُ	أَشَارَ أَوْلُو الْأَبَابِ يَعْنُونَ مَالِكًا
إِلَيْهِ تَنَاهَى عِلْمُ دِينِ مُحَمَّدٍ	فَوَطَّأَ فِيهِ لِلرُّوَاةِ الْمَسَالِكَا
وَنظَّمَ بِالتَّصْنِيفِ أَسْنَانَ نَشْرِهِ	وَأَوْضَحَ مَا قَدْ كَانَ لَوْلَاهُ حَالِكَا
وَأَحْيَا دُرُوسَ الْعِلْمِ شَرْقًا وَمَغْرِبًا	تَقَدَّمَ فِي تِلْكَ الْمَسَالِكِ سَالِكَا
وَقَدْ جَاءَ فِي الْأَثَارِ مِنْ ذَاكَ شَاهِدٌ	عَلَى أَنَّهُ فِي الْعِلْمِ خُصَّ بِذَاكَ
فَمَنْ كَانَ ذَا طَعْنٍ عَلَى عِلْمِ مَالِكٍ	وَلَمْ يَقْتَسِسْ مِنْ نُورِهِ كَانَ هَالِكَا ⁴

¹ - المصدر السابق - ص 75.

² - الدر - الإمام مالك - ص 3.

³ - ابن خلفون - أسماء شيوخ الإمام مالك - ص 24.

⁴ - ابن العماد - المصدر السابق - مج 2 ص 353.

وكان أهل المدينة ينشدون في مالك رضي الله عنه:

يَدْعُ الْجَوَابَ فَلَا يُرَاجِعُ هَيْبَةً
أَدَبُ الْوَقَارِ وَعِزُّ سُلْطَانِ الثُّقَى
وَالسَّائِلُونَ نَوَاصِرَ الْأَذْقَانِ
فَهُوَ الْمُطَاعُ وَلَيْسَ ذَا سُلْطَانٍ¹

تعتبر شهادة العلماء مقياساً حقيقياً للوقوف على جلاله قدر الرجل، وعن طريقها طارت أخباره إلى مختلف الأقاليم، ومنها منطقة الغرب الإسلامي إذ تشوق الناس من العامة والخاصة لرؤيته والسماع منه والأخذ عنه والتمذهب بمذهبه.

2- الإمام الأشعري أبو الحسن: يرتبط اسم الإمام الأشعري بالعتيدة والفرق، وتكثر الكتابات عنه في كتب المتكلمين أو مصنفات علم الكلام، أو أصول الدين وبصفة عامة فإن كتب الفلسفة والفرق الكلامية لا تشير في الغالب إلى قيمة الشيخ الأشعري، ولا تنتصر لرأيه.

علي بن اسماعيل بن أبي بشر، واسمه اسحاق بن سالم بن اسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال بن أبي بردة بن صاحب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، أبي موسى عبد الله بن قيس رضي الله عنه، شيخنا وقُدوتنا إلى الله تعالى الشيخ أبو الحسن الأشعري البصري شيخ طريقة أهل السنة والجماعة، وإمام المتكلمين، وناصر سنة سيد المرسلين، والذاب على الدين، والساعي في حفظ عقائد المسلمين، سعيًا يبقى أثره إلى يوم يقوم الناس لرب العالمين، إماماً حَبْرًا، وتقيًا بَرًّا، حمى جَنَابَ الشَّرْعِ مِنَ الْحَدِيثِ الْمُفْتَرَى، وقام في نُصْرَةِ مِلَّةِ الْإِسْلَامِ نَصْرًا مُؤَزَّرًا:

بِهَمَّةٍ فِي الثَّرِيَّا أَثْرُ أَحْمَصِهَا
وَعِزْمَةٍ لَيْسَ مِنْ عَادَاتِهَا السَّأَمُ²

ولد الشيخ سنة 260هـ/873م وكان الشيخ سيداً في التصوّف واعتبار القلوب، كما هو سيد في علم الكلام وأصناف العلوم³.

¹ - أبو نعيم - حلية الأولياء - ج6 صص 318 - 319.

² - تاج الدين السبكي - طبقات الشافعية الكبرى - تحقيق محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح الحلو - دار إحياء الكتب العربية - القاهرة - ط1 - 1383هـ/1964م - ج3 ص 347.

³ - المصدر نفسه - ج3 ص 351.

تبع أول أمره مذهب الجبائي المعتزلي¹، واستمر على الاعتزال أربعين سنة أو قريباً من ذلك، فلما أراد الله نصر دينه، وتأييد سنة نبيه صلى الله عليه وسلم بصّره ببطلان مذهب الاعتزال، فخرج إلى الجامع وصعد المنبر وصاح بأعلى صوته: «...ها أنا تائب من الاعتزال، معتقد الرد على المعتزلة مخرج لفضائحهم... فاستهديت الله تعالى فهداني إلى اعتقاد ما أودعته كتبي هذه»، ودفع للناس الكتب التي ألّفها على مذاهب أهل الحق، وطريقة الجماعة من الفقهاء والمحدثين².

قال العلماء: إن أهل البدع قبل الإمام أبي الحسن قد رفعوا رؤوسهم فلما ظهر عليهم حجزهم في أقماع السمسم³.

ويذكر أبو الحسن الأشعري أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام يقول له - بعدما شكى له ما كان فيه من العقائد-: «عَلَيْكَ بِسُنَّتِي». فانتبه وعارض مسائل الكلام بما وجد في القرآن والاحبار فأثبته ونبذ ما سواه وراءه ظهرياً⁴.

ويروي الشيخ ابن عساكر عن شيوخه عن الإمام أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب الحافظ البغدادي قوله: هو علي بن إسماعيل بن أبي بشر، واسمه إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال بن أبي بردة بن أبي موسى أبو الحسن الأشعري، المتكلم صاحب الكتب والتصانيف في الرد على الملحدة وغيرهم من المعتزلة والرافضة والجهمية والخوارج وسائر أصناف المبتدعة وهو بصري سكن بغداد إلى أن توفي بها، وكان يجلس أيام الجُمُعِ في حلقة أبي إسحاق المروزي الفقيه من جامع المنصور، وذكر الإمام أبو بكر بن فورك أن أباه هو أبو بشر إسماعيل بن إسحاق وأنه كان سنياً جماعياً حديثياً، وروى الأشعري عن الساجي في كتاب التفسير أحاديث كثيرة⁵.

¹ - الجبائي: أبو هاشم عبد السلام بن أبي علي محمد الجبائي، المتكلم المشهور، كان هو وأبوه من كبار المعتزلة، ولهما مقالات في الاعتزال وكتب الكلام مشحونة بمذبهما واعتقادهما، وكانت ولادة أبي هاشم سنة 247هـ/861م، والجبائي نسبة إلى قرية من قرى البصرة خرج منها جماعة من العلماء، توفي ببغداد سنة 321هـ/933م. أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان - تحقيق إحسان عباس - دار صادر - بيروت - 1972م - مج 3 ص 183.

² - حمد السنان - وفوزي العنجري - أهل السنة الأشاعرة - صص 39 - 40.

³ - المرجع نفسه - ص 40.

⁴ - أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ابن عساكر الدمشقي - تبيين كذب المفتري بما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري - القدس - دمشق - 1347هـ - ص 39.

⁵ - المصدر نفسه - صص 34 - 35.

ذكر محمد بن موسى بن عمران في رسالته أن أبا الحسن الأشعري كان مالكيًا، قال: "وذكر لي بعض الشافعية أنه شافعي، حتى لقيت الشيخ الفاضل الفقيه، رافعا الحمال الشافعي، فذكر لي عن شيوخه أنه كان مالكيًا. قال: «وكان مذهب مالك رحمه الله في وقته مستفيضًا إذ ذاك بالعراق، أيام إسماعيل بن إسحاق. وصنف لأهل السنة التصانيف، وأقام الحجج على إثبات السنة، وما نفاه أهل البدع»¹.

وقد أخذ عنه خلق كثير من أعلام الأمة مثل الامام أبي الحسن الباهلي البصري والامام أبي عبد الله بن مجاهد البصري، والامام أبي محمد الطبري المعروف بالعراقي، والامام ابي بكر القفال الشاشي، والامام ابي سهل الصعلوكي النيسابوري وغيرهم، وأخذ عن أصحابه أعلام وأئمة في الاسلام، مثل الإمام القاضي أبي بكر الباقلاني رحمه الله تعالى والإمام أبي الطيب بن أبي سهل الصعلوكي، والإمام أبي علي الدقاق، والامام الحاكم النيسابوري، والإمام أبي بكر بن فورك، والحافظ أبي نعيم الإصبهاني، وغيرهم².

وعلى الجملة فقد انتهض لخدمة مذهب أهل السنة والجماعة في جميع الأرض، وبلغ مذهبه ما بلغ الليل والنهار، لما كان عليه من اقتفاء لآثار السلف³ رضوان الله عليهم ورفع للواء السنة، ترك من المؤلفات شيئًا كثيرًا، قيل بلغت أكثر من مئتي كتاب. وتوفي الشيخ أبو الحسن الأشعري سنة 324هـ/936م، وكلّ أهل السنّة باكون عليه، متوجّعون لفقدّه، وكلّ أهل البدعة مرتاحون منه⁴.

¹ - القاضي عياض بن موسى بن عياض السبتي - ترتيب المدارك وتقريب المسالك - تحقيق محمد بن شريفه - وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب - 1390هـ - 1970م - ج 5 ص 24.

² - السنن والعنجري - أهل السنّة الأشاعرة - ص 40.

³ - السلف: أفضل العصور الإسلامية وأولها بالاعتداء والاتباع. وهي القرون الثلاثة الأولى من عمر هذه الأمة الإسلامية، أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي قال فيما رواه الشيخان عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيئُ أَقْوَامٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ بَيِّنَةً، وَيَمِينُهُ شَهَادَتُهُ». محمد سعيد رمضان البوطي - السلفية مرحلة زمنية مباركة لا مذهب إسلامي - دار الفكر - دمشق - سورية - ط1 - 1408هـ/1988م - ص 9.

⁴ - السنن و العنجري - المرجع السابق - صص 40 - 41.

ويُتضح من المصنفات التي ترجمت للإمام أبي الحسن الأشعري علو كعبه في العلم، وبخاصة علم العقيدة والكلام الذي هو مرتكز من مرتكزات المسلمين عبر التاريخ من ناحية صحة المُعْتَقَد الذي ميّزهم عن غيرهم من الأمم.

من تآليفه: الإبانة عن أصول الديانة قال الحافظ ابن عساكر في كتابه تبيين كذب المفتري " ذكر ابن حزم الظاهري أنّ لأبي الحسن الأشعري خمسة وخمسين تصنيفاً، منها "كتاب اللمع"، وكتاب أظهر فيه عوار المعتزلة سماه "كشف الأسرار وهتك الأستار"، ومنها "تفسير المختزن" وهو خمسمائة مجلد لم يترك فيه آية تعلق بها بدعي إلا أبطل تعلقه بها، وجعلها حُجَّةً لأهل الحق، وبيّن الجمل وشرح المشكل، ونقض فيه ما حرّفه الجبائي والبلخي في تفسيريهما. ومنها "الفصول" في الردّ على الملحدين والخارجين على الملة كالفلاسفة والطبائعيين والدهريين وأهل التشبيه، ومنها "مقالات الإسلاميين" استوعب فيها جميع اختلافهم ومقالاتهم¹.

توضح مصنفات الإمام الأشعري وتؤكد على أنه مؤسس علم الكلام والعقيدة، ومن المدافعين الأوائل عليها، رغم تعدّد الفرق وأفكارها، ومعتقداتها، وانتشارها في مختلف الأمصار.

من أقوال العلماء فيه: قال علماء الشافعية: «كان الشيخ صاحب فراسة ونظر بنور الله». وقال الأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني: «كنت في جنب الشيخ أبي الحسن الباهلي كقطرة في جنب البحر، وسمعت الباهلي يقول: كنت في جنب الأشعري كقطرة في جنب البحر»، وقال لسان الأمة القاضي أبو بكر: «أفضل أحوالي أن أفهم كلام أبي الحسن»².

وروى أبو الفضل السهلكي قول الشيوخ: «أعاد الله هذا الدين بعدما ذهب -يعني أكثره- بأحمد بن حنبل، وأبي الحسن الأشعري، وأبي النّعيم الإسترأباضي». ذكر من صحبه أنه مكث عشرين

¹ - أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري - الإبانة عن أصول الديانة - تحقيق بشر محمد عيون - مكتبة دار البيان - دمشق - مكتبة المؤيّد - الطائف - ط3 - 1411هـ/1990م - صص 12 - 13.

² - تاج الدين السبكي - الطبقات الشافعية - ج3 صص 350 - 351.

سنة يصلّي الصبح بوضوء العتمة، وكان يأكل من غلة قرية وقفها جدّه بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري على نسله، وكانت نفقته في كل سنة سبعة عشر درهماً، كل شهر درهم وشيء يسير¹.

لقد تضمّنت هذه الشهادات من كبار علماء المسلمين، قيمة الأثر والدور الذي اضطلع به هذا الإمام، وأنه واحد من القلائل الذين حفظ الله بهم الدين وصحة المعتقد لحقب متتالية، وهذا بعد رحلة طويلة في طلب العلم والاطّلاع على أحوال الفرق والنحل.

3- الإمام الجنيد بن محمّد أبو القاسم: ما ذكر التصوّف إلّا وذكر الإمام الجنيد للعلاقة الوطيدة بينهما، فأين يكمن سرّ هذه العلاقة؟ ولماذا ينسب هذا العلم وكبار شيوخه وطرقه إلى هذا الإمام حتى أنه يلقب بمعلّم القوم؟.

هو أبو القاسم الجنيد بن محمّد الحزّاز، وكان أبوه يبيع الزجاج فلذلك كان يقال له: القواريري. أصله من نهاوند²، ومولده ومنشؤه بالعراق، وكان فقيهاً، تفقّه على أبي ثورٍ وكان يُفتي في حلقاته، صحب السريّ السقطي، والحارث المحاسبي، ومحمّد بن عليّ القصبّاب البغدادي وغيرهم، وهو من أئمة القوم وسادتهم، مقبول على جميع الألسنة، وأسند الحديث³.

¹ - المصدر السابق - ج 3 ص 351.

² - نهاوند: يفتح أوله، ومعناها صاحب الأساس، وقبل ترجمة نهاوند: "وجدت كما هي" سميت بذلك لأنها لم توجد بعد الطوفان قرية فيها بقية سواها، ونهاوند مدينة جلييلة على جبل، ذات سور طين، ولها بساتين وجنات وفواكه ومنتزهات، ومياها كثيرة وفواكهها تحمل إلى العراق لطيبها وكبرها، وبها جامعان أحدهما قديم والآخر محدث، وهي كثيرة الرساتيق والعمارات. قال الهمداني: لم يوجد مما كان تحت الماء وقت الغرق من القرى قرية فيها بقية سوى نهاوند. محمّد بن عبد المنعم الحميري - الروض المعطار في خبر الأقطار - ص 580.

³ - أبو عبد الرحمن السلمي - الطبقات الصوفية - تحقيق أحمد الشرباصي - مؤسسة دار الشعب - مصر - ط 2 - 1419هـ / 1998م - ص 49.

وُلِدَ ونشأ في بغداد، وهو من أصل فارسي، نزلت عائلته إليها من نهاوند الجبال، ولو أن تاريخ ميلاده لم يحدده المؤرخون، إلا أن أحداثات حياته ولقائه مع شيوخ عصره ترجح انه ولد حوالي سنة 210هـ/825م، وقد رباه خاله السري السقطي بعد وفاة والده، وكان بيت السقطي يجمع شيوخ الصوفية حوله وفي مجالسه للحديث والمذاكرة، وكان الجنيد يحضر هذا الحديث، وتفقه على مذهب أبي ثور، وقد زامل كثيرا من علماء عصره والصوفية أمثال المحاسبي والذري، وأبي سعيد الخزاز وغيرهم من هؤلاء الأعلام، كما كان من تلامذته أمثال الشبلي والحلاج وغيرهم، وتوفي ببغداد سنة 297 هـ/909م¹.

والإمام الجنيد سيّد الطائفة، ومقدم الجماعة وامام أهل الخرقه وشيخ طريق التصوف، بهلوان العارفين مرجع أهل السلوك في زمنه فمن بعده، رُزِقَ من القبول وصواب القول ما لم يقع لغيره؛ بحيث كان إذا مرّ بشارع بغداد، وقف الناس له صفوفًا كالمملوك ولم يُرَ في عصره من اجتمع له علم و حال غيره، تفقه على أبي ثور وكان يفتي بحضرتة وهو ابن عشرين سنة، أخذ التصوّف عن خاله السري وحارث المحاسبي. قال له خاله السري خذ من أدب المحاسبي وعلمه. مات ببغداد سنة 297 أو 298هـ/909 أو 910م وأُحْرِزَ من صلّى عليه فكانوا نحو ستين ألفا، ورؤى في النوم فقليل ما فُعل بك؟ قال: «طاحت تلك الاشارات، وغابت تلك العبارات، وفنيت تلك العلوم، وبليت تلك الرسوم، وما نفعنا إلا ركعات كنا نركعها في السحر»².

المُرِّي بفنون العلم المؤيد بعيون الحلم، المنور بخالص الإيقان وثابت الإيمان، العالم بمودع الكتاب والعامل بحُكم الخطاب، الموافق فيه للبيان والصواب "أبو القاسم الجنيد بن محمد الجنيد كان كلامه بالنصوص مربوطا، وبيانه بالأدلة مبسوطا، فاق أشكاله بالبيان الشافي، واعتناقه للمنهج

¹ - أبو القاسم الجنيد - رسائل الجنيد - تحقيق علي حسن عبد القادر وبرعي وجداي - القاهرة - 1409هـ/1988م - صص د - هـ.

² - زين الدّين محمد عبد الرؤوف المناوي - الكواكب الدرّية في تراجم السادة الصوفية - تحقيق محمد أديب الجادر - دار صادر - بيروت - 1999م - ج 1 صص 570 - 584.

الكافي، ولزومه للعمل الوافي، وكان غير مرّة يقول: «علمنا مضبوط بالكتاب والسنة، من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث ولم يتفقّه لا يُتقدى به»¹.

وكان في أول أمره يتفقّه على مذهب أصحاب الحديث مثل: أبي عبيد وأبي ثور فأحكم الأصول، وصحب الحارث بن أسد المحاسبي وخاله السري السقطي فسلك مسلكهما في التحقيق بالعلم واستعماله².

كان لصحبة الإمام الجنيد كبار الأئمة في زمانه كأمثال خالد السري، والمحاسبي، وابن علي القصاب، وغيرهم أثر كبير في تكوين هذا العالم الجليل، وجعله على رأس الصوفية في زمانه ومن بعده يضاف إلى ذلك فقّهه و تقيّد به بالكتاب والسنة.

من رسائله:

"رسالة لأبي القاسم الجنيد إلى بعض إخوانه"، "رسالة أبي القاسم الجنيد بن محمد و إلى يحيى بن معاذ الرازي"، "كتاب الجنيد إلى عمرو بن عثمان المكي"، "كتاب الجنيد إلى أبي يعقوب يوسف بن الحسين الرازي"، "كتاب الفناء"، "كتاب الميثاق"، في "الألوهية"، في "الفرق بين الصدق والإخلاص في التوحيد"، "أدب المفتقر إلى الله"، و"كتاب دواء التفريط"³.

وتعدّ رسائله بيانا وإفصاحا عن علمه، وتبحّره حيث ألف في التوحيد وفي سلوك القوم، وفي الأخلاق والمواعظ، علاوة على رسائله إلى مختلف إخوانه.

¹ - أبو نعيم - حلية الأولياء - ج 10 ص 255.

² - المصدر نفسه - ج 10 ص 255.

³ - الجنيد - رسائل الجنيد - صص 1 - 71.

شهادة العلماء والشيوخ فيه:

قال الشيخ ابن عربي رحمه الله: «هو سيّد هذه الطائفة»¹، وقال عنه الشيخ جعفر الخلدي: «لم نر في شيوخننا من اجتمع له علم وحال غير الجنيد، إذا رأيت علمه رجحته على حاله وإذا رأيت حاله رجحته على علمه»، ويقول: «قال الجنيد ذات يوم: ما أخرج الله علما وجعل للخلق إليه سبيلا إلا وجعل لي فيه حضا ونصيبا»، وقال أبو القاسم الكعبي المتكلم المعتزلي: «ما رأيت عينا مثله، كان الكتبة يحضرونه لألفاظه، والفلاسفة لدقة معانيه، والمتكلمون لعلمه»، ويقول عنه المستشرق هارتمان HARTMAN: «إن الجنيد هو الذي شكّل تصوّف الإسلامي الأصيل»².

قال أبو بكر العطوي: «كنت عند الجنيد حين مات فحتم القرآن ثم ابتدأ من البقرة فقرأ سبعين آية ثم مات رحمه الله»³.

وتنمّ شهادات كبار العلماء وتلامذة الجنيد، وكذلك شهادة المخالفين له، بوسع علمه وصلاح حاله، واستحقاقه بذلك لقب "سيّد الطائفتين" في زمانه، أي أهل الشريعة والحقيقة.

تستمد هذه التعاريف قيمتها من القيمة الحقيقية للعلماء من ناحية التكوين والتحصيل العلمي الذي حازوه، وكيف أنهم أفنوا أعمارهم بين طلب العلم والتدريس؛ فكانت صلتهم بسيّدنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم سندا في الرواية، واسترشادا في طلب الحقّ فحصل لهم القبول بين الناس.

¹ - المناوي - الكواكب الدرية - ج 1 ص 570.

² - الجنيد - رسائل الجنيد - صص أ - ج.

³ - أبو نعيم - حلية الأولياء - ج 10 ص 264.

المبحث الثاني: أبرز تلاميذ الأئمة والآخذين عنهم: لقد كان لأهل المشرق الإسلامي حظهم من علوم ومذاهب الأئمة، فهل كان لأهل الغرب الإسلامي مثل هذا الحظ في الأخذ بمناهج الأئمة الثلاثة في الفقه والأخلاق ومختلف مناحي الحياة النظرية والعملية؟.

1. علماء المالكية: أ- المغاربة

عبد الله بن غانم القاضي: هو عبد الله بن عمر بن غانم بن شَرْحَبِيل، كان ثبنا ثقة فقيها عدلا في قضائه، مقدا مع فصاحة لسان، وحسن بيان، وبصر بالعربية ورواية الشعر، وكان من أهل العلم والدين والعقل والورع والتواضع والفصاحة والجزالة، سمع من مالك وعليه اعتماده، وكان الإمام مالك يجله. حدث عن سحنون وداود بن يحيى. توفي سنة 196هـ/811م¹.

عبد الله بن فروخ الفارسي "أبو محمد": فقيه القيروان في وقته، كان اعتماده في الحديث والفقه على مالك بن أنس وبصحبته اشتهر، وبه تفقه. وكان فقيها ورعا، رحل في طلب العلم، فلقي مالكا وسفيان الثوري، وكان مالك يكرمه ويعظمه. توفي بمصر إثر مُنْصَرَفِهِ من الحج سنة 175 أو 176هـ/791 أو 792م².

علي بن زياد التونسي العبسي "أبو الحسن": وقيل أصله من العجم، ولد بأطرابلس، ثم انتقل إلى تونس فسكنها. ثقة، مأمون، خيار، متعبّد، بارع في الفقه. سمع من مالك وغيره، وسمع منه البهلول بن راشد وسحنون وأسد بن الفرات وشجرة وغيرهم، روي عن مالك الموطأ، وهو أول من أدخله المغرب، وفسّر لهم قول مالك، توفي سنة 183هـ/799م³.

الله أسد بن الفرات "أبو عبد": أصله من نيسابور، قَدِمَ به أبوه تونس مع محمّد بن الأشعث الفقيه الحافظ الراوية الثقة الأمين، تفقه بأبي الحسن بن زياد ورحل للمشرق وسمع من مالك موطأه

¹ - القاضي عياض - ترتيب المدارك - المصدر السابق - ج3 صص 65 - 67 - 78.

² - المصدر نفسه - ج3 صص 102 - 104.

³ - المصدر نفسه - ج3 صص 80 - 84.

وغيره؛ ثم للعراق، وكتب عن هشيم اثني عشر ألف حديث، وعن يحيى بن أبي زائدة وأبي بكر بن عياش، وبمصر من ابن القاسم وعنه دؤن الأسدية، وكانت على مذهب أهل العراق، ثم رجع للمدينة ليسأل مالكا فألفاه توفي، وعنه أخذ أئمة منهم أبو يوسف موطأ الإمام مالك مولده سنة 145هـ/762م، ومات سنة 213هـ/828م¹.

شقران بن علي القيرواني "أبو علي": كان ثقة مأمونا مجاب الدعوة، عالما بالفرائض له كتاب فيه، من أهل الفضل والدين والاجتهاد مواخيا للبهلول بن راشد وسننه نحو سننه، روى عنه سحنون وعون بن يوسف وأبو الفيض ثوبان المعروف بذي النون. توفي شقران سنة 186هـ/802م بالقيروان وقبره بباب سلم².

البهلول بن راشد الحجري الرعيني: فضله أشهر من أن يذكر، سمع من مالك والليث وسفيان الثوري والحارث بن نبهان، ويونس بن زيد، وسمع بإفريقية من ابن أنعم وموسى بن علي بن رباح، سمع منه سحنون وعون بن يوسف وأبو زكريا الحفري وعبد المتعالي ويحيى بن السلام، كان مولده سنة 128هـ/745م، نظر مالك إلى البهلول فقال: «هذا عابد بلده». توفي سنة 183هـ/799م، ألف ديوانا في الفقه. والغالب عليه مذهب مالك³.

الإمام سحنون بن سعيد بن حبيب التنوخي "أبو سعيد": من العرب، أصله شامي من حمص، وقدم أبوه سعيد في جند حمص، أخذ سحنون العلم بالقيروان عن مشائخها أبي خارجة، وبهلول، وعلي بن زياد، وابن أبي حسان، وابن غانم وابن أشرس وابن أبي كريمة، وأخيه حبيب ومعاوية الصمادحي، وأبي زياد الرعيني، سُمِّي "سحنون" باسم طائر حديد، لحدته في المسائل، وكان حافظا للعلم فقيها، اجتمعت فيه خلال قَلْمَا اجتمعت في غيره، الفقه البارع، والورع الصادق، والصرامة في

¹ - محمد مخلوف - شجرة النور - ص 62.

² - المرجع نفسه - ص 60.

³ - أبو بكر عبد الله بن محمد المالكي - رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية - تحقيق بشير البكوش - مراجعة محمد العروسي المطوي - دار الغرب الإسلامي - بيروت - ط2 - 1414هـ/1994م - ج1 صص 200 - 202.

الحق، والزهادة في الدنيا، والتخشّن في الملبس والمطعم، والسماحة، وكان لا يقبل من السلاطين شيئا، توفي سنة 240هـ/854م¹.

جبلة بن حمود بن عبد الرحمن بن جبلة الصدفي "أبو يوسف": سمع من سحنون وعون وأبي اسحاق البرقي، وداود بن يحيى، وغيرهم من المصريين والإفريقيين، روى عن سحنون المدونة، وروى عنه أبو العرب، وهبة الله بن أبي عقبة، وعبد الله بن سعد، وكان من أهل الخير البيّن، والعبادة الظاهرة، والورع والزهد، وكان الغالب عليه النسك والزهد².

قال أبو العرب: «كان صالحا ثقة زاهدا، سمع منه الناس، وكان سيد أهل زمانه، وأزهدهم»، وقال موسى القطان: «لو فاخرنا بنو إسرائيل بعبادهم وزهادهم لفاخرناهم بجبلة»، وقال بعضهم: «اشتبهت تينا أخضر وليس بزمانه، فذكرت له فمد يده في قلة فأخرج لي خمس تينات خضرا». مولده سنة عشر ومائتين، توفي سنة 199هـ/814م³.

موسى بن معاوية الصمادحي "أبو جعفر": مولى آل جعفر بن أبي طالب، كان فقيها ثقة مأمونا عالما بالحديث و الفقه كثير الأخذ عن رجاله المدنيين والكوفيين والبصريين وغيرهم، سمع وكيع بن الجراح و الفضيل بن عياض و علي بن مهدي و طبقتهم، و سمع منه سحنون و عامة أهل إفريقية، توفي سنة 226هـ/840م⁴.

¹ - القاضي عياض - المدارك - ج4 صص 45 - 48 - 85.

² - ابن فرحون - الدياج - ص 170.

³ - المصدر نفسه - ص 170.

⁴ - القاضي عياض - المصدر السابق - ج4 صص 93 - 96.

حماد بن يحيى السجلماسي "أبو يحيى": عِداده في أهل القيروان، سمع عبد الله بن بكير السهمي و ابن الماحشون و هو أول من قَدِم بفقهِ ابن الماحشون القيروان، و قد سمع منه سحنون، وكان حماد شيخا صالحا تاجرا، و سمع منه عامة أصحاب سحنون¹.

دحنون بن راشد: كان من أصحاب البهلول بن راشد و كان ثقة من شيوخ إفريقية².

شجرة بن عيسى المعافري: أبو شجرة و قيل أبو زيد من الطبقة الأولى ممن لم ير مالكا، من أهل إفريقية، سمع ابن زياد وابن أشرس و أباه عيسى وغيرهم، وكان أبوه ممن روى عن مالك، ولي شجرة قضاء تونس في أيام سحنون و قبله، وأخذ عن شجرة جماعة من أصحاب سحنون و غيرهم. مولده سنة 167هـ/783م وتوفي سنة 262هـ/875م³.

درّاس بن اسماعيل الفاسي "أبو ميمونة": الفقيه الحافظ النظّار، المعروف بالعلم والصلاح والدين المتين، له رحلة حج فيها، وسمع من ابن أبي مطر كتاب ابن المواز ومن ابن اللباد وغيرهما، وعنه خلف بن أبي جعفر وعبد الرحمن بن العجوز والقابسي وابن أبي زيد، وكان نزوله بالقيروان عنده، وهو أول من أدخل مدونة سحنون مدينة فاس وبها اشتهر مذهب مالك هناك وبها، توفي سنة 375هـ/985م⁴.

عبد الله بن أبي زيد عبد الرحمن النفزي القيرواني "أبو محمّد": الفقيه النظّار الحافظ الحجة، إمام المالكية في وقته، كان واسع العلم كثير الحفظ والرواية، كتبه تشهد له بذلك، فصيح القلم

¹ - القاضي عياض - المدارك - ج 4 صص 97 - 98.

² - المصدر نفسه - ج 4 ص 103.

³ - ابن فرحون - الديباج - ص 208.

⁴ - محمّد مخلوف - شجرة النور - ص 103.

يقول الشعر ويجيده مع صلاح وورع وعفة، إليه انتهت رئاسة الدين والدنيا وإليه الرحلة من الآفاق، وهو الذي لخص المذهب¹.

جمع تأليف منها: كتاب النوادر والزيادات على المدونة، وكتاب الاقتداء بأهل المدينة، وكتاب الذب عن مذهب مالك، وكتاب الرسالة ألفها وسنه 17 عاما وهي أول تأليفه ووقع التنافس في اقتنائها، وكتاب الثقة بالله والتوكل عليه، ورسالة في أصول التوحيد، ورسالة في الرد على القدرية، وكل تأليفه مفيدة بديعة عزيزة، توفي سنة 376هـ/986م، ودفن بداره بالقيروان وقبره معروف².

أبو الفضل يوسف بن محمد المعروف "بابن النحوي التوزري": أصله من قلعة بني حماد³ الإمام العالم العامل المحقق العمدة القدوة الفاضل، كان من أهل العلم والدين على هدى السلف الصالح، مجاب الدعوة، وهو ناظم "المنفرجة"، توفي بقلعة بني حماد سنة 513هـ/1119م⁴.

ب- الأندلسيون:

تم تقسيم أصحاب وتلامذة الأئمة بين المغاربة والأندلسيين، وهذا تمييزا بينهم من ناحية المكان والزمان، حتى يعرف كل مصر بأهله من العلماء والفقهاء ذوي الشأن والمكانة.

الغازي بن قيس: من أهل قرطبة، يكنى أبا محمد، رحل قديما، فسمع من مالك الموطأ، وسمع من بن أبي ذيب وابن جريج والأوزاعي وثور بن زيد ومحمد بن وردان، وهو أول من أدخل موطأ

¹ - محمد مخلوف - شجرة التور - ص 96.

² - المرجع نفسه - ص 96.

³ - قلعة بني حماد: مدينة متوسطة بين أكم وأفران لها قلعة عظيمة على جبل يسمى تاقربوست، وهي قاعدة ملك بني حماد بن يوسف الملقب بلكين بن زيري بنمناد الصنهاجي البربري و هو أول من أحدثها في حدود سنة 370هـ/980م، وهي قرب أشير من أرض المغرب الأدنى، وبينها وبين بسكرة مرحلتان وإلى قسنطينة الهواء أيام، وبينها وبين سطيف ثلاث مراحل. ياقوت الحموي - معجم البلدان - ج 4 ص 390.

⁴ - محمد مخلوف - المرجع السابق - ص 126.

مالك وقراءة نافع، الأندلس، كان عاقلاً نبيلاً، يروي حديثاً كثيراً. ويتفقه في المسائل، رأساً في علم القرآن، متهجّداً بالقرآن، توفي سنة 199هـ/814م¹.

زياد بن عبد الرحمن اللخمي "شبطون": فقيه الأندلس، صاحب مالك، وعليه تفقه يحيى بن يحيى قبل أن يرحل إلى مالك، وكان زياد ناسكاً، ورعاً، أُريد على القضاء فهرب. توفي سنة 193هـ/808م².

يحيى بن يحيى الليثي: راوي الموطأ عن مالك رضي الله عنه، "يقال إن أصله من بربار مسموده، قال عنه الإمام مالك: "هذا عاقل الأندلس"، سمع بمصر من الليث بن سعد، وبمكة من سفيان بن عيينة وروى الموطأ عن شبطون، وانتهت إليه الرياسة بالأندلس، وبه اشتهر مذهب مالك في تلك الديار، وتفقه به جماعة لا يحصون عدداً، وروى عنه خلق كثير. واشهر رواة الموطأ وأحسنهم رواية يحيى المذكور، توفي سنة 234هـ/848م³.

عبد الملك بن حبيب السلمى القرطبي البيري "أبو مروان": الفقيه الأديب الثقة العالم المشاور، الجليل القدر، المتفنن، الإمام في الحديث والفقه واللغة والنحو، انتهت إليه رئاسة الأندلس بعد يحيى بن يحيى، ألف كتباً كثيرة في الفقه والأدب والتاريخ منها: "الواضحة في الفقه والسنن"، لم يؤلف مثلها، وكتاب في فضل الصحابة، وكتاب في تفسير الموطأ، وكتاب مكارم الأخلاق، وبلغت تآليفه ألفاً وعشرين كتاباً، توفي سنة 238هـ/852م⁴.

¹ - القاضي عياض - المدارك - ج 3 صص 114 - 115.

² - ابن العماد - شذرات الذهب - ص 439.

³ - أحمد بن محمد المقرئ التلمساني - نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب - تحقيق إحسان عباس - دار صادر - بيروت - 1408هـ/1988م - مج 2 صص 9 - 10.

⁴ - محمد مخلوف - شجرة النور - صص 74 - 75.

عيسى بن محمد بن عبد الرحمن بن دينار: كان فقيها زاهدا، حجّ حججا، ووليّ قضاء طليطلة، ثم سكن قرطبة، ورحل فسمع ابن عبد الحكم، ومحمد بن عبد الرحيم البرقي، وروى عن أبيه وعن محمد بن سحنون وابن أخي ابن وهب وآخرين، وكان صاحب مسائل وحفظ للرأي، ولد سنة 234هـ/848م وتوفي سنة 306هـ/918م¹.

غالب بن عبد الرحمن بن غالب بن عطية: يكنى أبا بكر، شيخ العلم وحامل لواء حديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكوكب سمائه الفقيه الأديب النظّار، كثر صحيح البحاري سبعين مرة، رحل للمشرق ولقي العلماء وروى وأسند عن الطبري المالكي والجوهري ومحمد بن معاذ، وعنه ابنه عبد الحق والقاضي عياض وابن بشكوال وغيرهم، مولده سنة 441هـ/1049م، توفي سنة 518هـ/1124م².

زاوي بن مناد بن عطية الله بن المنصور الصنهاجي: يكنى أبا بكر القاضي، فقيه محدّث، عارف مشهور، يروي عن ابن داود سليمان بن نجاح، وأبي علي الصديقي، وغيرهما كتب كثيرا³.

2. علماء الكلام والعقيدة:

أ- المغاربة:

درّاس بن اسماعيل الفاسي "أبو ميمونة": كان فقيها حافظا للرأي، سمع بالإسكندرية من علي بن عبد الله بن مطر، وسمع منه الموازية وحدّث به بالقيروان، وسمع منه أبو الحسن القابسي، وكان

¹ - القاضي عياض - المدارك - ج 4 صص 434 - 435.

² - محمد مخلوف - شجرة النور - ص 129.

³ - أحمد بن يحيى الضبي - بُغية المُلتَمَس في تاريخ رجال الأندلس - تحقيق إبراهيم الأبياري - دار الكتاب المصري - القاهرة - دار الكتاب اللبناني - بيروت - ط 1 - 1410هـ/1989م - ج 1 ص 376.

يقرأ عليه بالقيروان¹.

علي بن محمّد بن خلف المعافري "أبو الحسن القابسي": المعروف بأبي الحسن القابسي، الفقيه النظّار الأصولي المتكلّم، الإمام في علم الحديث وفنونه وأسانيده، كان عليه الاعتماد، مؤلفاً مجيداً، ثقة صالحاً، وكان أعمى لا يرى شيئاً وهو مع ذلك من أصح الناس كتباً، سمع بمكّة من المروزي والأصيلي، وبإفريقية من الأبياني والحجام وابن مسرور ودراس بن إسماعيل، وهو أول من أدخل رواية البخاري إفريقية، تفقّه عليه أبو عمران الفاسي والداني والطارق والطرابلسي وخلق².

وله تأليف بديعة منها الممهد في الفقه، و أحكام الديانة والمنقذ من شُبّه التّأويل، وكتاب المعلمين، وكتاب الاعتقادات، والملخص في الموطأ، وكشف المقالة في التوحيد، وكتاب في رتبة العلم وفضله، ورسالة في الورع، وكتاب في الردّ على البكرية، وكتاب في حسن الظن بالله. مولده سنة 324هـ/936م، وتوفي بالقيروان سنة 403هـ/1012م ودفن بباب تونس³.

موسى بن يحيى الصديني "أبو عمران الفاسي": فقيه حافظ، لقي أبا جعفر الأسواني وغيره، وحدث عنه أبو الفرج عبدوس، توفي بفاس يوم الجمعة يوم عرفة سنة 388هـ/998م⁴.

أحمد بن نصر الداودي الأسدي المسيلي: من أئمة المالكية بالمغرب، كان بطرابلس وبها أصل كتابه في شرح الموطأ. وكان فقيهاً فاضلاً متقناً، مؤلفاً جيداً، شرح الموطأ والبخاري، وردّ على القدرية وغير ذلك، توفي بتلمسان سنة 402هـ/1011م⁵.

¹ - أحمد بابا التنبكي - نيل الابتهاج بتطريز الديباج - تقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة - كلية الدعوة الإسلامية - طرابلس الغرب - ط1 - 1989م - ص 175.

² - محمّد مخلوف - شجرة التّور - ص 97.

³ - المرجع نفسه - ص 97.

⁴ - أحمد بابا التنبكي - نيل الابتهاج - صص 603 - 604.

⁵ - ابن فرحون - الديباج - ص 94.

الإمام سحنون: قال أبو عثمان سعيد بن الحداد: «سألت المتكلمين فما رأيت فيهم أصحّ غريزة من سحنون. وكان وقورا مهابا»¹.

ابن أبي زيد القيرواني "أبو محمد": كان ممن يجالس أبا محمد بن أبي زيد القيرواني، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد المؤمن المتكلم، ولأبي محمد تصانيف في هذا الفن منها: رسالة في الردّ على القدريّة، مناقضة رسالة البغدادي المعتزلي، الاستظهار في الردّ على الفكرية، رسالة في أصول التوحيد².

الإمام محمد المازري: هو محمد بن علي بن عمر التميمي المازري، من مازر مدينة في جزيرة صقلية إمام أهل إفريقية، وكان آخر المشتغلين بتحقيق الفقه، ورتبة الاجتهاد، ودقة النظر، لم يكن في عصر المالكية أفقه منه، واطلع على علوم كثيرة³.

وكان حسن الخلق، مليح المجلس، وكان قلمه في العلم أبلغ من لسانه، شرح كتاب مسلم، وشرح البرهان للجويني، وله تأليف في العقيدة سمّاه "نظر الفرائد في علم العقائد"، وألّف غير ذلك، توفي سنة 536هـ/1141م⁴.

ب- الأندلسيون:

محمد بن الحسن بن عبد الله الأندلسي الإشيلي "أبو بكر بن مَدْحَج": أصله من حمص، مولده سنة 316هـ/928م بإشبيلية، أخذ عن شيوخ قرطبة وروى العلم عن القاضي البغدادي وقاسم بن أصبغ القرطبي وأحمد الصدي وسعيد بن فلحون والرياحي، وتتلّمذ عنه ابنه أبو الوليد بن محمد وولده الآخر أبو القاسم قاضي اشبيلية، وأبو القاسم بن محمد الزهري، وإسماعيل بن سيده،

¹ - الدباغ - معالم الإيمان - ج 2 ص 74.

² - نصر سلمان - أعلام المذهب المالكي - دار ابن حزم - بيروت - ط 1 - 1432هـ/2011م - صص 14 - 21.

³ - ابن فرحون - المصدر السابق - صص 374 - 375.

⁴ - المصدر نفسه - صص 374 - 375.

كان فقيهاً، أُوحد عصره في علم النحو وحفظ اللغة، والإعراب والمعاني والنوادر، وعلم السير والأخبار، والرواية للحديث، والتأريخ، وله تصانيف منها الأبنية وأخبار الفقهاء، وطبقات النحويين واللغويين، ولحن العامة، وهتك ستور الملحدين، وغيرها، توفي سنة 379هـ/989م¹.

سليمان بن خلف "أبو الوليد الباجي": صاحب التصانيف المشهورة، فقيه متكلم، أديب شاعر، سمع بالعراق، ودرس الكلام وصنّف إلى أن مات، وكان جليلاً رفيع القدر والخطر، ولد سنة 403هـ/1012م، وارتحل سنة 426هـ/1034م، وجاور ثلاثة أعوام ملازماً لأبي ذر الحافظ يخدمه، ورحل إلى بغداد ودمشق، ولقي في رحلته غير واحد، وتفقه بالقاضي أبي الطيب الطبري وغيره².

كان ابن حزم يقول: لو لم يكن لأصحاب المذهب المالكي بعد عبد الوهاب إلا مثل أبي الوليد الباجي لكفاهم، وصنّف أبو الوليد كتباً كثيرة منها كتاب "التسديد إلى معرفة التوحيد" وكتاب "إحكام الفصول في أحكام الأصول" وكتاب "شرح الموطأ" وانتقى منه "المنتقى" وهو أحسن كتاب أُلّف في مذهب الإمام مالك، وكتابه الكبير الجامع "الاستيفاء"، توفي سنة 474هـ/1081م³.

القاضي محمّد بن أحمد بن رشد القرطبي "أبو الوليد": الإمام العالم المحقّق المعترف له بصحة النظر وجودة التأليف، زعيم الفقهاء، إليه المرجع في حلّ المشكلات، متفنّن في العلوم بصير بالأصول والفروع، فاضل دين، إليه الرحلة، تفقّه بآب بن رزق وعليه اعتماده، وسمع الجياني وآخرين، وعنه ابنه أحمد والقاضي عياض وغيرهما وأجاز ابن بشكوال، أُلّف البيان والتحصيل، وله فهرسة وأجزاء في فنون العلم. مولده سنة 455هـ/1063م وتوفي سنة 520هـ/1125م⁴.

¹ - أبو بكر محمّد بن حسن بن مذجح الزبيدي - لحن العوام - تحقيق رمضان عبد التواب - مكتبة الخانجي - القاهرة - ط2 - 1420هـ/2000م - ص ص 11 - 32.

² - أحمد المقرئ - نفع الطيب - ص 67.

³ - المصدر نفسه - صص 69 - 76 - 77.

⁴ - محمّد مخلوف - شجرة التور - ص 129.

محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد "ابن العربي المعافري": من أهل اشبيلية، يكنى أبا بكر، الإمام العلامة، الحافظ المتبحر، ختام علماء الأندلس وآخر أئمتها وحفاظها، حجّ وعمره سبعة عشر عاماً في 485هـ/1092م، ولقي الغزالي والطرطوشي والأكفاني، والصيرفي والبزاري، وأخذ عنهم وعن غيرهم، فدرس عندهم الفقه والأصول، وقيد الحديث، واتسع في الرواية، وأتقن مسائل الخلاق والأصول والكلام، صنّف في غير فنّ تصانيف منها "المسالك في شرح موطأ مالك، القواصم والعواصم، وسراج المهتدين، وكتاب المتكلمين"، توفي سنة 543هـ/1148م¹.

3- علماء الزهد والتصوّف

أ- المغاربة:

محمد بن مسروق "أبو عبد الله": من زهّاد ونسّاك القيروان أهل الطبقة الثانية، ويُعرف بالزاهد، كان رجلاً صالحاً زاهداً في الدنيا راغباً في الآخرة، كان يَمُرُّ بالقرية من قرى أبيه؛ فيخرج إليه أهلها ومن فيها فيقولون: «نحن عبيدك وكل ما ترى في هذه القرية فهو لك»، فيقول: «إن كنتم صادقين فأنتم أحرار ومالكم لكم»، ثمّ انخلع من جميع ذلك ومما ترك أبوه لا يتلبّس منه بشيء².

محمد بن أحمد السوسي "أبو عبد الله": صحب سحنون، ورحل إلى الشام، فلقي هشام بن عمّار، وأحمد بن أبي الحواري، وكان عظيم القدر، كبير الشأن، من الأبدال³، عظم إجلال الله في

¹ - ابن فرحون - الديباج - صص 376 - 378.

² - المالكي - رياض النفوس - ج 1 صص 193 - 194.

³ - الأبدال: قوم من الصالحين بهم يُقيم الله الأرض، أربعون في الشام وثلاثون في سائر البلاد، لا يموت منهم أحد إلى قام مكانه آخر، فلذلك سُمّوا أبدالاً، وروى ابن شميل بسنده حديثاً عن علي رضي الله عنه وكرّم وجهه، أنّه قال: «الأبدال بالشام، والنجباء بمصر، والعصائب بالعراق»، وقال ابن شميل: «الأبدال خيار بدل من خيار، والعصائب عصابة وعصائب يجتمعون فيكون بينهم حرب». ابن منظور - لسان العرب - مج 1 - ج 3 ص 232.

قلبه، حتى هان عليه في الله كل أمر شاق و كان يختم كل ليلة ختمه، خدم المجذومين والأضراء حتى صار كذلك، توفي سنة 293هـ/905م¹.

عبد الملك بن أبي كريمة الأنصاري "أبو يزيد": كان ثقةً خياراً سمع مالكا والثوري وغيرهما. سمع منه خلقٌ، وله مناقب جليلة، قال سحنون: كان رجلاً صالحاً ورعاً صاحب أحاديث².

أحمد بن موسى الغافقي عيشون بن موسى "أبو عياش": سمع من سحنون وعبد العزيز بن يحيى المدني، وبالمشرق من ابن رمح، وابن البرقي، وهارون بن سعيد الأبلبي، وكان فقيها ورعاً عاقلاً، عابداً، زاهداً، متواضعاً، صحيح الكتب، ثقة حسن التقييد، كثير الجهد والكّد والتواضع، توفي سنة 295هـ/907م³.

بشير بن عمرو المتعبّد بالمنستير "أبو عمرو": من المتعبّدين الزهاد المنقطعين إلى الله عزّ وجلّ، وكانت له قريحة جيّدة في العلم، وكان يحسنه، إلا أن العبادة غلبت عليه، حجّ ودخل الشام وطرسوس ولقي جماعة من الصالحين وانتفع بهم، وكان من المُبرزين في الفضل. إنّما يلبس جُبّة صوفيّ مرقّعة أكثرها جلود⁴.

البهلول بن راشد: وتد من أوتاد⁵ المغرب، لقبه مالك "عابد المغرب" وكان يُضرب به المثل في الورع ببلاد المغرب، قال فيه موسى بن معاوية الصمادحي: «رحلت من القيروان ولا أظنّ أني أرى أخشع من البهلول بن راشد حتى لقيت وكيع بن الجراح»⁶.

¹ - الدباغ - معالم الإيمان - ج 2 صص 250 - 251 - 254.

² - المالكي - رياض النفوس - ج 1 ص 323.

³ - الدباغ - المصدر السابق - ج 2 صص 257 - 259.

⁴ - المالكي - المصدر السابق - ج 1 صص 418 - 419.

⁵ - الأوتاد: أوتاد الأرض: جبالها. ومن البلاد: رُؤسأؤها. الفيروزأبادي - القاموس المحيط - ص 324.

⁶ - محمّد بركات البيلي - الزهاد والمتصوّفة في بلاد المغرب والأندلس - دار النهضة العربية - القاهرة - 1993م - ص 55.

سحنون بن سعيد بن حبيب التنوخي "أبو سعيد": اسمه عبد السلام، وغلب عليه لقب سحنون. كان ممن يطلب العلم لله عز وجل. قال محمد بن أحمد بن تميم: «الذين يحضرون مجلس سحنون من العباد أكثر من الذين يحضرونه من طلبة العلم»¹.

عبد الله التاهرتي "أبو محمد": كان فاضلاً عابداً. وكان يشير إلى المحبة والشوق، سكن مدينة سوسة محتسباً للحرس بها على المسلمين، توفي سنة 313هـ/925م².

بن أبي زيد القيرواني "أبو محمد": اجتمع فيه العلم والورع والفضل والعقل، شهرته تغني عن ذكره. وكان من الذين يقرنون بين العلم والعبادة³.

صالح بن محمد ابن عبد الله بن حرزهم "أبو محمد": من أهل فاس، وكان قد رحل إلى المشرق وانقطع مدة بالشام فلقي هناك الإمام أبا حامد الغزالي⁴، ثم عاد إلى فاس⁵.

¹ - الدباغ - المصدر السابق - ج 2 ص ص 80 - 98.

² - المالكي - المصدر السابق - ج 1 ص 182.

³ - نصر سلمان - أعلام المذهب المالكي - صص 12 - 13.

⁴ - الإمام الغزالي: ولد الإمام محمد أبو حامد الغزالي في سنة (450هـ/1058م)، واشتغل بالعلوم الدينية على إمام الحرمين أبي المعالي الجويني (478هـ/1085م) وصار من أعيان الشافعية في وقته، وكان يحتج به ويعلمه، وقد تولى التدريس في المدرسة النظامية ببغداد التي أنشأها الوزير نظام الملك (487هـ/1094م) توجه إلى دمشق وأقام الدروس بالزاوية الغريبة من الجامع الأموي التي عرفت باسم زاوية الغزالي. وصنف الإمام الغزالي الكتب العظيمة الجامعة والمصنفات الجليلة النافعة منها: إحياء علوم الدين. وبرع في كل فن وعلم من العلوم الإسلامية. وأقبل في أواخر أيامه على طريق الصوفية فحذقه علماً وتحقق به عملاً حتى استطاع أن يؤلف بين علم التوحيد وتعاليم الصوفية وأذواقهم. توفي في 505هـ/1111م. الإمام محمد أبو حامد الغزالي - الذهب الأبرز - تحقيق عبد الحميد صالح حمدان - مكتبة الكليات الأزهرية - مكتبة و مطبعة الفجر الجديد - مصر - د.ت - صص 5 - 7.

⁵ - أبو يعقوب يوسف بن يحيى التادلي ابن الزيات - التشوف إلى رجال التصوف - تحقيق أحمد التوفيق - كلية الآداب - الرباط الرباط - ط 2 - 1997 م - ص 94.

عبد السلام التونسي "أبو محمّد": كان عارفاً بالمسائل، زاهداً في الدنيا متقشفاً، وكان يلبس كساء خشناً على جلده ويأكل الشعير، فإذا اشتهى اللحم اصطاد السلاحف في البرية فأكل لحمها، دفن بالعباد¹ بعد وفاته بتلمسان².

يوسف بن محمّد بن يوسف "أبو الفضل" المعروف "بابن النحوي": من قلعة بني حماد، صحب اللحمي، وأخذ عن ابن الرمامة، من أهل العلم والفضل بحاب الدعوة، أخذ نفسه بالتقشّف وهجر اللين من الثياب ولبس الخشن من الصوف وكانت جفته إلى ركبته، قال علي بن حرزهم أوصاني أبي أن أقبل يد أبي الفضل بن النحوي متى لقيته ولو لقيته في اليوم مائة مرة، توفي سنة 513هـ/1119م³.

الشيخ يلنور بن ميمون "أبو يعزى": قطب عصره وأعجوبة دهره، قال أبو علي الصواف سمعت أبا مدين يقول: «رأيت أخبار الصالحين من زمان أويس القرني إلى زماننا هذا فما رأيت أعجب من أخبار أبي يعزى، وقال: ونظرت في كتب التصوّف فما رأيت مثل الإحياء للغزالي»، توفي رحمه الله سنة 572هـ/1176م⁴.

مُنية بنت ميمون الدكالي: أصلها من مكناس، ونزلت في الجانب الشرقي من مراكش وبه توفيت سنة 595هـ/1198م قال ابن الزيات كانت من الأفراد، زرتها ورأيتها عجوزاً قد اسودّت من الاجتهاد، ولصق جلدُها بعظْمِها⁵.

¹ - العباد: رابطة في حوز تلمسان، وهي مدفن للأولياء والأوتاد. ابن مريم المليتي المديوني التلمساني - البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان - تحقيق عبد القادر بويابة - دار الكتب العلمية - بيروت - ط 1 - 1435هـ/2014م - ص 234.

² - ابن الزيات التادلي - التشوّف - ص 110.

³ - المصدر نفسه - صص 96 - 98.

⁴ - المصدر نفسه - صص 213 - 214.

⁵ - المصدر نفسه - ص 316.

أبو مدين شُعَيْب بن الحسين الأنصاري: أصله من إشبيلية ثم نزل بجاية. كان زاهدا فاضلا، عارفا بالله عزّ وجلّ، من أهل الأحوال والمعارف والعلم والمراقبة لله تعالى، توفي سنة 1198هـ/594م ودفن بالعباد خارج تلمسان¹.

ب- الأندلسيون:

عبد الملك ويعرف "بزونان": هو عبد الملك بن الحسين بن محمد بن زريق بن عبد الله بن أبي رافع مولى سيدنا رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم، يكنى أبا مروان، سمع من ابن القاسم وأشهب وابن وهب وغيرهم، كان فقيها فاضلا، ورعا وزاهدا، وكان يحيى بن يحيى يَعَجَب من كلام زونان، توفي سنة 232هـ/846م².

ابراهيم بن محمد بن باز: يُعرف بابن القزاز، يكنى أبا اسحاق فقيه عالم، ورع زاهد، فاضل، حافظ للفقهاء، بصير بالحديث، مقرئ للقرآن رأس فيه، سمع من يحيى بن يحيى وسحنون وغيرهما، وأخذ القراءات عن عبد الصمد بن القاسم، كان حافظا للمذهب المالكي متقنا له. غلب عليه الحفظ والزهد والانقباض، توفي سنة 274هـ/887م ودفن بطليطلة³.

أصغ بن مالك بن موسى الزاهد "أبو القاسم": سكن قرطبة، سمع محمد بن وضاح وابن القزاز وغيرهما، كان إماما في قراءة نافع، عابدا زاهدا، وكان هذا الغالب عليه، وكان كثير الرواية، جامعا لفنون الحديث والفقهاء، وكان الأغلب عليه النسك والعبادة، قال ابن حزم: «كان عنده زهد وورع وتقشّف، وله أصحاب كالرهبان، سمعت منه»، توفي قبل سنة 300هـ/912م⁴.

¹ - ابن الزيات - التثوّف - ص 319.

² - ابن فرحون - الديباج - صص 257 - 258.

³ - المصدر نفسه - صص 140 - 141.

⁴ - القاضي عياض - المدارك - ج 5 ص 174.

قاسم بن ثابت بن حزم: يكتى أبا محمد، شارك أباه في رحلته وشيوخه، وعُني هو وأبوه بجمع الحديث واللغة والفقه، ويقال أنهما أول من أدخل كتاب العين في الأندلس، وكان قاسم عالماً بالفقه والحديث، مقدماً في المعرفة بالغريب والنحو والشعر، ورعا ناسكاً، مجاب الدعوة، توفي سنة 302هـ/914م¹.

أحمد بن خالد بن يزيد بن محمد بن سالم: يعرف بابن الحباب، سمع ابن وضاح وابن باز وقاسم بن محمد وغيرهم، وفي رحلته سمع من الديري والكشوري وابن الأعجم وغيرهم، كان بالأندلس إماماً وقته غير مُدافعٍ في الفقه والحديث والعبادة، وكان من أهل الخير والفضل والورع والتقشف، جمع علوماً جمّة، وكان عنده حفظ، توفي سنة 322هـ/934م².

محمد بن محمد بن وشاح "أبو بكر" المعروف "باللباد": كان رجلاً صالحاً، فقيهاً جليلاً القدر، عالماً باختلاف أهل المدينة واجتماعهم، مهيباً مطاعاً. سمع من ابن طالب ويحيى بن عمر، وسمع منه خلق عظيم من كثير من البلدان، كان من الحفاظ المعدودين والفقهاء المبرزين، وكان مجاب الدعوة، وكان متقللاً من الدنيا، توفي سنة 333هـ/944م³.

أحمد بن لبابة: من أهل استجة؛ يكتى أبا عمر، كان رجلاً صالحاً متخشعاً، توفي سنة 338هـ/949م⁴.

اسحاق بن ابراهيم بن مسرة التجيبي "أبو ابراهيم": من أهل طليطلة، وسكن قرطبة لطلب العلم، سمع من وسيم وأبي الوليد وابن لبابة وابن خالد وغيرهم، كان خيراً فاضلاً، دتياً ورعاً،

¹ - ابن فرحون - الدياج - ص 322.

² - المصدر نفسه - ص 92.

³ - المالكي - رياض النفوس - ج 2 صص 283-284.

⁴ - أبو الوليد بن محمد بن يوسف الأزدي ابن الفرضي - تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس - تصحيح ونشر السيّد عزت العطار الحسيني - مطبعة المدني - القاهرة - ط 1 - 1408هـ/1988م - ص 53.

بجتهدا، عابدا، من أهل العلم والفهم والعقل والدّين المتين والزهد والتقشّف، حافظا لفقّه على مذهب مالك وأصحابه، وكان يناظر عليه في الفقّه، وحدث وسمع منه جماعة، وكان وقورا مهيبا، توفي بطليطلة سنة 352 أو 354هـ/963 أو 965م¹.

سعيد بن خلف الصوفي: من أهل قرطبة، يكتى أبا عثمان، سمع من ابن أبي دليم وأحمد بن مطرف وأحمد بن سعيد وجماعة، كان من أهل السنة، وكان رجلا مُقلّا يعيش من صلة إخوانه، توفي سنة 387هـ/997م².

فاطمة الأندلسية: من أهل قصر كتامة³ وكانت من الصالحات، قالت لمحمد بن أحمد الزناتي وعمر بن عيسى الكتامي بعدما عَجبا من كرامة لأبي عبد الله المعلم: «لا تنكروا براهين الصالحين فإنها حق»⁴.

عبد الأعلى بن معلّى الخولاني البيري "أبو المعلي": من أضبط أهل زمانه ومن أزهدهم وأورعهم وأرضاهم عند الخاصة والعامة، عني بسماع كثير، واستولى على الحفظ للمسائل، ثم انفرد بعبادة ربّه عزّ وجلّ⁵.

محيي الدّين ابن عربي: الشيخ الأكبر، أو سلطان العارفين شخصية بارزة في تاريخ التصوّف، بحر زاخر بثنى العلوم والمعارف ولد بمرسية بالأندلس سنة 560هـ/1164م، وكان يعرف بها باسم "ابن سُراقَة" وفي المشرق "ابن عربي"، رحل إلى إشبيلية وأخذ الفقّه والحديث بها، ولد في ظل سلطة دينية تقيّة مثلها صاحب شرق الأندلس محمد بن مردنيش، وفي ظل أسرة تقيّة ورعة مال

¹ - ابن فرحون - الدياج - صص 157 - 158.

² - ابن الفرضي - المصدر السابق - ص 207.

³ - **قصر كتامة:** مدينة بالجزيرة الخضراء من أرض الاندلس، يُنسب إليها الفقيه الأديب الفتح بن موسى القصري. ياقوت الحموي - معجم البلدان - ج 4 ص 362.

⁴ - ابن الزيات - التشوّف - صص 331 - 332.

⁵ - ابن فرحون - المصدر السابق - ص 274.

أفرادها إلى طريق الزهد والتصوف، ترك الشيخ محيي الدين بن عربي ما يربو عن مائتين وتسعة وثمانين كتابا ورسالة، أو خمسمائة كتاب حسب قول عبد الرحمن الجامي صاحب "نفحات الأنس"، من تأليفه: "الفتوحات المكية"، و"الفتوحات المدنية"، وهو "تفسير الشيخ الأكبر" وهو تفسير للقرآن، و"تحفة السفارة إلى حضرة البررة"، و"سرّ أسماء الله الحسنى"، توفي سنة 638هـ/1249م¹.

قد تتكرّر الأسماء لبعض العلماء وهذا لم يرد اعتبارا وإنما مقصوده إلقاء الضوء على ميزة مهمة جدا سيأتي تفصيلها، ألا وهي جمع أصحاب وتلامذة الأئمة بين علوم الفقه المالكي والعقيدة الأشعرية وتصوّف الجنيد، لقد ورث العلماء والتلامذة عن الأئمة الثلاثة مالك والأشعري والجنيد رضي الله عنهم أديبهم وعلمهم وصلاتهم فكانوا بذلك مستحقين لحمل الرسالة التي تركها هؤلاء الأعلام الثلاثة.

¹ - فيصل بدير عون - التصوّف الإسلامي الطريق والرجال - مكتبة سعيد رأفت جامعة عين شمس - مصر - 1983م - صص 265 - 267 271 - 272.

المبحث الثالث: انتشار مذاهب الأئمة بالغرب الإسلامي

1- وصول المذهب المالكي إلى بلاد الغرب الإسلامي: من العوامل المساعدة على انتشار المذاهب السنيّة الأربعة الصحيحة أن أئمة المذاهب قاموا بشرح الكتاب والسنة للمسلمين، وقام العلماء من بعدهم بالتأليف استناداً على هذه الشروح، وقدموا بذلك خدمة جليلة للإسلام¹.

انتشر المذهب المالكي في رقعة واسعة من بلاد العالم الإسلامي شرقاً وغرباً، وكان للمذهب في البلاد التي انتشر فيها علماء اسهموا بدروسهم ومؤلفاتهم في نمو الفقه ودفعه للأمام، بتقعيد أصوله وتنويع فروعها، وملاحقة حاجات العصر ومشاكله، فكان للمذهب في تلك الآفاق مدارس اكتسبت كل مدرسة منها سمة المجتمع الذي تأسست فيه، ولا سيّما في المدينة ومصر والعراق والغرب الإسلامي عموماً، وكان من دأب علماء كل بلد تدريس المذهب، حتى استقرّ بين علماء المذهب مصطلح المدنيين والعراقيين والمغاربة².

وارتحل الناس إلى مالك بن أنس رضي الله عنه لطلب العلم من كل قطر فَرَوُوا عنه الموطأ، والحديث، ومسائل الرأي؛ فبلغوا الألف رجل ممن روى عنه، وكان من أشهرهم ابن القاسم وابن وهب وابن مهدي والشافعي ويحيى الليثي وابن الماجشون وابن الفرات وابن عبد الحكم والليث بن سعد وابن حنبل وغيرهم، ومنهم عبد الله بن نافع الذي أخذ عنه كثير من أهل العلم، ومن أهل المغرب سحنون ويحيى الليثي وتفقه على تلاميذ مالك بالمدينة المنورة جلة من علماء المغرب والأندلس، ومن الآخذين علم مالك أهل مصر التي خرّجت عدداً كبيراً من رجال الفقه والحديث والعلم، وبفضلهم وعلى أيديهم تتلمذ كبار علماء إفريقية والمغرب والأندلس³.

¹ - khalid - Ibaghdadi - foi et islam - traduit par feyzullah de kamah - wakfi ikhlas - istanbul, turque - 7^{me} édition - 1991 - pp 52 - 53.

² - عبد العزيز الخليلي - الاختلاف الفقهي في المذهب المالكي - دار الحديث الحسنية - الرباط - ط 1 - 1414 هـ / 1993م - ص 256.

³ - محمد زينهم محمد عزب - الإمام سحنون - تقديم حسين مؤنس - دار الفرجاني - القاهرة - صص 78 - 79 - 85.

وقد وصل المذهب المالكي إلى ليبيا عن طريق أعيان علماء وفقهاء المالكية الكُمَّل الذين سلكوا طريق العلم، وعكفوا على مذهب الامام مالك وموطئه بالدرس، ويعدّ العالم الطرابلسي علي بن زياد أول من أدخل الموطأ بلاد المغرب الإسلامي، فهو الأساس الذي قام عليه مذهب الإمام مالك، ولقد ساد وانتشر هذا المذهب بواسطة حملته من تلاميذ ابن زياد كأسد بن الفرات والإمام سحنون والإمام البهلول بن راشد وغيرهم، وبهم ازداد المذهب المالكي رسوخاً ووثوقاً وانتشاراً في ربوع البلاد الليبية، وصار العمدة والمرجع للعلماء والفقهاء¹.

أنشأ المحدثون والفقهاء الذين رحلوا للإمام مالك المدرسة المالكية بالقيروان، وكانوا يزيدون عن الثلاثين منهم عبد الله بن فروخ الفارسي والبهلول بن راشد وعلي بن زياد التونسي وأبو علي شقران القيرواني وعبد الله بن غانم القاضي وأسد بن الفرات وعنبسة بن خارجة الغافقي وعبد الله بن أبي حسان اليحصبي وعبد الرحمن بن أشرس².

احتضنت القيروان المذهب المالكي رغم موجة الصراع المذهبي، هذا المذهب الذي كان للإمام سحنون وأصحابه الفضل في دعمه بهذه الربوع الإفريقية أواخر القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي وقد امتدت الصلات العلمية بين هذا المركز المالكي الإفريقي وبين سائر المراكز المالكية الأخرى ببلاد المشرق وبلاد المغرب والأندلس؛ فَمَمَّن استقبلتهم القيروان لتفقه على علمائها من أهل الأندلس أبو الوليد عبد الله الفرضي المتوفى سنة 403هـ/1012م، ومن أهل فاس درّاس بن إسماعيل المتوفى سنة 357هـ/967م³.

¹ - ناصر الدين محمد الشريف - الجواهر الاكليلية في أعيان علماء ليبيا من المالكية - دار البيادق - الأردن - ط1 - 1420هـ /1999م - صص 3 - 4.

² - خير الدين سيب - انتشار المذهب المالكي في بلاد المغرب - الملتقى الوطني الرابع للفقهاء المالكي ملامح عن المذهب المالكي بعد مرحلة التأسيس - دار الثقافة - تنظيم وزارة الشؤون الدينية والأوقاف - دار الثقافة - عين الدفلى - 08 - 09 - 10 ربيع الثاني 1429هـ/ 14 - 15 - 16 أفريل 2008م - ص 61.

³ - الدقر - الإمام مالك - ص 278.

ويقول أبو إسحاق الشيرازي الشافعي: «وأما مالك رضي الله عنه فقد انتقل فقهه إلى أصحابه من أهل المدينة وأهل مصر وأهل إفريقية وأهل الأندلس»¹.

أما أهل المغرب الأقصى فكانوا يتمذهبون بمذهب الحنفية، والأوزاعي، ومذاهب الخوارج والمعتزلة وبعض النحل الجاهلية، وظلّ الأمر على هذه الحال إلى أن قامت دولة الأدارسة، فأتجهوا إلى المذهب المالكي وذلك بأمر من المولى إدريس الذي دعا الناس للأخذ به، واتباع منهجه بعد أن جعله مذهبا رسميا للدولة، وأصدر أمره لؤلّاته وقضاته بذلك، وذكر الكتاني في الأزهار العاطرة: «وعلى مذهبه كان إدريس وجميع العلماء من أهل المغرب الأقصى بسبب تقليد إدريس لمالك وتحصيل كتاب الموطأ وحفظه له»².

لقد كان الإمام مالك شديد العناية بتلاميذه وأصحابه، وكان حريصا على أن يكون في كل قطر جماعة منهم، وهذا ظاهر جدا فيما يتصل بالمغرب والأندلس، وقد ذكر المالكي في كتابه عددا عظيما من أهل المغرب من تلاميذ مالك وأصحابه؛ فحياة معاوية بن صالح تضع أيدينا على نقطة البدء للمالكية الأندلسية، فقد أصهر إليه أحد تلاميذه وهو زياد بن عبد الرحمن المعروف بشبّطون، وهو أحد ثلاثة ثبت تأسيسهم للمذهب بالأندلس، وهم الذين أدخلوا الموطأ ونشروه بين الناس، وعلى أيديهم أصبحت المالكية المذهب الغالب، بل الرسمي لأهل الأندلس، أولهم يحيى بن قيس وثانيهم زياد بن عبد الرحمن هذا، وثالثهم يحيى بن يحيى الليثي³.

واعلم أن أهل الأندلس كانوا في القديم على مذهب الأوزاعي، وأهل الشام منذ أول الفتح، ففي دولة الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل، وهو ثالث الولاة انتقلت الفتوى إلى رأي مالك بن أنس وأهل المدينة، فانتشر علم مالك ورأيه بقرطبة والأندلس جميعا، بل والمغرب، وذلك برأي

¹ - أبو إسحاق الشيرازي الشافعي - طبقات الفقهاء - تحقيق إحسان عباس - دار الرائد العربي - بيروت - ط 1 - 1970م - ص 146.

² - عمر الجيدي - مباحث في المذهب المالكي بالمغرب - دار المعارف الجديدة - الرباط - ط 1 - 1993م - ص 19.

³ - حسين مؤنس - فجر الأندلس - دار المناهل - بيروت - ط 1 - 1423هـ/2002م - صص 655 - 657.

الحكم واختياره، واختلفوا في السبب المقتضي لذلك، فذهب الجمهور إلى أن سببه رحلة علماء الأندلس إلى المدينة، فلما رجعوا إلى الأندلس وصفوا فضل مالك وسعة علمه، وجلال قدره، فأعظموه، وقيل: إن الإمام مالك رضي الله عنه سأل بعض الأندلسيين عن سيرة ملك الأندلس، فوصف له سيرته، فأعجبت مالكا لكون سيرة بني العباس في ذلك الوقت لم تكن بمرضية لما صنع أبو جعفر المنصور بالعلوية بالمدينة من الحبس والإهانة وغيرهما على ما هو مشهور في كتب التاريخ، فقال الامام مالك لذلك المخبر: نسأل الله تعالى أن يزيّن حرماننا بملككم فوصل ذلك إلى ملك الاندلس، مع ما عُلم من جلاله مالك ودينه، فحمل الناس على مذهبه¹.

انتشر مذهب الإمام مالك وفشا بسبب عوامل عدة أهمها إمام المذهب وما كان يمثل من وزن في العالم الإسلامي، كذلك أصحابه وتلامذته، ومساهمة أهل المغرب والأندلس حاكمهم ومحكومهم في التمكين لفقهِ الإمام بعد أن خبروا أسسه وأصوله ومقاصده.

2- انتشار مذهب الأشعري بالغرب الإسلامي: واشتهر الإمامان الأشعري والماتريدي بمعرفتهما الواسعة بعلم العقيدة الذي ورثاه عن أئمة المذاهب الأربعة الصحيحة، حيث قاما بنشر المعرفة العقائدية لأهل السنة، وهما العمدة في ذلك²، وانتشر علم الكلام والعقيدة على مذهب الإمام الأشعري بالمغرب والأندلس عن طريق جلة من العلماء منهم إبراهيم بن عبد الله أبو اسحاق الزيدي المعروف بالقلانسي، وكان عالما بالكلام، والرّد على المخالفين، والرّد على الرافضة³، ومن الذين كان لهم بالغ الأثر في نشر هذا العلم ببلاد المغرب الإسلامي، محمد أبو بكر الباقلائي، وهو من أعلام الأشاعرة البارزين⁴.

¹ - المقرئ - نفع الطيب - ج3 ص 230.

² - khalid - Ibaghdadi - op.cit - pp 59 - 60.

³ - ابن فرحون - الديباج - ص 144.

⁴ - المصدر نفسه - ص 363.

ويعدّ أبو بكر الباقلائي (ت 403هـ/1012م) من أبرز المتكلمين الأشاعرة الذين كان لهم أثر كبير في إدخال الأشعرية إلى إفريقية وإرساء دعائمها في ربوعها، فبعد اشتهاؤه في العراق قصده علماء القيروان للأخذ عنه، شدّوا الرحلة إليه لكونه فقيها من فقهاء المالكية الكبار، وكونه من النظار الأوائل للأشاعرة. قال ابن عساكر: وكان القاضي أبو بكر فارس هذا العلم مباركا على هذه الأمة، وكان يلقب "شيخ السنة ولسان الأمة"، وكان مالكيًا فاضلاً متورعاً ممن لم تحفظ عليه زلّة قط، أو أنْتَسِبَ إليه نقيصة¹.

وهناك تلميذان لأبي بكر الباقلائي، وإليهما يرجع الفضل في تأسيس المدرسة الأشعرية بالقيروان هما: أبو عبد الله الحسين بن حاتم الأذري²، وأبو طاهر البغدادي، وخلف الباقلائي بعده من تلاميذه جماعة تفرّقوا في البلاد أكثرهم بالعراق وخراسان ونزل منهم إلى المغرب رجلان أحدهما أبو عبد الله الأذري، وبه انتفع أهل القيروان وترك بها تلاميذ مبرزين مشاهير، وكان رجلاً ذا علم وأدب، والثاني أبو طاهر البغدادي الناسك الواعظ، كان رجلاً صالحاً شيخاً كبيراً، وكان أبو عمران الفاسي يقول: «لو كان علم الكلام طيلساناً ما تَطَيَّرَ به إلا أبو طاهر البغدادي»، ومن المثبتين للمذهب الأشعري بإفريقية أبو محمّد عبد الله بن أبي زيد القيرواني وأبو الحسن القاسبي، وكان لهُذين العُلمين أثر كبير في ذلك بفضل التلاميذ والأُتباع³.

¹ - محمّد المصلح - الإمام أبو الحسن اللخمي - دار البحوث للدراسات الإسلامية - دُبَيّ - ط 1 - 1428هـ/2007م - ج 1 ص 112.

² - الأذري: يعرف بالأزدي، وهو الحسين بن حاتم أبو عبد الله الأزدي المتكلم صاحب القاضي أبي بكر بن الطيّب الباقلائي، قَدِمَ دمشق وسمع بها أبا محمّد بن أبي نصر، وعقد بها مجلس الوعظ. وعقد مجلسه في التوحيد بعدما اشتهرت دمشق بالحشو وكان شيوخها إذا سمعوا كلامه خرجوا وهم يقولون أحد أحد، فلما خرج الأزدي بعد ذلك عن دمشق ونفذ إلى الغرب فأقام مدة إلى أن أدركه أجله هناك. وكان من المدرّسين لعلم الأصول ومن تلاميذه محمّد بن عتيق المتكلم الأشعري المعروف بابن كُدَيْة. أبو القاسم علي بن الحسن ابن عساكر - تاريخ مدينة دمشق - دراسة وتحقيق عمر بن غرامة العمروي - دار الفكر - بيروت - 1415هـ/1995م - ج 14 ص 49 - ج 54 ص 188.

³ - محمّد المصلح - المرجع السابق - ج 1 صص 112 - 113.

والشيخ المتكلم علي بن محمد بن خلف المعافري، المعروف بأبي الحسن القابسي، وانتشر علم الكلام عن طريق مصنفاته وتلامذته¹، وأبرزهم أبو عمران الفاسي الذي أخذ عنه الناس من أقطار المغرب والأندلس².

يضاف إلى هؤلاء العلامة أبو عمر عثمان بن عبد الله السلاجبي، الذي يعد إمام أهل المغرب في الاعتقاد، أخذوا عن ابن حرزهم والتادلي³.

ومن العلماء على مذهب الأشعري الإمام أبو محمد عبد الله بن إبراهيم الأصيلي، العالم المتفنن العارف بالحديث والسنة النبوية، رئيس علماء الأندلس، وكان من تلامذة اللؤلؤي وأبي إبراهيم بن مسرة، وله رحلة مع أبي ميمونة درّاس وأبي الحسن القابسي إلى المشرق، ولقي شيوخ إفريقية ومصر والحجاز والعراق كالأبياني وابن أبي زيد وأبي طاهر البغدادي، وأقام هناك ثلاثة عشر عاما، ورجع إلى الأندلس لينشر علمه بين تلامذته منهم ابن العجوز وابن الحذاء وابن أبي صفرة⁴.

ومن الذين أسهموا أيضا في ترسيخ علم الكلام والعقيدة الأشعرية بالأندلس أبو عمر الطلمنكي، الذي كانت له ردود على المخالفين، وكان سيفاً مجرّداً على أهل الأهواء والبدع، وأبو الوليد الباجي، وكان من أهل المناظرة والكلام، وحاز الرئاسة في زمانه ببلاد الأندلس⁵.

¹ - محمد المصلح - الإمام أبو الحسن اللخمي - ج 1 صص 296 - 297.

² - المرجع نفسه - ج 1 ص 422.

³ - مخلوف - شجرة التور - ص 163.

⁴ - المرجع نفسه - صص 100 - 101.

⁵ - ابن فرحون - الديباج - صص 101 - 196.

ومن المتقدمين في علم التوحيد بالأندلس الإمام أبو بكر محمد بن الوليد بن محمد المعروف بالطرطوشي. وهو من تلامذة أبي الوليد الباجي، وكان من الذين رحلوا إلى المشرق واخذ عن أئمة العلم هناك، وله تأليف في البدع والمحدثات¹.

وكان الإمام القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد المعافري المعروف بابن العربي من الذين أتقنوا مسائل الخلاف والأصول والكلام، وساهم بذلك في نشر هذا العلم بالأندلس بعدما أخذ على أئمة العلم في زمانه بالمشرق منهم الخلعي وابن مشرف والغزالي والطرطوشي وأبي بكر الشاشي وغيرهم².

ويعدّ أبو عبد الله محمد بن مسلم بن محمد الصقلي الآخذ عن شيوخ صقلية والرازي والطرطوشي، أحد البارزين في نشر وتدرّيس علم الكلام، حيث رحل إليه الناس في هذا الشأن، وناظر الفرق، وغلب عليه الكلام والتحقيق، وكان لمصنفاته أيضا أثرها في انتشار علم العقيدة لكبرها وقوة مأخذها³.

عندما اعتلى الموحدون سدّة الحكم أذاعوا مذهب الأشعري لأن ابن تومرت كان يغرّف من معينه، وقد أُلّف في هذا العلم عقيدة باللسان البربري سماها "المرشدة"، كما صنّف في هذا العلم أيضا كتابا سماه "أعزّ ما يطلب" وعقائد في أصول الدين، كان فيها على مذهب الإمام أبي الحسن الأشعري. وكان من أعلام هذا العلم أبو الحسن محمد بن خليل الأندلسي الأشبيلي المتوفى سنة 557هـ/1162م، الذي تصدى لشرح عقيدة ابن تومرت بجامع القرويين بفاس، ومعلّمًا لعلم الأصول والكلام، وقد تبعه كثير من العلماء، منهم تلميذه أبو عمر عثمان بن عبد الله القيسي

¹ - القاضي عياض اليحصبي - العُنْيَةُ فَهْرَسَتْ شيوخ القاضي عياض - تحقيق ماهر زهير جرّار - دار الغرب الاسلامي - بيروت - ط 1 - 1406هـ/1982م - صص 26 - 27.

² - المصدر نفسه - صص 66 - 67.

³ - المصدر نفسه - ص 88.

المعروف بالسلاجي، الذي صحح عقيدة المغاربة، إذ أَلَّف كتاب "العقيدة البرهانية" في ذلك، ولُقّب بمنقذ أهل فاس من التجسيم، وقد تتلمذ على يد السلاجي كثير من الطلاب في هذا العلم¹.

لقد أيقن أهل الغرب الإسلامي ضرورة العقيدة الأشعرية في حياتهم الدينية، وعزّز هذا الإيقان الثقة بعلماء العقيدة والكلام المشهود لهم بالعلم والصلاح، وصدق النصيحة، والحرص على مصالح الناس، ومن قبل ذلك ثقتهم بالإمام الأشعري الذي حمل عُدُول الأمة في ذلك الوقت علمه وأخباره.

3- ذبوع التصوّف ببلاد الغرب الاسلامي: ظهر التصوّف بالمغرب نتيجة لكثرة رحلات العُبَاد المغاربة إلى بلاد المشرق، الذين التقوا بالمتصوّفة وأخذوا عنهم، ومن هؤلاء موسى بن معاوية الصمادحي الذي صحب وكيعا والفضيل بن عياض وأبا معاوية الضرير، وكان أبو سليمان ربيع بن عبد الله القيرواني كثير السياحة والتغرّب، كما التقى أبو عبد الله المغربي السوسي المتوفى سنة 279هـ/892م بعبد الله بن الجلاء الصوفي المشهور بمكّة، وتتلّمذ عليه الصوفيان إبراهيم الخوّاص وإبراهيم بن شيبان، وكان الخوّاص من أقران الجنيد سيّد طائفة الصوفية².

ورحل إلى المشرق أيضا أبو هارون الأندلسي المتصوّف المغربي من الأبدال يتأسى بأهل الصُفّة³. ولقي أبو هارون الأندلسي و أبو عقّال غلبون المتصوّف القيرواني، وأبو عبد الله محمّد بن أبي حميد السوسي المستجاب من الأبدال. لقي هشام بن عمّار وأحمد بن أبي الحواري الذي يضعه السُلّمي في الطبقة الأولى من الصوفية. ومحمّد بن طيّب المصري المتعبّد بسوسة صحب الخراز من كبار الصوفية ببغداد، وأبو القاسم المغربي تلميذ أبي بكر بن سعدان الذي كان من أصحاب الجنيد وأبي الحسين النوري، ومنهم أبو الخير الأقطع التيناني صحب ابن الجلاء الصوفي وغيره من مشايخ

¹ - جمال أحمد طه - مدينة فاس في عهد المرابطين والموحدين - دار الوفاء - الإسكندرية - 2001م - ص 294.

² - البيلي - الزهاد والمتصوّفة - ص 94.

³ - أهل الصُفّة: كان سيّدنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأويهم بمسجده وَيُعُوِّمُهُمْ. وَهُمْ قَوْمٌ أَخْلَاهُمْ الْحَقُّ مِنَ الرُّكُونِ إِلَى شَيْءٍ مِنَ الْعُرُوضِ، وَعَصَمَهُمْ مِنَ الْإِفْتِنَانِ بِهَا عَنِ الْفُرُوضِ. وَجَعَلَهُمْ قُدُورَةً لِلْمُتَجَرِّدِينَ مِنَ الْفُقَرَاءِ. أَبُو نَعِيمٍ - حلية الأولياء - ج 1 - صص 373 - 339.

الصوفيّة، ومحمد السدري، وأبو القاسم الحسن بن مفرج، وأبو عثمان سعيد بن سلام المغربي الذي صحب عددا من أجلاء مشايخ الصوفية كأبي علي الكاتب¹.

ومنهم أيضا حبيب المغربي وأبي عمرو الزجاجي والنهرجوري وغيرهم، إذ حملوا إلى المغرب علوم الصوفية وطريقتهم ومذهبهم ونشروا ذلك في أهل المغرب².

ومن أهل طرابلس الغرب من كبار الصوفية على طريقة الإمام الجنيد، الشيخ العارف بالله عبد الله الشعاب توفي سنة 243هـ/857م أخذ عن جماعة من الفضلاء، وكان شديد الزهد، ملازما للتسك والاعتكاف متمسكا بطريق السلف، وصدرت منه دعوات مجابة، وحُفظت له كرامات ظاهرة. وكان على سنة الإمام الجنيد، داعيا إلى الله على نهج الكتاب والسنة³.

كان التصوّف في المغرب الإسلامي يعرف بالزهد، وأما بالمفهوم الاصطلاحي الدقيق، فقد ظهر بالمشرق ثم انتقل مع المعابر الأربعة إلى بلاد المغرب وهي: الحجّ، طلب العلم، الكتب والمؤلفات، التجارة، ويعتبر أبو عمران الفاسي من الذين أدخلوا تعاليم الجنيد إلى إفريقية، أما فصول المؤلفات الصوفية فكانت من حظّ عبد العزيز التونسي، وكان هذا في أواسط القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي قبل أن يصل كتاب الإحياء، ومن الذين جلبوا التصوّف من المشرق أبو يعزى، وأبو مدين شعيب الذي يعتبر أحد أوتاد التصوف بالمغرب الإسلامي، أمّا بالنسبة للمغرب الأوسط فقد انتشر التصوّف على مدى واسع، وغطّى مناطق عديدة، ففي كل بقعة منه زاوية أو مقام ولي صالح، وحلقة ذكر أو شيخ طريقة يدعو إلى التمسك بالشريعة والافتداء بسنة سيّدنا المصطفى صلّى الله عليه وسلّم⁴.

¹ - البيلي - الزهاد والمتصوّفة - صص 94 - 96.

² - المرجع نفسه - صص 96 - 97.

³ - محمد الشريف - الجواهر الإكليلية - صص 44 - 45.

⁴ - عبد المنعم القاسمي الحسني - أعلام التصوّف في الجزائر - دار الخليل القاسمي - بوسعادة المسيلة - ط1 - 1427هـ - صص 24 - 25.

وأسس الشيخ محيي الدين عبد القادر الجيلاني الطريقة القادرية كفرع من طريقة الإمام الجنيد، وتأسست فروع جديدة، تبعا لطريقة الإمام عبد القادر الجيلاني المستمدة تعاليمها من قدماء ومتقدمي الصوفية، وارتبط التصوف في المغرب والاندلس بشيوخ بارزين منهم الشيخ أبو مدين شعيب تلميذ الشيخ عبد القادر الجيلاني والذي لبس خرقة الصوفية على يديه، ومنهم أيضا الشيخ محيي الدين بن عربي الذي كان يثني على أبي مدين، ومنهم عبد السلام بن مشيش شيخ أبي الحسن الشاذلي¹.

وعمل أعلام الصوفية على نشر الطرق بكامل المغرب الاسلامي، ومنهم أبو يعزى وأبو مدين وعبد الحق الإشبيلي وابن مسرة وغيرهم، وأثروا بسلوكهم وعلمهم حيث رأى الناس فيهم أنموذج الصلاح والتقوى، إذ تولّى معظمهم مهمة التدريس وحافظوا على مستوى عالٍ من التعليم، ومنهم أبو زكريا يحيى بن محجوبة السطيفي وابن النحوي والحسن بن علي المسيلي وعلي بن أحمد الحرالي².

وعن أبي مدين شعيب أنه قال: «... وطريقتنا هذه أخذناها عن أبي يعزى بسنده عن الجنيد عن سريّ السقطي عن حبيب العجمي عن الحسن البصري عن علي رضي الله عنهم عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم عن جبرائيل عن رب العالمين»، وكان زاهدا فاضلا عارفا بالله تعالى من أعلام العلماء وحفاظ الحديث ملازما لكتاب الإحياء. وكان يُقصد بالزيارة من جميع الأقطار، وتخرّج على يده ألف شيخ من الأولياء³.

¹ - Fatima Zohra Bouzina - Ofriha - sidi boumedienne ibn rochd - édition dalimen - Alger - 2011 - pp 139 - 141.

² - عبد المنعم القاسمي - أعلام التصوف في الجزائر - ص 26.

³ - محمد ابن مريم - البستان - صص 223 - 225 - 228.

وجميع الطرق الصوفية ترجع إلى ثلاثة شيوخ الأول: شيخ الإسلام وسيّد الوعاظ أبو محمّد عبد القادر بن أبي صالح بن جنكي دوست الجيلاني شيخ العراق المتوفى سنة 561هـ/1165م قال فيه عزّ الدين بن عبد السلام: «ما تُعرف أحد كراماته متواترة مثله»¹.

والثاني: الشيخ الإمام أبو الحسن الشاذلي المغربي ثم المصري الاسكندري الضير المتوفى سنة 656هـ/1258م الزاهد الكبير المقدار تلميذ ابن مشيش وغيره، صاحب الأحزاب العجبية في التوحيد والفناء وذو الكرامات والفضائل العديدة. والثالث: الشيخ خواجه بهاء الدين نقشبند محمّد بن محمّد البخاري المتوفى سنة 791هـ/1389م الذي ترجع اليه السلسلة النقشبندية².

وانتقلت الطريقة القادرية الى المغرب على يد الشيخ أبي مدين شعيب الأنصاري الأندلسي فنشرها هناك، وظهر الشيخ عبد السلام بن مشيش فزادت انتشارا على يده³.

وكلّ ما يتعلّق بالتصوّف من علم وشيوخ وطرق متعلّق بالإمام الجنيد وشيوخه، لأنّ أهل المغرب والأندلس جلبوه من علماء المشرق وصوفيته، والجنيد إمّا أن يكون صاحباً أو شيخاً لمعاصريه.

وبالأندلس ظهر التصوّف عن طريق رحلات الأندلسيين إلى المشرق، والتقاءهم بالمتصوّفة هناك منهم أبو عثمان بن مشرف الذي سمع من بندار بن محمّد، وأبو محمّد عبد الله بن مسرة الذي سمع منه أيضاً، وعبد الملك بن قلمون من أهل قرطبة الذي سمع من محمّد بن وضاح وكان صوفياً من الأبدال، ووفدَ عدد من الصوفية بالمشرق إلى بلاد الأندلس فانتشر مذهبهم بين الأندلسيين، ومن الوافدين طاهر بن محمّد بن المهتد من أهل بغداد، له رسائل عجيبة ومقالات في معاني الزهد على مذاهب الصوفية، وأبو إسحاق الديليسي الصوفي، من أهل خراسان، دخل الأندلس سنة 358هـ/968م، وأبو بكر الأنطاكي الصوفي الذي دخل الأندلس سنة 372هـ/982م وكان مذهبه

¹ - محمّد بن الحسن الحجوي الثعالبي - الفكر السامي في تاريخ الفقه الاسلامي - فاس - 1345هـ - ج3 ص 56.

² - المرجع نفسه - ج3 ص 56.

³ - الخليل النحوي - بلاد شنقيط المنارة والرباط - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - تونس - 1987م - ص 121.

التصوّف والسياسة، وأبو عبد الله محمد بن شجاع الصوفي، كان رجلاً صالحاً مشهوراً على طريقة قدماء الصوفية المحققين من أهل السياسة، وأبو الحسن الصقلّي الصوفي صاحب العلوم، والحسين الديماطي أبو عبد الله الواعظ المتحدّث بحديث الصوفية¹.

- تقبّل سكان الغرب الإسلامي المذاهب الوافدة -المشار إليها آنفاً- لما وجدوه فيها وفيمن حملها إليهم من صفات العلم والتحقيق والتأصيل، فاتخذوا من مذهب الإمام مالك مرجعاً لهم في الفقه، ومذهب الأشعري في العقيدة، ومذهب الجنيد في التصوف أو علم السلوك وتزكية الأخلاق.

- بيّنت سيرة الأئمة الثلاثة أن لهم وزهم في تاريخ المسلمين، إذ مثلوا شخصيات محورية مؤثرة ليس على مستوى النطاق الزماني المكاني الذي شغلوه، وإنما تعدى ذلك إلى بقاع وأمصار العالم الإسلامي شرقه وغربه.

- ويظهر ذلك جلياً ما قام به أصحاب وتلامذة الأئمة المتعلّمين بعلمهم، والمتأدّبين بأدابهم، من نشر وإيداع علوم أساتذتهم ومشائخهم دون تقصير، هذه العلوم التي قدّموا بها أو قدّمت إليهم من المشرق ليرسخوها في بلاد وأهل الغرب الإسلامي.

- وكان مُعْتَمِدُهم المرجعية الدينية الصحيحة التي يستندون عليها، والتي حمل لواءها كبار العلماء المحققين، وهذا ما يبرّر تقبّل أهل الغرب الإسلامي لهذه المذاهب، بل والسعي إلى نشرها وإيداعها بين الناس.

¹ - البيلي - الزهاد والمتصوّفة - صص 174 - 175.

❖ الفصل الثاني: أثر علوم الأئمة على

الغرب الإسلامي

❖ المبحث الأول: الروابط والصلات العلمية

❖ المبحث الثاني: الحواضر والمراكز العلمية ببلاد

الغرب الإسلامي

❖ المبحث الثالث: مناظرات وردود علماء الفقه

والكلام والتصوّف

يعدّ العلم المقياس الحقيقي الذي تُعرف به قيمة الأمم، وحضارة الشعوب، بجانيها المعنوي والمادي، والتي يعتبر الانسان رأس مالها الأساس ولذلك فإن مكانة العلماء بين الناس لا تضاهيها مكانة، خاصة إذا اشتغل بالعلم والأدب والتدريس أهله وأخلصوا في ذلك، وتاريخ المسلمين مليء بالأسماء من صنف هؤلاء الذين تركوا آثارهم واضحة جلية، منهم الأئمة الثلاثة الأشعري ومالك والجنيد الذين أورثوا علومهم لكوكبة العلماء، وجهابذة العلم والدراية حتى يحافظوا بذلك على هوية الأمة والعالم الإسلامي في شقه الغربي.

المبحث الأول: الروابط والصلات العلمية

1- العلاقة بين الأشاعرة والمالكية والصوفية: كان العلماء رغم اختلاف المذاهب الفقهية الأربعة يأخذون من معين واحد خاصة ما تعلّق بالعبادة، والأخلاق ولم يمنعهم ذلك الاختلاف في فروع الفقه من الاجتماع والتواصل في باقي العلوم طلبا فيما بينهم.

وتجدر الإشارة إلى أن هذه الحضارة محلّ الدراسة في جانب العلوم ترتبط ارتباطا وثيقا بالدين الإسلامي، الموقّ فيها بين النظرية والتطبيق، والمنقولة صدرا عن صدر¹؛ فالمالكية كلّهم أشاعرة لا يُستثنى منهم أحد، والشافعية كلّهم أشاعرة لا يستثنى منهم أحد إلا من لحق بتجسيم أو اعتزال، والحنفية أكثرهم أشاعرة بمعنى يعتقدون اعتقاد الإمام الأشعري لا يخرج منهم إلا من لحق منهم بالمعتزلة، والحنابلة أكثر فضلاء متقدّميهم أشاعرة لم يخرج عن اعتقاد الأشعري إلا من لحق بأهل التجسيم - والمُجسِّمة هم المُشَبَّهة يثبتون لمعبودهم أعضاء كالإنسان -².

وحجّ القاضي أبو الوليد الباجي أريح حجج جاور فيها ثلاثة أعوام ملازما لأبي ذر عبد بن أحمد الهروي، وأبو ذرّ المذكور هو عبد بن أحمد بن محمّد بن عبد الله بن غفير الأنصاري المالكي،

¹ - Ahmed Djebar - une histoire de la science arabe - entretien avec jean rosmorduc - édition du seuil - mai 2001 - pp 59 - 60.

² - عبد الغني العنيمي الميداني - شرح العقيدة الطحاوية - تحقيق محمّد مطيع الحافظ ومحمّد رياض المالح - دار الفكر - دمشق - ط2 - 1412هـ/1992م - ص 43.

وروي عنه أنه تمذهب بمذهب الإمام مالك ورأي الأشعري، وكان زاهدا ورعا، عالما سخيا لا يدّخر شيئا، وكان الهروي قد تتلمذ على يد القاضي أبي بكر الباقلاني المالكي الأشعري¹.

وإبراهيم بن حسين بن خالد مرتيل يكتي "أبا اسحاق" وكان خيرا فقيها، مذكور في المالكية، عالم بالفقه، بصير بطرق الحجة، كان يناظر يحيى بن مزين ويحيى بن يحيى، كان صلبا في حكمه، عدلا. وله تأليف في تفسير القرآن، وحاجّ سحنونا في مسألة فقهية، وأعجب ابن لبابة ذلك، وكان يذهب إلى النظر وترك التقليد².

وبرز الفقهاء المالكية الأندلسيون في مختلف أنواع العلوم منها: علم الفقه، وحفظ المسائل، والرأي وغيرها من فنون العلم، وبذلك تكون المدرسة المالكية الأندلسية مدرسة جامعة موسوعية اشتهر أتباعها وتميّزوا بإتقانهم لعلوم شتى، يُذكر منهم عبد الملك بن حبيب صاحب التوايف الكثيرة والمختلفة مع كثرة الطلبة، أو كما قال ابن عبد البر: «كان جماعا للعلم، كثير الكتب...»³.

ومن الفقهاء الذين جمعوا فنون العلم في القرنين الثاني والثالث الهجريين/الثامن والتاسع الميلاديين حفص بن عبد السلام السلمي قال ابن الفرضي: «وكان حفص متفنا في العلوم بليغا حاذقا»⁴.

وعبد الله بن يحيى الحساب قال الحشني: «كانت له رحلة وعناية، وكان مشهورا في العلم والفضل، وتفنّن في العلوم، وبرع في كلّ صنف منها»⁵.

¹ - المقرئ - نفع الطيب - ج 2 صص 69 - 70.

² - ابن فرحون - الدياج - ص 140.

³ - مصطفى الهروس - المدرسة المالكية الأندلسية - وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب - 1418هـ/1997م - صص 326 - 327.

⁴ - المرجع نفسه - ص 327.

⁵ - المرجع نفسه - صص 327 - 328.

ومنهم عبد الله بن محمد بن إبراهيم، قال ابن الفريسي: «كان حافظاً للمسائل متقدماً فيها، كان مع بصره بالفقه بصيراً باللغة والشعر متفنناً في العلوم»¹.

وسعدون بن إسماعيل الجذامي قال عنه الخشني: «وكان كامل العلم في كل فن»².

ومنهم أيوب بن سليمان المعافري الذي كان يتكلم في كل باب من أبواب العلم³.

ومن أشهر شيوخ الإمام أبي الحسن القابسي الشيخ ابن زركون جمع بين الفقه والزهد، وصنّف العديد من المؤلفات في التشريع والتصوف، توفي سنة 370هـ/980م⁴، وكان أبو الحسن القابسي يثني على أبي الحسن الأشعري، وله رسالة في ذكره لمن سأله عن مذهبه فيه أثني عليه وأنصف، وأثنى عليه أبو محمد بن أبي زيد القيرواني، وغيره من أئمة المسلمين⁵.

وعليّ بن خلف المعافري المعروف بأبي الحسن القابسي، من كبار الفقهاء المحدثين، وهو أول من أدخل رواية صحيح البخاري إلى إفريقية، وله ملخص لكتاب الموطأ، ويعدّ من أوائل من أظهروا آراء أبي الحسن الأشعري ومذهبه في العقائد، ولقد سعى إلى سرد هذه الآراء في البلاد الإفريقية، وأيدها برسالة في مناصرة الأشعرية، وأمّا أصحابه وتلاميذه فيعدون بالآلاف من أفارقة ومغاربة وأندلسيين⁶.

وامتاز علماء المالكية بقوة التكوين العلمي والتربوي والسلوكي، في كل من الأندلس والمغرب وإفريقية، وساهموا في نشر الإسلام إلى أعماق القارة الإفريقية، معتمدين في ذلك على المذهب

¹ - مصطفى الهروس - المدرسة المالكية الأندلسية - ص 328.

² - المرجع نفسه - ص 328.

³ - المرجع نفسه - ص 328.

⁴ - أبو الحسن علي القابسي - الرسالة المفصلة - تحقيق أحمد خالد - الشركة التونسية للتوزيع - تونس - ط 1 - جانفي 1986 م - ص 10.

⁵ - ابن فرحون - المصدر السابق - ص 293.

⁶ - حسن حسني عبد الوهاب - الإمام المازري - ص 32.

المالكي والتصوّف المستندين إلى الكتاب والسنة¹. وقد ألف ابن أبي زيد والمالكية في الفقه على ثلاث شعب: العقيدة والأحكام والسلوك أي الأخلاق. وقد سار المالكية على هذا سلفهم وخلفهم². وكان أبو بكر الصديقي الصوفي السوسي من طلبة الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه، وكان يستفسر منه فيما يشكل عليه³.

وعلم الكلام يُطلق عليه اسم الفقه بإطلاق، ثم اختص به علم الفقه الأكبر كما أطلق عليه أبوحنيفة ثم علم التوحيد والصفات، فعلم الكلام، وعلم النظر والاستدلال، وأصول الدين⁴. وإذا نظرت في تراجم كبار العلماء وأبرزهم وجدتهم يجمعون بين الفقه وعلم العقيدة، والتصوف-أي الأخلاق- ويوصفون في كثير من المواضع بالفقه وبدقة النظر والاستدلال، والإحاطة بمختلف العلوم.

وكان أغلبية زهاد المغرب يجمعون بين المالكية والزهد في آن واحد، فعلى سبيل المثال كان علي بن زياد التونسي الذي يعد أول من أدخل موطأ الإمام مالك إلى بلاد المغرب مالكيًا وزاهدًا، وكان له كتاب في الزهد سمعه منه البهلول بن راشد فكان يسمعه سحنون بن سعيد وأقرانه من البهلول، وكان البهلول بن راشد زاهدًا، وكان عبد الملك بن أبي كريمة مالكيًا وزاهدًا، وكان عبد الرحيم بن عبد ربه الزاهد المستجاب مالكيًا، وكان يحيى بن عمر مالكيًا وزاهدًا يلبس جبّة من صوف⁵.

¹ - محمد عزّ الدين الغرياني - المذهب المالكي - جمعية الدعوة الإسلامية العالمية - طرابلس الغرب - 2010 م - صص 62 - 63.

² - يوسف بلمهدي - ارتباط تصنيف الفقه والعقيدة والسلوك وآثاره في المنظومة القانونية - رسالة المسجد - وزارة الشؤون الدينية والأوقاف - الجزائر - العدد 1 - جمادى الثانية 1424هـ/ أوت 2003 م - ص 16.

³ - المالكي - رياض النفوس - صص 130 - 131.

⁴ - حسام الألوسي - دراسات في الفكر الفلسفي الإسلامي - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت - ط 1 1400هـ/1980 م - ص 61.

⁵ - البيلي - الزهاد والمتصوّفة - ص 58.

وكان غير هؤلاء كثيرون ممن جمعوا بين المالكية والزهد، حتى كان الزهاد المرابطون في المنستير كلهم من المالكية أحيانا، وكان كبار المشايخ من الصوفية¹.

وكان الشيخ أبو القاسم عبد الخالق المعروف بالسيوري آخر طبقة من علماء إفريقية وخاتمة أئمة القرويين، أخذ عن أبي بكر بن عبد الرحمن وعلى أبي عمران الفاسي، وكانت له عناية بالحديث والقراءات وأخذها على أبي عبد الله بن أبي سفيان المقرئ، وقرأ النحو و علم الكلام وأصول الدين وأصول الفقه، وانتفع به خلق كثير منهم عبد الحميد المهدي وأبو الحسن اللخمي، وأخذ عنه قديما عبد الحق بن سعدون، وبعدهم حسان البربري².

وأبو القاسم الماهري، وكان من الحفاظ المعدودين والفقهاء المبرزين وكان يحفظ المدونة، وكان مع ذلك عاقلا معلوما بالدين والورع والفضل والزهد³، وقد لازم ابن النحوي الإمام أبا الحسن اللخمي شيخ الفقهاء بإفريقية في وقته، درس عنه خلالها الفقه المالكي وصحيح الإمام البخاري، ثم توجه إلى سجلماسة، وبقي بها مدة يدرّس الأصول والعقيدة، ثم إلى فاس حيث نشر علومه، ثم عاد إلى قلعة بني حماد وبها توفي سنة 513هـ/1119م، وقد كان ابن النحوي من الفقهاء النظار في المذهب المالكي، وله دراية واسعة بأصول الفقه وأصول الدين ودروسه فيها مشهورة بفاس وسجلماسة وقلعة بني حماد، قال عنه محمد بن حماد الصنهاجي: كان أبو الفضل ببلادنا المغربية كالغزالي في العراق علما وعملا، وكانت له عناية كبيرة بالتصوّف دراسةً وممارسةً⁴.

¹ - البيلي - المرجع السابق - ص 58.

² - أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الأسيدي الدبّاغ - معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان - أكمله وعلّق عليه أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى بن تاجي التنوخي - تحقيق وتعليق محمد ماضور - المكتبة العتيقة - تونس - مكتبة الخانجي - مصر - فيفري 1978م - ج 3 صص 181 - 183.

³ - المصدر نفسه - ج 3 صص 182 - 183.

⁴ - محمد المصلح - الإمام أبو الحسن اللخمي - ج 1 صص 149 - 151.

ومن المعروف أن علماء العرب كانوا يجمعون بين العلوم التي كان بينها ارتباط وثيق لديهم، والواقع أن قرطبة وحدها أنجبت عددا كبيرا من العلماء الموسوعيين الذين جمعوا العلوم في ثقافتهم ومعارفهم¹، وكان عبد الملك بن سليمان الأموي من أهل اشبيلية، يكنى أبا الوليد، ويعرف بـ"ابن القوطية"، متصرفا في العلوم، حافظا للآداب، وروايته للعلوم واسعة وشيوخه كثير²، وكان الشيخ الفقيه الأشعري أبو بكر بن العربي من دعاة التوفيق بين الأشعرية والمالكية والصفوية³. على أن أبا مدين شعيب كان متفننا في علوم الإسلام المختلفة العقلية والعقلية منها، حيث كان بفاس التي عرفت نهضة في العلوم الكلامية والفقهية، وتوجه إلى التصوّف الذي ساقه إليه شيخه أبو يعزى، فأصبح بذلك من أعيان المشايخ، وصدور المقرّبين، وعظماء العارفين، وأئمة المحقّقين⁴.

2- الصلة العلمية بين المشرق والمغرب: كان للمسلمين بإفريقية، شأنهم في ذلك شأن إخوانهم ببقية الأمصار، رحلة علمية قاموا بها سعيا وراء تحصيل العلوم الشرعية، واهتمت كتب التراجم بأولئك الذين أخذ عنهم الأفارقة الفقه، وقد تتلمذ الأفارقة في علم القراءات -الذي هو أشرف العلوم لتعلّقه بكتاب الله- على شيوخ من البصرة، دخل بعضهم إفريقية ومكثوا بها، على رأسهم يحيى بن سلام الذي كانت له مكانته في هذا العلم⁵.

وقصّد الأفارقة المشرق وسط القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي، وهي حقبة حافلة بأسماء القراء، مع اشتهاار قراءاتهم وهم القراء السبعة⁶، وكان بين الإمام مالك وتلامذته مراسلات في مسائل

¹ - خالد محمّد مبارك القاسمي - تاريخ الحضارة الإسلامية في الأندلس - دار الثقافة للنشر - القاهرة - ط 1 - 1429هـ/2008م - ص 76.

² - ابن بشكوال - الصلة - تحقيق إبراهيم الإياري - دار الكتاب المصري - القاهرة - دار الكتاب اللبناني - بيروت - ط 1 - 1410هـ/1989م - ج 2 صص 525 - 526.

³ - عصام سيسالم - جزر الأندلس - دار العلم للملايين - بيروت - ط 1 - 1984م - ص 518.

⁴ - محمّد الطاهر علاوي - أبو مدين شعيب - شركة دار الأئمة - الجزائر - تلمسان - 2011م - صص 60 - 61.

⁵ - هند شلبي - القراءات بإفريقية - الدار العربية للكتاب - بيروت - ط 1 - 1983م - صص 208 - 209.

⁶ - المرجع نفسه - ص 209.

مسائل مختلفة سيما منها الفقهية، واهتم المغاربة والأندلسيون بالمراسلة وتنوع الغايات منها¹. وقد وازب الشيخ القاضي عبد الله بن غانم على مراسلة الامام مالك، وبعث إليه مستفتيا، وكان شيخه الامام مالك يسأل الفقيه حاتم بن عثمان رسول ابن غانم عن رأي البهلول بن راشد، وعبد الله بن فروخ في هذه المسائل²، وكتب الامام عبد الرحمن بن القاسم من مصر إلى أبي سنان زيد بن سنان (ت244هـ/858م) كتابا بالقيروان³.

وأنجبت مكة المكرمة في ذلك العصر عددا كبيرا من الفقهاء والعلماء الذين لعبوا دورا كبيرا في تقدم الفكر والحضارة الاسلامية، منهم وكيع وابن عيينه والرواسي، وتعلمذ على أيديهم كبار فقهاء وقضاة المسلمين ومنهم يحيى الليثي وابن حبيب الأندلسي وابن زياد وابن فرات وابن قيس وسحنون وغيرهم⁴.

لقد كانت عناية أهل الأندلس بكتب الحديث عظيمة، حيث أقبلوا عليها سماعا لها من رواثها الذين جلبوها ورحلوا في طلب سماعها على رواثها الأوائل حفظا وضبطا وتقييدا. وعظمت تأليف أهل الأندلس في هذا العلم، فحظيت بالعناية من أهل العلم بالمشرق. ومن الذين رحلوا في طلب هذا العلم -صحيح مسلم تحديدا- يحيى بن محمد بن يوسف الأشعري القرطبي المعروف بابن الجياني، حيث نزل مصر وسمع من أبي العلاء بن ماهان، ومحمد بن الحذاء الذي رحل إلى المشرق وسمع من علماء مصر، وعبد الله الطويل الذي سمع بالمشرق من السجزي، وأحمد المعافري التاجر القرطبي، وسمع

¹ - علياء هاشم ذنون محمد مشهداني - فقهاء المالكية دراسة في علاقاتهم العلمية في الاندلس والمغرب - رسالة دكتوراه فلسفة في

التاريخ الاسلامي - كلية التربية جامعة الموصل - محرم 1424هـ/آذار 2003م - ص 17.

² - المرجع نفسه - ص 25.

³ - المرجع نفسه - ص 18.

⁴ - محمد زينهم محمد عزب - الإمام سحنون - ص 82.

بمصر من الحافظ الكناني وابن ماهان، وجلب ابن الأحمر كتاب سنن النسائي، وعنه انتشر بالأندلس، وكان كتاب سنن أبي داود من أول ما دخل الأندلس من كتب الحديث الشريف¹.

وكان من الوافدين إلى الأندلس الذين لقوا حفاوة كبيرة لنسبه القرشي قبيلة سيّدنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أبو عبد الرحمن أحمد بن يزيد القرشي المصري، من نسل عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، من فقهاء مصر نزل بقرطبة، واستقبله الخليفة عبد الرحمن الناصر بالحفاوة والإكرام سنة 343هـ/954م، وإثر استيلاء العبيديين على مصر لجأ عدد من علمائها إلى الأندلس منهم الفقيه المحدث إسماعيل بن عبد الرحمن المصري الذي استوطن إشبيلية، وذاع صيته هناك كأحد الفقهاء المالكية البارزين².

كما كان طلبة فاس يرحلون إلى المشرق في رحلات علمية حافلة يقضون فيها الأعوام الكثيرة من أجل نهل العلم ولقاء الشيوخ، فهذا محمد بن قاسم بن عبد الرحمن بن عبد الكريم التميمي الفاسي قد رحل إلى المشرق، ولقي هناك أكثر من مائة شيخ أخذ عنهم، وجمع في ذلك فهرست سماه "النجوم المشرقة في ذكر من أخذ عنه من كل ثبت وثقة"، وكان لهذه الهجرات العلمية أثرها في الحياة العلمية بتدريس أنواع العلوم³.

ورحلة ابن جبير من أهم الرحلات وأكثرها فائدة بين المشرق والمغرب، فقد درس ابن جبير الفقه والحديث بشاطبة، وذهب إلى غرناطة، ثم إلى سبتة ثم إلى الإسكندرية والقاهرة، ثم حجّ وفي طريق إيابه زار العراق ومدنّها، ورحل إلى الشام فزار حلب ودمشق، وركب البحر من عكّة إلى صقلية، ومن هناك إلى غرناطة، ورحل بعد ذلك رحلتين إلى المشرق وقد مُلئت رحلته بالفوائد فهو يذكر

¹ - محمد بن زين العابدين رستم - صحيح الإمام مسلم في الأندلس - جامعة القاضي عياض - كلية الآداب - المغرب - د.ت - صص 266 - 271.

² - كمال السيّد أبو مصطفى - دراسات في تاريخ وحضارة المغرب والأندلس - مركز الإسكندرية للكتاب - الإسكندرية - 1997م - صص 115 - 116.

³ - جمال أحمد طه - مدينة فاس - ص 270.

العلماء الذين رأهم ويصنفهم، وما إليهم من أصحاب المهن إضافة إلى وصف البلاد التي كان يمرّ بها¹.

ويعتبر القاضي أبو بكر بن العربي أول من وضع أسس الرحلات بالغرب الإسلامي فهو أول مغربي وصف رحلته إلى المشرق وصفا دقيقا تتبّع مراحلها، وذكر البلاد والمشاهد التي زارها؛ ودوّن الأحداث التاريخية التي عاشها، والحركات العلمية والحضارية التي شاهدها، ولم يقتصر على ذكر الشيوخ ورواياتهم كما فعل أصحاب البرامج والفهارس. وكتابه "ترتيب الرحلة للترغيب في الملة" طراز فريد نوّه به كثيرون. وقد تحدّث عن رحلته في ما استخلصه من كتابه "قانون التأويل" في أوراق سمّاها "شواهد الجلة والأعيان في مشاهد الإسلام والبلدان"².

وتعدّدت مقاصد الرحلة إلى المشرق، فجمعت بين الدين والعلم والتجارة؛ فمنهم من أقام هناك مثل أبي الخطاب بن دحية، وأخيه أبي عمر ومحيي الدين بن عربي نزيل دمشق، ومنهم من أقام ردحا من الزمان درس العلم للمشاركة، وأخذ عن العلماء، ثم رحل؛ فمحمد أبو جعفر الأنصاري رحل وحجّ وأقام بالاسكندرية حتى عام 572هـ/1176م، ثم رجع إلى موطنه بجاية، وكان طلبة الاسكندرية يتزاحمون عليه لسماع التيسير لأبي عمرو المقرئ، وكذا كان حال محمّد أبو بكر الأنصاري، واستقر بمصر أبو يحيى اليسع الجياني البننسي، وكان صلاح الدين الأيوبي يُقرّبه ويُكرّمه، ويُشَفِّعه في حوائج الناس، وقد ألّف كتابا سمّاه "المغرب في أخبار محاسن أهل المغرب"³.

ومن الذين رحلوا إلى المشرق من أهل اشبيلية الشيخ محمّد بن علي بن محمّد الطائي بن عربي الصوفي، شيخ الطريقة حالا وعلماء، وإمام التحقيق، حيث ذهب في رحلة الحجّ بعد أن أخذ العلم

¹ - القاسمي - أعلام التصوّف - ص 75.

² - سعيد أعراب - مع القاضي أبي بكر بن العربي - دار الغرب الإسلامي - بيروت - ط 1 - 1407هـ/1987م - صص 169 - 170.

³ - عزّ الدين عمر أحمد موسى - دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي - دار الشروق - بيروت - القاهرة - ط 1 - 1403هـ/1983م - صص 41 - 42.

عن مشيخة بلده، فسمع الحديث من أبي القاسم الخرستاني، وصحيح مسلم من ابن أبي نصر، وحدث بالإجازة عن أبي طاهر السلفي، وبرع في علم التصوّف¹.

وكان لكل من أهل المشرق والمغرب طريقته في التأليف، وقد سلك القاضي عياض في تنبيهاته مسلكا جمع فيه بين الطريقتين والمذهبين، وذلك لقوة عارضته، وانتهت صناعة التأليف في علماء المغرب، على صناعة أهل المشرق، لشيخ شيوخ العلماء في وقته، ابن البناء الأزدي المراكشي².

3- الصلات العلمية بين المغرب والأندلس: امتدت الصلات العلمية بين المركز المالكي الإفريقي وبين سائر المراكز المالكية الأخرى ببلاد المشرق وبلاد المغرب والأندلس، وذلك بواسطة اللقاء بين العلماء خلال الرحلات العلمية أو رحلات الحجّ التي لم تكن تتجرّد عن الغرض العلمي، وبواسطة المراسلات وتبادل الإجازات والكتب العلمية، وكذلك بانتقال بعض العلماء للاستقرار بمواطن أخرى من العالم الإسلامي الذي لم يمنع انقسام رقعته الكبيرة إلى دويلات صغيرة من الرحلات العلمية والتلاقح الفكري³.

كان العلماء في هذا العصر يتحلّون بكثير من الصفات الحقيقية للعلماء كحرية البحث والتسامح، وبذل الجهد والمال وتحمل المشاق الكثيرة، بما في ذلك السفر الطويل في سبيل العلم، ولو ترك الأمر للعلم وحده أو العلماء لكان الشأن غير الذي نعرفه في التاريخ، وتعتبر صقلية امتدادا ثقافيا لبلاد المغرب، كما كانت امتدادا سياسيا لها، وهي مع بلاد المغرب والأندلس تُكوّن جميعها وحدة ثقافية في التراث الثقافي العربي الإسلامي، ورغم أن الأندلس بلغت شوطا أبعد وأوسع مما بلغته صقلية

¹ - شهاب الدين أحمد ابن محمّد المقرئ التلمساني - أزهار الرياض في أخبار عياض - تحقيق مصطفى السقا وآخرون - مطبعة لجنة التأليف والنشر - القاهرة - 1361هـ/1942م - ج3 ص 54.

² - المصدر نفسه - ج3 صص 22 - 23.

³ - أبو محمّد عبد الله بن أبي زيد القيرواني - كتاب الجامع - تحقيق محمد أبو الاجفان وعثمان بطيخ - مؤسسة الرسالة - بيروت - المكتبة العتيقة - تونس - ط3 - 1403هـ/1983م - ص 20.

والمغرب في الثقافة والحضارة، إلا أن الصلات والتفاعل كانا كاملين بين هذه الأقاليم الثلاثة، ولهذا تُعدّ بلاد الأندلس وصقلية بلاداً مغربية التراث الثقافي¹.

ومن قَدِموا من الأندلس إلى فاس بعدوة الأندلسيين، ودَرَسوا بجامعةها، وأول خطيب به الفقيه الصالح علي بن محمود الصديقي، وكان الفقيه الصالح الولي الورع جبر الله بن القاسم الأندلسي من الملازمين لهذا الجامع، نزيل عدوة الأندلسيين بفاس، وهو ممن أدخل علم مالك إليها².

وكانت لعلماء الأندلس هجرات كثيرة إلى مدن المغرب، ومنها فاس، فلقوا الاستقرار والتكريم والترحيب من أهلها وولاية أمرها، هذا زيادة إلى الهجرات من مختلف المدن المجاورة طلباً للعلم، والتف طلباً العلم حول العلماء الأندلسيين يقتبسون من علومهم، ويأخذون بأدواتهم حتى نبغوا في العلوم والفنون، وكانت الرحلة في طلب العلم أمراً شائعاً في العصر الإسلامي، حيث كانت فكرة ضرورة الأخذ عن الشيخ مباشرة والجلوس إليه لها أهمية كبرى في التعليم في تلك الحقبة، فلم يكتف الطالب بقراءة مصنّفات العلماء فحسب، بل حرص على قراءتها وسماعها من الشيخ وصحبته، وكانوا يرجعون بهذه العلوم ويقومون بتدريسها. وكان كثير من علماء وقضاة فاس ممن تلقوا تعليمهم في مراكز العلم بالأندلس³.

وارتبطت الجزائر الشرقية⁴ بتاريخ الإسلام ارتباطاً وثيقاً، واستقر الحكم الإسلامي فيها مع البذور الأولى للحضارة الإسلامية من المجاهدين والمتطوعين، وكانت المؤثرات الحضارية تنتقل طيلة هذا

¹ - أبو القاسم محمد كزّو - عصر القيروان - دار طلاس - دمشق - ط2 - 1989م - صص 34 - 35.

² - علي الجزنائي - جنى زهرة الآس - صص 92 - 95.

³ - جمال أحمد طه - مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين - دار الوفاء لنديا الطباعة والنشر - الاسكندرية - 2001م -

ص 70.

⁴ - الجزائر الشرقية: تتكوّن من خمس جزر رئيسية هي: ميورقة و منورقة و يابسة وفرمنتيرة وقبريرة، وتقع هذه الجزر بين سواحل شرق الأندلس وجنوب بلاد الفرنجة و غرب بلاد الروم وجزر سردانية و قرسقة وصقلية والساحل الشمالي لبلاد المغرب، وأرضها خصبة وثرواتها كثيرة، أطلق اليونانيون ومن بعدهم الرومان إسم بليارس على هذه الجزر، وأطلق العرب على جزر البليار إسم الجزائر الشرقية. سيسالم - جزر الأندلس - صص 15-17.

العهد من بلاد الأندلس والمغرب والمشرق على يد العلماء والأدباء الذين كانوا يفتدون إليها باعتبارها معبرا بين الشرق والغرب، ورغبة في الاستقرار بهذه الجزر، وهربا من الفتن، وفي عهد المرابطين وبعد استرجاعها من الصليبيين في 509هـ/1117م عاد استمرار هذه المؤثرات الحضارية وازدهارها، وكانت للعلماء الوافدين من بلاد الأندلس والمغرب نصيب وافر في نشر الدين والمعرفة بين أهلها، هذا إضافة إلى تمسك أهل الجزائر الشرقية بالمذهب المالكي كبقية بلاد الأندلس والمغرب¹.

وكان من سمات العهد الموحدى ازدهار المعارف وتنوعها، فقد استوت الشخصية العلمية للغرب الإسلامي، بفضل تشجيع الخلفاء بما أجزلوا من عطاء لأهل الفكر والأدب، بالإضافة إلى التنافس بين العدوتين الأندلسية والمغربية، وقد أدى هذا إلى تدوين كثير من المؤلفات التي أثرت الحياة الفكرية والأدبية².

ومن الذين نزلوا بالمغرب من أهل قرطبة، قاضي الجماعة أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد الفقيه، من أهل الرياسة في العلم، نشر كتبه وتوايلفه، ومسائله وتصانيفه، وكان الناس يلجأون إليه³.

لقد جمع أكثر أهل العلم في الغرب الإسلامي بين فنون العلم، والتي يعدّ الفقه المالكي والعقيدة الأشعرية وعلم التصوف وتركية الأخلاق من أهم هذه العلوم المحصّلة، وقلّما نجد عالما لا يجمع بين هذه الفنون الثلاثة، وهذا راجع إلى أسباب عدة على رأسها حاجة الناس إليها، وهي على قدر كبير من الأهمية، هذه الأخيرة التي شعر بها العلماء ووقفوا على خطرها العظيم، يضاف إلى ذلك أنّها صدرت عن أساطين العلم والمعرفة والتحقيق، وتلقّبوا بألقاب كانوا أهلا لها من حُفاظ ومُبَرِّزين وأعلام.

¹ - عصام سالم سيسالم - جزر الأندلس - صص 363 - 368.

² - عزّ الدين عمر أحمد موسى - تنظيمات الموحدين ونظهم - الجامعة الأمريكية - بيروت - 1969م - صص 61 - 62.

³ - المقرئ - أزهار الرياض - ج3 صص 59 - 61.

المبحث الثاني: الحواضر والمراكز العلمية ببلاد الغرب الإسلامي: إهتم المسلمون منذ وطئت أقدامهم أرض الغرب الإسلامي بتعمير البلاد وإنشاء الحواضر و مواضع العلم و المعرفة، ولم يدّخروا جهدا في تثمين العطاء المعرفي والحفاظ عليه بصقل العلماء وتشبيد البناء.

1- أهم حواضر ومراكز بلاد المغرب:

القيروان: فهي البلد الأعظم، والمصر المخصوص بالشرف الأقدم، قاعدة الإسلام والمسلمين، ناهيك بأرض كانت منازل أصحاب نبينا صلى الله عليه وسلم، وقد كان الشيخ الصالح الفقيه أبو المهدي عيسى الصميلي بن مرزوق بعث إلى أصحابه بالقيروان بعدما جاور وحج وهو يقول: «مازلت أبحث في الآثار والأخبار، إلى أن وجدت أن القيروان رابعة الثلاثة: المدينة، ومكة، وبيت المقدس، والقيروان» فلم تزل بدعاء كبار الصحابة وطنا لعلماء المسلمين¹.

ودار عقبة بن نافع رضي الله عنه بالعساكر من التابعين والعباد حول مدينة القيروان وهو يدعو لها ويقول: «يارب املأها فقها وعلما، واعمرها بالمطيعين والعابدين، واجعلها عزّا لدينك، ودُلاً لمن كفر بك، وأعزّ بها الإسلام، وامنعها من جبابرة الأرض»². وكان أول شيء أختط منها سنة 50هـ/670م الجامع، وبها سبعة مساجد قديمة فاضلة منها ما يجمع الصلحاء والقرّاء وأهل الخير³.

وعندما نشطت حركة التأليف في العلوم المختلفة، امتلأت مكتبات القيروان بالمؤلفات، وكان لتأسيس بيت الحكمة⁴ دوره في الحياة العلمية إذ ضمّ مؤلفات العلماء القيروانيين، وتم شراء الكتب النفيسة من بغداد ودمشق والفسطاط من الأمير ابراهيم بن الأغلب الذي كلّف كبار العلماء بتصحيح المخطوطات وتفسيرها، وكانت مكتبة بيت الحكمة تفتح أبوابها للدارسين والمطالعين

¹ - الدبّاغ - معالم الإيمان - ج1 صص 6 - 7.

² - الرقيق القيرواني - تاريخ إفريقية والمغرب - ص 41.

³ - الدبّاغ - المصدر السابق - ج1 صص 10 - 27.

⁴ - بيت الحكمة: مكتبة كبيرة أسّسها إبراهيم بن الأغلب. كانت تحوي مجموعة ضخمة من الكتب المؤلفة والمترجمة في كل فنون العلم. وهي مكان للدرس والنسخ ومقابلة الكتب على أصولها. محمد محمد زيتون - القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية - دار المنار - القاهرة - ط1 - 1408هـ/1988م - ص 410.

والناسخين، ومما ساعد على كثرة الكتب ما كان يتّسم به المرابطون بالثغور من نسخ للكتب بالجان. وأمدت الترجمة مكتبة القيروان بعلوم السابقين من تاريخ وجغرافيا وطبّ ونبات¹.

ويعتبر عهد المهالبة عهد استقرار بإفريقية خاصة زمن يزيد بن حاتم المهلبي، الذي اهتم بالبناء والعمارة فبنى المسجد الأعظم بالقيروان، واحتفى بالفقهاء والعلماء والشعراء منهم عبد الرحمن بن زياد والبهلول بن راشد وسحنون وغيرهم².

لما فتح المسلمون إفريقية كانوا ينزلون بإزاء صومعة، ويتأنسون براهب هناك، وأن العرب كانوا يسمعون أصوات الرهبان طول الليل في صوامعهم فيتأنسون بهم فقالوا هذه البقعة تونس، وقال ابن الشباط وجدوا زيتونة منفردة في موضع المسجد فقالوا هذه تونس وسمّى المسجد بجامع الزيتونة. وسبق الشرف لتلك البقعة بحيث صلّى بها الصدر الأول من المسلمين والفضلاء من المتأخرين، فكانت موضع الخراب واتخذوا هناك مصلاهم، وأمّ الناس فيها عدة أعلام ونجباء وكرام، والدعاء بها مستجاب³، قال محمد بن أحمد بن تميم: كانت تونس عامرة بأهل العلم والفضل ممن أحصيتهم⁴.

بجاية: المدينة المشهورة بالمغرب الأوسط على الساحل، اختطّها سنة 460هـ/1067م الناصر بن علناس أشهر ملوك الدولة الحمادية وأعظمهم شأنًا، ثم اتخذها عاصمة ملكه وسمّاها الناصرية باسمه. بلغت بجاية في عهد الحماديين درجة كبيرة من العمران، وأمّها الكثير من علماء مصر والشام والأندلس إذ انتعشت الثقافة وازدهر العلم، حتى قيل إن عدد المفتين فيها بلغ تسعين مفتيا في زمن واحد، وفي عهد الموحدين أصبحت معقلا للحركة العقلية يقصدها طلبة العلم والمعرفة من

¹ - محمد بن محمد زيتون - القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية - صص 409 - 410.

² - الخشني - طبقات علماء إفريقية - تحقيق محمد زينهم محمد عزب - مكتبة مدبولي - القاهرة - ط 1 - 1413هـ/1993م - ص 7.

³ - محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني ابن أبي دينار - المؤنس في أخبار إفريقية وتونس - مطبعة الدولة التونسية - تونس - ط 1 - 1286هـ - صص 8 - 9.

⁴ - الخشني - المصدر السابق - ص 93.

مختلف المدن والقرى، والعلماء والمسلمون من بلاد الأندلس غرباً إلى أصفهان في بلاد العجم شرقاً، من المشاهير مدرسي العلوم، ومن أهل الفتوى والقضاء الأندلسيين والإفريقيين، كعبد الحق الإشبيلي وابن سيد الناس اليعمري وأحمد بن خالد المالقي وغيرهم¹.

تلمسان: لما بايع أهل تلمسان إدريس بن عبد الله سنة 173هـ/789م دخلها صلحاً وأمن أهلها وبني مسجدها وأتقنه²، وعرفت تلمسان وأحوازها حركة علمية واسعة على غرار المغرب الأوسط عموماً عن طريق من كان بها من العلماء والأولياء، وما كان لها من العلاقات الثقافية بالأقطار المغاربية الأخرى³.

فاس: ابتدأ إدريس بن إدريس بن عبد الله بناء مدينة فاس سنة 191هـ/807م التي كثرت العمارات بها ومنها المساجد، حيث بنى إدريس بن إدريس مسجد الشرفاء، ثم بنى الأندلسيون الذين أجلاهم الحكم بن هشام مساجد كثيرة في عدوة الأندلسيين، وبلغت مدينة فاس أيام المرابطين وأيام الموحيدين مبلغاً عظيماً في العمارة فكان عدد مساجدها سبعمائة واثنين وثمانين مسجداً⁴. وانتشرت الكتابات التي كانت قائمة على تعليم الصغار بمدينة فاس، وكذلك المدرسة النظامية، ومدارس اختلف إليها الطلبة لتلقي العلم⁵.

ومن أشهر مساجد فاس التي قامت بدورها كمعهد للتعليم جامع القرويين الذي وضع حجر أساسه عام 245هـ/859م ليكون دار فقه وعلم، وإثر اجتماع العلماء والفقهاء استقر الرأي أن يُعهد للقاضي محمد بن داود بأمر إصلاحه وتوسعته في عام 528هـ/1132م، واقتفى أثره الفقيه

¹ - أحمد بن أحمد بن عبد الله أبو العباس الغبريني - عنوان الدراية في من عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية - تحقيق عادل نويهض - دار الآفاق الجديدة - بيروت - ط2 - 1979م - ص 8.

² - ابن أبي زرع الفاسي - الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس - صور للطباعة والوراقة - الرباط - 1972م - ص 21.

³ - ابن مريم - البستان - صص 3 - 4.

⁴ - ابن أبي زرع الفاسي - الأنيس المطرب - صص 30 - 46 - 47.

⁵ - أحمد طه - مدينة فاس - صص 275 - 276.

عبد الحق بن معيشة وأبو محمد يشكر، ولم تنقطع بها لدراسة رغم أعمال التوسعة والإصلاح، وظلت القرويين مركزاً للإشعاع العلمي، يقصد لطلب العلم من جهات عدة¹.

وكان محمد بن عبد الله الفهري القروي ممن قدموا فاس من القرويين، حيث ترك بنتين تحصل لهما بالميراث مال طيب، قال الجزنائي: «فشرعت فاطمة في بناء جامع عدوة القرويين، ومريم في بناء جامع الأندلسيين»².

وأقدم من درس بالقرويين محمد بن جراح الأنصاري، ودرس أحمد بن أحمد بن عبيدة القرطبي علم الحديث، وكان الإقراء لابن نموي الفاسي، وكان جامع الأندلس من المساجد المعروفة بحلق العلم يرأسها جلة من أهل العلم في العديد من الفنون منهم الشيخ الفقيه أبو الفضل يوسف بن محمد، وكان يُقَرَأُ بمسجده أبو الحسن علي بن أحمد الكتاني المعروف بابن حنين، وكان أبو بكر عثمان بن مالك من شيوخ أبي الحسن بن حزرهم يُدرّس بمسجد زقاق الماء، ومسجد طريانة الذي نزل به المهدي بن تومرت، وتلقى به الشيخ أبو مدين شعيب تعاليم الدين³.

وجامع الأندلس بقي على ما بني عليه أولاً إلى سنة 600هـ/1203م فأمر أمير المؤمنين محمد الناصر ببنائه وإصلاحه⁴.

سببته: افتتحها الناصر لدين الله سنة 319هـ/931م لها مكان رفيع بين الحواضر الإسلامية وحظّ وفير في نشر الإسلام، بأعلام بارزين في العلم والأدب والسراوة⁵ والسياسة والحكم والرياسة كالشريف الإدريسي صاحب "الجغرافية"، والقاضي عياض مؤلف "الشفاء"، والشريف السبتي شارح

¹ - أحمد طه - المرجع السابق - صص 273 - 274.

² - الجزنائي - جنى زهرة الآس - ص 45.

³ - أحمد طه - مدينة فاس - صص 274 - 275.

⁴ - ابن أبي زرع - الأنيس المطرب - ص 76.

⁵ - السراوة: السرو المروءة والشرف - قال الجوهري: السرو: سخاء في مروءة. ابن منظور - لسان العرب - مج 3 - ج 23 ص 2001.

"مقصورة حازم"، وعبد المهيمن الحضرمي صاحب "القلم الأعلا"، ومحمد بن رشيد الرحالة الشهير، ومالك بن المرحل الشاعر الفحل، وآل العزفي أولي السراوة والنيل¹، وهذا ينبئ عما وصلت إليه من العلم والعرفان، وأعظم مساجدها المسجد الجامع العتيق، وبها من الخزائن اثنان وستون خزانة أكبرها خزانة بني العجوز الذي رحل إلى عبد الله بن أبي زيد القيرواني وأخذ عنه جميع تواليفه، وتوزعت هذه الخزانات بين المساجد والمدارس، وشيئت بالمدينة الرُّبَط والزوايا فبلغت سبعا وأربعين ما بين زاوية ورابطة، أضخمها بناء وأعظمها رابطة الصيد، وأكبر الزوايا الزاوية الكبرى التي ابتناها السلطان أبو عنان بن أبي الحسن².

سلا: افتتحها عقبة بن نافع الفهري سنة 26هـ/646م، وعرفت هذه الحاضرة المنشآت الدينية، ويعتبر جامع الشعبة من أقدم مساجد سلا بناه أمير المسلمين يوسف بن تاشفين، وبمحاذاتها توجد مدينة شالة التي يوجد بها أقدم مسجد بناحية سلا التي عرفت الرُّبَط والزوايا كرباط الفتح الذي نزل به الشيخ ابن عاشر، وزاوية السلطان أبي الحسن المريني، وزاوية النَّسَاك، وزاوية أبي زكريا الحاحي، وزاوية الياابوري نسبة إلى الفقيه أبي عبد الله الياابوري، واهتم الموحدون ببناء المدارس ومنها مدرسة المسجد الأعظم، ومدرسة المهديّة، والمدرسة العظمى، والمدرسة العجيبة³.

2- أهم المراكز العلمية ببلاد الأندلس وجزائر البحر

قرطبة: كانت قرطبة منذ استفتحت الجزيرة سنة 92هـ/711م منتهى الغاية، ومركز الرّاية، وأمّ القرى، وقرارة أهل الفضل والتقوى، ووطن أولي العلم والنّهى، وقلب الإقليم، وينبوع مُتَفَجَّر العلوم،

¹ - نَيْل: نَلْتُ الشيء نَيْلاً ونالاً و نالاً وَأَنْلَيْتُهُ إِياه وَأَنْلَيْتُهُ له و نَلَيْتُهُ - قال ابن الاعرابي: نَلَيْتُهُ معروفًا. ابن منظور - لسان العرب - مج6 - ج51 صص 4593 - 4594.

² - محمد بن القاسم الانصاري السبتي - اختصار الأخبار عمّا كان بثغر سبتة من سنّي الآثار - تحقيق عبد الوهاب بن منصور - وزارة الثقافة والتعليم - الرباط - ط2 - 1403هـ/1983م - صص 5 27 - 32 61 - 62

³ - حمدي عبد المنعم محمد حسين - مدينة سلا في العصر الإسلامي - مؤسسة شباب الجامعة - الإسكندرية - 1993 م - صص 4 66 - 80.

وقبة الإسلام، وبها نشأت التأليف الرائقة، والتصانيف الفائقة، وسبب ذلك أن أهل قرطبة، لم يشتمل أفقهم قط إلا على أهل البحث والطلب لأنواع العلم والأدب¹.

وقد نهضت مدارس الأندلس في عهد المرابطين ومن أهم هذه المدارس قرطبة وإشبيلية ومرسية وبلنسية وألمرية ودانية وطرطوشة وشاطبة وسرقسطة وغرناطة وبطليوس وشلب وغيرها، وأقام الموحدون صرح مدارسهم وثقافتهم على الأسس التي بثها المرابطون².

وأشهرها قرطبة وبها الجامع المشهور، قال الحجاري: «كانت قرطبة قبة الإسلام، ومجتمع أعلام الأنام، وإليها الرحلة في الرواية إذ كانت مركز الكرماء، ومعدن العلماء، وهي من الأندلس بمنزلة الرأس من الجسد»³.

وعلاوة على كونها مركزا مهما للعلوم الفقهية فقد تكوّنت فيها مدرسة صوفية سنّية كان على رأسها أبو الحسن بن غالب شيخ الصوفية في وقته، واشتهرت قرطبة بأنها أكثر مدن الأندلس اهتماما باقتناء الكتب وقراءتها وامتلاك المكتبات التي يُنفق فيها المال الكثير. قال ابن سعيد: «وهي أكثر بلاد الأندلس كتباً، وأشد الناس اعتناءً بجزائن الكتب»⁴.

غرناطة: ويقال إغرناطة، من أعظم مدن الأندلس وكان لها من الشهرة والعمارة، ولأهلها من الثروة والعدة، وبها من الفقهاء والعلماء، ما هو مشهور، بنى الأمير محمد بن عبد الرحمن بن الحكم مسجدها الجامع سنة 250هـ/864م، وأوّل من مدّن غرناطة وبنّاها وزادها تشييدا واتّصل ملكه بها الحاجب المنصور أبو مثنى زاوي بن زيري بن مناد الصنهاجي سنة 403هـ/1012م فما بعدها،

¹ - أبو الحسن علي بن بسام الشنتري - الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة - تحقيق إحسان عباس - دار الثقافة - بيروت - 1417هـ/1997م - مج 1 ص 33.

² - عصمت عبد اللطيف دندش - الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين - دار الغرب الإسلامي - بيروت - ط 1 - 1408هـ/1988م - ص 381.

³ - المقرّي - نفع الطيب - ج 1 ص 153.

⁴ - دندش - الأندلس - ص 382.

وكانت غرناطة حاضرة الأندلس وقطبها ودار الملوك والأمراء والأعيان والكبراء والفضلاء والعلماء والقضاة والمقربين والفقهاء والمحدثين والطلبة النجباء والصوفية¹.

مالقة: فتحتها جيوش طارق سنة 92هـ/711م²، تعدّ من الحواضر التي كان لها دور في بناء الحضارة والثقافة في دولة الإسلام بالأندلس، المعروف من تراجم رجالها ما كان بها من ممارسة العلم تحصيلاً وتدريساً وتأليفاً، وتعكس آدابهم وسلوكهم ومواقفهم صورة بيئة الأندلس في حواضرها ومجالس علمائها، وما كان يجري في ساحات الدرس بين الأساتذة والطلبة³.

ولم تقتصر النهضة العلمية بالأندلس على الرجال دون النساء، بل كان للمرأة المكانة المرموقة في كثير من العلوم، حتى قيل أن عددهن بلغ ثمان وستين امرأة من أعلام النساء، ففي الرض الشرقي من مدينة قرطبة مائة وسبعون امرأة تنسخ المصاحف بالخط الكوفي، ومن سمات المكتبات بالأندلس أن أكثرها مكتبات الخاصة التي أنشأها الأفراد على اختلاف مستوياتهم⁴.

واتّسمت الأندلس أيام الطوائف بمستوى علمي رفيع، وانتشر العلم بها، مع حظّ كبير من التعليم والعلم والمعرفة بكل الأوجه (الدرس والتدريس والتعلم والتأليف) حتى صارت مركزاً كبيراً للكتب، وكان الخلفاء والأمراء يفتخرون بذلك كيف لا! والعلم شرط لمركزهم، وكان منهم الكثير في مصاف العلماء الكبار في كل الفنون؛ فكان هذا العهد امتداداً للعهود الماضية في الأندلس، الذي وضع أصوله رجال العلم⁵.

¹ - لسان الدّين بن الخطيب - الإحاطة في أخبار غرناطة - تحقيق محمّد عبد الله عنان - مكتبة الخانجي - القاهرة - ط2 - 1393هـ/1973م - مج1 صص 87 - 140 - 513 - 514.

² - محمّد أبو الحسن علي بن محمّد بن الأثير - الكامل في التاريخ - راجعه وصحّحه محمّد يوسف الدقاق - دار الكتب العلمية - بيروت - ط4 - 1424هـ/2002م - ج4 ص 269.

³ - أبو عبد الله بن عسكر وأبي بكر بن خميس - أعلام مالقة - تحقيق عبد الله المرابط الترغي - دار الأمان - الرباط - دار الغرب - بيروت - ط1 - 1420هـ/1999م - ص 7.

⁴ - حامد الشافعي - الكتب والمكتبات في الأندلس - دار قباء - القاهرة - ط1 - 1998م - صص 32 - 33 - 97.

⁵ - عبد الرّحمن علي الحجّي - التاريخ الأندلسي - دار القلم - دمشق - بيروت - ط2 - 1402هـ/1981م - ص 411.

يضاف إلى ذلك الإنتاج العلمي الغزير والزاخر بالمؤلفات الأمّيات والأصول الضخمة في مختلف العلوم، وكانت قواعد الأندلس وحواضره مركزا للعلم والمعرفة فقرطبة واشبيلية والمرية وطليطلة وبطليوس وبلنسية وغيرها حصون علم ضمت العلماء والمعاهد، كما كانت هي وعموم مدن الأندلس مليئة بالمكتبات الخاصة والعامة، وكان للعديد من الأمراء مكتبات ضخمة، وعنايتهم بها كبيرة¹.

الجزائر الشرقية: فتحها عبد الله بن موسى بن نصير سنة 89هـ/708م، وارتبطت بتاريخ الإسلام ارتباطا وثيقا منذ فتحها إلى استقرار الحكم الإسلامي بها، حيث قام القائد البحري عصام الخولاني مع أهلها والوافدين من الأندلس بتعميرها ونشر الإسلام فيها، وبناء الجوامع مع مدينة إسلامية على ساحل جزيرة ميورقة اتخذها عاصمة للجزائر الشرقية وكبرى مراكزها العلمية، وظهر عدد كبير من العلماء من أصلاء أهلها في عهدها المتعاقبة، كما وفد إليها العلماء باعتبارها معبرا بين الشرق والغرب².

وعرفت هذه الجزر نهضة علمية شارك فيها بالإضافة إلى وُلائها القضاة والقادة وعلى رأسهم العالم الأديب جعفر بن عثمان المصحفي عاملها وقائدها ثلاثين عاما، وساهم قضائهما في نشر العلم والمعرفة بين أهل هذه الجزر من هؤلاء نافع بن رحيق المتوفى سنة 325هـ/936م، وأحمد بن رحيق توفي 333هـ/944م، وازدهر العلم في عهد مجاهد العامري وابنه "علي إقبال"³.

وفي عهد عبد الله المرابطي ومبشر بن سليمان نصير العلماء والأدباء، ومن أسهموا في نشر العلم بها عريف مولى ليث بن فضل من أهل لورقة شرق الأندلس، وكبار فقهاءها، وعبد الله العطيير من أهل بجانه، ومن كبار علماء الحديث بها، وظل العلماء طوال عهود الجزائر الشرقية الإسلامية يتوافدون عليها يُعلّمون الناس حتى أصبح معظمهم من المسلمين في عهد الخلافة بالأندلس⁴.

¹ - علي الحجي - التاريخ الأندلسي - صص 412 - 415.

² - سيسالم - جزر الأندلس - صص 53 - 463 - 464.

³ - المرجع نفسه - ص 464.

⁴ - المرجع نفسه - صص 464 - 466.

صِقْلِيَّة: جزيرة كبيرة: وصقلية اسم لإحدى مدنها فنسبت الجزيرة كلها إليها فتحها أسد بن الفرات بن سنان القاضي سنة 212هـ/827م في أيام زيادة الله بن ابراهيم بن الأغلب، ذكر ابن الفرضي من أهلها عباس بن عمرو بن هارون الكناني الوراق، وكان حليما عالما بالكلام بصيرا بالردّ على أصحاب المذاهب. وجزر الأندلس أكثر من أن تعدّ وتحصى منها ميورقة وجزيرة يابسة، وأيضا جزيرة شقر التي كان بها أعيان¹.

ولم تأت نهاية القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي حتى كان في الأندلس على مختلف وفي شتى فروع العلم أقطاب وشخصيات علمية، وصلت إلى أعلى مستويات النضوج والتبحر في العلوم بشكل يُمكن من القول أن رجال العلم بالأندلس نبغوا على غرار أقرانهم في أصقاع أخرى².

وتجدر الإشارة إلى أن هذه المراكز العلمية بما احتوته من مساجد ومدارس وزوايا ومعاهد، إنما أخذت شهرتها وتأثيرها من العلماء الأجلاء الذين كانوا رمزا لهذه الحواضر العلمية إما مستقرين في حاضرة معينة، أو منتقلين من مصر إلى آخر، فكانت البلاد تُعرف بالعالم وليس العكس، ويمكن تفسير هذا الزخم في العمارة العلمية إلى شغف أهل الغرب الإسلامي على غرار المشرق طبعاً، بإيجاد الأماكن المخصّصة لسماح العلم وتعليمه، والوعي برسالة العلماء، ساعد في ذلك جمع الكثير ممن تولى الحكم بين الإمارة والدراية.

3- أبرز العلوم المدرّسة من المالكية والأشاعرة والصفوية

وأهم العلوم المدرسة في الأمصار الإسلامية الشريعة، والحديث، والتصوف³، وكانت القيروان مقصدا لطلاب العلم في عديد العلوم، منها علوم الشريعة كالفقه والحديث، والقراءات، والسنن

¹ - أبو محمّد الرشاطي وابن الخراط الإشبيلي - الأندلس في اقتباس الأنوار وفي اختصار اقتباس الأنوار - تقديم لويس إيميليو مولينا وخائنتو بوشك بيلا - المجلس الأعلى للأبحاث العلمية - مدريد - 1990م - صص 134 - 171 - 172 .

² - علي أحمد - الأندلسيون والمغاربية في بلاد الشام - دار طلاس - دمشق - ط 1 - 1989م - ص 71.

³ - Ahmed Djebar - op.cit - p 67.

والآثار، وفقه الاختلاف، والتصوف، وكذلك علوم اللغة والأدب وعلم العقائد وعلم التاريخ¹، وكان العلم شائعاً بين الرجال والنساء، منهن خديجة بنت سحنون، ومهريّة بنت الحسن بن غليون، ومن العلماء الذين تركوا أثراً وصدى قويا في حياة المسلمين وعلومهم أسد بن الفرات والإمام سحنون وابنه محمّد وأبو محمّد عبد الله بن أبي زيد القيرواني الملقب بـ "مالك الصغير" لكثرة علمه وفقهه، وعلي بن محمّد القابسي صاحب الآراء القيّمة في التربية²، وأبو الطيّب عبد المنعم الكندي، من أجلاء الفقهاء وأصحاب النظر في علوم الحساب والهندسة، وبه تفقّه جماعة منهم أبو الحسن اللّخمي، وعبد الحميد الصائغ وغيرهما³.

وعلى رأس العلوم التي تدرّس بفاس علم القراءات الذي كان يتولّاه كبار المحفّظين المتحقّقين، ومن أشهرهم محمّد بن قرقاشش من أهل طليطلة، ومحمّد بن محمّد اللّخمي من أهل اشبيلية، وعلي بن عبد العزيز من أهل بسطة، ومن الذين نبغوا في هذا العلم من أهل فاس قاسم بن محمد الزقاق الأموي، ومحمد بن يوسف الأنصاري، ومن أهمّ الكتب المعتمدة في هذا العلم كتاب محمّد بن عبد الله اللّخمي: "الإيماء في مذاهب السبعة القراء"، وكتاب "تبيين المعاني"، وكتاب "الإشارة في قراءة الأئمة السبعة المختارة"، وأيضا: "الشمس المنيرة في القراءات السبع الشهيرة"، ونتيجة لذلك برع مجوّدون في القرآن الكريم منهم قاسم بن الحاج محمّد الأموي المتوفى سنة 505هـ/1111م، وأحمد بن محمّد القرشي⁴.

وعلم التفسير من العلوم التي اهتم بها المرابطون والموحّدون، فاستدعوا المفسرين من الأندلس ليتعاونوا مع أقرانهم من المغاربة في تفسير آي القرآن الكريم، ومن القائمين على هذا العلم وتدرّسه أحمد بن عبد الصمد الأنصاري الخزرجي صاحب "نفس الصباح في غريب القرآن وناسخه

¹ - محمّد زيتون - القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية - صص 456 - 461.

² - محمّد كرو - عصر القيروان - صص 34 - 43.

³ - حسن حسني عبد الوهاب - الإمام المازري - ص 33.

⁴ - أحمد طه - مدينة فاس - صص 278 - 280.

ومنسوخه"، وعلي بن محمد الحاتمي الآخذ عن علي بن حرزهم، وله في التفسير "الجمل والتفصيل في معاني التنزيل"¹.

وعلم الحديث الذي أنيط به علماء المالكية لإحاطتهم بالفروع ومن المحدثين بفاس محمد بن علي الأنصاري بن الصقيل، ويوسف بن عبد العزيز بن عديس الأنصاري، ومحمد بن عمر الكاتب، ومحمد بن عبد الله الحسيني الشريف، وأشهر الكتب في هذا العلم "آفاق الشمس وأعلاق النفوس"، و"مقامع الصلبان ومرتع أهل الإيمان" من تأليف أحمد بن عبد الصمد الأنصاري الخرزجي، وكتاب "المطالع على الصحيح"، و"المفهم على صحيح مسلم" لأحمد بن إبراهيم الأنصاري القرطبي².

وفقهاء الأندلس المالكية هم أول من كتب في السيرة النبوية، والتي من دوافع الكتابة فيها الحرص على المعرفة الفقهية، ومن أهم المحاور التي درات حولها المؤلفات الأندلسية المبكرة، المذهب المالكي: يتناول كتاب الموطأ، وأشهر التأليف "التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد" لابن عبد البرّ القرطبي (ت 463هـ / 1070م) وهو موسوعة حديثة، مع الإفاضة في جميع العلوم المتصلة بموضوع الكتاب كالفقه والقراءات واللغة والتاريخ³.

وعلم الفقه وأصوله من أعظم العلوم الشرعية وأجلها قدرا، والشيخ العمدة في ذلك الإمام مالك، وتلامذته من بعده، فكان الفقه المالكي يُدرّس بالقرويين وبمساجد فاس الأخرى، ومن العلوم أيضا علوم اللغة أو علوم اللسان العربي، وهي ضرورية لمن أراد علم الشريعة، ومن المدرسين لهذا العلم محمد بن أغلب بن موسى المرسي، وإمام اللغة محمد بن حكم السرقسطي، وأبرز العلماء في هذا الفن وله حظ في قرص الشعر أحمد بن عبد الجليل التدميري صاحب "التوطئة في اللغة العربية"، ومصعب

¹ - أحمد طه - مدينة فاس - صص 279 - 280.

² - المرجع نفسه - صص 280 - 282.

³ - علي زيان - المعرفة التاريخية في الأندلس - رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط - اشراف - علاوة عمارة - جامعة منتوري قسنطينة - كلية العلوم الاجتماعية والانسانية - 1432هـ/2011م - ص 52.

بن محمد الحشني، ويتشكّل اللسان العربي من أربعة أركان هي: علوم اللغة، والتّحو، والبيان، والأدب¹.

وعلم الكلام الذي كان يستخدم لإثبات العقائد والردّ على المبتدعين والمنحرفين، ومن أبرز المدرّسين له أبو عمر عثمان السلاجبي، ومحمد بن عبد الكريم الفندلاوي الذي درّسه طوال حياته، وتبحّر في هذا العلم علي بن محمد الخزرجي الفاسي ابن الحصار صاحب "البيان في تنقيح البرهان"، ودرس علماء فاس التوحيد والعقائد على مذهب الأشعري، فنظّموا وشرحوا كثيرا في هذا الميدان².

يضاف إلى هذه العلوم علم التراجم والتاريخ ومن المؤلفات "اللمعة في ذكر أزواج النبي صلّى الله عليه وسلّم وأولاده السبعة" من تصنيف أبي عبد الله محمد التميمي، ومن اعتنى بالتاريخ والقيام عليه بمدينة فاس عبد الرحمن بن محمد الصقر الأنصاري من مصنفاته: "مختصر السير والمغازي"، ويضاف إلى التراجم البرامج والفهارس التي ظهر منها الكثير بفاس كبرنامج ابن الملجوم، وابن القطان الفاسي، ومن علوم الشريعة علم التصوّف الذي كان له بفاس أقطاب كانوا يُلقَّبون هذا العلم بهذه المدينة منهم أبو يعزى والإيلاني وابن حرازم وابن حرزهم وأبو مدين شعيب ومحيي الدين بن عربي³.

انتشرت في عهد الموحّدين الجماع العلمية كالربط والزوايا والمساجد والمدارس، وكثرت دور العلم والمعرفة في أغلب المدن المغربية والأندلسية، وأنجبت كل حاضرة رجالها وفطاحل الفقهاء والأدباء والشعراء والمفكرين، وتعدّدت المراكز العلمية والثقافية في المغرب الإسلامي والمغرب الأوسط منه، أبرزها بجاية وتلمسان والقلعة وقسنطينة ووهران ووركلا، وجزائر بني مزغنة لاحقا⁴.

¹ - أحمد طه - مدينة فاس - صص 282 - 285.

² - المرجع نفسه - صص 293 - 294.

³ - المرجع نفسه - صص 294 - 298.

⁴ - علي عشي - المغرب الأوسط في عهد الموحّدين - رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط غير منشورة - كلية العلوم الاجتماعية والانسانية والاسلامية - جامعة الحاج لخضر باتنة - 1434هـ/2012م - صص 63 - 64.

وفي عصر الموحدين ظهر الاهتمام بعلوم القرآن ورواية الحديث وأصول الفقه والكلام واللغة العربية وآدابها من شعر ونثر، وبلغ المغرب الإسلامي في علوم التاريخ والجغرافيا والرحلات والتصوّف والطب مبلغا وشأنا عظيمًا وهذا بفضل العلماء رجالا ونساء المنتمين إلى هذه الحقبة¹.

وعرف المغرب الأوسط حراكًا علميًا سببه العلم والدين، إضافة إلى التجارة، حيث نادرا ما تجد مدرسة أو زاوية أو رباطا يخلو من كتاب العقائد. كما نشط تدريس العلوم الدينية كالفقه والحديث وعلم الكلام، والعلوم اللغوية والتصوف والطب². ومن العلوم والفنون التي كانت تُدرّس في مركز بجاية الحضاري، بمدارسها ومعاهدها، ومساجدها الجامعة، وزواياها الصوفية العريقة علوم الشريعة، والأدب، وعلم التوحيد والمنطق، وعلوم الحكمة، واللغة، وعلم الحديث، والرواية والسند، والتصوّف. ومن أبرز الأعلام المدرّسين بها: الفقيه الفضل بن سلمة البجائي، والرحالة المقرئ أبو القاسم يوسف البسكري، والفقيه ابن الرمامة، والفقيه المحدّث أبو عبد الملك مروان البوني، والحجة الحافظ أبو عمران الأشيري، وأبو مدين شعيب القطب الصوفي، والفقيه المقرئ أبو محمد عبد السلام الزواوي، والأديب المؤرخ محمّد بن حمد الصنهاجي، والعلامة أحمد الغبريني³.

وظهر بالغرب الإسلامي جمهرة من كبار أعلام المحدثين والفقهاء الذين درسوا الفقه المالكي، وعلم الفرائض والأصول، وعلم الحديث، والتراجم، والتفسير، وعلوم اللغة والنحو، وعلم القراءات، والتاريخ والجغرافية، والتصوف، ومن أشهر من درّس هذه العلوم محمّد بن رشد الجد صاحب كتاب "المقدمات" وهو في الفقه، والقاضي الفقيه أبو علي الصديفي وكان عالما بالحديث، والقاضي الفقيه أبو بكر بن العربي أعظم علماء الأندلس في عصر المرابطين أشهر كتبه "أنوار الفجر" في مدح سيّدنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم و"العواصم من القواصم"، ومن المدرّسين وكبار العلماء القاضي

¹ - عز الدين عمر أحمد موسى - تنظيمات الموحّدين - صص 62 - 63.

² - علي عشي - المغرب الأوسط في عهد الموحّدين - صص 62 - 63.

³ - يحي بوعزيز - أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة - دار الغرب الإسلامي - بيروت - ط1 - 1995م - ج 1 صص

عياض صاحب "المدارك" ومنهم أبو محمد عبد الله اللخمي وكانت له عناية بالحديث والرجال والرواية والتواريخ، وله كتاب سماه: "اقتباس الأنوار والتماس الأزهار في أنساب الصحابة ورواة الآثار"¹.

ومن نبغ في اللغة أبو محمد البطليوسي، وله شرح للموطأ، وكان شاعرا مطبوعا فمن نظمه

قوله:

أخو العلم حي خالدٌ بعد موتِهِ وَأَوْصَالُهُ تَحْتَ التُّرَابِ رَمِيمٌ

وَذُو الْجَهْلِ مَيِّتٌ وَمَاشِي عَلَى الثَّرَى يُظَنُّ مِنَ الْأَحْيَاءِ وَهُوَ عَدِيمٌ

وبرز في التاريخ والجغرافية عدد كبير من أعلام الرواية منهم أبو زكريا الغرناطي، وهو من أعلام البلاغة والأدب والتاريخ له كتاب "قصص الأنبياء وسياسة الرؤساء"، وكذلك الشنتريني صاحب "الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة"، ومن العلماء المؤرخين ابن بشكوال صاحب "الصلة" و"المحاسن والفضائل في معرفة العلماء الأفاضل"، ونبغ من أهل المغرب والأندلس في الجغرافية الإدريسي صاحب "نزهة المشتاق" ويعرف هذا الكتاب باسم "الرجاري"، أو (Libro Rogeriano)، وكان من رواد الصوفية وشيخهم أبو العباس أحمد بن محمد الصنهاجي الأندلسي ابن العريف الذي جمع بين الفقه وعلوم الدين، والزهد والعبادة وكان من المجددين لعلم التصوّف وأبو العباس التحيبي ومن الذين جمعوا بين الفقه والعلوم وعلم الطب، من أعظم أطباء المسلمين أبو مروان عبد الملك بن زهر الذي سار ذكره إلى مختلف الأقطار².

ومن العلوم التي كانت تدرس بقرطبة حفظ الرأي والتفقه في المسائل مع علم الفرض والحساب. وهناك من جمع هذه العلوم كأحمد بن عبد الله بن فرج النميري³، وكان القاضي أبو بكر

¹ - حمدي عبد المنعم - التاريخ الحضاري للمغرب والأندلس - دار المعرفة الجامعية - مصر - 1998م - صص 397 - 403.

² - المرجع نفسه - صص 399 - 407.

³ - محمد بن حارث الخشني - أخبار الفقهاء والمحدثين - تحقيق ماريا لويسا آبيلا ولويس مولينا - المجلس الأعلى للأبحاث العلمية - معهد التعاون مع العالم العربي - مدريد - 1991م - ص 22.

بن العربي يرى تقديم العربية والشعر على سائر العلوم لطالب العلم لأن الشعر ديوان العرب، ثم ينتقل إلى الحساب فيتمرن فيه حتى يرى القوانين، ثم ينتقل إلى دروس القرآن الكريم، ثم بعد ذلك ينظر في أصول الدين ثم أصول الفقه، ثم الجدل، ثم الحديث وعلومه، ونهى عن خلط علمين إلا المتقرب لذلك، لجودة فهمه ونشاطه وذكائه. وكان يرى الاختصار على الكتب الأشعرية والعبارات الإسلامية والأدلة القرآنية. وأما علم الكلام، وكتب علم الباطن، والمنطق فهذا يرجع لرغبة المتلقي، وتفرض الشيخ المعلم فيه، فلا بد من إيقافه على الأدلة واتساع درجات العلم والمعارف، حتى يكون مستقلاً بأعباء الشريعة، مطيقاً لحملها، بصيراً بالذنب والتضال عنها¹.

ومن الذين نشروا العلوم والمعرفة بجزيرة صقلية محمد بن سليمان بن سالم القطان، وكان من أهل الرواية والتفسير، ومنهم أبو عمر، وميمون بن عمرو وكان مثالا في الزهد والتقوى، توفي سنة 316هـ/928م، ومن القائمين على التدريس أبو القاسم الطرزي، وابن الفرات، ومن الذين كانوا يُعلّمون القرآن والحديث ومن العلماء بالرجال واللغة، بل وجمع بين اثني عشر صنفا من العلوم لقمان بن يوسف الغساني وكان الفقه يُدرّس بصقلية علاوة على مختلف العلوم الأخرى، سيما الفقه المالكي خاصة ما يتعلّق بالموطأ والمدونة².

واشتهر أهل الجزائر الشرقية بالعلوم الدينية والعقلية وعلى رأس علوم الشريعة علم القراءات، ويعود الفضل لمجاهد العامري أمير الجزائر الشرقية وهو من كبار العلماء والأدباء والقراء، وابن الصيرفي الذي أسس مدرسة لذلك، والمذهب المالكي الذي تمسك به أهل الجزر، وعلم الكلام والتوحيد، والأدب والحديث والفقه والتصوف³. ومن أبرز علماء القراءات عثمان بن سعيد ويعرف بابن الصيرفي ويكنى أبا عمرو المقرئ قضى ثماني سنوات في تعليم أهل ميورقة، ومن الرعيل الأول في علم الحديث أمية بن عبد الله الهمداني 331هـ/942م، وحفيد فاتح الجزائر الشرقية عصام بن محمد بن عصام

¹ - دندش - الأندلس - صص 371 - 372.

² - محمد زيتون - القيروان - صص 442 - 444.

³ - سيسالم - جزر الأندلس - صص 467 - 469 - 515.

الخولاني الواسع المعرفة بعلم الحديث، وبرع في علم الفقه عريف مولى ليث بن فضل، والهمذاني الأنف الذكر، وعثمان بن علي الشريجي الميورقي¹.

ومن علماء الكلام والعقيدة أبو الوليد الباجي، وإبراهيم بن خلف اللذين ساهما بدور كبير في الحياة الفكرية بالجزر، ومن المدرّسين لعلم الكلام ومن أكبرهم القاضي أبو محمد عبد الله الأنصاري، وكان في عهد الموحدّين، وبرز في علم التصوف علماء كبار منهم محمد بن شجاع الصوفي، على طريقة قدماء الصوفيين المحقّقين، توفي 340هـ/951م، وكان من علماء الصوفية من جمع بين العلم والأدب والفقه منهم أبو عبيدة الميورقي الزاهد وأسهم بدور بارز في التعليم بميورقة². وفي علوم اللغة ظلّ العلماء والأدباء يقدّون إلى الجزائر الشرقية منذ فتحها سنة 290هـ/903م، ومن أشهرهم العالم الأديب العراقي ثابت الجرجاني الذي درّس بالجزائر الشرقية ويكنّى أبو الفتوح، ومن الذين درّسوا بـ"دانيه" وجمعوا بين العلم والأدب والنحو والشعر محمد بن خلصة الشنوني، ومن البارزات جارية المعتضد العبادية التي فاقت علماء إشبيلية في غريب اللغة، وإشراق السودان التي أخذ عنها العالم الشهير أبو داود سليمان ابن نجاح³.

وامتدت العلوم من العصور السابقة إلى عصر ملوك الطوائف الذي اتّسم فيه العلماء وطلبة العلم بالخلق العلمي وآدابه، والرغبة في التحصيل والأخذ بأسبابه، والبذل فيه والسخاء في تقديمه محبةً واستجابةً، وهذا ما أدى إلى علوّ الحركة العلمية ووفرة إنتاجها، رغم سوء الأحوال السياسية والاجتماعية - في بعض الأحيان - يضاف إلى ذلك اهتمام أمراء الطوائف بالعلم والأدب وتشجيعهم للعلماء وتقريبهم⁴.

¹ - سيسالم - جزر الأندلس - صص 471 - 478 - 500.

² - المرجع نفسه - صص 512 - 516.

³ - المرجع نفسه - صص 519 - 521.

⁴ - الحجي - التاريخ الأندلسي - صص 412 - 413.

لقد عكف العلماء بجِدِّ على تعليم النَّاس، ويظهر بوضوح مدى المستوى العلمي الذي بلغوه عن طريق فنون العلوم التي كانوا يُدرِّسونها رجالاً ونساءً، بطرق التعليم السليمة، ولولا بقاؤهم على ما كان عليه أسلافهم من العلماء لضاعت فنون العلم بين المدَّعين لها، واستطاعوا عن طريق علوم الشريعة، وعلم العقيدة وما يتَّبَعُه من إمام بالمنطق وفن المجادلة والأخذ بناصية اللغة العربية، والتصوِّف وما ينطوي عليه من الأخلاق والتربية والتركية، تصحيح وتوحيد الرؤية العلمية بالغرب الإسلامي.

المبحث الثالث: مناظرات وردود علماء الفقه والكلام والتصوِّف

1- المناظرة بين علماء المالكية والأشاعرة والصوفية: تتسم المناظرات والردود العلمية بأهمية وقيمة كبيرة في الحياة العلمية عموماً، نظراً لدورها في إبراز المشكِّل من المسائل العلمية وإزالة اللبس الذي يقع فيه كثير من النَّاس، ويكون نتاجها بذلك الوقوف على الحقيقة العلمية.

يقول الإمام الباجي في المناظرة: «وهذا العلم من أرفع العلوم قدراً، وأعظمها شأنًا، لأنه السبيل إلى معرفة الاستدلال، وتمييز الحقِّ من الخال، ولو لا تصحيح الوضع في الجدل لما قامت حجة، ولا اتضحت محجة، ولا عُلم الصحيح من السقيم، ولا المعوجَّ من المستقيم». والمناظرات التي جرت بين فقهاء المالكية كثيرة، في مسائل الفقه، وفي علوم أخرى، وكانت هذه المناظرات تطول فتنتج مؤلفات، وتقصر أحياناً فتأتي في ورقة أو ورقات وذلك بحسب المسألة المتناظر فيها، وسعة علم المتناظرين¹.

ولشبطون مناظرة مع ابن كنانة في مسائل العلم، وكان ذلك في مجلس الإمام مالك، وجاراه ابن كنانة ففجّر منه بحراً². وكان ابن فروخ يميل إلى مذهب النظر والاستدلال، فغلب عليه القياس على طريقة أهل العراق فيما تبين له أنه الصواب، ويروى أنه ناظر يوماً زُفر في مجلس أبي حنيفة، فلم يزل يناظره حتى علا ابن فروخ عليه، وقطعه بالحجة والدليل. ثم تحول ابن فروخ من العراق إلى

¹ - الجيدي - مباحث في المذهب المالكي - ص 165.

² - المرجع نفسه - صص 117 - 118.

الحجاز، ولقي الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه وسمع منه وتفقه عليه، وعاد إلى القيروان وانتفع به خلق كثير¹. وكان البهلول بن راشد يُعظّم ابن فروخ ويقلّده فيما نزل به من أمور الديانة، ويذكر أنه ناظر زفر بن الهذيل، فازدراه زفر لمغربيته فلم يزل به حتى قطعه، وأقرّه أبو حنيفة لذلك².

واستعملت المناظرة خاصة في نصرة المذاهب الفقهية الأربعة، التي ألفت فيها كتب وضبطت آدابها وطرقها وأساليبها المحدية، واشترط أن تتم في نطاق التقوى وقصد طلب الحق بعيدا عن المباهاة والمفاخرة، ولأبي الوليد الباجي توجيهات للمتناظرين في ذلك، وكتابه "المنهاج في ترتيب الحجج" زاخر بمسائل الخلاف بين أئمة المذاهب، ساقها لبيان طرق مناصرتها ودعم أحكامها بالطرق التي نظمها هذا العلم³. وعقدت المناظرات بين العلماء البارزين، كالمناظرة التي دارت بين ابن زياد وابن أشرس وبين ابن غانم علي بن زياد، وكان الإمام مالك رضي الله عنه على علم بهذه المناظرة⁴.

إن تميّز المدرسة الفقهية المالكية الأندلسية بالموسوعية العلمية، وجمع أتباعها بين مختلف العلوم والفنون، جعلهم على بصيرة واطلاع تام على آراء مخالفيهم وحجج المذاهب الأخرى، الشيء الذي أهّلهم لولوج ميدان المناظرات العلمية، في دليل على عدم التعصّب، مع مسايرة تطور الفقه، ومراعاة طاقات العقل ومواهبه. واشتهر علماء الأندلس بكثرة المناظرة ومواجهة الآراء الأخرى المخالفة، فكانوا يتمنون الجلوس قصد المناظرة، لما في ذلك من الفوائد العلمية، وتبادل الآراء الفقهية، والاطلاع على الاجتهادات العقلية المشفوعة بالدليل الشرعي، ويقدمون ذلك على التعليم والإسماع. حيث كان أبو صالح أيوب بن سليمان في مجلسه تتولّد المناظرة فيقول لمحمّد بن عبد الرحمن: "هذه المناظرة أشهى إلي من سماعك مني". وكان أبو صالح بصيرا بالمناظرة بالفقه، كثير التصرف في أفانين

¹ - حسن حسني عبد الوهاب - الإمام المازري - صص 22 - 23.

² - القاضي عياض - المدارك - ج 3 ص 106.

³ - محمّد شمس الدين بن محمّد الراعي الأندلسي - انتصار الفقير السالك لترجيح مذهب الإمام مالك - تحقيق محمّد أبو الأحنفان - دار الغرب الإسلامي - بيروت - ط 1 - 1981م - ص 78.

⁴ - القاضي عياض - المدارك - ج 3 صص 105 - 106.

العلم. ومن الذين اشتغلوا بالمناظرة ومالوا إلى النظر والحجة: قاسم بن محمد بن سيار الذي أثنى عليه محمد بن عمر بن لبابة وقال: «جالس الناس هناك وناظرهم، وكان يحسن هذا المعنى جيّدا»¹.

قال ابن حزم: «لم يكن لأصحاب المذهب المالكي بعد القاضي عبد الوهاب مثل أبي الوليد الباجي». ونقل بعضهم: أنّ أبا الوليد لما ورد إلى الأندلس وجد بها ابن حزم الظاهري، ولم يكن من يشتغل بعلمه، فقَصُرَت ألسنة فقهاءها عن مجادلته، وأتبعه جماعة على رأيه، واحتل بجزيرة ميورقة، فرأس بها واتبعه أهلها، فلما وصل أبو الوليد تكلم في ذلك، فرحل إليه وناظره، وأبطل كلامه، وله معه مجالس كثيرة قُيِّدت بأيدي الناس. ولأبي الوليد رسالة يرد فيها على أبو بكر بن الصائغ الزاهد، وعلى المتكلمين الذين لم يفقهوا الكلام في المسألة التي دارت بينهما حول حديث البخاري والمروي في عمرة القضاء، والكتابة إلى قريش، التي سماها "تحقيق المذهب"، فوافقه أهل التحقيق بأسرار العلم، وكتبوا بها لشيخ صقلية فأنكروا على بن الصائغ ووافقوا أبا الوليد على ما ذكره².

وكان محمد بن نصر بن حزم ذا جدل وحُجّة، ويقال إنه كان معلّم محمد بن سحنون الذي كان له أوضاع في المناظرة في فقه الفقهاء وفي كلام المتكلمين³، وله تأليف في ذلك سماه "ما يجب على المتناظرين من الأدب"⁴. ولإبراهيم بن حسن بن عبد الرفيع الربيعي التونسي "الردّ على ابن حزم" في اعتراضه على الإمام مالك، وله "اختصار أجوبة القاضي أبي الوليد بن رشد" إلى غير ذلك من أوضاعه وتأليفه⁵ وإنّ ابن طالب القاضي أبو العباس عبد الله بن طالب من بني عمّ بني الأغلب أمراء القيروان، تفقّه بسحنون وكان من أكبر أصحابه، وكان يقنّا فطنا، جيّد النظر، يتكلّم في الفقه

¹ - مصطفى الهروس - المدرسة المالكية الأندلسية - صص 362 - 364.

² - ابن فرحون - الديباج - صص 198 - 199.

³ - محمد بن حارث الخشني - قضاة قرطبة وعلماء إفريقية - تصحيح السيد عزّت العطار الحسيني - مكتبة الخانجي - القاهرة -

ط2 - 1415هـ/1994م - ص 256.

⁴ - محمد مخلوف - شجرة النور - ص 70.

⁵ - ابن فرحون - المصدر السابق - ص 145.

فيحسن، حريصاً على المناظرة، ويجمع في مجلسه المختلفين في الفقه، ويغري بينهم لتظهر الفائدة، ويؤييتهم عند نفسه، ويسامرهم، فإذا تكلم أجاد وأبان¹.

ومن المناظرات والردود البارزة بين العلماء والفقهاء، ما كان بين ابن أبي زيد القيرواني، وبعض العلماء كالباقلائي والظلمنكي، في مسألة إنكار كرامات الأولياء الصالحين من عدمه، إذ يقول القاضي عياض في ذلك «كان أرشدهم في ذلك وأعرفهم بغرضه ومقداره إمام وقته القاضي أبو بكر بن الخطيب الباقلائي فإنه بيّن مقصوده». قال الظلمنكي: «كانت تلك من أبي زيد نادرة لها أسباب أوجبها التناظر الذي يقع بين العلماء، صحّ عندنا رجوعه عنها»². ومن المناظرات ما دار بين أبي الوليد بن رشد ومعاصر له يقال له طوى الهلالي في مسألة المفاضلة بين الهيللة والحمدلة، ومنها أيضاً ما دار بين القباب والقاضي القشتالي الفاسي، وأبي اسحاق الشاطبي في مسألة مراعاة الخلاف في المذهب المالكي. ومعلوم أن هذه المسألة كانت مثار تساؤلات ومراجعات بين الشاطبي والقباب وابن عرفة طال فيها الحديث. ومن أبرز المناظرات ما كان بين المهدي بن تومرت، وبين جمع غفير من علماء العدوتين: المغرب والأندلس فيهم الفقيه النظّار مالك بن وهيب الإشبيلي برئاسة السلطان يوسف بن علي بن تاشفين، هذه المناظرة التي طال فيها النقاش واستعمل كل طرف ما كان يتوفر عليه من أساليب البحث والجدل. ومناظرة جرت بين الفقيهين الحافظين: أبي زيد بن الإمام، وأبي موسى عمران بن موسى المشدالي جرت بين يدي السلطان أبي تاشفين عبد الرحمن بن أبي حمو، في شأن ابن القاسم هل هو مجتهد مطلق، أو مجتهد مقلد³. واجتمع ابن العربي بابن ورد، وتبايتا ليلة، وأخذوا في التناظر والتذاكر، فكانا عجباً. يتكلّم أبو بكر فيظنّ السامع أنه ما ترك شيئاً إلا أتى به، ثم يجيبه أبو القاسم بأبدع جواب ينسي السامعين ما سمعوا قبله، وكانا أعجوبة دهرهما⁴. وكان الشيخ أبو مدين شعيب يُلجأ إليه في حل المشكلات، فيأتي بأبدع التأويلات، وذكر أنّ جدال وقع بين الطلبة

¹ - القاضي عياض - المدارك - ج 4 ص 308 - 309.

² - ابن أبي زيد القيرواني - كتاب الجامع - ص 49 - 50.

³ - عمر الجيدي - مباحث في المذهب المالكي - ص 166 - 169.

⁴ - ابن الخطيب - الإحاطة - مج 1 ص 170.

في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، تردّد الكلام بينهم، فساروا إلى مجلسه ليطلعوا على ما عنده في المسألة، قال: نُزِيل الإشكال عن أصحابنا من غير أن يسألوه، وتكلم وفصل وزاد في علم لا يملكه إلا أهل الصفا وأصحاب المواهب¹.

وكانت المناظرات تجرى في مجالس العلم بين يدي الشيوخ والعلماء، ومنها مناظرات القاضي عياض في المدونة عند شيخه إبراهيم بن أحمد البصري أبو إسحاق القاضي، صاحب قضاء سبتة، وله مناظرات أيضا في كتاب المدونة عند شيخ وقته بشرق الأندلس الفقيه أبي محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله الحشني المعروف بابن أبي جعفر، وقد أجازته في جميع رواياته². وكان للمناظرات العلمية بين علماء الأشاعرة، والظاهرية بجزيرة ميورقة صدى واسع تردّد لقرون، وأثر كبير على علم الكلام وإثرائه، وقد تأثر بها علماء المشرق والمغرب، إذ وُجد الأثر واضحا على بعض علماء غرناطة ومصر والمغرب³. وكان محمد المرسى قوي العارضة، مضطعا بالجدل، فكان السلطان ثاني الملوك من بني نصر يجمع بينه وبين منتابي حضرته، ممن يُقدّم منتحلا صناعة أو علما، فيظهُر عليهم لتمكّنه ودالته⁴.

2- مناظرة العلماء لأهل الأهواء والبدع: كان علماء الدين بالقيروان القدوة لسائر المسلمين، مصايح الظلام وأئمة الاقتداء، وهم الذين كانت تُشدّ إليهم الإبل، وبالجملة فالذي كان أهل القيروان عليه قديما من قوة الإيمان بالله، والانتصار للحق، والصبر على الأذى في الله، والجهاد لإعزاز الدين، والقيام بالردّ على أهل الأهواء بالدلائل القاطعة والحجج الدافعة لتثبيت عقائد عامة الموحدين، فقد ناضلوا بالسيوف، وجادلوا باللسان في تقرير الدين وتثبيت قواعد اليقين؛ قد امتحنوا باستيلاء الخوارج⁵ عليهم من الصفرية والإباضية، وكذلك أمُتحنوا بخلق القرآن في زمن الوثائق، وعزم محمد بن

¹ - عبد الحليم محمود - أبو مدين الغوث - دار المعارف - القاهرة - 1985م - صص 54 - 55.

² - القاضي عياض - العُنية - صص 123 - 124 - 153 - 154.

³ - سيسالم - جزر الأندلس - ص 515.

⁴ - ابن الخطيب - الإحاطة - مج 3 ص 68.

⁵ - الخوارج: وهم المجمعون على إكفار سيّدنا عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه إن حَكّم. والخوارج لَمّا اختلفت صارت عشرين فرقة منها الصفرية أتباع زياد بن الأصفر، والإباضية التي أجمعت على القول بإمامة عبد الله بن إباح وافترفت فيما بينها =

الأغلب على قتل محمد بن سعيد، فما زالوا على اعتقاد أهل السنة، وصبروا على الأذى في دين الله، ولما استولى العبيديون على إفريقية انضافت إليهم طوائف كثيرة من أهل الشيع الغالبة، قدموا عليهم من البلاد متوسلين إليهم بحب أهل البيت والتعصب لهم، حتى ولّوهم الولايات ورفعوا منازلهم، ثم أظهروا مذهبهم الفاسد في سب الصحابة -رضوان الله عليهم- وتبديل الشرائع والإضرار بأهل السنة¹.

وكان المغرب الأوسط ميدانا للمذهب الخارجي الإباضي الذي ضرب بجذوره في هذه المناطق وجبل نفوسة جنوب طرابلس، وأصبح له متكلمين يجادلون المذاهب الإسلامية الأخرى. وهذا الوضع فرض على علماء إفريقية المالكيين مهمة جديدة، كانوا أهلا لها، وهي مهمة التصدي لمذاهب الخوارج والاجتهاد في القضاء على كل أثر لها في بلادهم². وبين البغدادي أمر الخوارج، وأنها لما اختلفت صارت عشرين فرقة، وقد فصل في كتابه فيما كانت تعتقد، وما ذهب إليه من الآراء الفاسدة، ويذكر ابن طاهر البغدادي فرقتي الخوارج من الصفرية والإباضية كيف نشأت والمزاعم الواهية اللتان كانتا تقولان بهما³. وللقاضي عياض في كتابه "الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع" مقارنة فريدة يُبين فيها فضل الأئمة السابقين من صلحاء الأئمة أهل العلم والفقہ وحاملي لواء حديث

=فرقا، يجمعهم القول بأن مخالفهم من هذه الأمة كفار. والخوارج في التاريخ هم الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه في صفين بعد قبول التحكيم بينه وبين معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، وهم جمعون على تكفير علي وعثمان وأصحاب الجمل، والحكمين وكل من رضي بهما. أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري - مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين - تصحيح هلموت ريتز - دار فارنز شتايز - قيسبادن - ط3 - 1400هـ/1980م - ص 86. / عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي - الفرق بين الفرق - تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد - المكتبة العصرية - صيدا - بيروت - 1416هـ/1995م - صص 24 - 90 - 103 / الحفني عبد المنعم - موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية - دار الرشد - القاهرة - ط1 - 1413هـ/1993م - ص 215.

¹ - الدباغ - معالم الإيمان - ج1 صص 24 - 25.

² - محمد زينهم محمد عزب - الإمام سحنون - تقديم حسين مؤنس - دار الفرجاني - القاهرة - ص 157.

³ - عبد القاهر بن محمد البغدادي - الفرق بين الفرق - تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد - المكتبة العصرية - صيدا - بيروت - 1416هـ/1995م - صص 24 - 90 - 93 - 103 - 104.

رسول الله صلى الله عليه وسلم ويبيّن فيها إعراض الخوارج والمعتزلة وضَعْفَ أهل الرأي عن السنن والآثار حيث يقول: «وأعرض عنها الخوارج والمعتزلة وضَعْفَ أهل الرأي، حتى انسلّ أكثرهم عن الدّين، وأتت فتاويهم ومذاهبهم مختلة القوانين، وذلك لأنهم اتبعوا السُّبُل، وعدّلوا عن الطريق، وبنّوا أمرهم على غير أصل وثيق». ويمثل هذا ردا واضحا وعبارة صريحة في فساد مذاهب هذه الفرق¹. وكان العلماء يأتون إلى تيهرت لمناظرة أئمة الإباضية في أمور الدين² ودخل الأشاعرة بالقيروان في عراك مع الفرق الأخرى وبخاصة الشيعة العبيديين، واستطاعوا أن يدحضوهم بعلم الكلام في الغرب الإسلامي كله³.

وكتب ابن فروخ إلى مالك يخبره أن بلدنا كثير البدع، وأنه ألف لهم كلاما في الردّ عليهم؛ فكتب إليه مالك يقول له: «إن ظننت ذلك بنفسك خفت أن تزلّ أو تهلك، لا يردّ عليهم إلا من كان ضابطا عارفا بما يقول لهم، لا يقدرّون أو يعوّجوا عليه، فهذا لا بأس، وأما غير ذلك فإني أخاف أن يكلمهم فيخطئ، فيمضوا على خطاه، أو يظفروا منه بشيء، فيطغوا ويزدادوا تماديا على ذلك»⁴. وللبهلول بن راشد مواقف مع أهل الأهواء والبدع، وكان يقول السنّة السنّة، ويلح بها. وكان ممن يردّون على أهل الأهواء بحاله قبل مقاله، وهو من علّم الإمام سحنون عدم السلام على هؤلاء وتكليمهم وقال له: «بهذا يُعرف الحقّ من الباطل»⁵.

ولما ولي أحمد بن الأغلب الإمارة، وأخذ الناس بالحنّة بالقرآن، وخطب به بالقيروان توجه سحنون إلى عبد الرحمن الزاهد فارّا، فطلبه الأمير الذي جمع له قُوَادَهُ وقاضيه ابن أبي الجواد وغيره، وسأله عن القرآن فقال سحنون: «أمّا شيء ابتدئه من نفسي فلا، ولكن سمعت من تعلّمت منه،

¹ - القاضي عياض - بن موسى اليحصبي - الإمامع - تحقيق السيد أحمد صقر - دار التراث - القاهرة - المكتبة العتيقة - تونس - ط1 - 1379هـ/1970م - ص 7.

² - محمّد محمّد زيتون - القيروان - ص 354.

³ - محمّد المصلح - الإمام أبو الحسن اللّخمي - ج1 صص 111 - 112.

⁴ - القاضي عياض - المدارك - ج3 صص 110 - 111.

⁵ - المصدر نفسه - ج3 ص 97.

وأخذت عنه، كلهم يقولون: «القرآن كلام الله غير مخلوق». فرأوا قتله، ثم أزموه داره ومنعوه من الفتوى والإسماع. قال سهل قلت لسحنون: «البدعة فاشية وأهلها أعزاء» قال: «أما علمت أنّ الله إذا أراد قطع بدعة أظهرها». وما كان إلا زمن قليل ومات الأمير. والإمام سحنون أوّل القضاة الذين فرّقوا أهل البدع من الجامع، وكانوا فيه حلّقا من الصفرية والإباضية والمعتزلة وأدّب جماعة منهم لمخالفتهم أمره، وأطاف بهم وأمرهم أن لا يجلسوا في حلقة¹، وكان لمحمد بن سحنون مناظرة مع ابن أبي عصفور في أسماء الله الحسنى فأفحمه الشيخ محمد بن سحنون فيها². وكان لأبي عثمان بن الحدّاد مقامات كريمة، ومواقف محمودة في الدفع عن الإسلام، والذبّ عن السنة ناظر فيها أبا العباس المخطوم، أخا الشيعي الصنعاني، داعية بني عبيد الروافض³ عند دخولهم إفريقية، فناظرهم مناظرة القرين المساوي، لا بل مناظرة المتعزّز المتعالي، لم تحجم لهيبة سلطان، ولا خاف ما يخيف عليه من سطوتهم. ولقد قال له ابنه أبو محمد: «أتق الله في نفسك، ولا تبالغ في مناظرة الرجل». فقال: «حسي من له غضبت، وعن دينه ذببت»⁴.

وقد حرّض الشيخ ابن عبدون الشيخ ابن الحداد على مناظرة عبيد الله الشيعي عند قدومه القيروان بقوله: تقدّم فلسانك سيف الله وصدرك خزانة الله، فأفحمه وظهر عليه. وفي مجالس عدة بعد ذلك. وكان له مع أبي العباس الأخرم الشيعي، مجالس عدة أيّده الله فيها وحماه منه. وكذلك مع "الفرّا" شيخ المعتزلة بالقيروان، وغيره من فرق أهل البدع والإلحاد مناظرات حسان، ومقامات ظاهرة، قال أبو الأسود القطان: «لو سمعتم ابن الحداد في تلك المحافل، وقد اجتمع له جَهارة الصوت،

¹ - الدباغ - معالم الإيمان - ج 2 ص 87 - 88 - 94 - 95.

² - الخشني - قضاة قرطبة وعلماء إفريقية - ص 256.

³ - الروافض أو الرافضة: هم الشيعة الرافضون لإمامة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، أو أنّ زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم لما منع أنصاره من الطعن في سيدنا أبي بكر وانصرفوا عنه، فقال: "رفضتموني"، فبقي اسم الرافضة عليهم، وقيل لأنهم رفضوا الدين بالكلية، وكفّروا الصحابة وأهمّوا بتحريف القرآن، وأبطلوا الاجتهاد فأسقطوا التكليف وأباحوا المحرّمات. وفرّق الرافض هم الزيدية منهم ثلاثة فرق، والكيسانية منهم فرقتان، والامامية منهم خمس عشرة فرقة. عبد المنعم حفني -

موسوعة الفرق، صص 228 - 229. / البغدادي - الفرق بين الفرق - ص 29.

⁴ - القاضي عياض - المدارك - ج 5 ص 82.

وفخامة المنطق، وفصاحة اللفظ، وصواب المعاني، لتمنيتهم أنه لا يسكت»¹. وكان أبو جعفر حمديس القطان "أحمد بن محمد الأشعري" لا يُسَلِّم على أحد من أهل الأهواء، وكان قد أفحم إبراهيم بن أحمد بن الأغلب في مسألة سألها إياه، وكان لا يهاب أحدا في الحق².

وكان للشيخ المازري أمالي على رسائل إخوان الصفا³ حرّرها في إيضاح بعض المشكلات ورَدَّت ضمن فصول تلك الرسائل الهامة في مسائل من العلوم الرياضية والآراء الفلسفية، وكان إملاؤه لها بطلب من الأمير العالم الأديب صاحب إفريقية تميم بن المعز بن باديس الصنهاجي. وله أيضا "النقط القطعية في الرد على الحشوية"⁴، وكتاب "الواضح"، ردّ فيه على رجل من الملحدين⁵ القادحين في الإسلام، وقد أشار المازري في كتابه "المعلم" أنه نقض قول هذا الملحد بالأدلة التاريخية الصحيحة، وأقام البراهين والحجج المنطقية على دحض أقواله وتفنيدها⁶.

¹ - القاضي عياض - المدارك - ج 5 صص 82 - 85.

² - الدباغ - معالم الإيمان - ج 2 صص 202 - 203.

³ - إخوان الصفا: جماعة من الفلاسفة الشعبيين، دوّنوا آراءهم في إحدى وخمسين رسالة في الفلسفة بعنوان: "رسائل إخوان الصفا" شملت الرياضيات والمنطق والطبيعات والنفس والأخلاق والدين، متأثرين بالأفلاطونية الحديثة والفيثاغورية والغنوصية، يُبْعَوْنَ من وراء ذلك تشكيل دين علمي يتجاوز كل الأديان، وفلسفتهم باطنية، وهناك ما يثبت أنهم من الشيعة، وأنهم ارتبطوا بطائفة الإسماعيلية، ولعل هذا سبب تغلغل الفلسفة الإغريقية في أفكار الإسماعيلية. عبد المنعم الحفني - موسوعة الفرق - ص 22.

⁴ - الحشوية: قوم تمسكوا بالظواهر فذهبوا إلى التحسيس وغيره، يُجْزَوْنَ آيات الله على ظاهرها، ويعتقدون أن الظاهر هو المراد منها، وهؤلاء وُجِدُوا في حلقات الحسن البصري رضي الله عنه، وسمعهم يتكلمون بالحشو والسَّقَط، ويؤوّلون حديث رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم تأويلا خاطفا. فأمر الإمام الحسن البصري أصحابه فقال: رُدُّوا هؤلاء إلى حشا الحلقة. فهم لذلك الحشوية. أو أنهم منسوبون لحشو الكلام الزائد الذي لا طائل تحته. أو لأنهم مُجَسِّمَة والجسم الحشو. وقيل أنهم يرون الكلام في آيات الصفات حشوا، وإما بسبب إطلاقهم الحشو على الدّين. عبد المنعم الحفني - موسوعة الفرق - ص 187.

⁵ - الملحدين أو الملاحدة: من غلاة الفرق يَنْفَوْنَ الربوبية والنبوة والحساب. جحدوا الصانع المدبّر العالم القادر، وزعموا أنّ العالم لم يزل موجودا كذلك بنفسه لا بصانع، ويُرَدُّون كلّ شيء إلى فعل الأفلاك. منهم الطبيعيون الدهريون، والفلاسفة الدهريين. وَصَفَهُمُ اللهُ تعالى في القرآن الكريم بقوله: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾. سورة الجاثية الآية 23. الحفني عبد المنعم - موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية - ص 225.

⁶ - حسن حسني عبد الوهاب - الإمام المازري - صص 66 - 67.

وقد ناصر ابن أبي زيد أبا الحسن الأشعري ودافع عنه وردّ على خصومه وضَمَّن ذلك الرسالة التي ردّ بها على علي بن أبي أحمد البغدادي المعتزلي الذي اتَّهم أبا الحسن الأشعري والإمام مالكا بما لا يليق بمقامهما، وقد سمى الرسالة "الردّ على القدرية ومناقضة رسالة البغدادي المعتزلي"¹.

وعن أبي محمّد بن عبد الله الشهير بابن التبان (ت 371هـ/981م) أنّه ناظر عبد الله المحتال عامل العبيديين على القيروان، وكان شديد الطلب للعلماء للدخول في مذهب الشيعة فرضا منه، فدعا يوما أبا محمد بن التبان، وأبا القاسم بن شبلون، وأبا محمّد بن أبي زيد، وأبا الحسن القابسي فانتدب ابن التبان للحديث باسمهم، فقال للمحتال: «لقد جئتك من قوم أيمانهم مثل الجبال أقلّهم إيقانا أنا»؛ فطلب منه أن يناظر أبا طالب وأبا عبد الله من أشهر دعاة العبيديين في فضائل أهل البيت فانتصر عليهما وأظهره الله، ولابن فشون مناظرات في الذبّ عن أهل السنة حين أظهر العبيديون التشييع في إفريقية، ومن الردود عليهم كتاب "الردّ على الشيعة" لإبراهيم عبد الله القلانسي (ت 359هـ/969م)، وقد أمْتُحِنَ على هذا الكتاب، وعُدِّبَ من قبل الحاكم العبيدي أبي القاسم، حيث ضربه أربعمئة سوط وحبسه أربعة أشهر في سجن المهديّة المعروف بدار الحرب وكتاب "الإمامة والردّ على الرافضة" لنفس المؤلف. وكتاب أبي عبد الله بن سعدون (ت 476هـ/1083م) قال عنه عياض: "وله تأليف في ذمّ بني عبيد وأفعالهم القبيحة بالقيروان وغيرها"².

ومن الذين ألّفوا في الردّ على المعتزلة أبو عبد الله محمّد بن علي العابدي الأنصاري الفاسي، والذي قام باختصار كتاب "الكشاف" للزحشري وحذف منه مسائل الاعتزال³، وكان أبو عبد الله البجلي محمّد بن عليّ من النُظَّار في الفقه وله أوضاع حسنة فيه، وله كتاب في الردّ على الشكوكية⁴،

¹ - محمّد المصلح - الإمام أبو الحسن اللّخمي - ج 1 ص 113.

² - المرجع نفسه - ج 1 - صص 50 - 53.

³ - جمال أحمد طه - مدينة فاس - ص 280.

⁴ - الشكوكية أو الشكّاك: هؤلاء قالوا بالإرجاء، وقد سُمّوا كذلك لقولهم نحن مؤمنين إن شاء الله فيبدون التشكيك في قبول الإيمان منهم، ويقولون الإيمان يزيد وينقص، فكيف لهم أن يثبّتوا من إيمانهم. ولم يثبتوا الإيمان لمن نطق بالشهادتين. وأبَدُوا =

وأبو بكر بن القمودي، كان حاد القنا¹ بصيرا بوجوه الكلام، عارفا بأبواب المناقضة، متدربا في صنعة المعارضة، صحب سعيد بن الحداد وغيره، وناظر أبا العباس الشيعي مناظرة أفحمة فيها. والشيخ محمد بن محبوب الذي كان حسن المناظرة، جيد القريحة، وكان يتكلم في المناظرة الدائرة بين الفقهاء في الفقه، وقد جالسه بعض القدرية² فتحاوضا الكلام في القدر، فأخذ ابن محبوب كتفا بين يديه، وجعل يُوقِّع فيها تناقض مقالة القدرية، حتى ملأها فلم يكن كلام أوعب لعيون المعاني من كلامه³.

وعُرف الإمام الشاطبي برّد أهل الزندقة والإباحة وتحليل ما حرّم الله بالأندلس، وأصحاب التأويل الفاسد لآيات القرآن، وقد تصدّى القاضي عياض للرد على هؤلاء وذكر إجماع العلماء في إخراجهم من دائرة الإسلام⁴.

3- مناظرة العلماء لأهل الملل الأخرى والردّ عليهم: كان من أهداف اليهود في بلاد المغرب الأقصى وغيره تشويه الحقائق الإسلامية وإفساد عقيدة المسلمين، ولذا فرض الإسلام على المسلمين

=التشكك والقبول على مَضُضٍ، وإنما كانوا يقولون نرجو أن يكون مؤمنا. ويقال لهم الساوية أيضا. عبد المنعم الحفني - موسوعة الفرق - ص 262.

¹ - القنا: القنوة والقنوة والقنينة والقنينة: الكسبية. والهدهد قنأ الأرض أي عالم بمواضع الماء. يقال أقنى واستقنى وقنى إذا حفظ حيائه ولزمه. وأقنو بمعنى أرضى. وأيضا: ألزم وأحفظ. ابن منظور - لسان العرب - مج 5 - ج 42 ص 3760 - 3761.

² - القدرية: هم الذين نسبوا التقدير إلى أنفسهم لا إلى الصانع. وكانت المعتزلة قدرية، وقالوا إن الله ليست له قدرة ولا إرادة، وأفعال العباد مخلوقة لهم، وليس الله خالق لأفعالهم. وكان أبو الهذيل العلاف شيخهم الأكبر يقول بتناهي مقدورات الله حتى إذا انتهت لم يعد قادرا على شيء. وفسر قدرة الله بأنها علمه. ويقول البغدادي: وأما القدرية المعتزلة عن الحق فقد افتقرت عشرين فرقة كل فرقة منها تكفر سائرهما. عبد المنعم الحفني - موسوعة الفرق - ص 315. / البغدادي - الفرق بين الفرق - ص 24.

³ - الحشني - قضاة قرطبة - ص 278 - 280.

⁴ - أبو العباس أحمد بن يحيى الونشريسي - المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب - إشراف محمد حجي - وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الرباط - 1401هـ/1981م - ج 2 ص 511 - 513.

حقوقاً لله تعالى، منها ردّ الطاعنين في كتابه ورسوله ودينه، ومجاهدتهم بالحجة والبيان، كما دعا كتاب الله إلى مناظرة غير المسلمين وإقامة الحجّة عليهم، وإبطال الادعاءات التي يقولون بها¹.

وقد ذكر الإمام الأشعري آداب المناظرة، وأن ذلك لا يتأتى إلا لمن ألمّ بها، فالإخلال بشروط التناظر قد يُبقي أهل الأهواء والبدع على مذاهبهم، وأهل الملل الأخرى من اليهود والنصارى والكفرة على دينهم، ولهذا كانت سمة العلماء الأشاعرة التأدّب بآداب المناظرة على مذهب الإمام أبي الحسن الأشعري في المناظرة عن الدين².

وظهرت إرهابات الفكر الديني اليهودي في القيروان بعد وصول الراي حوشيل إليها، وكذلك يعقوب بن نسيم، وهما اللذان كانا على رأس مدرستين دينيتين، وقد انصبّ اهتمامهما على الدراسات التلمودية ولم يكن لمراكز تواجد اليهود الأخرى كتلمسان وفاس وسجلماسة كبير تأثير على الفكر اليهودي، وانحصر اهتمامهم بتأويل الكتاب المقدّس، بخلاف الدراسات الطبيّة والطبيعية³.

وقد كان للسموأل بن يحيى المغربي دور بارز في فضح يهود التلمود لدى المسلمين وقراء العربية، فإنّه ولا شك حلقة مهمّة في سلسلة أحبار وحاخامات اليهود الذين خرجوا على اليهودية، وتحوّل كثير منهم إلى الإسلام، وساهموا في إظهار تناقض اليهود، وتهافتهم وتحريفهم، وكان من بينهم سموأل، وصنّف كتابه: "إفحام اليهود" وكان بالغ الأهمية في هذا الباب، ذا جهد متميّز فاق من سبقوه ومن لحقوا له. وقد تأثر في ذلك وفي ميوله إلى علم الجدل والمناظرة بصحبة شيخه هبة الله

¹ عطا علي محمد شحاتة ربه - اليهود في بلاد المغرب الأقصى - دار الكلمة - دمشق - ط1 - 1999م - ص 200.

² محمد بن الحسن بن فورك - مقالات الشيخ أبو الحسن الأشعري - تحقيق أحمد عبد الرّحيم السايح - مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة - ط2 - 1427هـ / 2006م - صص 334 - 338.

³ عبد الرحمن بشير - اليهود في المغرب العربي - إشراف قاسم عبده قاسم - عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية - ط1 - 2001م - ص 135.

بن ملكا الذي كان يهوديا ثم أسلم صاحب "المعتبر في الحكمة"، ومصاحبه "المؤقق الدين البغدادي" الذي له رسالة في الردّ على اليهود¹.

وكان لمفتي البلاد الأندلسية أبي السعيد فرج بن أحمد بن لبّ ردود على اليهود منها ما وقع بينه وبين أحدهم حين أرسل إليه بقصيدة في مسألة قضاء الله على الكافر بكفره، فأجابه ابن لبّ بأبيات أفحمه فيها بتفصيل بديع بعدما بيّن له وجه الصواب من الخطأ، أخذنا عن الشريعة الغزّاء²، وكتب رجل من الرهبان إلى بعض ملوك الأندلس يدعوه إلى الدخول في ملته وكان أبو الوليد الباجي بحضرتة فأجاب عن الملك بأبلغ جواب في مسألة خلق سيّدنا عيسى بن مريم عليهما السلام وردّ أباطيل النصارى في ألوهيته، وزعمهم الصلب والقتل في حقّه. ثم تتبّع ما ظهر على أيدي الرسل عليهم الصلاة والسلام واتّبع في ذلك فصول من مناقضات النصارى في آرائهم وتحافت اعتقاداتهم فانقطع الراهب ولم يجد جوابا³.

ودُكر أنّ نصرانيا ورّد قرطبة في أيام علمائنا بما وطلب المناظرة فاتفق أن اجتمع به ابن الطلاع فقال له النصراني: ما تقول في عيسى؟ فقال له ابن الطلاع: لعلك تريد المُبشّر بسيدنا محمد صلّى الله عليه وسلّم؟ فانقطع النصراني لأنه إن أنكر كذب إنجيله، وإن أقرّ لزّمه الدخول في الإسلام⁴، وكان محمد بن أحمد الرقوطي المرسي يُقرّي الأمم بألسنتهم، وقد عرف طاغية الروم حقّه، لما تغلّب على مرسية، فبنى له مدرسة يُقرّي فيها المسلمين والنصارى واليهود، ولم يزل معظما عنده، فقال له

¹ - السموأل بن يحيى المغربي - إفحام اليهود - تحقيق محمد عبد الله الشرفاوي - دار الجيل - بيروت - 1403هـ/1983م - صص 25 - 28.

² - الونشريسي - المعيار المغرب - ج11 صص 265-267 350 - 351.

³ - أبو علي عمر السكوني - عيون المناظرات - تحقيق سعد غراب - منشورات الجامعة التونسية - كلية الآداب والعلوم الإنسانية - 1976م - صص 296 - 298.

⁴ - المصدر نفسه - صص 297 - 298.

يوما بعدما أدنى منزلته وأشاد بفضله: لو تَنَصَّرْتَ وحصَّلت الكمال كان عندي لك كذا وكذا، وكنت كذا. فأجابه بما أقنعه¹.

وعاش المسلمون واليهود في مجتمع المسلمين بالأندلس، وكانوا يُعرفون بأهل الكتاب كما يدعوهم القرآن، وهم أهل الذمّة أو أهل الجزية أيضا². ولقد أخذ بعض علماء الأندلس يتناقلون في ذلك العصر مؤلفات مصنّفة في أحكام أهل الذمّة في الدولة الإسلامية، فكان بعضهم يُحدّث بها، ويحتفظون بها مكتوبة لديهم. وكانت كتابات العلماء موجّهة إلى أهل الذمّة النصارى ومن هم على شاكلتهم، وحفّظُ للمسلمين من الذوبان فيهم، فأبو بكر بن العربي قام بتحديد وضعهم بعدم الثقة بهم وعدم مساواتهم بالمسلمين، مع كراهة علماء المالكية الزواج من الكتائيات³.

وكان ابن عبد الغفور يرى تمييز المسلم في مخاطباته ورسائله عن غير المسلمين من النصارى وغيرهم، وأن يُترك تجليلهم، وأن يُظهروا العزة عليهم، وأن يمنع المسلمون النصارى من الاندماج بينهم حتى الدنانير التي فيها اسم الله لا تقع في أيديهم، وفي رسالة أبي الطيب بن منّ الله (ت 493هـ/1098م) التي ردّ فيها على ابن غرسية الشعوبي، مُبيّنا فيها وعارضا لحياة النصارى وما فيها من تفسّخ وضياع، وقد تبادلها الكُتّاب الأندلسيون من بعده⁴. وللشيخ الخزرجي رغم حداثة سنه ردّ مفصّل ومفحم على رسالة قسّ من طليطلة يدعوها فيها إلى اعتناق المسيحية، ويطعن في الإسلام ونبيه، وعلى الجواب الذي سمّاه هذا الصبي مقامع الصلبان الذي اعتمد فيه على الحُجج النقلية، وبعض المناقشة الكلامية، وهو في ردّه يتعرّض إلى مواطن الخلاف الأساسية بين المسيحية والإسلام، أو بالأحرى بين المسلمين والنصارى، من تثليث وصلب وفداء وتحريف للتوراة والإنجيل وإيمان برسالة

¹ - ابن الخطيب - الإحاطة - مج 3 ص 67 - 68.

² - Hamdane Hadjadji - de la poésie andalouse sous les reyes des taifas v°/ xi ° siècle - édition zyriab - Alger - 2002 - p9.

³ - محمّد بن ابراهيم بن صالح بن الحسين أبي الخيل - جهود علماء الأندلس في الصراع مع النصارى - دار أصدقاء - القصيم - ط 1 - 1419هـ/1998م - ص 462 - 464.

⁴ - المرجع نفسه - ص 464 - 465.

سيّدنا محمد صلّى الله عليه وسلّم وتبشير الكتب به، وصلاحية شريعة القرآن مقارنة بالمبادئ والتعاليم المسيحية، إلى غير ذلك من المسائل التي أثارها القس في خطابه¹، وله تصانيف في الردّ على المشركين والنصارى منها "مقام المدرك في إفحام المشرك"، و"مقام همامات الصلبان ومراتع رياض الإيمان" يرّد به على بعض القسّيسين بطليطلة، وكان ذلك من أحفل ما ألّف في معناه. إلى غير ذلك من الأجوبة عن المسائل التي كانت تَرُدُّ عليه².

روى عن الإمام أبي بكر بن العربي وغيره، وكان أبو القاسم بن بقي يكثر الثناء عليه، ويقول بفضله وهو أحمد بن عبد الصمد بن أبي عبيدة الأنصاري الخزرجي³. وفي كتاب ابن تومرت "أعزّ ما يطلب" بيان لعدم اتباع اليهود والنصارى، وضرورة مخالفتهم طلبا للنجاة، حجّته في ذلك حديث سيّدنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم⁴. وقد كان ابن سبعين من العلماء الصوفية الذين قاموا بالردّ على المسائل الصقلية الواردة على سبته، وهي جملة من المسائل الحكمية، وجهها علماء الروم تبكيتا للمسلمين، فانتدب إلى الجواب عنها، على فتى من سنّه، وبديهة من فكرته⁵.

استطاع العلماء عن طريق إحاطتهم بآداب المناظرة والمتكلمين على مذهب الامام الأشعري في العقيدة، وكذلك الجامعين لعلم الأصول والفروع على مذهب الامام مالك في الفقه، أن يردّوا على أهل الأهواء والبدع والملل الأخرى، سواءً كان ذلك مناظرةً، أو تأليفاً، أو أحوالا عن طريق ما اتّصفوا به من أخلاقٍ وآدابٍ وحذاقةٍ ورثوها عن أرباب علم التصفوّف، منهم سيّد الطائفتين الإمام الجنيد.

¹ - أحمد بن عبد الصمد الخزرجي - مقام الصلبان - تحقيق عبد المجيد الشّرفي - مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية - الجامعة التونسية - 1975م - صص 14 - 15.

² - ابن فرحون المالكي - الديباج - ص 119.

³ - المصدر نفسه - ص 119.

⁴ - محمد بن تومرت - أعزّ ما يطلب - تحقيق عبد الغني أبو العزم - مؤسسة الغني - الرباط - 1997م - ص 344.

⁵ - لسان الدّين بن الخطيب - الإحاطة - مج 4 ص 34.

- شكّل الجمع بين علوم الأئمة عند كثير من تلامذتهم والحاملين علمهم نقطة قوة ميّزتهم عن غيرهم، بل وكانت سببا في التفاف الطلبة والمريدين من حولهم للتلقّي والرواية عنهم والتعلّم من آدابهم.

- التبادل العلمي الذي حصل بين العلماء سواء الموجودين بين المغرب والمشرق، أو بين جانبي الغرب الإسلامي مُمثّلا في المغرب والأندلس، عكس بحقّ المستوى العلمي الذي وصل إليه أهل هذه الأمصار من أهل المعرفة بالعميقة، والأحكام، والسلوك، حيث لم يحدّ من عزائم طلبة العلم بُعْدُ المسافات، ولا المشاق التي يتكبّدونها عن الارتحال لغرض الجلوس في حلق العلم والتحصيل.

- اتّصاف العلماء بالزخم والتضلع العلمي الكبير في مختلف فنون العلم، ما يفسّر تمكّنهم من المنافحة والدفاع عن الحقّ، وحفظ ميراث النبوة جيلا بعد جيل من انتحال المُبطلين وتحريف الغالين وتأويل الجاهلين.

❖ الفصل الثالث: الأثر السياسي للأئمة

الثلاثة بالغرب الاسلامي

❖ المبحث الأول: اضطلاع العلماء المالكية والصوفية

والأشاعرة بسياسة الرعيّة

❖ المبحث الثاني: مقاومة العلماء الأشاعرة والمالكية

والصوفية للخوارج والشيعة

❖ المبحث الثالث: ردّ الأشاعرة والمالكية والصوفية لخطر

نحل غير الإسلام

تقوم الدول وتضمحل لأسباب عدة، أما بالنسبة للدول التي قامت بالغرب الإسلامي، فلا شك أن عوامل كثيرة أثرت في نشوئها وزوالها أو طول وقصر بقائها، ولعل أهم عامل ساهم في قيام واستقرار هذه الدول على ما قامت عليه من طريقة الحقّ هم العلماء والفقهاء المالكية والأشاعرة الصالحون أهل الزهد والتصوّف والأحوال، بل ولهم اليد الطولى في تثبيت الحكام وتأييدهم وإزالة كثير من الكيانات السياسية القائمة على أساس لا يمتُّ بصلّة إلى ما كان عليه الفاتحون الأوّلون ومن تبعهم، أو المناصب العدا للمسلمين داخل أمصارهم في هذه الجهة من العالم الإسلامي، والمُحاولة استرجاع ما يعتقدون أنه ملك لهم بالقوة والمغالطات الفكرية والاعتقادية واستغلال الأوضاع، لذلك سيرز دور رواد العقيدة والفقّه والتصوّف في ردّ هذه الحملات على مستوى الفكر والأرض.

المبحث الأول: اضطلاع العلماء المالكية والصوفية والأشاعرة بسياسة الرعيّة

1- دور العلماء في الاستقرار السياسي: عمل جُلّ فقهاء المغرب على بناء السلطة السياسية، والحفاظ على استقرارها، ولم تكن هذه المواقف من تابع أمام متبوعه، وإنما مواقف الشريك الأهم، ولهذا فإن الحكم بدون الفقهاء والعلماء لا يمكن أن يقوم أو يستقر، ولذلك فإن الفقيه اللغوي ابن عصفور ردّ على أحد الملوك عندما حاول أن يتباهى بملكه، فقال له ابن عصفور: «بنا وبأمثالنا»¹.

وقام الفقهاء بتأسيس النظام السياسي الإسلامي في محاسنه، مع تغيير ما يطرأ عليه من سلبيات، وكان ذلك عن طريق تولي الفقهاء الرتب والولايات، وعن طريق ما أنتجوه من كتب، وما صدر عنهم من فتاوى وأحكام شرعية.² وكان الصوفية المتمذهبون بمذهب الإمام مالك رضي الله عنه يعارضون السلطة بطريقة سلمية، قصدها الإصلاح مع شجب العنف والثورة على الحكم.³

¹ - سليمان ولد خصال - جهود فقهاء المغرب العربي في بناء النظام الإسلامي السياسي - رسالة دكتوراه في العلوم الإسلامية غير منشورة - جامعة الجزائر - كلية العلوم الإسلامية - 1429هـ/2008م - ص 198.

² - المرجع نفسه - صص 203 - 204.

³ - الطاهر بونابي - التصوّف في الجزائر - دار الهدى - عين مليلة - الجزائر - 2004م - ص 136.

قال الأمير محمد بن عبد الرحمن بن الحكم¹: ركبت يوما في حياة أبي، فلقيت يحيى بن يحيى الليثي؛ فراكبني ثم ضرب على يدي، وقال لي: «هذا الأمر صائر إليك، فاتق الله في عباد الله»، فكانت في نفسي حتى صرت إليه، ووليت الأمر بعده².

وكان أبو محمد عبد الله بن فروخ الفارسي فقيه القيروان في وقته رجلا صالحا فاضلا ورعا متواضعا، قليل الهيبة للملوك، لا يخاف في الله لومة لائم، واستعفى من القضاء³، وكان الشيخ عبد الله بن أبي حسان اليحصبي مُفَوِّها، قويا على المناظرة، ذابا على السنة، متبعا لمذهب مالك، شديدا على أهل البدع، قليل الهيبة للملوك، لا يخاف في الله لومة لائم. دخل مرة على الأغلب الذي أراد أن يساوي بين نفسه وبين من يأتيه من العلماء فقال له أبو حسان «إنما أتاكم الآتي لأتكم خيرٌ ممن هو أشرٌ منكم، ولو أتى من هو خير منكم أتاه الناس ولم يأتونكم»⁴.

واتّصف العلماء الزهاد في بلاد المغرب بالأمر المعروف والنهي عن المنكر لا يخشون في ذلك إلا الله عزّ وجلّ، ولم يقتصر ذلك على العامة وإنما امتد إلى الخاصة بما فيهم الحكام وذوي السلطان؛ فالبهلول بن راشد لم يَسْعَهُ السّكوت على ما عزم عليه ابن مقاتل العكّي من إرسال نحاس وحديد وسلاح إلى طاغية الروم ملاطفة منه، فوعظه البهلول وألحّ عليه في ذلك، فأمر بحبسه وضربه، ولكن الناس ألقوا بأجسادهم عليه ليمنعوا السياط من الوصول إليه⁵.

¹ - الأمير محمد بن عبد الرحمن: وُلِيَ الحُكْم بعد والده يكتى أبا عبد الله، وأمّه أم ولد اسمها تهنز؛ فاتّصلت ولايته إلى أن مات في آخر صفر سنة 273هـ/أغسطس 886م، وكان محبًا للعلوم مؤثرا لأهل الحديث، عارفا، حسن السيرة. أبو عبد الله محمد بن أبي نصر الحميدي - جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس - الدار المصرية للتأليف والترجمة - مطابع سجل العرب - القاهرة - 1966م - ص 11.

² - القاضي عياض - المدارك - ج 3 ص 392.

³ - المصدر نفسه - ج 3 صص 102 - 103.

⁴ - المصدر نفسه - ج 3 صص 312 - 313.

⁵ - البيهقي - الزهاد والمتصوفة - ص 61.

وقال الإمام سحنون: «لم أكن أرى قبول هذا الأمر-أي القضاء- حتى كان من الأمير معينان: أحدهما، أعطاني كل ما طلبت، وأطلق يدي في كل ما رغبت، حتى أني قلت له: أبدأ بأهل بيتك وقربتك وأعوانك، فإن قبَلهم ظلمات للناس وأموالاً لهم منذ زمان طويل، إذ لم يجترئ عليهم من كان قبلي. فقال لي: نعم، لا تبدأ إلا بهم، وأجر الحق على مفرق رأسي؛ فقلت له: الله؛ فقال لي الله ثلاثاً، وجاءني من عزمه مع هذا ما يخاف المرء على نفسه، وفكرت فلم أجد أحداً يستحق هذا الأمر، ولم أجد لنفسى سعة في ردّه»¹.

ولما ثار القويعة² على محمد بن الأغلب قال بعض القواد: اليوم سيتمكن من سحنون، إنا أن يخسر دينه أو دنياه؛ فقالوا للأمير: سحنون داعية مطاع، فأمره بنصرك على هذا الخارجي؛ فبعث فيه الأمير وأعلمه بالأمر، واستشاره في قتاله، وأن يُعلم الناس بفرض ذلك عليهم؛ فقال له سحنون: «غشك من ذلك على هذا، متى كانت القضاة تشاورها الملوك في صلاح سلطانها» ونهض من عنده³.

ولأبي الوليد الباجي أقوال في الاعتراف بفضل السلطان، وفي ذكر محاسنه منها عندما ذُكر له صحبة السلطان، فقال: «لولا السلطان لنقلتني الذر⁴ من الظل إلى الشمس».

وقوله في المعتضد بن عبّاد والد المعتضد:

عَبَادُ اسْتَعْبَدَ الْبَرَايَا بِأَنْعَمٍ تَبْلُغُ النَّعَائِمِ

¹ - القاضي عياض - المدارك - ج 4 ص 56.

² - القويعة: هو عمرو بن سُليم التَّجِيبِي، ثار على محمد بن الأغلب سنة 234هـ/848م وخرج إليه خفاجة بن سفيان قائد جيش ابن الأغلب سنة 236هـ/850م في وقعة هزم فيها القويعة. ابن عذاري - البيان المغرب - ج 1 ص 110.

³ - القاضي عياض - المصدر السابق - ج 4 صص 64-65.

⁴ - الذرّ: صغار النمل، واحده ذرّة، وهي مما يتأذى الناس بها، وذرّ الله الخلق في الأرض: نشرهم. والذرية فعلية منه، وهي منسوبة إلى الذر الذي هو النمل الصغار، وكان قياسه ذرّية. وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ الآية 172 سورة الأعراف. وذُرِّيَّةُ الرجل: ولده، والجمع الذراري والذريّات. وفي التنزيل العزيز: ﴿ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾ الآية 34 سورة آل عمران. ابن منظور - لسان العرب مج 3 - ج 17 ص 1494.

مَدِيحُهُ ضَمَّنَ كُلَّ قَلْبٍ حَتَّى تَغْنَّتْ بِهِ الْحَمَائِمُ¹.

وكان هذا سبيل العلماء في حثِّ وتثبيت الحكام على فعل الخير، والدفاع عن الخواص من الأمة وعلى رأسهم أهل العلم والصلاح.

ولم يكن الشيخ أبو الوليد الباجي بالقاضي المتملق للحكام، أو يقف على عتبتهم في ذلّةٍ وصغار، وإنما دعتهم وظيفته الاجتماعية والسياسية لذلك، إذ كان يشغل دور السفير بين هؤلاء الحكام المعاصرين له، والذين وجدهم بعد عودته من المشرق في خصومات، وشجارات لا تنتهي، فكان يصلح بينهم ما استطاع، حقنا للدماء، وحفظاً للأموال².

ودخل الإمام الطرطوشي مرة على الأفضل ابن أمير الجيوش فوعظه فيما حصل له من الملك في موعظة جليلة، ختمها بقوله: «... فافتح الباب، وسهل الحجاب، وانصر المظلوم»، وكان إلى جانب الأفضل رجل نصراني فأنشده الإمام الطرطوشي:

يَا ذَا الَّذِي طَاعَتْهُ قُرْبَةٌ وَحَقُّهُ مُفْتَرَضٌ وَاجِبٌ

إِنَّ الَّذِي شَرُفَتْ مِنْ أَجْلِهِ يَزْعُمُ هَذَا أَنَّهُ كَاذِبٌ

وأشار إلى النصراني، فأقامه الأفضل من مكانه³، وهذا إشارة إلى تكذيب النصراني لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

ولم يكن النصيح من العلماء وأهل التصوّف بالمقال فقط وإنما كان بالحال أيضاً، فهذا أبو عمر بن بشير بن عمرو المتعبّد بالمنستير، من الزهاد والمنقطعين إلى الله، كان إذا جاءه ملوك إفريقية إلى بيته لا يخرج إليهم، وهذا في إشارة عن صدق زهده وابتعاده عن الدنيا، وهو الذي تصدّق بجميع

¹ - المقرئ - نفع الطيب - ج 2 صص 76 - 73.

² - نصر سلمان - أعلام المذهب المالكي - ص 63.

³ - المقرئ - نفع الطيب - ج 2 ص 87.

ما ترك والده بخرسان، إذ خرج لذلك في جُبّة صوف مُرَقَّعة أكثرها جلود، ورجع على حالته التي خرج بها¹.

وكان الإمام المازري قد تحدّث في الأوضاع التي يعترض فيها القاضي على الإمام أو السلطان، كاتّصاف الأخير بالخنأ والفسق، أو كان أمره مُشكّلا، فإن كان مشهورا بالجلالة والعدالة فليس للقاضي أن يعترضه²، وعُرف الإمام المازري طيلة حياته بصراحة القول والإصداق بالحقّ في كل المواطن، كما اشتهر بمجانبة حكّام الجور الذين كانوا سببا في التراجع والتدهور، ولتمسّكه بالدين وإعراضه عن الوظائف الرسمية كولاية القضاء وغيرها أجلّه الناس والتنفوا حوله واتبعوا أقواله وآراءه، ولذلك أيضا خافه ولاة الاستبداد واتفقوا سلطانه الروحي وأمسكوا عن مسّه بسوء، ومن مظاهر نصحه ووصاياه للسلطان قوله: «...وينبغي للملك أن يكون حريصا على أخبار عمّاله، ويستكشف عن بواطنهم حتى يظهر له ما جُبلوا عليه، فيُجازي كل واحد بعمله. ولا يزال أمرُ ذي السلطان رفيعا مُعظّما مُهابا، ما لم يأخذ في نقض عُرى الشريعة، وربما تجرّأ بعض الملوك وسمّحوا لعمالهم وأصحاب أشغالهم وكتائبهم وأعاونهم وأولادهم بهتك الحُرْم، والاعتداء على الرعيّة، والتسلّط عليهم بأخذ أموالهم بغير حق، فعند ذلك يسلبهم الحق تعالى العزّ ويجرّدهم من النعمة...»³.

ولما أفتى فقهاء أهل المغرب بإحراق كتب الإمام الغزالي وأمر السلطان بحرقها انتصر أبو الفضل يوسف بن محمّد المعروف بابن التّحوي لأبي حامد الغزالي، وكتب إلى السلطان في ذلك⁴، وتعرّض سلطان المرابطين للنقد من الصوفية، وما كان لهم ذلك إلا لأن الأوضاع بلغت حدا لا

¹ - المالكي - رياض النفوس - ج1 صص 418-419 .

² - محمّد أبو عبد الله - فتاوى الإمام المازري - تقديم وجمع وتحقيق الطاهر المعموري - الدار التونسية للنشر - تونس - فيفري 1994م - ص 305.

³ - محمّد المصلح - الإمام المازري - ج1 صص 72-74.

⁴ - ابن الزيات التادلي - التّشوّف - صص 95-96.

يطاق، وأصبح المرابطون يتوجسون خطر الصوفية، الذين رأوا منهم رفضهم لسياسة حكمهم كما حدث ذلك بقيادة الشيخ الصوفي أحمد بن الحسين بن القسي ومريديه في سنة 539هـ/1145م¹.

وكان الشيخ محمد بن إبراهيم الأصولي البجائي شديدا على ولاية الأمر الذين يكونون معه ببلد قضائه، لا يسامحهم في شئ من أمورهم ويجاهدهم بما يكرهونه في حق الله وحق المسلمين²، وقد كان لأكابر الفقهاء دور الوسيط بين المعز بن باديس الصنهاجي وبين الأعراب من بني هلال وبني سليم الداخلين إلى إفريقية، والذين خربوا مدنها وقراها، وكانوا مصدر شغب واضطراب، يعيشون على النهب والسطو. وأراد المعز أن يتخذهم جندا له لما رأى من شجاعتهم؛ فأخذ عليهم المواثيق والعهود بالرجوع إلى الطاعة³.

وعاش في مجتمع المغرب بين القرنين الخامس والسادس للهجرة الكثير من الصالحين، الذين اتخذوا التصوف منهجا لحياتهم، وتجمع حولهم الأتباع والمريدون ينهلون من علمهم ومعرفتهم وتعاليمهم ومبادئهم، وعلى هذه المبادئ تأسست الطرق الصوفية التي صار لها تأثير على الحياة السياسية فضلا عن الحياة الروحية⁴. وحملت بيعة أهل مكة شرفها الله لأمير تونس أبي عبد الله

¹ - الطاهر بونابي - التصوف في الجزائر - صص 197 - 198.

² - أبو القاسم محمد الحفناوي - تعريف الخلف برجال السلف - مطبعة بيبير فونتانة الشرقية - الجزائر - 1326هـ/1906م - ص329.

³ - محمد المصلح - الإمام المازري - ج1 صص 38 - 40.

⁴ - حسن علي حسن - الحضارة الاسلامية في المغرب والأندلس - مكتبة الخانجي - مصر - ط1 - 1980م - ص 476.

المستنصر الحفصي على يد الشيخ عبد الحق بن سبعين¹، ومن إنشائه، ووصلت تونس سنة 657هـ/1259م، وقرأها في ملاء من الناس بجامع الزيتونة القاضي ابن البراء². وأنشد بعضهم:

إِهْنَأُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِيَعَاةٍ وَأَفْتِكَ بِالْإِقْبَالِ وَالْإِسْعَادِ
فَلَقَدْ حَبَاكَ بِمُلْكِهِ رَبُّ الْوَرَى فَأَتَى بِشَرِّ بَأْفِتَاحِ بِلَادِ
وَإِذَا أَتَتْ أُمُّ الْقُرَى مُنْقَادَةً فَمِنْ الْمَبْرَةِ طَاعَةُ الْأَوْلَادِ³

2- تولي العلماء للخطط والولايات: أما الخطط، وهي إمامة الصلاة والفتيا والقضاء والجهاد والحسبة ونحوها، فإن اشتراط العلم في متوليها أمر ضروري، لأن صاحبها موكول إليه تنفيذ الأحكام الشرعية المتلقاة من الكتاب والسنة، وحتى لا تسند هذه الوظائف لغير مستحقيها فإن الأمراء أوكلوا أمرها إلى فقهاء المالكية لجمعهم أدواتها، وتوفيرهم على شروطها؛ وخطه الشورى منصب رفيع خطير، لا يصل إليه إلا من كمل علمه واشتهر فضله واستقامت سيرته، وهو من اختصاص الأمير الذي يعين الفقهاء المقترحين من قاضي الجماعة⁴.

ولما كانت ولاية القضاء عظيمة الخطر، رفيعة القدر، لما لصاحبها من تنفيذ القضايا والأحكام في الدماء، والفروج والأموال والأعراض، وما يتصل بذلك؛ وأيضا لما ينتظر صاحبها عند

¹ ابن سبعين: الشيخ الفقيه الجليل، من أهل الحكمة و المعرفة والمشاركة في المنقول والمعقول، أحد الفضلاء، له أتباع كثيرون من الفقهاء والعامّة وموضوعات كثيرة موجودة بين أصحابه ومخصوصة في كتبه، توفي سنة 669هـ/1271م. أحمد بابا التنبكي - نيل الابتهاج بتطريز الديباج - إشراف وتقدم عبد الحميد عبد الله الهرامة - كلية الدعوة الإسلامية - طرابلس - ط 1 - 1989م - صص 279 - 280.

² ابن البراء: قاضي الجماعة أبو القاسم بن علي التنوخي المهدي، الإمام أحد علماء الإسلام والحافظ المشارك في أنواع العلوم إليه انتهت رئاسة العلم. أخذ عن مشايخ بلده ثم رحل إلى المشرق سنة 622هـ/1225م فسمع بالحرمين الشريفين والقاهرة والاسكندرية من جماعة منهم جعفر الهمداني وأحمد السلفي، وعنه عبد الله بن الجبار وغيره. مولده بالمهدية سنة 570هـ/1174م وتوفي بتونس سنة 677هـ/1278م. مخلوف - شجرة النور الزكية - ج 1 ص 192.

³ - ولد خصال - جهود فقهاء المغرب - ص 235.

⁴ - مصطفى الهروس - المدرسة المالكية الأندلسية - صص 187 - 204.

الله من عُقْبَى فظيعة المقام هائلة الموقف؛ فإن العلماء هابوها، واعتبروها من أخطر الولايات وأعظمها قدرا¹.

اهتم الأمويون بالحكم وسياسة أمور الناس، فأسسوا نظاما إداريا قويا محكما قادرا على حفظ نظام هذا الحكم، وصون كيان المجتمع، والدفاع عن سيادته وسلامة أراضيه، وطمأنة الناس، والحرص على أمنهم واستقرارهم وحسن معيشتهم، وحماية أرواحهم وأموالهم، وصيانة حقوقهم، ولا يمكن تحقيق هذا إلا إذا كان النظام الإداري يسير بِحُطَى ثابتة، وعلى أساس من العدالة والمساواة والتكافل بين جميع أفراد المجتمع، وبدأ هذا الاهتمام منذ عهد عبد الرحمن الداخل الذي رغم الثورات والفتن التي خاض غمارها، إلا أنه لم يُغفل جانب النظام الداخلي وشؤون البلاد والعباد، وشهد له كثير من المهتمين بتاريخ الأندلس، وأهمّ ما ميّز هذا النظام هو اعتماد أمراء بني أمية على العلماء وإشراكهم في تسيير شؤون البلاد، وجعلهم على رأس الخطط الإدارية وخاصة تلك التي تحتاج إلى فقه وعلم بالأحكام الشرعية، وسلامة تطبيقها، ودقة تحليلها وتأصيل الوقائع والتوازن التي يبنى عليها صلاح الحكم وعدالته، وابتعادا عن الخلافات والانقسامات بضمان الوحدة التشريعية، فاختاروا العمل بفقه الإمام مالك رضي الله عنه وألزموا الحكم باتباع مذهبه وعدم الخروج عليه في القضايا والفتيا. والاستعانة بالفقهاء أمر ضروري لِتَعَلُّق هذه الخطط بأمر الخلافة الراعية لشؤون الناس الدينية والدنيوية، وهذا يتطلب معرفة بأحكام الفقه ومعاملاته².

وأما خطة الوزارة فهي، ولاية شرعية عبارة عن رجل موثوق به في دينه وعقله يشاوره الخليفة فيما يعرض له من الأمور، وإن جاز ذلك في النبوة ففي الإمامة أجوز، لأن كل ما وُكِّل للإمام من تدبير الأمة لا يقدر على مباشرة جميعه إلا باستنابة، ونيابة الوزير المشارك له في التدبير أصحّ في تنفيذ الأمور من تفرّده بها ليستظهر به على نفسه وبها يكون أبعد من الزلل وأمنع من الخلل، ومشيحة

¹ - مصطفى الهروس - المدرسة المالكية الأندلسية - ص 205.

² - المرجع نفسه - صص 167 - 169.

الموحدين كانت وزارة للرأي والمشورة، يشرف صاحبها على جميع شؤون الدولة مما قل أوجلاً، إلى أن أُسندت هذه الخطة فيما بعد إلى الحاجب¹.

والشيخ عبد السلام بن عبد الله بن هبيرة بن أسعد السبائي البرقي (كان حيا في القرن 2هـ/8م) وُلِّي قضاء برقة في إمرة يزيد بن حاتم²، ومنهم أيضا الشيخ موسى بن عبد الرحمن قاضي طرابلس (ت 306هـ/918م) كان يحسن الكلام في الفقه على مذهب مالك وأصحابه؛ فنقذ الحقوق وأخذ للضعيف من القوي³، وقاضي طرابلس أبو الحاج الشيخ يوسف بن زيري وُلّاه القضاء جرجير بن ميخائيل حين استولى على طرابلس، وكان القاضي أبو الحاج قد كفى الطرابلسيين أن يكلفوا بما يخالف دينهم⁴. وكان سعيد بن أبي هند من أصحاب مالك، وكان يلقبه "حكيم الأندلس" قد استوزره بعض الخلفاء، ودُكِر سبب ولايته الوزارة ما امتحن به من صدقه، وأنه لم تُجرب عليه كذبة قطّ، وولي قضاء طليطلة⁵.

وكان عيسى بن محمد بن عبد الرحمن بن دينار فقيها زاهدا، ولي قضاء طليطلة، ثم سكن قرطبة، وكان يفتي برأي الامام مالك⁶، وولّي الرشيد الشيخ ابن غانم قضاء إفريقية، وقيل وُلّاه أمير إفريقية روح بن حاتم المهلبي، أشار عليه به ابن فروخ الفقيه، بعد امتناعه عن ذلك؛ وقيل إنّ أبا يوسف قال لِرُوح عند خروجه إلى القيروان: بمدينة القيروان فتى يقال له عبد الله بن غانم، قد فقه، فولّه قضاء افريقية، وكانت ولايته في حياة مالك، ولما بلغت مالكا ولايته سُرَّ بها وأعلم بذلك أصحابه،

¹ - ولد خسال - جهود فقهاء المغرب - صص 121-122 127.

² - ناصر الدين محمد الشريف - الجواهر الإكليلية - ص 43.

³ - المرجع نفسه - صص 61-62.

⁴ - المرجع نفسه - ص 99.

⁵ - القاضي عياض - المدارك - ج3 صص 123-124.

⁶ - المصدر نفسه - ج4 صص 107-108.

وكان الرّشيد يكتابه؛ فكان يعدّ القضاء من قبّله. وكان الوالي إبراهيم بن الأغلب لذلك أكثر الناس مداراةً وتعظيماً له¹.

ولي سحنون قضاء إفريقية سنة 234هـ/848م، وسنّه إذ ذاك أربع وسبعون سنة، فلم يزل قاضياً إلى أن مات، ولما عزل ابن أبي الجواد، قال سحنون: اللهم ولي هذه الأمة خيرها وأعدّها؛ فكان هو الذي ولي بعده، قال محمد بن سحنون: «ولي سحنون القضاء بعد أن أدير عليه حولا كاملاً، وأغلظ عليه أشدّ الغلظة، وحلف عليه محمد بن الأغلب بأشدّ الأيمان، فولى يوم الإثنين الثالث من رمضان سنة أربع وثلاثين ومائتين، فأقام أياماً ينظر في القضاء، يلتمس أعواناً، ثم قعد للناس يوم الأحد بعده في المسجد الجامع، بعد أن ركع ودعا بدعاء كثير»².

وتولى أبو الوليد الباجي قضاء حلب، وعقب عودته لبلده بعد غياب دام ثلاث عشرة سنة قضّاها في الطلب والدرس، ولي قضاء مواضع من الأندلس تصغر عن قدره ومكانته العلمية كأربولة، فكان يبعث إليها خلفاءه، ويأتيها المرّة بعد المرّة للنظر في المظالم وإنصاف المظلومين، وكان مثلاً للقاضي النزبه الذي يحكم بالعدل، ويدافع من أجله ولو على نفسه وأحب الناس إليه³.

وأبو العباس عبد الله بن أحمد بن طالب، وكان فطناً جيّد النظر، يتكلم في الفقه فيحسن، وكان عدلاً في قضاائه، حازماً في جميع أموره، عالماً بما اختلف فيه، شديداً في الذب عن مالك، ورعاً في حكمه، قليل الهيبة في الحق للسلطان، ولي الصلاة في الجامع الأعظم، وولاه سحنون قضاء باجة⁴.

وتولى خطة القضاة علماء أفاضل بمالقة منهم أبو عبد الله محمد بن خليفة الأنصاري، فسار فيه بأجمل سيرة من العدل والفضل، وهو من أعيان مالقة وفُضِّلَها وعلمائها المشهورين، روى عن

¹ - القاضي عياض - المدارك - ج3 صص 68 - 69.

² - المصدر نفسه - ج4 صص 55 - 56.

³ - نصر سلمان - أعلام المذهب المالكي - ص 60.

⁴ - الدباغ - معالم الإيمان - ج2 صص 159 - 160.

القاضي أبي الوليد الباجي وغيره¹. وفي رسالة محمد بن عبد الله بن أصبغ التي يهنئ فيها أبا المطرف بن أبي الهيثم المالقي بتوليته القضاء، ويشيد بفضله وعلمه وزهده وورعه، وأنه لا يهنته لأجل توليه خطة القضاء، وإنما يهنئ بها من تجري عليه قضاياها وأحكامه، وتدور عليه دولته وأيامه².

ومنهم القاضي أبو عبد الله محمد بن حسون، ولي قضاء غرناطة، وهو من أهل مالقة، وكان فاضلاً خيراً من أهل العلم والفقهاء، وله تأليف حسن في الزهد سماه كتاب "المونس"، والقاضي أبو عبد الله محمد بن الحسن بن عبد العظيم، جليل من جُلَّةِ مَالِقَةَ وفقهائها ونبهاؤها وكبرائها، ومن ذوي بيوتها النبيلة، وكان القاضي ابن حسون لا يقطع في أمر من الأمور إلا بعد مشاورته وعظمت منزلة ابن عبد العظيم وفخم ذكره، وبقي كذلك إلى أن توفي في حدود 540هـ/1145م³.

وأبو إسحاق إبراهيم بن حسين بن خالد القرطبي، كان حافظاً للفقهاء، وولي أحكام الشرطة للأمير محمد بن عبد الرحمن، له رحلة إلى المشرق لقي فيها فيمن لقي مطرف بن عبد الله صاحب الإمام مالك. ومن أهل المشورة إبراهيم بن يزيد بن قازم يكنى أبا إسحاق العالم بالمسائل والشروط، وكان إبراهيم بن محمد باز يعرف بابن القزاز مقدماً في الفتيا لفقهاء وعلمه وزهده وورعه، سمع من يحيى بن يحيى وسحنون بن سعيد وغيرهما، وكان يحدث عنه الناس⁴.

وولي زيادة الله أسدا بن الفرات القضاء شريكاً لأبي محرز الكناني سنة 203 أو 204هـ/818 أو 819م فاشتركا في القضاء، فكان أسد أغزرهما علماً وفقهاً، وأبو محرز أسدُّهُمَا رأياً وأكثرهما صواباً، وطلب أسد من زيادة الله بعد أن تقرّر غزو صقلية أن يعزله عن القضاء ويوليه الإمارة

¹ - ابن عسك - أعلام مالقة - صص 74 - 75.

² - المصدر نفسه - صص 78 - 79.

³ - المصدر نفسه - صص 80 - 92.

⁴ - ابن الفرضي - تاريخ العلماء والرواة - صص 16 - 18.

-ليقود الغزو- فقال زيادة الله: «لا ولكنني وليتكم الإمارة وهي أشرف، وأبقيت لك اسم القضاء، فأنت أميرٌ قاضٍ»¹.

ولما أراد إبراهيم بن أحمد تولية المظالم لمحمد بن محمد بن خالد القيسي المعروف بالطّريزي إعتذر إليه بأن فيه حياء ولين وقلة فقه، فقال له إبراهيم: «أما الحياء واللّين، فإذا أمرت ونهيت زالا عنك، وأما قلة الفقه، فشاور الفقهاء في أحكامك»، وولاه فلم يكن بالقيروان حاكم أشدّ صرامة منه².

ومن تولى خطة القضاء بالمغرب الأقصى عامر بن محمد بن سعيد القيسي قاضي المولى إدريس الثاني الذي وفد عليه -فيمن وفد عليه- سنة 189هـ/805م، فقد كان فقيها سمع مالكا وروى عنه كثيرا، ومن قضاة الأدارسة الفقيه القاضي عيسى بن حيون أو جنون وكان قاضيا لإدريس بمدينة أرشقول، ومنهم فتوح بن محمد الذي استقضاه أبو العيش محمد بن إدريس بن عمر، وابن الولي المغراوي الذي كان قاضي القضاة في العهد المغراوي، وكان مالكي المذهب³.

ومن تولى القضاء على عهد يوسف بن تاشفين أبو محمد يعلى المصمودي وأبو مروان عبد الملك المصمودي، وقد أسس الفقيه مروان بن عبد الملك الطنجي بيت بني سمجون الذي أنجب ثمانية عشر قاضيا⁴، وكان الفقيه أبو جعفر القليعي، من أهل غرناطة وجلة أعيانها، فريد عصره، وقريع دهره في الخير والعلم والتلاوة، وله حزب من اللّيل، وكان سريع الدمعة، كثير الرواية، وهو المشار إليه في كل

¹ - القاضي عياض - المدارك - ج 3 صص 304 - 305.

² - ابن عذارى المراكشي - البيان المغرب - ج 1 ص 195.

³ - القاضي عياض وولده محمد - مذاهب الحكماء في نوازل الأحكام - تحقيق محمد بن شريفة - دار الغرب الإسلامي - بيروت

- ط 2 - 1997م - صص 6 - 7.

⁴ - المصدر نفسه - ص 7.

نازلة، وله العقد والحل والتقدم والسابقة، مع منة في جلائل الأمور، والنهضة بالأعباء وسمو المهمة، وكان وزيراً لصاحب غرناطة الأمير عبد الله بن بلكين بن باديس¹.

ومن شغلوا منصب الفتيا بالأندلس العالم الفقيه الورع الفطن بالمسائل والفقه، من الحفاظ للرأي على مذهب مالك، دارت عليه الفتيا خمسين عاماً الشيخ أصبغ بن خليل القرطبي يكنى أبا القاسم (ت 273هـ/886م)، ومن أكابر العلماء بقرطبة وزعماء المفتين بها الفقيه الجليل البصير برأي مالك وأصحابه أبو القاسم أصبغ بن الفرّج بن الفارس الطائي المتوفى سنة 399هـ/1008م، وولى القضاء؛ فحمدت سيرته²، وأمر عبد الرحمن بن محمد باستخلاف أبو عمر أحمد بن عبادة بن علكدة القرطبي على صلاة الجماعة بقرطبة، وأمره بالجلوس في الجامع لفتوى الخاصة والعامة، وكان ممن انتفع به كثيراً في باب الفقه والمسائل والمناظرة وصحب جماعة من علماء الأندلس، ورحل سنة 311هـ/923م فجالس أهل العلم والحركة من القيروان، ولقي بمكة أبا بكر محمد النيسابوري³، وتولّى أبو عبد الله محمد بن حارث الخشني المتوفى في 360هـ/970م خطة المواريث بمدينة بجاية، وخطة الشورى بقرطبة، ونبغ في التاريخ والتراجم، وله تأليف هامة في الفقه منها أصول الفتيا، وكان يوصف بالشاعر لتعاطيه الشعر⁴. وقد ولى الحكم المستنصر قضاء قرطبة للشيخ الزبيدي، وقد تولى خطة الشرطة في عهد هشام المؤيد بالله، وكان يُدعى لذلك بصاحب الشرطة، وبعد وفاة الحكم عاد إلى اشبيلية وولى القضاء بها⁵.

وبعد نشوب فتنة قرطبة في سنة 399هـ/1008م، وفد إلى الجزائر الشرقية آلاف الوافدين، وكان على رأسهم الفقيه المحدث عبد الله بن عبيد الله المعيطي، الذي استخلفه مجاهد العامري على دانية والجزائر الشرقية بعد الإستيلاء عليها. ومنهم من كان له دور بارز خاصة الذين كانوا يتولون

¹ - ابن الخطيب - الإحاطة - مج 1 صص 147 - 148.

² - ابن فرحون - الديباج - صص 159 - 160.

³ - الخشني - أخبار الفقهاء والمحدثين - ص 25 - 26.

⁴ - ابن أبي زيد - كتاب الجامع - ص 21.

⁵ - الزبيدي - لحن العوام - صص 16 - 17.

مناصب القضاء والحكم من الفقهاء، وساهموا في نهضة الجزائر الشرقية، فأبو عمر أحمد بن أبي ربال كان آخر من تولوا قضاء الجزر قبل الفتنة، وقد استخلفه على قضاء ميورقة ومنورقة ويابسة القاضي أبو الأصبغ موسى بن أحمد بن عبد الرحمن من آل خطاب من كبار أسر مرسية¹، وولي الرئيس أبو الحزم بن جهور بإجماع أهل قرطبة على ذلك أحكام القضاء لمحمد بن أحمد بن عبد الله بن هرثمة بن ذكوان، فأظهر الحق، ونصر المظلوم، وقمع الظالم، ورد المظالم من عند أهلها، وحمد الناس أحكامه، وشكروا أفعاله. وكان من أهل العلم والحفظ والنباهة والذكاء والفهم، ممن عني بالعلم، واقتناء الكتب الغربية، وسماع الحديث². وقد ألف ابن الفرضي كتابا جليلا سماه تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس قال عنه: «وغرضنا فيه ذكر أسماء الرجال وكناهم وأنسابهم، ومن كان يغلب عليه حفظ الرأي منهم، ومن كان الحديث والرواية أمْلَكُ به، وأغلبُ عليه، ومن كانت له إلى المشرق رحلة، وعمن روى، ومن أجلُّ من لقي، ومن بلغ منهم مبلغ الأخذ عنهم، ومن كان يُشاور في الأحكام ويُستفتى، ومن ولي منهم خطة القضاء»³.

وولي محمد بن محمد القيسي القرطبي (ت 432هـ/1040م) القضاء بمدينة سالم، ثم أحكام الشرطة والسوق بقرطبة، وكان من أهل الصرامة في أحكامه، وكانت له عناية بالعلم⁴، ومن المتقدمين في علم الإمام مالك، وكان مفتيا ببلنسية أبو عبد الله محمد بن حزب الله الوثائقي⁵، وكان عبد العزيز العزيز بن عبد الله المكنى أبا الأصبغ (ت 508هـ/1114م) فقيها مشاورا في الأحكام بقرطبة، صدرا في المفتين بها، حافظا للرأي، بصيرا بالفتيا، وناظر الناس عليه في الفقه، وانتفع به في معرفته وعلمه⁶، وإبراهيم بن جعفر الفقيه المشاور، أو إسحاق اللواتي شيخ صالح من أهل الدين والفضل والعقل،

¹ - سيسالم - جزر الأندلس - صص 500-501.

² - ابن بشكوال - الصلة - ج2 صص 767-768.

³ - ابن الفرضي - تاريخ العلماء والرواة - ص 9.

⁴ - ابن بشكوال - المصدر السابق - صص 763-764.

⁵ - المصدر نفسه - ص 766.

⁶ - المصدر نفسه - صص 543-544.

كتب لأبي الأصبع في قضائه في طنجة وغرناطة، وكان عالما بصيرا بالشروط والوثائق، شاووره قاضي الجماعة أبو محمد، والقاضي أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد، والقاضي أبو إسحاق بن يربوع، ولم يزل كذلك إلى أن توفي. وكان يدرس الموطأ، ويتفقه فيه، وكان عاقلا مهيبا كثير الوقار، ليس في مجلسه إلا مسألة علم أو كلام منفعة¹.

ومن تلامذة الإمام المازري الأعلام أبو القاسم محمد بن خلف الله المعروف بإبن مشكان الذي تولى قضاء مدينة قابس². وكان القاضي أبو بكر بن العربي، والقاضي عياض في مقدمة من أجاد علم الكلام وبرع فيه، ومن الملاحظ أن معظم الذين اهتموا بعلم الكلام كانوا من المشتغلين بالعلوم العقلية كالفلسفة والطب والرياضيات، وإن كان هناك عدد كبير منهم تولى القضاء والشورى³، وأجلس القاضي عياض للشورى، ثم ولي قضاء سبتة، فسار فيها أحسن سيرة، محمود الطريقة، مشكور الحالة: أقام الحدود على ضروبها واختلاف أنواعها، ثم ولي قضاء غرناطة بعد نقله إليها، على المعتاد من شيمته السنيّة، وأخلاقه المرضية، مشكورا عند جميع الناس، فصد أصحاب ابن تاشفين عن الباطل، وخدمته عن الظلم، وتشريدهم عن الأعمال، وبعد صرفه عن القضاء ترك ابن أخيه الزاهد أبا عبد الله على الأحكام ثم ولي قضاء سبتة ثانية، قدّمه إبراهيم بن تاشفين؛ فابتهج أهل بلده بذلك فسار فيهم السيرة التي عهدوا منه⁴.

ومن القضاة الذين شكرت سيرتهم في القضاء الشيخ أحمد بن محمد أبو العباس بن الجروي الأنصاري الوادآشي، وكان فقيها عالما، عارفا بأصول الفقه، وعلم الكلام، مقرئا مجودا، مفسرا ومحدثا حسن المشاركة في كثير من فنون العلم حافظا للغة والأدب، واستقضي ببلده بالأندلس فشكر⁵. وعُرفَ أمراء الطوائف بأن عددا من رجالهم ومستشاريهم ووزرائهم كانوا من أهل العلم والأدب،

¹ - ابن فرحون - الديباج - صص 144 - 145.

² - عبد الوهاب - الإمام المازري - صص 51 - 52.

³ - دندش - الأندلس - ص 401.

⁴ - القاضي عياض - الإلماع - صص 5 - 6.

⁵ - ابن فرحون - المصدر السابق - ص 125.

بجانب أنّ منهم من كان في عداد العلماء والأدباء والشعراء، ومنهم المؤلفون، وتنافس أمراء الطوائف في رعاية العلم وإيواء العلماء وأهل المواهب، وتوليتهم المناصب، لأن العالم أولى الناس بالخطبة من غيره، ليملاها ويعطي ويفي حقها¹.

وكان للحاكم وزراء مدنيون معظمهم من الفقهاء الذين نالوا حظا من العلم أمثال مالك بن وهيب وزير علي بن يوسف، الذي أخذ العلم في معاهد قرطبة وإشبيلية وغرناطة وبلنسية وغيرها، وأبو الطاهر تميم بن يوسف بن تاشفين إستوّزّر علي بن عبد العزيز بن الإمام الأنصاري من أهل سرقسطة، وكان أحد علماء عصره متفقا ومحققا من أهل البلاغة، والفصاحة والكرم، وكان وزيرا جليلا معظما، صاحب معارف ومآثر جمّة، فحمدت وزارته وشكرت مقاصده وأعماله. وقد يسند الخليفة إلى وزيره إقليم من أقاليم الدولة، كما حدث في عهد الناصر الموحي حين أسند ولاية إفريقية إلى وزيره الشيخ أبي محمد عبد الواحد بن الشيخ أبي حفص²، وقد برز ابن الخطيب بالأخصّ في ضرب من النثر، وهو النثر الوزاري والسياسي، وقد ترك لنا ابن الخطيب في هذا الميدان تراثا ضخما، من المراسيم السلطانية التي صدرت أيام توليه الوزارة عن سلاطين غرناطة، ومن الرسائل إلى ملوك إسبانيا النصرانية أو سلاطين المغرب أو سلاطين مصر، وفيها يتحدث عن علائق المودة والتحالف، أو يصف بعض الحوادث التاريخية، أو يطلق صيحة الجهاد للدفاع عن الأندلس، أو يلتمس لها الإنجاد والعون من ملوك العدو³.

وولي أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري المعروف بالدباغ قضاء سبتة، وكان شيخا فقيها صالحا، عدلا مدرّسا، من تأليفه معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان⁴، وإبراهيم بن حسن بن عبد الرفيع الربيعي التونسي، قاضي القضاة، يكنى أبا إسحاق كان علامة وقته، ونادرة زمانه⁵، وأبو عبد

¹ - الحجي - التاريخ الأندلسي - ص 413.

² - حسن علي حسن - الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس - صص 94 - 95 - 104.

³ - ابن الخطيب - الإحاطة - مج 1 ص 44.

⁴ - الدباغ - معالم الإيمان - ج 1 ص 3 - 165.

⁵ - ابن فرحون - الديباج - ص 145.

الله محمد الأصولي، الشيخ الفقيه الاصولي المتكلم العالم المجتهد النبيل الفاضل الجليل، من أهل بجاية ولي قضاء المدن بجزيرة الاندلس، واستخلف بمراكش، وولي قضاء بجاية ثلاث مرات¹.

3- تأديب وتربية العلماء للحكام والأمراء: تولى الخلافة بعد عبد الرحمن الداخل ابنه هشام فكان عهده عهد استقرار وهدوء، وكان هو نفسه ليّنا سمحا حلّما مشتهرا بالعلم والفضل والاتصال الوثيق بأعلام العلماء في بلاده، حتى لقد كان يُعدّ واحدا منهم مما جعل الكلمة تجتمع عليه ويفوز بخلافة أبيه دون أخيه الأكبر سليمان بن عبد الرحمن الذي حوّل الخلافة عنه انصرافه إلى الجند واعتماده على نصرّة الشاميين له، وكان لهشام صلة وثيقة بعلم المالكية بالأندلس الإمام زياد بن عبد الرحمن الشهير "بشبطون"²، وكان الأمير هشام يؤثر زيادا ويكرمه، ويستنيم إليه، ويخلو به، ويسأله عمّا يعرض له من أمور دينه، فيأخذ برأيه، ويبالغ في بره، ويدفع إليه المال يتصدّق به، وربما اجتاز إليه ليلا فيخرج إليه ويسلم عليه ويحادثه، وكان يعظّ وينصح للأمير فيسكن غضبه، وكان يفعل ذلك بلسانه وحاله، وراسله الملوك فكان يجيبهم بجواب النصيحة في الدين³.

وكان يحيى بن يحيى الليثي مكينا عند السلطان مقبول القول في القضاة، وكان لا يلي قاض في أقطار بلاد الأندلس إلا بمشورته واختياره، ولا يشير إلا بأصحابه ومن كان على مذهبه، على أن يحيى لم يل قضاء قطّ، ولا أجاب إليه، وكان ذلك زائدا في جلالته عندهم، وداعيا إلى قبول رأيه لديهم⁴.

وكان لتربية إبراهيم بن الأغلب التربية الدينية أثر كبير في سيرته العلمية، وهذا ما قرّب بينه وبين الفقهاء من أهل الدين، الأمر الذي أكسبه تأييد الناس، فاتخذ من الفقهاء مستشارين كانوا له

¹ - الحفناوي - تعريف الخلف برجال السلف - صص 327 - 328.

² - محمد بن حسن شُرْحَيْبِلي - يحيى بن يحيى الليثي وروايته للموطأ - جامعة القرويين - كليّة الشريعة - أكادير - 1416هـ/1994م - صص 10-11.

³ - القاضي عياض - المدارك - ج3 صص 119-120.

⁴ - المقرئ - نفع الطيب - ج2 ص 10.

خير عون في ضبط أمور الدولة¹، ويحيى بن إدريس صاحب فاس، كان أعلى بني إدريس حالا بالمغرب، وكان يشهد مجلسه العلماء والشعراء فيحسن إلى جميعهم وينصرفون عنه أكرم منصرف².

وكان الناصر قد عهد بابنه الحكم المستنصر (ت صفر 366هـ/تشرين الأول 976م) إلى كبار العلماء في عصره ليتلقى على أيديهم العلم على أصوله الصحيحة، ومن أهم العلماء والشيخ المؤدبين قاسم بن أصبغ المكنى أبا محمد، وأحمد بن دحيم المكنى أبا عمر الذي ولاه الناصر أحكام القضاء بطليطلة، وكذلك عثمان بن نصر بن عبد الله بن حميد المصحفي والد الحاجب جعفر المصحفي والإمام الزبيدي، وكان لهؤلاء العلماء والمؤدبين أثر كبير في بلورة شخصية الحكم المستنصر العلمية، وتوجيهه في كافة مجالات العلم والمعرفة، واتّصف بالعلم والدراية في شتى المعارف والفنون كالفقه واللغة والأدب والأنساب، وسمح بدراسة الفلسفة وعلم الكلام³.

الأثر العلمي الذي تركه العلماء في شخصية الحكم المستنصر كان له دور بارز في المواقف المُشرّفة التي اتخذها هذا الأمير سواء في سياسة رعيّته أو مع الدول الأخرى المجاورة للأندلس وعلى رأسها ممالك النصارى، ولا يتأتى ذلك إلا لمن كانت له دراية بفقه المعاملات على مذهب الإمام مالك، بخصوصه الأندلس على غرار المغرب، كذلك تحلّقه بأخلاق العلماء.

ولما ذاع صيت الشيخ أبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي، واشتهر أمره ببلده إشبيلية استدعاه الخليفة الأندلسي الحكم بن عبد الرحمن الملقب بالمستنصر بالله إلى دار ملكه قرطبة للإستفادة منه، كما عهد إليه بتأديب ولده وولي عهده أبي الوليد هشام المؤيد بالله، فعلمه ونفعه نفعاً كبيراً، وكان يعجبه هشام ورجاحة عقله، ويقول إنّه لم يجالس قطّ من أبناء العظماء من أهل بيته وغيره في مثل

¹ - محمد عزب - الإمام سحنون - ص 51.

² - أبو عبيد البكري - المُعربُ في ذكر بلاد إفريقية والمغرب - دار الكتاب الإسلامي - القاهرة - د.ت - ص 132.

³ - انتصار محمد صالح الدليمي - التحديات الداخلية والخارجية التي واجهت الأندلس - رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير - كلية الآداب - جامعة الموصل - 1426هـ/2005م - صص 50-54.

سنه أذكى منه، ولا أحضر يقظة، وألطف حسا وأرزن حِلما¹. وأما أمير المؤمنين عبد الرحمن بن محمد الناصر لدين الله فقد عرف فضل وجميل مذهب الفقيه العالم أحمد بن عبادة بن علكدة القرطبي، يكتى أبا عمر. وكان له عنده جاه عريض وحرمة وافرة، وأفضل ما كان لعالم عند إمام عادل².

وكان العلماء والفقهاء والأدباء يفدون إلى بلاط مجاهد العامري من المشرق والمغرب، وألّفوا تواليف مفيدة في سائر العلوم، فأجزل صلاتهم بالعطايا، ومضى على ذلك طول عمره إلى أن حانت وفاته بمدينة دانية³، والفقيه العالم الشهير أبو بكر محمد بن الوليد الفهري الطرطوشي المعروف "بأبي رندقة"، صاحب سراج الملوك، وكفى بهذا دليلا على فضله⁴ وقد ذكر الإمام الطرطوشي في كتابه ما يتعلّق بمواضع الملوك، ومقامات الصالحين عند الأمراء والسلاطين، وما جاء في الولاة والقضاة وما في ذلك من العزّ والخطر، وفضلهم إذا عدلوا، والحكمة في كون السلطان في الأرض، وتعامله مع الرعية، والخصال التي ورد الشرع بها فيها نظام الملك والدول، والخصال التي هي قواعد السلطان وثباته، وكذلك الخصال التي تزيل الدول وتهدمها، مع ذكر الحمود من الخصال في السلطان، وحاجته إلى العلم، وذكر وصية الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وفي آداب الوزراء وصفاتهم، والجلساء وآدابهم، وباب في المشاورة والنصيحة، إلى غير ذلك من أبواب الأحكام والسياسات ما فيه الفائدة والخير الكثير⁵.

وكان أبو عمر أحمد بن خالد بن يزيد الجباب، من أهل قرطبة (ت 322هـ/934م) حافظا لرأي مالك، دقيق الذهن في الفقه، وكان من أهل الدين الظاهر، والعبادة الباطنة والخبر المشهور، راويا

¹ - الزبيدي - لحن العوام - ص 16.

² - الخشني - أخبار الفقهاء والمحدثين - صص 25 - 26.

³ - سيسالم - جزر الأندلس - ص 519.

⁴ - المقري - نفع الطيب - ج 2 ص 85.

⁵ - أبو بكر محمد بن محمد بن الوليد الفهري الطرطوشي المالكي - سراج الملوك - تصحيح إبراهيم الدسوقي عبد الغفار - مطبعة بولاق - مصر - 1279هـ - ص 3.

للحديث، جَمَاعَةٌ للكتب، وكان أمير المؤمنين عبد الرحمن يكرمه لفضله ويعظمه لعلمه ويرفقه ويجدي عليه كثيرا¹.

وفي عهد المرابطين حظي الفقهاء المالكية بالتقدير والاحترام، فيوسف بن تاشفين كان مؤثرا لأهل العلم والدين كثير المشورة لهم، مصرفا الأمور إليهم، أخذوا فيها برأيهم، قاضيا على نفسه بفتواهم، محبا ومقربا ومكرما لهم، مجريا عليهم الأرزاق من بيت المال طول أيامه، وحذا حذوه ابنه الأمير علي بن يوسف، قال عبد الواحد المراكشي: «اشتد إيثاره لأهل الفقه والدين فكان لا يقطع أمرا في جميع مملكته دون مشاورة الفقهاء»².

وكان المنشغلون بمذهب دولة الموحدين ذوي مكانة رفيعة، وكان لا بد في كل مجلس عام أو خاص بمجلس الخليفة من حضور الشيوخ والأعيان، الذين بلغوا في عهد أبي يعقوب يوسف المنصور الموحدي شأوا عظيما³، ولم يوجد في بلد من البلاد التي يحكمها يوسف بن تاشفين، ولا في عمل من أعماله على طول أيامه رَسْمٌ مَكْسٍ ولا معونة ولا خراج في حاضرة ولا بادية إلا ما أمر الله تعالى به وأوجبه حكم الكتاب والسنة من الزكاة والأعشار وجزية أهل الذمة وأخماس غنائم المشركين. وجب في ذلك من المال على وجهه ما لم يُجْبِه أحد قبله، وأسقط ما دون الأحكام الشرعية وكان يسير في أعماله فيتفقد أحوال رعيته في كل سنة، وكان محبا في الفقهاء والعلماء والصلحاء مقربا لهم صادرا عن رأيهم مكرما لهم، أجرى عليهم الأرزاق من بيت المال طوال أيامه، وكان مع ذلك حسن الأخلاق متواضعا، كثير الحياء، جامعا لخصال الفضل، وكان كما قال الفقيه الكاتب أبو محمد محمد بن حامد فيه وفي بنيه:

مَلِكٌ لَهُ شَرَفُ الْعُلَا مِنْ حَمِيرٍ وَإِنْ أَنْتَمُوا صَنَهَاجَةً فَهَمُّ هُمْ

¹ - الخشني - أخبار الفقهاء والمحدثين - صص 17-18.

² - جمال أحمد طه - مدينة فاس - صص 163-164.

³ - المرجع نفسه - ص 164.

لَمَّا حَوَّزُوا أَحْوَازَ كُلِّ فَضِيلَةٍ غَلَبَ الْحَيَاءُ عَلَيْهِمْ فَتَلَثَّمُوا¹

ومن الآخذين علم الإمام المازري من المشاهير من رجال العلم والسياسة محمد بن تومرت والإمام المتبحر الجليل أبو بكر بن العربي²، هذا وكان تأثير الشيخ أبي الحسن بن حرزهم في أمير المسلمين علي بن يوسف تأثيرا عظيما، إذ كان يتردد بين فتاوى الفقهاء، وبين وعظ الصوفية، ومن مظاهر التأثير أنه وافق الأمير علي بن يوسف في مُصَادَرَة كتاب الإحياء للإمام الغزالي، ثم عدل عن ذلك، وحثّ على العمل به³.

وكان لأقطاب الصوفية تأثيرهم في السياسة بالمغرب فضلا عن الحياة الروحية، ولهم أثرهم السياسي أيضا في أيام دولتي المرابطين والموحدين⁴، وبادر القاضي عياض بالمسابقة إلى الدخول في نظام الموحدين فأقرّه أمير المؤمنين علي ما كان عليه، وصرف أمور بلده إليه، وخاطبه بالتنويه، وحظي عنده، وشكر بدارته وسبقه. ثم رحل إليه فاجتمع به في مدينة سلا عند توجهه لمحاصرة مراكش، فأوسع له، وأجزل صلته، ولقي منه برا تاما، وإكراما عاما، وانصرف على أحسن حال⁵.

واتّصفت أخلاق الخلفاء الموحدين بالزهد والتصوف، فقد كان الخليفة عبد المؤمن بن علي (ت 558هـ/1163م)، من الطلبة المتلقين علم التصوف على يد الصوفي أبي محمد عبد السلام التونسي قبل لقائه بالمهدي بن تومرت في رباط ملالة سنة (ت 512هـ/1118م)، كذلك كان الخليفة أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن زاهدا متقشفا، وكان يكتب الصوفية ويسألهم الدعاء، ويحسن إليهم، فكثر في عهده المُتَبَتِّلون والصلحاء وانتشروا في كافة أنحاء المغرب⁶.

¹ - ابن أبي زرع - الأنيس المطرب - صص 136-137.

² - عبد الوهاب - الإمام المازري - ص 52.

³ - جمال أحمد طه - مدينة فاس - ص 297-298.

⁴ - المرجع نفسه - صص 297 - 298.

⁵ - القاضي عياض - الإلماع - ص 6.

⁶ - الطاهر بونايي - التصوف في الجزائر - ص 198.

ولإبراهيم بن حسن بن عبد الرفيع الربيعي التونسي كتاب معين الحكام في مجلدين، وهو كتاب كثير الفائدة، غزير العلم¹.

وهكذا فقد مثل العلماء الفقهاء عصب الحياة السياسية بما قدّموه من نصح للأمرء والملوك والسلطين، ولعمال الخلافة في مختلف الأقاليم، وأما الساسة والخلفاء الذين عرفوا قيمة هؤلاء الرجال، فكان لذلك بالغ الأثر فيما كان يعرض للحكام من الأمور الجليّة، وأتخذوا منهم الحَكَمَ بين الناس والوزير والحاجب وصاحب الشرطة، وفي أحيان كثيرة يستخلفونهم على الرعيّة إذا تطلّب الأمر لِمَا أَلْفَوْا فيهم من العدالة والجدارة، ويُشْرِكُونهم في المهمّات السياسية، ومنهم أيضا أهل الفتوى والمشورة، وأصحاب الصلاة، وقربوهم وصاحبوهم وانتفعوا بأدبهم وأخلاقهم وعلمهم، فكانوا أئمة للناس في كل أمر بعدما أثبتوا الكفاءة والأهلية والاستحقاق لذلك.

¹ - ابن فرحون - الديباج - ص 145.

المبحث الثاني: مقاومة العلماء الأشاعرة والمالكية والصوفية للخوارج والشيعة

1- تصدّي العلماء للخوارج: وفي حديث الدباغ عن فضل القيروان يذكر أن سلفهم الصحابة والتابعون، وجاء من بعدهم علماء الدين، والقدوة لسائر المسلمين مصايح الظلام وأئمة الإقتداء، وهم الذين كانت تشدّ إليهم الإبل، وبالجملة فالذي كان أهل القيروان عليه قديما من قوة الإيمان بالله، والانتصار للحق، والصبر على الأذى في الله، والجهد لإعزاز الدين والقيام بالردّ على أهل الأهواء بالدلائل القاطعة والحجج الدامغة لتثبيت عقائد عامة الموحّدين، فقد ناضلوا بالسيوف، وجادلوا باللسان في تقرير الدين وتثبيت قواعد اليقين، قد امتنحوا باستيلاء الخوارج عليهم من الصفرية والإباضية¹.

ومن المهتمين بالفقهاء والعلماء والشعراء يزيد بن حاتم المهلبي، والذي عُرف عهده بالاستقرار في إفريقية، وبرع في قيادتها، وشهد له الرواة والمؤرخون بأعمال أهمها قضاؤه على ثورات الخوارج، واهتم بالبناء والعمارة فبنى المسجد الأعظم بالقيروان، ومن الفقهاء والعلماء الذين تقرب منهم عبد الرحمن بن زياد والبهلول بن راشد وابن فروخ وسحنون وغيرهم².

ويعتبر هؤلاء الأعلام المذكورون من الدعامات الأساسية التي ارتكز عليها فقه الإمام مالك بإفريقية، فكانوا سببا في حماية بيضة المسلمين، واستتباب الأمن عن طريق نصح الولاة ومؤازرتهم بالآراء والفتاوى الفقهية الصحيحة، وتشجيع العامة على اتباعهم، فشكّلوا بذلك صمام الأمان وسدّا منيعا أمام كل ما من شأنه أن يهدّد أمن واستقرار الأمصار التي كانوا يعيشون فيها.

وأبو قرة المغيلي الدائن بدين الصفرية من الخوارج ملك أربعين سنة، وكانت بينه وبين أمراء العرب بالقيروان لأول دولة بني العباس حروب³، وكان يزيد بن حاتم المهلبي مشتهرا بالكفاءة ومهارة

¹ - الدباغ - معالم الإيمان - ج 1 صص 24 - 25.

² - الخشني - طبقات علماء إفريقية - ص 7.

³ - سحر السيّد عبد العزيز سالم - برغواطة هراطقة المغرب في العصر الإسلامي - مؤسسة شباب الجامعة - الاسكندرية - 1993م - ص 40.

السياسة، وحسن القيادة، وكان قد تقلد لأبي جعفر المنصور عدة ولايات منها أرمينية والسند ومصر وأذربيجان، وأمره المنصور بالسير إلى إفريقية في جيش قوامه خمسون ألف مقاتل، وبعد معارك ضارية استطاع الوالي يزيد بن حاتم أن يقضي على معظم ثورات الخوارج الصفرية والإباضية بإفريقية ويقتل أبا حاتم الإباضي سنة 155هـ/722م بالقرب من مدينة طرابلس، على حين فرّ بقية أصحابه إلى مناطق جبال نفوسة التي كانت تسكنها جماعات من الخوارج، ومكث يزيد بن حاتم واليا على إفريقية حوالي خمسة عشر عاما من أكثرها خيرا على إفريقية والرعية في شؤون المعيشة والإعمار، فأعاد بناء المسجد الأعظم بالقيروان، وأعطى للفقهاء المالكية مكانة وأهمية كبيرة، واعتمد عليهم في محاربة الخوارج، فكان يستشيرهم ويأخذ برأيهم، مما جعل إفريقية قاعدة للمذهب السني، أو قاعدة للسنة على مذهب الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه في بلاد المغرب. وبعد وفاة يزيد بن حاتم خلفه ابنه داود بن حاتم الذي واصل حربه لأمرأ البربر من الخوارج، وقتل منهم خلقا كثيرا¹.

ومن العلماء الفقهاء الإمام سحنون الذي عاصر نصف قرن من حياة دولة الأغالبة، وكان سنه أربع وعشرون عاما، فلعب دورا هاما في النهضة الفقهية المالكية السنية التي تصدت للخوارج الذين كانوا يشكلون خطرا، ويهددون كيان السنة والسلطان لبني العباس في إفريقية قبل قيام دولة الأغالبة وبعدها²، والإمام سحنون أول القضاة فرّق حلق أهل البدع من الجامع، وشرّد أهل الأهواء منه، وكانوا فيه حلقا من الصفرية والإباضية والمعتزلة، يظهرون زيغهم، وأدّب جماعة منهم بعد هذا خالفوا أمره، وتوّب جماعة منهم³.

¹ - ابن وردان - تاريخ مملكة الأغالبة - تحقيق محمد زينهم محمد عزب - مكتبة مدبولي - القاهرة - ط1 - 1408هـ/1988م - صص 15-16.

² - محمد عزب - الإمام سحنون - ص 52.

³ - القاضي عياض - المدارك - ج 4 ص 60.

واستغل العلماء والفقهاء أهل النظر والاستدلال الوظائف الإدارية التي أسندت إليهم بما فيها من سلطة في تنفيذ الأحكام لردّ الخوارج وغيرهم، ومنع فكرهم من الانتشار، فحافظوا بذلك على الاستقرار.

وعُرف الإمام إدريس بن إدريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، بالفصاحة والبلاغة والأدب، والعمل بكتاب الله تعالى والقيام بحدوده، ورواية حديث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عارفاً بالفقه والسنة والحلال والحرام وفصول الأحكام، تقياً، جواداً كريماً، حازماً، بطلاً شجاعاً، له عقل راجح، وحلم واسع وإقدام في مهمّات الأمور، قال داوود بن القاسم بن عبد الله بن جعفر الأوربي: شهدت مع إدريس بن إدريس بعض غزواته للخوارج الصفرية من البربر فلقيناهم وهم ثلاثة أضعافنا، فلما تقارب الجمعان نزل إدريس فتوضّأ وصلى ركعتين ودعا الله تعالى ثم ركب فرسه وقدم للقتال، فقاتلناهم قتالاً شديداً، ثم وقف بإزاء رايته والناس يقاتلون بين يديه، وهو تحت ظلال البنود يحضّ الناس ويشجعهم¹.

وقد علم الأمراء العلماء الفقهاء على مذهب الإمام مالك ضرورة الدفاع عن الدين، وعن جماعة المسلمين وبعث الإمام إدريس بن إدريس واحداً من أبرز هؤلاء، إذ كان له باع مبرز في نشر المذهب المالكي، والتمكين له والدفاع عنه وعن المتمذهبين به، لعلمه ودرايته وفقهه بأنّه مذهب حق، ومذهب أهل السنة والجماعة ببلاد المغرب.

وسئل السيوري عن قوم من الإباضية الوهبية²، سكنوا بين أظهر المسلمين يُظهرون بدعتهم، وبنّوا مسجداً يُصلّون فيه، وكان الوهبي يتزوّج المالكية لتقوى شوكته بمظاهرة أهل السنة، فإن أراد

¹ ابن أبي زرع - الأنيس المطرب - صص 25 - 26.

² الوهبية: قوم من الإباضية نسبة إلى عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم ثاني الأئمة الرستميين (171-208هـ/787-823م)، وظهرت التسمية إثر شيوع خبر يزيد بن فندين النكار الذي أنكر إمامة عبد الوهاب، وهناك من ينسب الوهبية إلى عبد الله بن وهب الراسبي. وابن وهب من المحكّمة الأولى الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، وبايعه الخوارج أميراً للقتال سنة 37هـ/658م. أبو زكريا يحيى بن الصغير المالكي - أخبار الأئمة الرستميين - تحقيق محمد ناصر وإبراهيم مجاز - دار الغرب الإسلامي - بيروت - ط1 - 1986م - ص 37. / أبو الحسن الأشعري - مقالات الإسلاميين - صص 128 - 130.

المُتَوَلَّى سجنهم وضربهم حتى يرجعوا إلى مذهب الإمام مالك؛ فأجاب بإخلاء المسجد منهم وتعميره بأهل السنة، ويمنع العزابة¹ من الدخول إليهم والتصرف عندهم، والتكاح الذي أحدثوا من نساءنا يُفسخ، وسجنهم وضربهم إن لم يتوبوا من الأمر بالحق، ويُردون إلى مذاهب أهل السنة، ومن قدر على ذلك فيلزمه فعل ذلك إذا كانت قدرته ظاهرة، ولا يتركون يخالطون الناس².

وسئل أبو الحسن اللّحمي عن قوم من الإباضية الوهبية سكنوا بين أظهر المسلمين مدة من السنين، فأجاب بالواجب على من بسط الله قدرته أن يستتبيهم مما هم عليه، فإن لم يرجعوا ضربوا وسُجنوا، ويبالغ في ضربهم، فإن أقاموا على ما هم عليه فقد اختلف في قتلهم. قال ابن حبيب: من تاب منهم يترك إلا أن كانت له جماعة في موضع يلجأون إليه فلا يترك وإن تاب، حتى تنفرك جماعتهم، وإشهار فساد ما يعتقدون ليلا يلبسون على أحد، وهم أشد في كيد الدين من اليهود والنصارى لأن الناس عرفوا كفر أصحاب هذين المذاهبين، وهم يقولون نحن مسلمون يقرؤون القرآن ويخالفون مضمونه، ويقولون بمحمد ويحدثون بالأحاديث التي تؤدي لمذهبهم، وأما هدم المسجد الذي بنوه فحق، وجميع ما يتألفون فيه كذلك، وأيضا فإنما يُقصد به الضرر والضرار، وهدمه يُؤسس في قلوب الناس والعمامة فساد ما هم عليه³.

وهكذا فقد فصل فقهاء المالكية في التحذير من خطر هؤلاء، كيف لا وهم أدري الناس بما يحدق بالمسلمين أهل السنة والجماعة على مذهب الإمام مالك رضي الله عنه، فنصحوا للمسلمين عامتهم والخاصة، وعن طريق الفتاوى قاوم فقهاء وعلماء المالكية مذهب الخوارج وبينوا فسادهم، وسعوا لإضعافه بل والتخلص منه، وهذا حتى يُمكنوا لمذهب أهل الحق الموروث عن النبي صلى الله عليه

¹ - العزابة: تُعرف بحلقة العزابة ذات عدد محدود من أهل البلد، تقوم بالإشراف الكامل على شؤون المجتمع الإباضي الدينية والتعليمية والسياسية والاجتماعية، وتُشاور هذه الحلقة في زمن الظهور والدفاع، أما في زمن الشراء والكتمان فإنها تقوم بعمل الإمام، وتمثله في مهامه. سعد رستم - الفرق والمذاهب الاسلامية - الأوائل للنشر والتوزيع - دمشق - ط3 - تشرين الثاني 2005م - ص 207.

² - الونشريسي - المعيار - ج 10 صص 149 - 150.

³ - المصدر نفسه - ج 10 صص 150 - 151.

وسلمّ والصحابة رضوان الله تعالى عنهم، والتابعين ثم أئمة الهدى من بعدهم، ولم يتوانوا عبر التاريخ من حفظه جيلا بعد جيل عن طريق العلم والثبات على الحق، وتنوير أفهام الناس وحكّامهم.

وبعد وفاة محمد بن المعتز بن محمد بن سارو بن مدرار ولي أمر سجلماسة في إحدى وثلاثين وثلاث مائة، ابنه أبو المنتصر سمغو بن محمد وهو ابن ثلاث عشرة سنة تُدبّر أمره جدّته، فمكث كذلك شهرين وقام عليه ابن عمّه محمد بن الفتح فحاربه وتغلّب عليه وأخرجه وتملّك سجلماسة، وكان محمد بن الفتح سنّيّا على مذهب المالكية يحسن السيرة ويظهر العدل¹.

وكان العلماء تلامذة الإمام مالك رضي الله عنه متمسكين بمذهب إمامهم المتمسك بدوره بالكتاب والسنة، مع شدّة وصلابة وبعد عن أسباب الترف، وكان هؤلاء العلماء يعانون من كثرة التأويلات والآراء التي حملها إليهم الخوارج من صفرية وإباضية، وما صاحب ذلك من فتن وثورات نشبت على أرض المغرب، فأوقع مذهب الإمام مالك في أنفوس المغاربة ما أوقع لإقامته بالمدينة المنورة مهد النبوة، فأحبّوا المذهب ومالوا إليه، ومن خالف هذا المذهب القائم على الكتاب والسنة حاربوه دون هوادة، حتى إذا قامت دولة الأدارسة بالمغرب الأقصى دعمت ووطّدت المذهب المالكي بالبلاد، وإلى ما بعد قيام دولة المرابطين دخل مذهب الإمام مالك في صراع مع الشيعة والخوارج وغير ذلك إلا أنه انتصر في النهاية².

2- مقاومة العلماء للعبيديين: لم تزل الشيعة منذ مقتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه تدعو إلى إمام معصوم، يقوم بالحقّ على زعمهم، فترسل دعاة إلى سائر النواحي، فلا ينجح لهم سعي، واختاروا رجلا على أن يرسلوه داعيا إلى المغرب يدعو الناس إلى التديّن بحبّ أهل البيت، وكان يسمّى أبا عبد الله الصنعاني ذا فهم وفصاحة، وجدال ومعرفة، فسار إلى موسم الحج ليجتمع بأهل المغرب ويدوق أخلاقهم ويطلع على مذاهبهم، ويتحيّل على نيل الملك بضعيف الحيل، والتقّى قوما من عشرة رجال

¹ - البكري - المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب - ص 151.

² - حسن علي حسن - الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس - صص 463 - 464.

من قبيلة كتامة ملتفين حول شيخ منهم، ولم يزل يستدرجهم ويخْلُبُهُمْ بما أوتي من فضل اللسان والعلم بالجدل إلى أن سلبهم عقولهم بسحر بيانه، وصحبهم إلى مصر التي كانت في طريقهم، فكان يحدثهم ويميل بهم إلى مذهبه، إلى أن أشربت قلوبهم محبته، فرغبوا أن يسير إلى بلادهم ليعلم صبيانهم؛ فأقام بالقيروان يتعرف أخبار القبائل حتى صحَّ عنده أن ليس في قبائل إفريقية أكثر عددا، ولا أشدَّ شوكة ولا أصعب مراما على السلطان من كتامة، واجتمع الصنعاني بالشيخ وقال له: «لست بمعلم الصبيان، إنما الأمر ما أخبرك به فاسمع إنما نحن أنصار أهل البيت، وقد جاءت الرواية فيكم يا أهل كتامة أنكم أنصارنا و المقيمون لدولتنا...»¹.

والعبيديون إنما سمّتهم بالفاطميين جهلة العوام، وإلا فجدهم مجوسي، قال القاضي عبد الجبار البصري: اسم جد الخلفاء المصريين سعيد، وكان أبوه يهوديا حدادا نشابة، وقال القاضي أبو بكر الباقلاني: القداح جد عبيد الله الذي يسمى بالمهدي كان مجوسيا، ودخل عبيد الله المغرب، وادعى أنه علوي، ولم يعرفه أحد من علماء النسب، وسماهم جهلة الناس الفاطميين، قال ابن خلكان: أكثر أهل العلم لا يصحّحون نسب المهدي عبيد الله جد خلفاء مصر، حتى أنّ العزيز بالله بن المعزّ في أول ولايته صعد المنبر يوم الجمعة فوجد هناك ورقة فيها هذه الأبيات:

يُتلى عَلَى الْمِنْبَرِ فِي الْجَامِعِ	إِنَّمَا سَمِعْنَا نَسَبًا مُنْكَرًا
فَاذْكُرْ أَبَا بَعْدَ الْأَبِ السَّابِعِ	إِنْ كُنْتَ فِيمَا تَدْعِي صَادِقًا
فَانْسُبْ لَنَا نَفْسَكَ كَالطَّائِعِ	إِنْ تُرِدْ تَحْقِيقَ مَا قُلْتَهُ
وَادْخُلْ بِنَا فِي النَّسَبِ الْوَاسِعِ	أَوْ لَا دَعِ الْأَنْسَابَ مَسْتُورَةً

¹ - ابن عذارى - البيان المغرب - ج 1 ص 124 - 127.

فإن أنساب بني هاشمٍ يَقْصُرُ عَنْهَا طَمَعُ الطامِعِ¹

ولم يكن العلماء والفقهاء المالكية يمنحون ولاءهم لهذه الدولة العبيدية التي ناوت الكثير منهم واضطهدتهم، يقول القاضي عياض: «كان أهل السنة بالقيروان أيام بني عُيَيْد في حالة شديدة من الاهتضام والشر كأثم ذمّة، تجري عليهم في كثرة الأيام محن شديدة، ولما أظهر بنو عبيد أمرهم ونصبوا حسينا الأعمى السبّاب -لعنه الله تعالى- في الأسواق للسبّ بأسجاع لقتها يتوصّل منها إلى سبّ النبي صلّى الله عليه وسلّم في ألفاظ حفظها، وعُلّقت رؤوس الأكباش والحرمر على أبواب الحوانيت عليها قراطيس معلقة مكتوب فيها أسماء الصحابة رضوان الله عليهم، اشتد الأمر على أهل السنة فمن تكلم أو تحرك قُتل ومُثّل به»².

وأدى هذا بالفقهاء إلى مؤازرة مخلد بن كيداد الخارجي الذي ادعى أنّه من أهل السنة، وشاركوا في معركة ضارية على أسوار المهديّة، واستشهد منهم خمسة وثمانون من أئمة القيروان وعُبادها أمثال ربيع القطان وأبي الفضل المميسي وذلك سنة 333هـ/944م³، وأكثرهم زنادقة خارجون عن الإسلام، ومنهم من أظهر سبّ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ومنهم من أباح الخمر، ومنهم من أمر بالسجود له، والخيّر منهم رافضي يأمر بسبّ الصحابة رضي الله عنهم، ومثل هؤلاء لا تتعقد لهم بيعة، ولا تصحّ لهم إمامة⁴.

قال القاضي أبو بكر الباقلاني: كان المهدي عبيد الله باطنيا خبيثا حريصا على إزالة ملة الإسلام، أعدم العلماء والفقهاء ليتمكّن من إغواء الخلق، وجاء أولاده على أسلوبه: أباحوا الخمر والفروج، وأشاعوا الرفض، وقال الذهبي: كان القائم بن المهدي شرا من أبيه زنديقا ملعونا أظهر سبّ

¹ - جلال الدّين السيوطي - تاريخ الخلفاء - تعليق محمود رياض الحلبي - دار المعرفة - بيروت - ط4 - 1420هـ/1999م - ص 12.

² - ابن أبي زيد القيرواني - كتاب الجامع - صص 16-17.

³ - المصدر نفسه - صص 17.

⁴ - السيوطي - المصدر السابق - ص 12.

الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وقال: وكان العبيديون على ملة الإسلام شرا من التتر، وقال أبو الحسن القاسبي: إنّ الذين قتلهم عبيد الله وبنوه من العلماء والعبّاد أربعة آلاف رجل ليردوهم عن الترضي عن الصحابة، فاختاروا الموت، ولم يكن رافضيا فقط، ولكنه زنديق، وقال القاضي عياض إنّ أبا محمّد القيرواني الكيزاني من علماء المالكية كان يرى الموت خيرا من الإكراه على الدخول في دعوتهم، وإلاّ الفرار لتعطيلهم الشرائع، وأما من قام بينهم من الفقهاء فعلى المباينة لهم لئلاّ تخلو للمسلمين حدودهم فيفتنهم عن دينهم، وقال يوسف الرعيني: أجمع العلماء بالقيروان على أنّ حال بني عبيد حال المرتدين والزنادقة، لما أظهرها من خلاف الشريعة، وقال ابن خلكان: وقد كانوا يدعون علم المغيّبات، وصدرت مبايعتهم والإمام العباسي قائم موجود سابق البيعة فلا تصح، إذ لا تصح البيعة لإمامين في وقت واحد¹.

وقال عبد الله المحتال عامل العبيديين على القيروان للشيخ أبي محمّد بن عبد الله الشهير بابن التبان: «ادخل العهد وخذ البيعة»، فأجابه ابن التبان بما يقطع أمله فيه إلى الأبد ويئسه من استمالة قلوب علماء السنّة قاطبة إلى مذهبه فقال له: «شيخ له ستون سنة يعرف حلال الله وحرامه، ويردّ على اثنتين وسبعين فرقة، يقال له هذا، لو نشرته في اثنين ما فارقت مذهب مالك»².

وكان جبلة بن حمود الصدي لا تأخذه في الله لومة لائم، ولما دخل عبيد الله الشيعي إفريقية، ونزل رقادة ترك جبلة سكنى الرباط، ونزل القيروان، فكلم في ذلك فقال: كنا نحرس عدوا بيننا وبين البحر، والآن حلّ هذا العدو بساحتنا، وهو أشد علينا من ذلك، فكان إذا أصبح وصلّى الصبح خرج إلى طرف القيروان من ناحية رقادة معه سيفه وترسه وفرسه وسهامه، وجلس محاذيا لرقادة إلى غروب الشمس، ثم يرجع إلى داره ويقول: «أحرس عورات المسلمين منهم، فإن رأيت شيئا حركت المسلمين عليهم»، وكان ينكر على من يخرج من القيروان إلى سوسة ونحوها من الثغور ويقول:

¹ - السيوطي - تاريخ الخلفاء - صص 12 - 13.

² - محمّد المصلح - الإمام أبو الحسن اللّخمي - ج 1 ص 52.

«جهاد هؤلاء أفضل من جهاد الشرك»، ولم يكن في وقته أكثر اجتهادا منه في مجاهدة عبيد الله وشيعته؛ فسلمه الله عزّ وجلّ منهم¹.

ومن أساليب المقاومة التي انتهجها الإفريقيون للحدّ من المدّ الشيعي العبيدي وكسر سلطانه:

منع إعطاء الزكاة لهم وأخذها منهم، وقد أفتى الفقهاء بعدم إعطائها لهم وأخذها منهم، ومقاطعة صلاة الجمعة لذكر الخطباء أسماء بني عبيد والدعاء لهم، والإفريقيون يعتبرونهم زنادقة ومرتدين، ومنع الصلاة في لباس يحمل إسمًا من أسمائهم بإفتاء من بعض العلماء كأبي بكر بن عبد الرحمن، وأبي عمران الفاسي².

قطع السلام عليهم، وكان بعض الزهاد لا يسلم على العبيديين كأبي محمّد عبد الله بن مسرور التحيبي المعروف بابن الحجام امعانا في قطيعتهم، وكان عالما صالحا ورعا ذا سمت وخشية، بجانبنا لأهل الأهواء والبدع لا يرد السلام عليهم، وكان بعض العلماء والعبّاد يمنعون العبيديين ومن والاهم من الدخول عليهم وحضور مجالسهم، منهم أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد السبائي من الزهاد والمشهورين في القيروان، وضيق العلماء على من والاهم أو انضم إليهم وأنكروا عليه لأنهم أهل ضلال، حتى قيل إنّ المرء لو خيّر بين القتل والدخول في مذهب العبيديين وجب عليه أن يختار القتل، وبهذا كان جبلة بن حمود ونظراؤه ربيع القطان وأبو الفضل المسمي ومروان بن نصر بن السبائي والجبنياني يقولون ويفتون³.

¹ - الدبّاغ - معالم الإيمان - ج 2 صص 272 - 273.

² - محمّد المصلح - الإمام أبو الحسن اللّخمي - ج 1 صص 58 - 59.

³ - المرجع نفسه - ج 1 صص 59 - 61.

وكان الملوك العبيديون يتوجسون خيفة من التفاف الطلبة حول شيوخهم، وخاصة عندما يزداد عددهم: فهذا أبو عثمان سعيد الخولاني شيخ قصر المرابطين بالمنستير يجتمع حوله للدراسة والمرابطة آلاف الطلبة، وهو مسنٌ متعبّد فيخاف منه الشيعة ويحذرون أمره¹.

وكان من العلماء من يمتنع من تولي الخطط الشرعية التي يسندها لهم العبيديون فقد رفض الحسن بن نصر السوسي قضاء سوسة لَمَّا عُرض عليه وقصد القيروان، ثم إن من كان مجاريا -من العلماء- للعبيدين لا يُنظر إليه بعين الرضا. على أن العلماء لم تلن لهم قناة، ولم يتزحزحوا عن عقيدة أهل السنة والجماعة، ولم يخفت نشاطهم في خدمة المذهب المالكي تدريسا ونشرا وتأليفا².

وسعى العراقيون بآبن البرذون وآبن الهذيل عند دخول الشيعة القيروان، لموافقته إياه في مسألة التفضيل، أي تفضيل عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه على سائر الصحابة، وكذلك رخصة مذهبهم التي سعوا بها إلى أبي العباس الشيعي، فأمر ابن أبي خنزير بضرب رقابهما، وطيف بهما مسحوبين على وجوههما من باب تونس إلى باب أبي الربيع؛ فصلبا هنالك، ولما أنكرا ادعاء عبيد الله النبوءة أمر عبيد الله بذبحهما، وقيل إن إبراهيم بن البرذون لما جُرّ للقتل قال له ابن أبي خنزير: «أترجع عن مذهبك؟» فقال له: «أعز الإسلام تستيتيني؟» فقتل³.

وعن السؤال: هل يُعذر أحدٌ بالإكراه في الدخول لمذهبهم؟ أجاب الشيوخ أبو محمد بن أبي زيد وأبو القاسم بن شبلون وأبو الحسن القابسي وأبو عليّ بن خلدون وأبو محمد الضبيّ وأبو بكر بن عذرة: «لا يعذر أحد في ذلك»، وقال بذلك أيضا الشيخ أبو القاسم بن الدهان لأنهم كانوا يرون كفر العبيدين، وشدد ابن أبي زيد على أهل طرابلس لما أظهروا دخولهم في دينهم عند الإكراه، عليهم تنفيرا للعامّة، وسدّا لهذا الباب⁴.

¹ - ابن أبي زيد القيرواني - كتاب الجامع - صص 17 - 18.

² - المصدر نفسه - صص 18 - 19.

³ - الدباغ - معالم الإيمان - ج 2 صص 262 - 264.

⁴ - المصدر نفسه - ج 2 ص 265.

وعاش الإمام أبو الحسن اللّخمي في عهد اتّسم بالإضطراب، وتلاحق الفتن على إفريقية والمغرب من داخل البلاد ومن خارجها، فقد عاصر الدولة الصنهاجية في مرحلة تبعيتها للبيديين بمصر، وانفصالها فيما بعد، وشاهد فتنة الأعراب وهجومهم الكاسح على مدائن إفريقية وقراها، وتخريبهم للقيروان، عاصمة البلاد السياسية والعلمية، وكان أهل إفريقية على مذهب أهل السنة عقيدة ومذهبا فقهيا وعلم أهل المدينة لا يرضون بها بديلا، إذّاك ابتليت البلاد باستيلاء البيديين واتخاذهم القيروان مركزا لحكمهم، وحاولوا فرض مذهبهم فوق الصدام مع أهل إفريقية، وتفظن العلماء لما انطوى عليه البيديون وصنّفوهم في خانة الابتداع والضلال، وحدّروا الناس منهم¹.

إن حُكم الأفاقة على البيديين بالزندقة كان أهمّ عائق أمام دعائم المكلفين بنشر مذهبهم وإشاعته في الناس، إذ لم يستطع هؤلاء الدعاة بالرغم من مساندة السلطة لهم أن يستميلوا إليهم سوى فئة قليلة طوال حكم البيديين، وكان معظمهم من العوام².

وكان قيام دولة المرابطين نصرا للمالكية في المغرب، وتأكيدا لدور علماء المالكية، فالدولة أساسا هي دعوة إصلاحية استمدت تعاليمها من مذهب الإمام مالك رحمه الله، ثم تطوّرت الحركة الإصلاحية من مجرد دعوة إلى جيش خلّص المغرب الأقصى من البدع الضالة³، كما قاتل المرابطون الشيعة الرافضة في تارودانت وافتتحوها واستولوا على ماسة، وتمّ لهم الاستيلاء على إقليم السوس بأسره سنة 448هـ/1056م⁴.

وكان المعزّ بن باديس الصنهاجي الذي تولّى إمارة إفريقية في سنّ حديثة قد تولّى تربيته رجال مستمسكون بالسنة من المالكية، فكبر في بيئة علم وأدب فاطمئن إلى إمكان التحرّر من البيديين بمصر، مجاريا في ذلك ميول الأمة الإفريقية، وتوّازره على ذلك صفوف العلماء، وضلّ يقاوم شيئا فشيئا

¹ - محمّد المصلح - الإمام أبو الحسن اللّخمي - ج 1 ص ص 47 - 29.

² - المرجع نفسه - ج 1 ص 49.

³ - حسن علي حسن - الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس - ص 464.

⁴ - سحر السيّد - برغواطة - ص 43.

مذهب ملوك الشيعة في العقيدة والسياسة، ماضيا في حركة الاستقلال بالبلاد حتى جاهر بفساد مذهبهم على المنابر، وأنكر سيادتهم وقاطعهم، وحمل الناس على الاستمسك بمذهب الإمام مالك رضي الله عنه، ولم يكن قد صنع ذلك وحده، بل سبقه إليه بزمن طويل ملوك بني أمية بالأندلس حين حملوا الأمة على إثارة مذهب الإمام مالك¹.

ودارت مناقشات فقهية بين أبي عمر أحمد بن أبي ربال -من قضاة الجزائر الشرقية- وبين فقهاء القيروان وعلى رأسهم أبو عمران الفاسي، الفقيه المحدث، وكان لها أثرها الكبير في دعم المذهب المالكي بإفريقية، وتشجيع الحركة المناوئة للمذهب الشيعي التي تزعمها المعز بن باديس وما صدر عنها من نتائج، وقد أرسل الموفق مجاهد العامري الأندلسي الشيخ أبا ربال في سفارة إلى المعز بن باديس وبصحبته إقبال الدولة².

وكان المعز بن باديس صغيرا إذ ولي، وهو ابن ثمانية أعوام، وقيل: ابن تسعة أعوام. رُبي في حجر وزيره أبي الحسن بن أبي الرجال وكان ورعا زاهدا، وكانت إفريقية كلها والقيروان على مذهب الشيعة وعلى خلاف السنة والجماعة، من وقت تملك عبيد الله المهدي لها؛ فحرّض ابن أبي الرجال المعز بن باديس، وأدبه ودلّه على مذهب مالك وعلى السنة والجماعة، والشيعة لا يعلمون ذلك ولا أهل القيروان؛ فخرج المعز في بعض الأعياد إلى المصلّى في زينته وحشوده وهو غلام، فكّبا به فرسه؛ فقال عند ذلك «أبو بكر وعمر» رضي الله عنهما؛ فسمعتة الشيعة التي كانت في عسكره، فبادروا إليه ليقتلوه، فجاءه عبيده ورجاله ومن كانوا يكتمون السنة من أهل القيروان، ووضعوا السيف في الشيعة، فقتلوا منهم ما ينيف عن الثلاثة آلاف، قال أبو الصلت: وصاح بهم في ذلك الوقت صائح الموت، فقتلوا في سائر بلاد إفريقية. فوافق ذلك ما قاله الشعراء فيهم على وجه التطهير ومن أقوالهم:

يا مُعزَّ الدِّينِ عِشْ في رِفْعَةٍ وَسُرُورٍ وَاغْتِبَاطٍ وِجَانِدَلٍ

¹ - محمد المصلح - المرجع السابق - ج 1 ص 34 - 35.

² - سيسالم - المرجع السابق - ص 501 - 502.

أَنْتَ أَرْضَيْتَ النَّبِيَّ الْمُصْطَفَى وَعَتَيْقًا¹ فِي الْمَلَاعِينِ السِّقْلِ
وَجَعَلْتَ الْقَتْلَ فِيهِمْ سُنَّةً بِأَقَاصِي الْأَرْضِ فِي كُلِّ الدُّوَلِ

ولم يزل المعزُّ يُعْمِلُ فكره في قطع الدعوة لهم إلى أن كانت سنة 440هـ/1048م².

وعُرف العلماء بمباينتهم الشديدة لأهل الأهواء والبدع، وثباتهم على مواقفهم المأخوذة من مذهب أهل السنة والجماعة، ودرابتهم الكبيرة بالفقه على مذهب الإمام مالك والعقيدة على مذهب الإمام الأشعري جملة وتفصيلا المُمَيِّزُونَ بهما معتقدات الفرق التي عاصروها، وتأثيرهم الجلي على العامة والخاصة ممن خَبَرُوا أخلاقهم العالية على طريقة مشائخهم الذين سبقوهم، فساهموا بذلك في قيام الدول على طريقة الحقِّ وحفظها من التيارات الشاذة، والتي لولا ثبات العلماء أمثال ابن التبان وابن الهذيل وابن البرذون وابن أبي زيد والقابسي والسيوري، وغيرهم الجامعون لفنون العلم والفقهاء وأهل الصلاح لضاعت هذه الدول بين الزنادقة والمبتدعة، وساعدهم في ذلك تأدب وتعلم كثير من الحكّام والأمراء والخلفاء في مجالسهم وبين أيديهم، وليس كما يُرَوِّج بعض الطاعنين في التاريخ الإسلامي أنّ الصراع كان من أجل النفوذ والسلطة والمال، أو التعصّب للاعتقاد والمذهب والطريقة.

¹ - عتيق: روى ابن سعيد عن ابن سيرين أن عتيقًا إسم سيّدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه، والصحيح أنه لقبه. فقيل لعتيقة وجهه: أي لجماله، وقيل لقدمه في الخير، وقيل لعتاقة نسبه: أي طهارته، وسئلت عن ذلك السيّد عائشة رضي الله عنها فقالت: إنا أبا قحافة كان له ثلاثة أولاد سماهم عتيقا، ومُعْتَقًا، ومُعْتَيْقًا. وقيل إن أمّه كان لا يعيش لها ولد، فلمّا ولدته استقبلت به البيت، ثم قالت اللهم هذا عتيق من الموت فهبه لي. وفي لفظ أن سيّدنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَمَّاهُ عَتَيْقًا. الإمام السيوطي - تاريخ الخلفاء - ص 32.

² - ابن عذاري المراكشي - البيان المُغرب - ج 1 صص 273 - 274.

المبحث الثالث: ردّ الأشاعرة والمالكية والصوفية لخطر نحل غير الإسلام

1- تقويم العلماء لقبائل البربر وانهاء الكيانات المعادية: أمّا الإمام إدريس فبعد استوثاق أمره وتمام دعوته، خرج غازيا إلى البرابرة الذين كانوا بالمغرب على دين الجوسية واليهودية والنصرانية مثل فندلاوة وبهلوانة ومازار وفتح تامسنا ومدينة شالة وتادلا، وغزا برغواطة للقضاء على نفوذهم الذي بدأ يتّسع، ولما ولي أبو غفير أظهر ديانته، وقاتل الأدارسة ملوك المغرب، واشتدت شوكته، فكانت بينه وبين إدريس بن إدريس حرب عظيمة، ومواقف جهادية شهيرة؛ فالأدارسة أسرة شريفة يرتفع نسبها إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومحاربتهم لهراطقة برغواطة يعدّ من قبيل الجهاد الذي التزموا به، وللحدّ من سيطرة المارقين عن الدين الإسلامي¹.

ويعدّ الإمام إدريس بن عبد الله وابنه من الأمراء ذوي العلم والفقهاء والدراية والفهم، الذين مكّنوا لمذهب أهل السنة والجماعة مذهب الإمام مالك في بلاد المغرب.

خرج الإمام إدريس لغزو من بقي بالمغرب من البربر على دين النصرانية واليهودية والجوسية، وكان بقي منهم بقيّة متحصنون بالمعاقل والجبال والحصون المنيعة، فلم يزل يجاهدهم ويستنزهم حتى أدخلوا في الإسلام طوعا وكرها، وفتح بلادهم ومعقلهم، ومنها حصون فندلاوة ومديونة وبهلولة، وقَلع غياثة وبلاد فازاز، ثم خرج إلى تلمسان ومنّ بها من قبائل مغراوة وبنو يفرن، ونزل بخارجها، فأتاه أميرها محمد بن خزر بن صولات المغراوي وجميع من معه بتلمسان من قبائل زناتة، فدخل إدريس المدينة صلحا وأمن أهلها وبنى مسجدها وأتقنه².

وكانت برغواطة قبائل كثيرة مجوس أهل ضلال وكفر ليس لهم أب وأمّ واحدة، وإمّا هم أخلاط من قبائل شتى من البربر اجتمعوا إلى صالح بن طريف القائم بتامسنا حين ادّعى النبوة في أيام عبد الملك بن مروان، وكان ابن طريف رجلا خبيثا يهودي الأصل، رحل إلى المشرق فقرأ على عبيد

¹ - سحر السيّد - برغواطة - صص 34-35.

² - ابن أبي زرع - الأنيس المطرب - ص 21.

الله المعتزلي القدري، واشتغل بالسحر، وقَدِم المغرب، وأظهر للبربر الإسلام والزهد والورع، وأخذ بعقولهم واستمالهم بسحره ولسانه، فأقروا بفضله، واعترفوا بولايته، ووقفوا عند أمره ونهيه، وشرع لهم الديانات¹.

قال أبو العباس المذحجي إن يونس القائم بدين برغواطة أصله من شذونة، من جهة وادي برباط²، وكان قد رحل إلى المشرق في عام 201هـ/816م، ادعى يونس صاحب برغواطة النبوة، وطلب علم النجوم والكهانة، ونظر في الجدال، وانصرف فنزل بين هؤلاء القوم، فرأى جهلهم، وكان يخبرهم بأشياء قبل كونها، فيكون كما قال أو قريبا منه، فعظم عندهم؛ فلما رأى ذلك منهم، وعلم ضعف عقولهم وكثرة جهلهم أظهر ديانته، ودعا إلى نبوته، وسمي من اتبعه برباطي، ثم أحالوه بألسنتهم إلى برغواطي، وكان يونس قد قتل خلقا كثيرا من البربر حتى أطاعوه وعلى دينه تابعوه³.

وقال سعيد بن هشام المصمودي في وقعة بهت قصيدة طويلة منها:

قَفِي قَبْلَ التَّفَرُّقِ فَأَخْبِرِنَا	وَقُولِي وَأَخْبِرِي خَبْرًا مُبِينَا
هُمُومَ بَرَابِرَ خَسِرُوا وَضَلُّوا	وَخَابُوا لَا سُقُوا مَاءَ مَعِينَا
يَقُولُونَ النَّبِيَّ أَبُو غَفِيرٍ	فَأَخْزَى اللَّهُ أُمَّ الكَاذِبِينَ
أَلَمْ تَسْمَعْ وَلَمْ تَرَ يَوْمَ بَهْتٍ	عَلَى آثَارِ خَيْلِهِمْ رَيْنَا
رَيْنَ البَاكِياتِ بِهِمْ تَكَالَى	وَعَاوِيَةَ وَمُسْقِطَةَ جَنِينَا
هُنَالِكَ يُونُسُ وَبَنُو أَبِيهِ	يُوالُونَ البَوَارَ مُعْظَمِينَا

1- ابن أبي زرع - الأنيس المُطرب - ص 130.

2- وادي بَرِبَاتُ: واد بالأندلس من أعمال شذونة، وفي المغرب في أقصاه إذا عطفت على البحر المحيط مدن كثيرة، منها مدينة يقال لها برباط في شاطئ نهر سُبَّة من شماله. الحموي - معجم البلدان - ج 1 ص 368.

3- ابن عذاري المراكشي - البيان المُغرب - ج 1 صص 225 - 226

فأمّا الضلال الذي شرّع لهم فإنهم يقرّون بنبوة صالح بن طريف، وأنّ الكلام الذي ألف لهم هو وحي من الله تعالى لا يشكّون فيه تعالى الله عن قولهم، وفرض لهم صوم رجب وأكل رمضان إلى غير ذلك من التبديل في دين الله¹.

توجّه أحد بني جدالة إلى فريضة الحج، واجتاز في إياه على مدينة القيروان وذلك سنة 430هـ/1038م، فحضر بها مجلس الفقيه المدرس أبي عمران الفاسي فسأله عن قبيلته ووطنه فذكر له أنه من الصحراء، من قبيلة جدالة إحدى قبائل صنهاجة، فقال له الفقيه: ما مذهبكم؟ فقال له: «ما لنا علم من العلوم ولا مذهب من المذاهب لأننا في الصحراء منقطعين، وفينا أقوام صالحون يحرصون على تعلّم القرآن وطلب العلم، ويرغبون في التفقّه في الدّين لو وجدوا إلى ذلك سبيلا، فعسى يا سيّدي أن تنظر لنا من طلبتك من يتوجّه معي إلى بلادنا يعلمنا ديننا»... فدلّه الفقيه على رجل من فقهاء المغرب الأقصى مستوطن بالسوس يدعى واجاج بن زلو مشهور بالخير والعبادة وكانت بينهما قراءة ومعرفة... واختار له رجلا يعرف بعبد الله بن ياسين الجزولي² من طلبة الشيخ المذكور، الذي حصّل علما كثيرا بالأندلس، وسار إلى قبيلة جدالة ففرحوا به، واجتمع عليه منهم نحو سبعين شيخا من فقهاءهم وأهل الخير منهم يفقّههم في دينهم، فانقادوا إليه انقيادا عظيما، واجتمع عليه منهم عدد وافر، فغزا بهم لمتونة حتى دخلوا في دعوته، وسائر قبائل الصحراء، وكان أشدهم انقيادا إليه أمير لمتونة أبو زكريا يحيى بن عمر اللمتوني... وكان يلي لمتونة جبل فيه قبائل من البربر على

¹ - ابن عذاري المراكشي - البيان المُغرب - ج1 ص 226.

² - عبد الله بن ياسين الجزولي: العالم الفقيه الرئيس الناصر للدين، العامل الناصح الورع، صاحب لمتونة ووتد دولتهم، وموطّدها القائم بسياستها، وذلك أن أبا عمّان الفاسي الفقيه بعث إلى تلميذه وجاج دفين أكلوا بالساحل ليقوم بتعليم لمتونة بالصحراء ويقىم السنّة فيهم؛ فبعث وجاج من طلبته وأصحابه عبد الله بن ياسين مع اللمتوني، فلما رأى منهم القابلية والعزم بالعلم والحزم في إقامة الدين وأتباع السنّة وإحيائها، ندبهم إلى فتح البلاد وإحيائها بالعلم والدين، فأجابوه؛ فأقام معهم حتى توفي شهيدا بالغزو سنة 451هـ/1059م، ودخل عبد الله بن ياسين الأندلس في دولة ملوك الطوائف، وأقام بها سبع سنين، فحصل علما كثيرا وعاد إلى المغرب الأقصى. العباس بن ابراهيم السملالي - الإعلام بمن حلّ مراكش وأغمات من الأعلام - مراجعة عبد الوهاب منصور - المطبعة الملكية - الرباط - 1413هـ/1993م - صص 183 - 184.

غير دين الإسلام فدعاهم الشيخ عبد الله بن ياسين إلى الدّين فامتنعوا، فغزاهم وهزمهم، وفقد من اللمتونيين في هذه المعركة كثير فسماهم الشيخ بالمرابطين لما رأى من شدة صبرهم، وحسن بلائهم¹.

ولما قدّم ابن ياسين يحيى وكان من أهل الدين والصلاح أمره بجهاد العدو، ولما كانت سنة 447هـ/1055م اجتمع فقهاء وصلحاء سجلماسة ودرعة وكتبوا إلى الفقيه عبد الله بن ياسين وإلى يحيى بن عمر وأشياخ المرابطين كتابا يرغبون منهم الوصول لبلادهم ليظهرها مما هي فيه من المنكرات وشدة العسف والجور، وما هم عليه أهل العلم والدّين وسائر المسلمين من الذلّ والصغار من عاملهم مسعود بن وانودين الزناتي المغراوي؛ فغزاه ابن ياسين وانتصر المرابطون، وغنموا مغنما عظيما وفُرقت الغنائم على فقهاء وصلحاء سجلماسة ودرعة وعلى المرابطين، ومات الأمير يحيى فقدم عبد الله بن ياسين أخاه وهو الأمير أبو بكر بن عمر اللمتوني وكان صالحا متورعا فغزا بلاد المصامدة والسودان ففتح بلاد كثيرة، وبعث عبد الله بن ياسين إلى ما تحت يده، وأمرهم بالكتاب والسنة وغزا بالمرابطين بجوس برغواطة².

لم تكن العلاقة بين مغرواة والفقهاء على ما يرام، فقد هاجر أبو عمران الفاسي من بلده فاس بسببهم إلى القيروان، كما أن الفقيه أبا الحجاج يوسف بن عيسى بن الملجوم سافر من فاس إلى السوس للقاء أبي بكر بن عمر ويوسف بن تاشفين، وذلك للشكوى من جور زناتة، وقد أدرك حظوة كبيرة عند يوسف بسبب دوره في عقد بيعته، وعندما خرج المرابطون من رباطهم في الصحراء ووصلوا إلى أغمات وجدوا جهازا فقهيا مالكيًا صحيحا كان لهم خير معين على بناء دولتهم بل إنّ بعض الفقهاء هبوا إلى لقاء الملتمين وهم في طريقهم إلى المغرب مثل عيسى بن الملجوم وعبد الله بن

¹ - أبو القاسم محمد بن سماك العاملي - الحُللُ الموشية في ذكر الأخبار المراكشية - دراسة وتحقيق عبد القادر بوباية - دار الكتب العلمية - بيروت - ط1 - 2000م - صص 63 - 66.

² - ابن أبي زرع - الأنيس المُطرب - صص 127 - 128.

حمو بن عمر اللواتي السبتي الذي بشر بالمرابطين في سبتة، وعبد الله بن شبونة السبتي الذي رحل إلى أغمات وغدا المَعوّل عليه في الفتوى يومئذ¹.

ومن أبرز فقهاء سبتة الذين خدموا دولة المرابطين عند قيامها عتيق بن عمران الربيعي أو النفزاوي، صحب يوسف بن تاشفين وولاه قضاء سبتة، وأبو بكر بن العربي المعافري².

ويظهر دور الفقهاء جلياً في السلطان الذي امتلكوه، حيث كانت لهم كلمة مسموعة وأمر مطاع، ومن مظاهر ذلك تأسيس الدول، وتوليتهم القادة الميدانيين وتوجيههم عن طريق الفتوى والعلم من الكتاب والسنة المأخوذ من فقه الإمام مالك رضي الله عنه، وكذلك فالفقهاء أيضاً كانوا نقباء عن أهل الأمصار والمدن والقبائل التي يعيشون فيها، فكانوا يرسلون الحكام العادلين لتخليصهم من الظلم والجور، والعقائد الفاسدة المفروضة عليهم.

لما رأى الشيخ أبو محمد عبد الله بن ياسين استقامة ملتونة واجتهادهم، أراد أن يظهرهم ويملكهم بلاد المغرب، فقال لهم: «إتكم صبرتم ونصرتم دين رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد فتحتم ما كان أمامكم وستفتحون إن شاء الله ما وراءكم»؛ فخرج بهم من الصحراء إلى سجلماسة ودرعة وأهلها يومئذ تحت طاعة أمراء مغراوة من زناتة، وأميرهم يومئذ بن وانودين وذلك بعدما خاطبهم فلم يجيبوهم إلى ما طلبوا منهم فغزاهم في جيش كثيف حتى غلبوا عليهم، ودخلوا سجلماسة، وبعد ذلك توجه الأمير أبو زكريا يحيى بن عمر مع إمامه عبد الله بن ياسين إلى درعة بجند كثيف من ملتونة ومسوفة وملطة وهزرجة³، ثم إلى بلاد المصامدة يقصد أغمات⁴، وطاعت لهم وريكة⁵

¹ - القاضي عياض وولده محمد - مذاهب الحكام في نوازل الأحكام - صص 7-9.

² - المصدر نفسه - ص 9.

³ - هزرجة: من قبائل المصامدة، وكانت تسكن جبال درن خلف مراکش، وقد ذكروا بالإسم البربري ايميزركن. مجهول - مفاخر البربر - تحقيق عبد القادر بويابة - دار أبي رقرق للطباعة والنشر - الرباط - ط1 - 2005م - ص 172.

⁴ - أغمات: بأرض المغرب بقرب وادي درعة وبينها وبين نفيس مرحلة في قبائل البربر المصامدة، وأهل أغمات تجار مياسير، لم يكن في دولة الملثمين أكثر أموالاً منهم، وفيهم نخوة واعتزاز. الحميري - الروض المعطار - ص 42.

⁵ - وريكة: بربر مصاميد يسكنون بغربي أغمات وشرقيها. الإدريسي - نزهة المشتاق - مج2 ص 263.

وهيلانة¹ وهزميرة²، وكان وصوله لأغمت سنة 450هـ/1058م، وتلقّتهم أشياخ المصامدة وأذعنوا لهم بالطاعة³.

لما وصل عبد الله بن ياسين إلى بلاد تامسنا أخبر أنّ بساحلها قبائل برغواطة في أمم لا تحصى، ولما علم بحالها وما هم عليه من الكفر، رأى أنّ الواجب تقديم جهادهم على جهاد غيرهم، وكان عبد الله بن ياسين شديد الورع في المطعم والمشرب، إنّما يتعّيش من لحوم الصيد ونحوها، لم يأكل شيئاً من لحوم صنهاجة ولا من ألبانها، ومن حسن سياسته أنه أقام في صنهاجة السنّة والجماعة⁴، وسار عبد الله بن ياسين إلى غزوهم في جيوش المرابطين، والأمير على برغواطة يومئذ أبو حفص عبد الله بن أبيّ بن أبي عبيد محمّد بن مقلد بن السبع بن صالح بن طريف البرغواطي المتني، فكانت بينه وبين عبد الله ملاحم عظام مات فيها من الفريقين خلق كثير، وأصيب فيها عبد الله بن ياسين الجزولي؛ فكانت فيها شهادته، ولما حضرته الوفاة قال لهم: «يا معشر المرابطين إني ميّت من يومي هذا لا محالة، وإنّكم في بلاد عدوكم فإياكم أن تجبّنوا أو تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم فكونوا أعوانا على الحق وإخوانا في ذات الله، وإياكم والتحاسد على الرياسة، فإن الله يؤتي ملكه من يشاء من خلقه ويستخلف في أرضه من أراد من عباده»، وقبل موته بجراحه شاورهم في أمر خليفته على الجيش، فاتّفق رأيهم على تقديم أبي بكر بن عمر اللمتوني فقدّمه عبد الله بن ياسين عليهم باتّفاق من جميع أشياخ صنهاجة، وبعد فراغه من دفن قائده بموضع يعرف بكريفة بتامسنا قصد إلى قتال

¹ - هيلانة: من قبائل البربر المصاميد يسكنون بقبلة مراكش، وإيلان اسم رجل وهو إيلان بن مصمود وهو أبو إيلانة بن مازيغ بن تميلا بن كنعان بن نوح صلى الله عليه وسلم. ويقال له إيلان بن مصمود أبو إيلانة من المصامدة، وقيل هو إيلان بن برّ بن قيس غيلان، وأنّهم عرب صريجين، وأنّ إيلان خلاف المصامدة ولكنّه انتسب إليهم وصاهرهم فكثروا ولده فيهم فهم إيلانة، أكثر المصامدة عددا. الإدريسي - نزهة المشتاق - مج2 ص 246/ مجهول - مفاخر البربر - ص 172.

² - هزميرة: من قبائل المصامدة، وكانت مواطنهم بجبل درن. مفاخر البربر - ص 172.

³ - ابن سماء - الحلل المشوية - صص 67 - 69.

⁴ - أبو العباس أحمد بن خالد الناصري - الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى - تحقيق جعفر الناصري ومحمّد الناصري - دار الكتاب - الدار البيضاء - 1954م - ج2 ص 17.

برغواطة مصمما في حربه متوكلا على الله في جميع أمورهِ؛ فاستأصل برغواطة حتى فرّوا بين يديه وتفرّقوا في الصحراء، وأذعنوا له بالطاعة وأسلموا إسلاما جيّدا، ولم يبق لديانتهم الخسيصة أثر¹.

ولم يقتل عبد الله بن ياسين حتى استولى على سجلماسة وأعمالها والسوس كله وأغمات ونول الصحراء².

كان للعلماء أثر كبير في حفظ عقيدة ومذهب أهل السنّة والجماعة من خطر المنتحلين نحل غير الإسلام، ومن هؤلاء الشيخ أبي عمران الفاسي من علماء المالكية والعقيدة الأشعرية البارزين، ومن الأوائل الذين أدخلوا تعاليم الإمام الجنيد الى أرض المغرب الإسلامي، حيث بثّ علومه عن طريق تلاميذه وأتباعه ومنهم الشيخ واجاج وتلميذه عبد الله بن ياسين مؤسس دولة المرابطين الذي دخل الأندلس ونهل من مختلف العلوم، ويأتي فيما بعد دور الشيخ أبي بكر بن العربي الفاعل وهو من أرباب علوم الفقه والعقيدة والتصوّف ومن المدرّسين لها وغيرهم، ولولا دراية هؤلاء العلماء بعلم الكلام والتوحيد والفقه والمدفوعين بعلوّ همّة والأخلاق-موضوع التصوّف- لما كان لهم مثل هذا الأثر في الذبّ عن تعاليم الدّين الصحيحة في هذا الصّقع من العالم الإسلامي.

2- ردّ المالكية والصوفية والأشاعرة لخطر الفرنجة ببلاد المغرب: لقد توسّعت الرُّبُط في عهد العباسيين، وبنى الوالي العباسي هرثمة بن أعين أوّل رباط في إفريقية عام 179هـ/795م وبلغ التوسّع ذروته في عهد الأغالبة، وأقام الوالي زيادة الله الأغلبي رباط سوسة عام 206هـ/722م، وكانت تسمّى بالقصور والمحاريس، وانتشرت من الاسكندرية إلى المغرب الأقصى، وكان السكان يلجؤون إليها إذا دهمهم الغزاة، وقد صمدت هذه الرُّبُط أمام أساطيل البزنطيين الذين عجزوا -رغم تفوقهم

¹ - ابن أبي زرع - الأنيس المطرب - صص 130 - 133.

² - البكري - المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب - ص 168.

البحري- عن احتلال الساحل الإفريقي، وقد التزم المقيمون في هذه الرُّبَط بالتدرُّب العسكري الذي يؤهلهم للجهاد في سبيل الله والذود عن حياض المسلمين¹.

كان الشيخ أسد بن الفرات على علمه وفقهه أحد الشجعان، فخرج في عشرة آلاف رجل، منهم تسع مائة فارس إلى صقلية، وكان سبب الغزوة أنهم كانوا معه في هدنة، وكان في شرطهم أن من دخل إليهم من المسلمين، وأراد أن يردّ فعلهم ردّه؛ فرفع إلى زيادة الله أن عندهم أسرى، فجاءه رُسل طاغيتها، فجمع زيادة الله العلماء وسألهم عن الأمر ثم أمر بالعدو إليها². وخرج أسد بن الفرات إلى صقلية، وظفر بكثير منها، وتوفي وهو محاصر سرقوسة منها، وكان أيضا قد غزا سردانيا، فأشرف على فتحها. ولما لقي أسد ملك صقلية في مائة وخمسين ألفا، رُئي في يده اللواء وهو يزمزم، وأقبل على قراءة "يس" ثم حرّض الناس، وحمل وحملوا معه، فهزم الله جموع النصارى³.

وفي سنة 253هـ/866م اشتبك المسلمون في عهد الأغالبة مع الأسطول البيزنطي وألحقوا به خسائر فادحة، وفي سنة 275هـ/888م جهّز الأغالبة أسطولا ضخما استطاعوا أن يوجّهوا عن طريقه ضربة قاصمةً إلى الأسطول البيزنطي ويعدوا خطره، وبحلول سنة 362هـ/973م تضاءل الدور الدفاعي لإفريقية، لذلك كلّف يوسف بن زيري عامله على المهديّة عبد الله بن محمّد الكاتب بإنشاء أسطول جديد؛ فشرع في بنائه في ذي الحجة 365هـ/ أغسطس 976م⁴.

¹ - سعدون عباس نصر الله - دولة المرابطين في المغرب والأندلس - دار النهضة العربية - بيروت - ط1 - 1405هـ/1985م - ص 24.

² - القاضي عياض - المدارك - ج3 صص 304 - 305.

³ - المصدر نفسه - ج3 صص 305 - 306.

⁴ - ممدوح حسين - الحروب الصليبية في شمال إفريقيا - دار عمار - عمان - ط1 - 1419هـ/1998م - صص 96 - 101.

وفي سنة 426هـ/1034م تعرّضت بونة إلى هجوم الفرنجة، وفي سنة 431هـ/1039م تعرّضت جزيرة جربة لهجوم من جيوش مالطة وقتلت كثيرا من أهلها، وفاجأ أسطول الروم المهديّة أثناء إقامة المعزّ بن باديس بها¹.

أقام عبد الله بن ياسين رباطه في عام 433هـ/1040م المستند على الشريعة الإسلامية المروية عن الإمام مالك بن أنس، ومن بين أهمّ أسس هذا الرباط الجهاد في سبيل الله، لذلك احتلّ الجهاد في المغرب الإسلامي مكانة رفيعة بسبب تعرّضه لغارات الفرنجة وغزواتهم، وكان المسلمون يرابطون في الثغور لدفع الأعداء².

ومن عادة يوسف بن تاشفين ألاّ يقدم على أمر إلا بعد مشورة الفقهاء الذين استشارهم فيما يجب عمله، فأفتوه بقتال الروم وعيّنوا له بمن يبدأ، وعلى إثر هذه الفتوى أمر عدة من جيوشه بالإبحار من مدينة سبتة عبورا إلى الجزيرة الخضراء³.

وفي سنة 529هـ/1134م استولى الفرنج على جزيرة جربة من بلاد إفريقية⁴، وكان أهل جربة المذكورين من الخوارج وغيرهم⁵، وفي سنة 541هـ/1146م ملك الفرنج طرابلس الغرب قهرا بالسيف، منتهزين الخلاف بين أهلها الذين التجأوا إلى البربر والعرب بعد سفك دماء أهلها، وسي نساءها، وأخذ أموالها⁶، قال الحميري: استولى عليها طاغية صقلية في 540هـ/1145م ثمّ استرجعها المسلمون⁷. وذكر ابن كثير أن ذلك تمّ في سنة 541هـ/1146م⁸. وسار رجار بأسطوله من المهديّة،

¹ - ممدوح حسين - الحروب الصليبية في شمال إفريقية - ص 140.

² - سعدون عباس - دولة المرابطين في المغرب والأندلس - صص 26 - 28.

³ - رينهارت دوزي - ملوك الطوائف - ترجمة كامل كيلاني - مصر - ط 1 - 1351هـ/1933م - ص 289.

⁴ - ابن الأثير - الكامل في التاريخ - ج 9 ص 286.

⁵ - الحميري - الروض المعطار - ص 158.

⁶ - ابن الأثير - المصدر السابق - ج 9 ص 338.

⁷ - الحميري - المصدر السابق - ص 390.

⁸ - عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي - البداية والنهاية - تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي - دار هجر - حيزة - ط 1 - 1419هـ/1998م - ج 16 ص 342.

مغتتما الشدة التي أصابتها، عندئذ جمع السلطان الحسن الناس من الفقهاء والأعيان وشاورهم فقالوا: «نقاتل عدونا فإنّ بلدنا حصين»، وملك الفرنج سوسة وصفاقس وصار لهم من طرابلس الغرب إلى قريب من تونس، ومن المغرب إلى دون القيروان¹، واسترجع المسلمون المهديّة بعد استنجد الأمير الحسن بصاحب المغرب عبد المؤمن بن علي، الذي تحرّك إلى إفريقية وحاصروا العدو الذي صالحه على الخروج عنها إلى صقلية².

ولما تجهّز أمير المؤمنين أبو يعقوب الموحدى إلى غزو الروم، أمر العلماء أن يجمعوا أحاديث في الجهاد تُملّى على الموحّدين ليدرسوها - وهكذا جرت عادتهم - فجمع العلماء ذلك وجاءوا به إليه، فكان يمليه على الناس بنفسه³، ثم انتفض ابن أذفونش وأغار على بلاد المسلمين فاحتشد الخليفة يوسف بن عبد المؤمن في سنة 567هـ/1171م وسرّح السيّد أبا حفص إليه فغزاه بعقر داره، وافتتح قيصر⁴ بالسيف، وهُزم جموعه في كل جهة⁵. وغزا قراقش طرابلس الغرب أيضا في سنة 586هـ/1190م، ثم دخل في طاعة المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن خليفة مراکش⁶.

وفي سنة 667هـ/1268م نزل الفرنسيّس أرض تونس، الحاقده على المنتصر أمير تونس، وفي 669هـ/1270م توفي طاغيتهم، وطلبوا الصلح فصالحهم السلطان على الانصراف إلى بلادهم من غير التعرّض لجهة من جهات المسلمين، وكانوا يتحدّثون بما رأوا من نجدة أهل إفريقية، وكثرة

¹ - ابن الأثير - الكامل في التاريخ - ج9 صص 350 - 352 .

² - الحميري - الروض المعطار - ص 562 .

³ - عبد الواحد المراكشي - المُعجب في تلخيص أخبار المغرب - تحقيق محمّد سعيد العريان - إشراف محمّد توفيق عويضة - المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي - الجمهورية العربية المتّحدة - 1963م - ج3 ص 328.

⁴ - قيصر: جزيرة تلي مدينة مازر من صقلية، وهي في شرقي جزيرة مليطمة، وهي من جزيرة الراهب بين جنوب وشرق، وتوازي الشاقفة ومازر، ومن قيصرية إلى برّ إفريقية مجرى، وهي مقطع للخشب الجيّد، وكانت فيها للمسلمين على الروم وقعة مجحفة ومقتلة عظيمة، وهي جزيرة صغيرة خصيبة. الحميري - الروض المعطار - صص 485 - 486.

⁵ - أبو العباس الناصري - الإستقصا - ج2 ص 135.

⁶ - الحميري - المصدر السابق - ص 390.

أمدادها وقوة جهادها، وفي أثناء إقامتهم كانت بينهم وبين المسلمين زحوف استشهد فيها من سبقت له من الله الحسنى، ومات في القتال خلق كثير من عظماء النصارى، ومن سائرهم¹.

وكان العلماء والفقهاء يشاركون في تحفيز الهمم للجهاد، واستجلاب النصر عن طريق الدعاء، وتقديم الأسباب لذلك، ومؤازرة السلطان القائم بأمر الجهاد، من جمع للناس، وعقد للصلح لدرابتهم بعقيدة النصارى، ونظرهم إلى المسلمين، وكذلك معرفتهم بفقهاء المعاملات، وأتصافهم بالأمانة والصدق والإخلاص في نصيحة المسلمين.

ومن مظاهر المقاومة التي تحلّى بها العلماء والفقهاء أرباب العقيدة للمحافظة على دين ومعتقد المسلمين، فقد تصدّر الشيخ أبو محمّد عبد السلام البرجيني للتعليم والإرشاد، وكانت مدينة تونس في أشد الحاجة إلى معلمين مرشدين لخلوّ البلاد من حملة العلم بعد خراب القيروان واستيلاء نصارى النورمان على ساحل البلاد، فحافظ البرجيني على الفقه والسند من لدن الفتح في طبقة بعد طبقة².

وذكر شيوخ المنستير أن الروم أتوا مرّة إلى المنستير، واجتمع شيوخها إلى مكرم المتعبّد، وكان فاضلا ورعا زاهدا، اجتمعوا إليه وصلوا ركعتين، واجتهدوا في الدعاء، فأرسل الله سبحانه ريجا من داخل البحر فكسرت مراكبهم ورمتهم على شاطئ البحر؛ فخرج إليهم المسلمون وغنموهم، وجمعوا جميع ما حصل من ذلك وبنوا به روض القصر³ الكبير⁴.

¹ - أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الشماع - الأدلة البيّنة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية - تحقيق الطاهر محمد المعموري - الدار العربية للكتاب - تونس - 1984م - صص 69 - 73.

² - محمد المصلح - الإمام أبو الحسن اللّخمي - ج 1 ص 41.

³ - روض القصر الكبير: قيل إنّ الذي بنى القصر الكبير بالمنستير هرثة بن أعين سنة 180هـ/796م، فيه جماعة من الصالحين والمرابطين، وله في يوم عاشوراء موسم عظيم ومجمع كبير، وداخل القصر روض واسع في وسطه حصن كثير المساكن والمساجد والقصاب العالية، وفي القبلة منه صحن فيه قباب عالية متقنة حولها النساء المرابطات، ولها حمامات كثيرة، وكان أهل القيروان يخرجون له من الأموال والصدقات كثيرا. الحميري - الروض المعطار - ص 551.

⁴ - المالكي - رياض النفوس - ج 1 صص 420 - 421.

وأغار أسطول رجار منذ سنة 537هـ/1142م بقيادة جرجير الأنطاكي على مدن إفريقية الساحلية وجزرها، ومنها طرابلس وتمّ صد العدو، وفي نفس العام هاجم الأسطول جيغل التابعة لبني حماد، وجزيرتي قرقنة وجرية فسفكوا دماء أهلها، وسبوا حريمها، وأحرقوا المدن بالنار، واحتل الأسطول جيغل وبرشك وشرشال وتنس، وأغار على بونة، وسقطت أمّهات المدن الإفريقية في يده، وفي سنة 538هـ/1143م هاجم الأسطول النورماني صفاقس بعد الاستيلاء على المهديّة، وفي سنة 543هـ/1148م وبعد قتال شديد دخلوا المدينة وملكوها، واحتلت طرابلس كذلك بعد معاودة الكرة عليها، واحتلت قابس أيضاً¹ وقد قتل النصارى الفقيه المفتي ابن الضابط الصفاقسي سنة 543هـ/1148م، وهو من معاصري الإمام المازري، قتلوه في أمر طراً بصفاقس، قيل دخلوا عليه فوجدوا بين يديه مصحفاً يقرأ فيه فقتلوه، وقتلوا جماعة من الفقهاء².

وكانت صفاقس هي السبّاقة بعد جربة للثورة على النورمان الذين ولوا عليها بعد إحتلالها الشيخ أبا الحسن الفرياني، لمكانته وسعة علمه، ورجاحة عقله وحسن خلقه وصلابته في دينه، ثم اعتذر بعد مدة بسيطة واعتزل لكبر سنه، وأشار بتولية ابنه عمر بدلا عنه، وهذا ما فعله رجار، وأخذ الشيخ أبا الحسن رهينة إلى صقلية، وقبل مغادرته أمر ابنه بالثورة. وحين علم الشيخ أبا الحسن الفرياني أن النصارى بصفاقس قد امتدت أيديهم إلى المسلمين وألحقوا بهم الضرر كتب إلى ابنه عمر من صقلية بانتهاز الفرصة فيهم فثار عمر لوقته سنة 551هـ/1156م وإبان احتفال النصارى بالسنة الميلادية، أمر عمر بمهاجمتهم، فلم تطلع الشمس حتى قُتل الإفرنج عن آخرهم، وبعد علم وليام الذي خلف والده رجار بذلك وامتناع الشيخ أبا الحسن عن مراسلة ابنه بالعدول عن الثورة، سحب إلى المشنقة وهو يتلو القرآن حتى فاضت نفسه. وبذلك نجحت صفاقس في تحرير نفسها، وكان نجاح هذه الثورة سبباً في انتفاض سائر بلاد الساحل³.

¹ - ممدوح حسين - الحروب الصليبية في شمال إفريقية - صص 210 - 213.

² - الونشريسي - المعيار - ج 2 ص 274.

³ - ممدوح حسين - المرجع السابق - صص 223 - 224.

وكان للمسلمين والصلبيين من الأسباب القوية ما جعلتهم راغبين في إنهاء الحرب، وعُقدَ في عهد المستنصر مع الصليبيين الصلح، وأرسل السلطان مشيخة الفقهاء، على رأسهم الشيخ الجليل محمد بن عبد القوي أمير بني توجين، وهو الذي نزل على السلطان بتونس وأبلى في جهاد العدو أحسن البلاء، وكانت له مع قومه ومن احتشد من أهل وطنه مقامات مذكورة، ومواقف مشهورة وعند الله محتسبة معدودة¹.

ومن الشهود الفقهاء على معاهدة الصلح عبد الحميد بن أبي بركات بن عمران بن أبي الدنيا الصديقي، وعلي التميمي بن إبراهيم بن عمر، وأبو القاسم بن أبي بكر التحجبي، وهم من القضاة العلماء الفقهاء، وشهادتهم تعني انعقاد الصلح وصحة ثبوته، ذلك أنه قد جرت العادة أن يحضر مثل هذا الصلح السياسي العام كبار الفقهاء كمستشارين، وشهادة هؤلاء النخبة من فقهاء إفريقية كانت كافية لإقناع مسلمي إفريقية بصحة الصلح وعدالة شروطه وبالتالي توفير الدعم الشرعي للمستنصر في عقده الذي عرف معارضة كبيرة من المرابطين والفقهاء بحجة وجوب جهاد النصاري المعتدين².

كانت نجل غير الإسلام تهدد المسلمين في الغرب الإسلامي من حقبة لأخرى، وكان هذا التهديد يشكل خطراً حقيقياً على معتقدتهم وعلى حياتهم ككل، عن طريق إزالة أنظمة الحكم السائدة آنذاك، حتى يتسنى لأعداء المسلمين تمرير مخططاتهم دون مقاومة، ولكن فوجئ هؤلاء بالمقاومين الحقيقيين الذين وقفوا في طريق الهرطقة والشرك والتعميد، وهم الفقهاء والعلماء على مذهب الإمام مالك، وبالاعتقاد على مذهب الإمام الأشعري، وتزودوا بالأخلاق على طريقة الإمام الجنيد. فأقاموا الدول، واستنهضوا الهمم، وحفظوا بيضة الإسلام من المعتدين.

¹ - ممدوح حسين - الحروب الصليبية في شمال إفريقية - صص 327 - 328.

² - المرجع نفسه - صص 320 328 - 329.

3- تصدّي العلماء للنصارى بالأندلس: عقب سقوط الدولة الأموية، وقيام دولة الطوائف استفحل المد المسيحي أو ما يسمى عند الإسبان "الريكونكيستا Reconquista" أي -حروب الإسترداد- وشمل هذا المدّ معظم سواحل المغرب الإسلامي، مما أدى إلى حالة تأهب لمواجهة، ومقاومة مستمرة له، والذي تحمل تبعاته ومسؤولياته بعد سقوط الدولة هم الصوفية، وذلك بإنشاء الرباطات والزوايا على طول الساحل الغربي¹. وانتهض الصوفية في الجزائر الشرقية لبعث الهمة في النفوس، والحثّ على المرابطة والجهاد، وشحن الأرواح للتضحية والفداء والذبّ عن دار الإسلام، إذ كانت هذه الجزر خط الدفاع الأول في مواجهة القوى المسيحية المتربصة بالمسلمين في حوض المتوسط الغربي. وكان الصوفية والزهاد آنذاك من أشد المرابطين مِراسا، وأصلبهم عودا، يرابطون برباطات الساحل لدفع العدو عن ثغور المسلمين، وكان بينهم علماء وفقهاء وأدباء ومنهم أبو عبيدة الميورقي الزاهد².

وفي سنة 393هـ/1002م كانت أوّل غزوات عبد الملك بن أبي عامر حاجب الخليفة هشام بن الحكم بن عبد الرحمن الناصر إلى بلاد الإفرنج، وفتح حصن ممقصر³ من ثغر برشلونة عنوة وأسكنه بالمسلمين، ودوّخ بسيط برشلونة وما اتصل به. قال ابن حيان: وأظهر عبد الملك الجِدّ في أمر هذه الغزوة عُزّة رجب من السنة، ودفع المعاريف والصلوات إلى طبقات الأجناد الغازين معه فيها أولا، ووافت الحضرة لأول هذا الوقت طوائف كثيرة من مطوعة العدو المجاهدين للحسبة فيهم جماعة كبيرة

¹ - عبد المنعم القاسمي - أعلام التصوّف في الجزائر - ص 29.

² - سيسالم - جزر الأندلس - ص 516.

³ - **حصن مُمَقَصِر:** أو ممقصره وإسمه الإسباني Meya، وهو من حصون برشلونة المنيعة الواقعة بالثغر الإسباني جنوبي جبال مونسيش، فتح المسلمون هذا الحصن بعد عقد ألوية الغزو بالمسجد الجامع بحضرة قرطبة، وكان حصن منديش Montugastre أو منغص كما يسميه ابن الخطيب بقرية من حصن ممقصر من الحصون التي انتدب عبد الملك بن أبي عامر مولاه واضح في نخبة من رجاله لفتحه. لسان الدّين بن الخطيب - أعمال الأعلام فيمن بويغ قبل الاحتلام من ملوك الإسلام - تحقيق إ. ليفي بروفنسال - دار المكشوف - بيروت - ط2 - 1956م - ج3 ص 87. / محمد عبد الله عنان - دولة الإسلام في الأندلس - مكتبة الخانجي - القاهرة - 1417هـ/1997م - ص 610. / حسين مؤنس - موسوعة تاريخ الأندلس - مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة - ط1 - 1416هـ/1996م - ص 373 - 376.

من أمرائهم وزعمائهم وعصابة كثيرة من فقهاءهم ييغون مشاهدة هذه الغزوة المحتفل لها في هذه السنة فتسابقوا إلى الورد قبل حضورها بمدة¹.

وكان عبد الملك مراقبا لربه محبا في الصالحين يستهدي أدعيتهم، وكان يظهر العدل ويحمي الشرع، ويرفق بالرعية ويحطُّ عنهم البقايا، وكان من أبرّ الناس بوالديه، وكان من فرط الحياء مع الشجاعة في غاية بعيدة، وله في بلاد الروم آثار عظيمة غزا سبع غزوات في مُدته².

ومن الذين دخلوا الأندلس بغرض الجهاد الشيخ أبو ميمونة دزّاس بن اسماعيل³، وذكر أبو مروان بن حيان في تاريخه الكبير كيف تورّط المسلمون في جحيم ذلك المأزق، والتعجّب من لبوس أهل الرفاهية بطليطلة الذين ركبوا إلى العدو - كأنهم وفد سلم يشهدون المعاهدة - الذين عَدِموا الراعي العَنوف منذ حَقب، فنبذوا السلاح وكَلَفُوا بالترقيح ونافسوا في النَّشب، وعطّلوا الجهاد، وقعدوا فوق الأرائك مقعد الجبارة المتفانتين، من أهل مَوْسَطَة الأندلس، ينتظرون من ينبعث من أهلها للقتال عنهم حسبة، فتضعض ثغرهم بتوالي هذه النكبات، ولحقت المسلمين بهم مضايق يكره سماعها، حتى عم تلك الثغور الجلاء، وتوزع المسلمين البلاء، وخرت ديارهم، وبادت آثارهم⁴، ولما بان للمسلمين من مكيدة جيرانهم المعاهديين، وأخذهم الإرجاف، ووغرت لهم الصدور، ووجّه إلى مكانهم الحزم، ولحق القاضي أبو الوليد بن رشد بالأمر علي بن يوسف بن تاشفين بمراكش، فبيّن له أمر الأندلس، وما منيت به من معاهدها، وما جنوه عليها، من استدعاء الروم، وما في ذلك من نقض العهد، والخروج عن الذمة وأفتى بتغريبهم، وإجلالهم عن أوطانهم وهو أخف ما يؤخذ به من عقابهم،

¹ - ابن عذارى المراكشي - المعجب - ج 3 ص 3 - 4.

² - المصدر نفسه - ج 3 ص 3.

³ - الضيّبي - بغية الملتمس - ص 367.

⁴ - الشنتريني - الذخيرة - مج 1 ص 850 - 851.

وأخذ بقوله، ونفذ بذلك عهده¹. وخرج فقهاء الأندلس المُفتون إلى الأقاليم للرباط في سبيل الله ونهض ابن مالك مرابطا إلى بطليوس سنة 460هـ/1067م².

ومن القضاة والفقهاء المالكية الذين دخلوا الأندلس لأداء فريضة الجهاد نجد القاضي عيسى بن حيون، وفتوح بن محمد، وأبو محمد يعلى المصمودي، وأبو مروان عبد الملك المصمودي شهدا مع يوسف بن تاشفين غزوة الزلاقة، وكانا مُقَرَّبَيْنِ منه، وأكرمهما الله بالشهادة سنة 479هـ/1086م³.

وإثر موقعة الزلاقة شكر الناس الله تعالى على ما منحهم من النصر والخير، وكان عدد الروم فيما نقل مئة وثمانين ألف فارس، ومئتي ألف راجل فقتلوا أجمعين، ولم ينج منهم إلا ألفنسو في مئة فارس، وفي هذه الغزوة المباركة التي كانت ليلة الجمعة الحادي عشر من رجب أذل الله الشرك ببلاد الأندلس فلم تقم لهم قائمة نحو الستين سنة، وفي هذا اليوم تسمى يوسف بن تاشفين بأمير المسلمين، ولم يكن يدعى بها قبل ذلك، وأظهر الله الإسلام وأعزَّ أهله، وكتب أمير المسلمين بالفتح إلى بلاده العدو، وإلى تميم صاحب المهديّة، فعملت المفرحات في جميع بلاد إفريقيا وبلاد المغرب والأندلس، واجتمعت كلمة الإسلام، وأخرج الناس الصدقات، وأعتقوا الرقاب شكرا لله تعالى على صنعه الجميل وفضله⁴.

وأما إمام عصره في علم الحديث، ومن أئمة الفقه، والذي سمع من خلائق من العلماء يطول ذكرهم الإمام الحسين محمد بن فيرة بن حيون أبو علي الصديقي، استشهد في موقعة من ثغور سرقسطة سنة 514هـ/1120م⁵.

¹ - ابن الخطيب - الإحاطة - مج 1 صص 113 - 114.

² - الونشريسي - المعيار - ج 10 ص 382.

³ - القاضي عياض وولده محمد - مذاهب الحكام - صص 6 - 7.

⁴ - ابن أبي زرع - الأنيس المطرب - ص 149.

⁵ - ابن فرحون - الديباج - صص 173 - 174.

ولما أجاز أمير لمتونة يوسف بن تاشفين البحر مستدعي لنصر المسلمين، ثاني حركاته إلى الأندلس، ونازل حصن أليط¹، وسارع ملوك الطوائف إلى السير في جملته، كان ممن وصل إليه الأمير عبد الله بن بلكين بن باديس صاحب غرناطة، ووصل صحبته الوزير العالم الفقيه الخيّر أبو جعفر أحمد بن خلف بن عبد الملك الغساني القليعي، لرغبته في الأجر مع شهرة مكانه، وعلو منصبه، ولنهوض نظرائه من زعماء الأقطار إلى هذا الغرض².

وأمر المنصور الموحد أن يُجمع له الصالحون والصوفية من جميع البلاد حتى يصحبه في حملته الكبرى بالأندلس سنة 592هـ/1196م متبركا بهم ناسبا النصر إليهم في معاركه³، ولما طالت غيبة المنصور عن الأندلس بإفريقية وبلاد العدو، واعتراه المرض بما اغتتم العدو الفرصة في بلاد الأندلس فنال من المسلمين مراده، وعات في بلادهم، ولم يجد من ينازعه ويحاربه، وسار ألفونسو الثامن بها حتى نزل بظاهر الجزيرة الخضراء التي كتب منها إلى المنصور يستدعيه للقتال باسم المسيحية، فلما قرأ المنصور الكتاب أخذته غيرة الإسلام فمزقه وكتب على ظهره: قال الله العظيم: ﴿أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾⁴ الجواب ما ترى ما لا تسمع واستشهد ببيت المتنبي :

وَلَا كُتِبَ إِلَّا الْمَشْرِفِيُّ عِنْدَهُ وَلَا رُسُلَ إِلَّا الْخَمِيسُ الْعَرْمَرِمُ

وخرج من مراكش سنة 591هـ/1195م والجيوش تتابع في أثره من جميع الأقطار، وجاز أمير المؤمنين بجيش عظيم بعد استقراره بساحل الجزيرة الخضراء، وكان فيه أشياخ الموحدين وأهل النجدة والزعامة، ومعه فقهاء المغرب وصلحاءه، فسهل الله عليه الجواز وبعد مشورة الأشياخ والأعزاز، والمطوّعة والقواد،

¹ - حصن أليط: يسمّى بالإسبانية Aledo وتُسمّيه الرواية العربية لبيط، أو أليط كما يسميه ابن الخطيب. وقد كان من الحصون النصرانية المنبعا الواقعة بين لورقة ومرسية، وقد حاصره المرابطون بقيادة يوسف بن تاشفين ومعه حلفاءه الأندلسيون في سنة 483هـ/1090م. ابن الخطيب - الإحاطة - مج 1 ص 148.

² - ابن الخطيب - الإحاطة - مج 1 صص 147-148.

³ - حسن علي حسن - الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس - ص 477.

⁴ - الآية 37 من سورة التمل.

أشار القائد الأجل الموقّق الصالح أبو عبد الله بن صناديد على الأمير المنصور بأن يعقد راية الجيش لشيخ من أشياخ الموحّدين الموصوفين بالشجاعة والدين والإخلاص والنصيحة فأقرّه المنصور على رأيه، وبعد البشري بالنصر جعل على الجيش الشيخ الأجل أبا يحيى بن أبي حفص، وكان من أكبر وزرائه، وكان بنو حفص في الموحّدين أهل الفضل والتقوى والدين، وكان الشيخ أبو يحيى يُجرّض الناس على القتال ويثبّتهم، وبعد قتال المسلمين للروم، هُزم ألفونسو وجيشه في هذه الغزاة المعروفة بغزاة "الأرك" وكان بينها وبين غزاة "الزلاقة" مئة سنة واثنى عشر سنة¹.

وكان الشعور الديني لدى العلماء عميقا يدفع بهم إلى ساحات الجهاد لإعلاء كلمة الله وردّ كيد أعداء الإسلام، ومازال الأدب الأندلسي يحتفظ بنماذج مما كتبه في ذلك لسان الدين بن الخطيب وأبو عبد الله بن زمرك والفقهاء القاضي أبو يحيى محمّد بن أبي بكر بن عاصم، وللأخير رسالة "جنة الرضى في التسليم لما قدر الله وقضى" تحدّث فيها عن مميّزات الإسلام وضلال النصارى، وأطلق صرخة في المسلمين داعيا إلى الوحدة ونبذ الشقاق والإقبال على الجهاد، وقد وصفها أبو العباس المقرئ بأنها عجيبة جدا².

وقال المقرئ عن حملة العلماء ورجال الفكر للإرشاد إلى الخطر الداهم والدعوة للتصدي له: «لما تقلّص الإسلام بالجزيرة والكفار أكثر أمصارها وقراها على وجه العنوة والصلح والاستسلام لم يزل العلماء والكتاب والوزراء يحركون حميات ذوي البصائر والأبصار، ويستنهضون عزّماهم في كل الأمصار»³. ومن قول الشيخ لسان الدين بن الخطيب في استدعاء إمداد وحضّ على الجهاد: «أيّها الناس رحمكم الله تعالى، إخوانكم المسلمون بالأندلس قد دهم العدو قصّمة الله تعالى ساحتهم، ورام الكفر خدّله الله تعالى استباحتهم، وزحفت أحزاب الطواغيت إليهم، ومدّ الصليب ذراعيه عليهم، وأيديكم بعزة الله أقوى، وأنتم المؤمنون أهل البر والتقوى، وهو دينكم فانصروه، وجواركم الغريب فلا

¹ - ابن أبي زرع - الأنيس المطرب - صص 220 - 228.

² - محمّد الراعي الأندلسي - انتصار الفقير السالك لترجيح مذهب الإمام مالك - صص 23.

³ - المصدر نفسه - صص 23 - 24.

تخفروه، وسبيل الرشد قد وضح فلتبصروه، الجهاد الجهاد فقد تعين، الجار الجار فقد قرر الشرع حقه وبين، الله الله في الإسلام، الله الله في أمة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام...» ثم تلى قول الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ﴾¹، ومما ذكر صح عنه قوله صلى الله عليه وسلم «مَنْ أَغْبَرَتْ قَدَمَاهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ» الحديث². إلى أن قال: جاهدوا في الله بالألسن والأقوال حق جهاده :

ماذا يكون جوابكم لبيكم
 وطريق هذا العذر غير مُمَهَّد
 إن قال لما فرطتم في أمي
 وتركتموهم للعدو المعتدي
 تالله لو أن العقوبة لم تخف
 لكفا الحيا من وجه ذاك السيد

وختم بدعاء توسل فيه بأحابه وأوليائه، وبالصلاة على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم³.

ويتضح جليا نجدة العلماء والفقهاء الصوفية للناس عندما يحتاجونهم في الدفاع عنهم، بتحفيز الهمم لردّ العدو، ولولا علمهم ودرائتهم بفقہ المعاملات على مذهب الإمام مالك رضي الله عنه الذي يعدّ الجهاد في سبيل الله جزءا منه، وإحاطتهم ببلغ الكلام، وشجاعتهم عند الخطوب لما استطاعوا أن يحققوا ذلك.

- ثبت مما سبق آنفا أن العلماء والفقهاء كانوا بحق الدعامة التي ارتكزت عليها سياسات الدول، سواء في الداخل أو الخارج، في التشكل والاستمرار والبقاء، وأثبت رجال التاريخ لهذه الحقبة مدى

¹- الآية 10 من سورة الصف.

²- باب المشي إلى الجمعة: حدثنا علي بن عبد الله قال حدثنا الوليد بن مسلم قال حدثنا يزيد بن أبي مریم قال حدثنا عبّايه بن أبي رفاعه قال أدركني أبو عبّس وأنا أذهب إلى الجمعة فقال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «مَنْ أَغْبَرَتْ قَدَمَاهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ» حديث صحيح. أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري - الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور النبي صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه - تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر - دار طوق النجاة - بيروت - ط1 - 1422هـ - حديث رقم 907 - ج2 ص7.

³- المقرّي - نفع الطيب - ج6 صص 165-166.

أهمية هذه الشريحة في وعظ وإرشاد ونصح وتعليم الساسة الذين حكموا الرعية، والذين كان منهم أيضا كثير من أهل العلم والفقہ والدراية.

- ولتوطيد أركان الحكم عمد الخلفاء والسلاطين إلى إسناد الوظائف والخطط الإدارية إلى الفقهاء المالكية الأشاعرة الصوفية لما أَلْفَوْا فيهم من الصدق والإخلاص والأهلية مع الزهد في المناصب.

- لم يتوقّف دور العلماء عند هذا فحسب بل تعدّاه إلى الوقوف في طريق أهل الزيغ والأهواء والبدع الذين هدّدوا كيان الدّول السّنيّة من حين لآخر، فكانوا بحقّ صمام الأمان وسط الأقاليم التي عاشوا فيها، رغم ما دفعوه من ثمن غال لقاء ذلك.

- لم يكن الدفاع بالكلمة فقط إنّما تعدّاه إلى الانضمام إلى أجناد المسلمين، بل ينقل لنا المؤرّخون وأرباب السّير والتراجم أن العلماء والفقهاء والصوفية كانوا على رأس الجيوش المنافحة عن الإسلام وأهله وأرضه من الأعداء على غير ملّة الإسلام المنبثقين من الداخل، أو المجاورين لأُمَّة الإسلام القادمين برّا وبحرا من الحدود الشمالية للغرب الإسلامي.

❖ الفصل الرابع: الأثر الاجتماعي

والاقتصادي للأئمة على الغرب الإسلامي

❖ المبحث الأول: الدور الاجتماعي لعلماء المالكية

والأشاعرة والصوفية

❖ المبحث الثاني: تأسيس العلماء للمؤسسات الاجتماعية

والاقتصادية ورعايتها

❖ المبحث الثالث: مهام علماء المالكية والصوفية والأشاعرة

الاقتصادية

يرتبط الجانب الاجتماعي بنظيره الاقتصادي ارتباطاً وثيقاً، سيّما في مجتمع الغرب الإسلامي، ولقد خَلَفَ الأئمة الثلاثة قواعد ومبادئ رئيسة في هذين المجالين الحيويين لاتصالهما بحياة الناس اليومية، وكذلك فإن السير الحسن للمجتمع في شقّيه المعنوي والمادي مرتبطٌ أيضاً بدور العلماء فيه أهل الفقه والتمييز والنظر وسماحة الأخلاق، وهذه الشريحة الفاعلة في المجتمع كانت أيضاً تمثل المرجعية التي استندت عليها الدول في مختلف الحقب للحفاظ على الأمن بمفهومه الشامل ضمن المجتمعات التي حكموها، عن طريق الاستثمار في العنصر البشري بإصلاح أحواله، والعنصر المادي بتدبيره وإيصاله إلى مستحقّيه.

المبحث الأول: الدور الاجتماعي لعلماء المالكية والأشاعرة والصوفية

1- نشر الأخلاق الفاضلة بالمجتمع وتقويمه: امتاز علماء المالكية بالنتزّه عن التعصّب، وبحفظ قدر العلماء والحثّ على ضرورة اتّباعهم، فالمالكية والمغاربة حماهم الله من التعصّب في الظاهر والباطن ببركة مالك ومذهبه، ولم يتكلّم قطّ من تكلم منهم إلا جواباً لمن تعصّب على مالك كما فعل القاضي عياض وسنّد بن عنان الأسدي وغيرهما¹، وهذا غاية ما يكون الأدب مع العلماء والمشائخ بتبليغ علمهم، وأدبهم إلى الناس وطلبة العلم بنبد التعصّب والبعد عنه، حتى يكونوا قدوة في الاتّصاف بالأخلاق الحميدة التي هي قوام المجتمع وعمدته.

وكان عند البهلول شاب يطلب العلم ثمّ أقبل على المجانة، فأعلم البهلول بذلك فسأه ما بلغه، ومضى بنفسه إلى دار الشاب فسلم عليه، وأخذ يعظه ويترقّب به ويعتاده بذلك حتى أرجع الفتى عما كان عليه من المجانة، ثم عاود مجلس البهلول وكان له شأن، وأقبل على الله ببركة البهلول وصحبته².

وقال بعض العلماء: كان سحنون أعقل الناس صاحباً، وأفضل الناس صاحباً، وأفقه الناس صاحباً، كانت هذه الصفات صفات سحنون، فتخلّق بها أصحابه. وكان يمشي في الأسواق فلا يمرّ

¹ - شمس الدين محمد الراعي الأندلسي - انتصار الفقير السالك لترجيح مذهب الإمام مالك - ص 231.

² - الدباغ - معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان - ج 1 ص 275.

بأحدٍ إلا التفت إليه وسلّم عليه، توقيرا للعلم، وهيبة له عند طالبيه¹، وكان شديد الحرص على تأديب طلابه، يدرك أن العلم إن لم يصحبه أدب وخلق كان أشرّ من الجهل، وكان ينهى عن إهدار الوقت، وكان ممن يغض طرفه عن بعض زلات طلابه، ويكظم غيظه، ويزور الناس، ويتفقد أحوالهم، ويعود من يعرف من المرضى، وكان في ذلك يعظهم ويرشدهم إلى الصلاح والهدى².

وكان أبو عليّ شقران بن عليّ الهمداني واحد الزمان عبادة وزهدا وحسن معاملة لله تعالى وكثرة كرامات، وعلوّ همّة، وسرعة إجابة، وكان ضريرا، نشأ على طهارة مع كثرة صلاة وصيام، رقيق القلب غزير الدمع، وكان ينطق بالحكمة ويُرذُّ النَّاسَ إلى الله تعالى بالموعظة الحسنة، انتفع به جماعة من المريدين، منهم ذو النّون المصري وغيره³. ورفض ابن غالب أن يطلّع مع ابراهيم بن الأغلب صومعة الجامع الأعظم، فأبى وقال: إن في صعودي إليها تشرفٌ على حُرْمِ المسلمين ونظرٌ إلى عوراتهم، والله لا فعلت ذلك أبدا⁴، وكان للشيخ عيسى بن مسكين مواعظ في التحلّي بحسن الخلق منه القناعة والاعتبار، والعفة، وترك مراقبة الناس، وحسن التّأني والنيّة، وتأديب النفس، والابتعاد عن حبّ الدنيا، وحسن استعمال العقل، والتواضع الشديد، وإدخال السرور على قلب المؤمن⁵.

وتّصف الشيخ أبو الفضل بن النحوي بالإحسان إلى طلبة العلم، وكان ينكر على من يُحدّثون في بيوت الله ما ليس من الأخلاق الفاضلة والدين⁶. وكان الشيخ أبو محمّد عبد السلام التونسي من أهل الورع، ومن الداعين إلى التواضع والزهد في الدنيا، ومن أهل النصيحة والوعظ، وحدثوا عنه أنه كان رجل بتلمسان من أهل الدعارة وكان قد شكاه النَّاسَ للشيخ، فلقبه بالوعظ وتاب على يديه ولحق بالأولياء⁷، والصوفي أبو زكرياء يحيى بن ابراهيم بن عبد الله الشادلي العبد

¹ - القاضي عياض - المدارك - ج 4 ص 55.

² - سعدي أبو حبيب - الإمام سحنون - دار الفكر - دمشق - ط 1 - 1401هـ/1981م - صص 38 - 40 - 50.

³ - الدباغ - معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان - ج 1 ص 279.

⁴ - المصدر نفسه - ص 299.

⁵ - القاضي عياض - المدارك - ج 4 صص 347 - 349.

⁶ - ابن الزيّات - التّشوّف إلى رجال التّصوّف - صص 97 - 99.

⁷ - المصدر نفسه - ص 112.

الصالح لزم المسجد نحو خمسين سنة، وكان ممن يعلم الناس الإنفاق في سبيل الخير والزهد في الدنيا، وأنفق ماله كله في ذلك¹.

وصنّف الشيخ أبو الوليد الباجي في باب الأخلاق كتابه: سنن الصالحين². وكان الشيخ أبو بكر محمد بن الوليد الطرطوشي إماما عالما عاملا زاهدا ورعا دينا متواضعا متقشفا متقللا من الدنيا، وله من التصانيف: "سراج الملوك" وكتاب "بَرّ الوالدين" وكتاب "الفتن" وغير ذلك³، ومن الصوفية الزهاد النابغين في علم التصوّف، وقد حفظ شعرا صوفيا كثيرا موجود أغلبه في كتابه "سراج الملوك" وهو من تلامذة الإمام أبي الوليد الباجي⁴.

والنساء المعروفات بالفساد، ولهنّ رغبة في الزواج كنّ يهجرنّ بلادهنّ وينزلنّ حواضر أخرى مجاورة، حيث يعلن التوبة في الجامع، وكان القضاة وأهل الفتوى يأذنون لهنّ بالزواج بعد إثبات أنهن طارئات على الموضوع، ويصدقن بأن ليس لهنّ أزواج⁵. واتّصف الشيخ أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني بصفات الورع، وحسن السمات والوقار، وارتفاع الهمة، والصلاح التام والعفة، كان سريع الانقياد للحق، وله مؤلفات في الرقايق والمواعظ والآداب⁶. وله الرسالة التي مدحها أبو محمد عبد الوهاب بن تمر المالكي فقال عنها: إنها تحتوي علم الدين وآداب خير الخلق صلّى الله عليه وسلّم⁷.

¹ - ابن الزيات - التشوّف إلى رجال التصوّف - ص 248.

² - المقرئ - نفع الطيب - ج 2 ص 69.

³ - أبو العباس شمس الدين أحمد ابن محمد بن أبي بكر بن خلكان - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان - تحقيق إحسان عباس - دار صادر - بيروت - المجلد 4 صص 262 - 263.

⁴ - أحمد أبو كف - أعلام التصوّف الاسلامي - دار التعاون - القاهرة - ط 2 - 1414/هـ 1994م - صص 146 - 147.

⁵ - كمال السيّد أبو مصطفى - جوانب من حضارة المغرب الإسلامي - مؤسسة شباب الجامعة - الإسكندرية - 1997م - صص 18 - 19.

⁶ - ابن أبي زيد القيرواني - كتاب الجامع - صص 37 - 40.

⁷ - الدباغ - معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان - ج 3 - ص 112.

وكان عبد الرحمن بن عثمان أبو المطرف مشهوراً بالعلم والعمل والفضل والورع والتعفف، وكانت تقراً عليه كتب الزهد والرقائق، وكان يعظ الناس بها ويذكرهم¹.

وقد وقف الصوفية أمام تراجع القيم الدينية والأخلاقية، بحيث أهمل الناس الكثير من مبادئ الدين وسلوكه القويم، فعملوا على صدّ هذا الانحراف، ومقاومة هذا الاختلال²، واتّصف الشيخ محمد بن عبد الله المعروف بابن أبي زمنين بحفظ المسائل وحسن التصنيف للفقهاء، وله كتب كثيرة ألفها في الوثائق والزهد والمواعظ منها شيء كثير، وولع الناس بها، وله تواليف حسان منها، "حياة القلوب" و"أنس المرید"³، وكتاب المواعظ المنظومة في الزهد، وكتاب "النصائح المنظومة" من شعره. وكتاب آداب الإسلام. توفي سنة 399هـ/1008م⁴.

كان الشيخ أبو الحسن القاسبي موصوفاً بالرفق بأهل الذنوب، وكتمان المصائب والشدائد، والصبر على الإيذاء، وخدمة الإخوان، والتواضع لهم والإنفاق عليهم، وصلتهم بما عنده⁵، وكان مثلاً يُتخذ في التربية والتعليم لأهل السنة المالكيين بإفريقية⁶، ورسالته في أحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين جمعت حق مبادئ التربية الإسلامية المتبعة في الكتابات⁷، وكان القطب الصوفي الأكبر الشيخ الولي عبد السلام بن مشيش، العلم الظاهر، طريقه ترياق شاف لأدواء العباد، وكان غاية في العلم، ونهاية في الزهد، ومقام ابن مشيش في المغرب كمقام الشافعي بمصر⁸. وقد خرج رحمه الله من خلوته إلى صدر المجتمع، رادا لفتنة ابن أبي الطواجن الكتامي، الذي ادعى النبوة، وأتى بحيل وألاعيب

¹ - ابن بشكوال - الصلة - ج 2 صص 470 - 471.

² - عبد المنعم القاسمي - أعلام التصوّف في الجزائر - ص 30.

³ - ابن بشكوال - الصلة - ج 2 صص 708 - 709.

⁴ - ابن فرحون - الديباج - ص 366.

⁵ - أبو الحسن القاسبي - الرسالة المفصّلة - صص 14 - 16.

⁶ - المصدر نفسه - ص 27.

⁷ - المصدر نفسه - ص 18.

⁸ - عبد الحليم محمود - عبد السلام بن مشيش - دار المعارف - القاهرة - 1979م - صص 12 - 13.

على أنها معجزات، فاتبعه الناس لذلك¹، وللشيخ عبد السلام بن مشيش حكم ووصايا قيّمة تدعو إلى مكارم الأخلاق منها حبّ الله والتوكّل عليه، والتأسي بالرسول صلّى الله عليه وسلّم، والزهد في الدنيا بإخلاء القلب من حبهما، وتشريف قدر الأنبياء والصالحين والعلماء والرجوع إليهم، والصفح عن عباد الله، واجتناب المحارم وأداء الفرائض، والتفقه في الدين².

وكان الشيخ عبد الحليم العماد المغربي يذكر الناس بالأصل والمآل وبزوال الدنيا، فقال ابن عربي: «كان شيخنا هذا إذا رأى شخصا راكبا، ذا إشارة، يُعظّمه الناس، وينظرون إليه، يقول لهم وله: تراب راكب على تراب، ثم ينصرف وينشد»: :

حَتَّى مَتَى وَإِلَى مَتَى تَتَوَانَى أَتَظُنُّ ذَلِكَ كُلَّهُ نِسْيَانًا³.

وكان الشيخ القاضي أبو بكر بن العربي المعافري التزم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ومن تأليفه "سراج المهتدين"، وكان ينشد الشعر بيّن فيه ما يكون عليه الصوفية من الأدب مع الله⁴، وكان العلماء الذين جمعوا بين الفقه والتصوّف، وعلم أصول الدين يتكون بصمتهم واضحة في الناس والمجتمع فاستغلوا بذلك ما حصلوه من أدب وتربية وعلم، ومناصب سلطانية في الأخذ بيد العامة والخاصة إلى سبيل الخير عن طريق مجالس الوعظ، ومن قبل ذلك عن طريق سيرتهم المليئة بالمواقف المنمّة عن شرف الخلق والدراية في معالجة أدواء الناس التربوية.

وقد ألف الشيخ الفاضل الصالح الزاهد الصوفي محمّد بن أحمد بن محمّد التلمساني (ت614هـ/1217م) في الوعظ كتابا سمّاه "حجة الحافظين ومحجة الواعظين"، واختصره بعده أبو زكريا يحيى بن محمّد بن طفيل في سفر واحد سمّاه "مجالس الأذكار وأبكار عرائس الأفكار"، وله في

¹ - عبد الحليم محمود - عبد السلام بن مشيش - ص 31.

² - المرجع نفسه - صص 111 - 129.

³ - المناوي - حليّة الأولياء - ج2 ص 434.

⁴ - المَقْرِي - نفع الطيب - ج2 صص 35 - 39.

التصوّف نظم يصف فيه قطع الليل في الذكر ومناجاة الحبيب عزّ وجلّ¹، وكان لأبي الحسن عليّ بن أحمد الحرالي الأندلسي المقرئ لأحد عشر عاما، الصوفي الامام في علم الكلام، كلامٌ وتصانيف في التربية والوعظ منها "العروة" و"إصلاح العمل لانقضاء الأجل" و"الاستقامة للنجاة يوم القيامة"، و"شرح الموطأ"، و"الشفاء"².

ومن مظاهر تقويم المجتمع آنذاك وتصحيح أخطائه أنّ الإمام المازري كان ينهى عن البدع، وأمر أيضا بالابتعاد عن المباهاة والرياء وابتغاء عرض الدنيا بالدين وأمر باحترام كتاب الله عزّ وجلّ وتخيّر أماكن تلاوته، ولم يكن في عصره للمالكية في أقطار الأرض أفقه منه، ولا أقوم لمذهبه³. ومن كرامات الشيخ أبي يعزى يلنور، كان إذا زنا رجل أو سرق أو شتم أو فعل محرّما ثم دخل عليه يرى ذلك العضو الذي منه العمل مخططا تخطيطا أسود وانتهى إلى هذا الشيخ تربية المريرين⁴، وكان الشيخ أبو مدين شعيب يقول لأصحابه أعلنوا بالطاعة حتى تكون كلمة الله هي العليا كما يعلن هؤلاء بالمعاصي ولايستحيون من الله⁵، وكان الشيخ عبد الله المغاور المغربي يأمر بمحاسن الأخلاق، ومنها احتمال الأذى عن الخلق، والنهي عن حب الدنيا وحب الرياسة، والنهي عن الوقوع في رجال الله⁶.

وبمثل هذا كان الشيوخ المرتون يقومون بدور التربية، وتهذيب أخلاق الناس كما تعلّموه وورثوه عن أشياخهم علما وعملا، عقيدة وفقها وتصوّفا.

¹ - الحفناوي - تعريف الخلف برجال السلف - ص356.

² - المناوي - حليّة الأولياء - ج2 صص 334 - 364 - 369 .

³ - عبد الوهاب - الإمام المازري - صص 58 - 76 - 79.

⁴ - المناوي - المصدر السابق - ج2 ص 211.

⁵ - المصدر نفسه - ج2 ص241.

⁶ - المصدر نفسه - ج2 ص247.

وكان الشيخ علي أبو الحسن الشاذلي¹ يدعو الناس ومريديه إلى الأخذ بالكتاب والسنة، ومحبة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، والتوبة، والقرب من الطاعة والبعد عن المعصية، والتواضع، والصبر مع اليقين والهداية حتى يكونوا من أهل الطريق إلى الله وذكر شرط الولاية بالزهد في الدنيا، وكان يُبيّن أدب مجالسة الأكابر والعلماء².

وكان الشيخ ابن عربي حسن الأخلاق مُتَسَلِّخاً من حظوظ نفسه، تاركا للعصبية، يُعلّم الناس بحاله العفو عمّن ظلمه، والحلم معه، وهو أكثر الصوفية كلاما في الطريق إلى الله، وتربية المريدين، وكان مجموع الفضائل، مطبوع الكرم والشمائل، وحسبك بقول الشيخ زروق وغيره من الفحول، ذاكرين بعض فضله: «هو أعرف بكل فنّ من أهله»³، وكان الشيخ يقول: الله سبحانه قد أمرني على لسان نبيّه صلى الله عليه وسلم بالنصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، وأمرني بالخصوص بالنصيحة في ميسرة أريئها، فأصبحت وقعدت للناس أُبيّن لهم الطريق الواضح والآفات القاطعة لكلّ صنف عنه من الفقهاء والفقراء والصوفية والعوام⁴.

¹ - الشيخ علي أبو الحسن الشاذلي: أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الحميد المغربي، الزاهد، شيخ الطائفة الشاذلية. سكن الاسكندرية، وصحب بها جماعة، وعنه أخذ الشيخ أبو العباس المُرسِي. السيد الشريف من ذرية محمد بن الحسن، من قرية شاذلة بإفريقية. نشأ ببلده، فاشتغل بالعلوم الشرعية حتى أتقنها، وصار يناظر عليها، ومع كونه ضريرا، ثم سلك منهاج التصوّف، وجدّ واجتهد، حتى ظهر صلاحه وفضله وخيره، ومُهد في طريق القوم سيرته. إمام الأولياء الصوفية، وأحد مفاخر الأمة المحمدية. قال ابن رقيق العيد: «ما رأيت أعرف بالله منه». وله كرامات ظاهرة لا تحصى. كانت وفاته سنة 656هـ/1258م. ابن العماد - شذرات الذهب - مج 7 صص 481 - 483 / يوسف النبهان - جامع كرامات الأولياء - ج 2 صص 341 - 344.

² - المناوي - حليّة الأولياء - ج 2 صص 472 - 474.

³ - المصدر نفسه - ج 2 صص 513 - 520.

⁴ - محيي الدّين بن عربي - روح القدس في محاسبة النّفس - جمع محمود محمود الغراب - مطبعة نضر - ط 2 - 1414هـ/1994م - صص 24 - 25.

2- حلّ العلماء لمسائل الأحكام والنوازل والأقضية: يؤلف التراث الفقهي المالكي قسماً كبيراً من التراث بالغرب الإسلامي، وإن كثرة التراث وتداوله، وانتشاره الواسع، لدليل على عناية الأندلسيين والمغاربة بالفقه، عملاً به في واقعهم، وذلك أن الفقه في شقيه العبادات والمعاملات كان شديد الارتباط بوقائع الناس الجارية، ومشكلاتهم الناشئة، وأفضيتهم الطارئة، فقد كان عليه مدار حياتهم اليومية¹، ومن الخطط الشرعية التي اهتم بها علماء الإسلام، وأحاطوها بسياج من الرعاية خطة الإفتاء لما لها من الأهمية في نظر الدين وحياة المسلمين، فعليها تتوقف مصالح الناس، وبها يهتدون في شؤون دينهم ودنياهم من عبادات ومعاملات وسلوك وأخلاق، وبها تنتظم أمورهم، وتصان حقوقهم، وترعى مصالحهم...، فيأى المفتي يفرغ الناس حالما تحل بهم الملمات، وتحز بهم الأمور، وتداهمهم المضلات، وتكثر بينهم النزاعات وتحدث لهم الخصومات، وتختلط الحقوق، وتجاذبهم المصالح... ولأهمية الفتوى وجمال قدرها تولى الله عز وجل أمرها في محكم كتابه، وتولّاها رسول الله صلى الله عليه وسلم، والصحابة رضوان الله عليهم من بعده، والتابعون من بعدهم، ومن خلف من بعدهم من أهل العلم².

وتعدّ النوازل الفقهية والفتاوى الشرعية، من أهم ما اهتم به فقهاء المذهب المالكي بجهة الغرب الإسلامي، فقد اعتنوا بالنوازل والفتاوى في كل عصر، وخصصوا لها حيزاً كبيراً من وقتهم، وحرصوا على جمعها وتدوينها وتأليفها وتبويبها. ولقد ترك فقهاء الغرب الإسلامي المالكي تراثاً ضخماً في هذا المجال، بعضها تولى أصحابها جمعها بأنفسهم، أو من جمع التلامذة، أو غيرهم من العلماء، أو الباحثين المعاصرين المهتمين³، ومن أهمّ الأصول الفقهية التي اعتمدها العلماء والفقهاء في فتاوى النوازل والإفتاء عموماً "الكتاب الكريم" و "الحديث الشريف"، و "موطأ" الإمام مالك برواية يحيى بن يحيى الليثي، و "المدونة" للإمام سحنون، و العتبية أو "المستخرجة" لأبي عبد الله محمد العتبي،

¹ - القاضي عياض وولده محمد - مذاهب الحكماء - ص 9.

² - الجيدي - مباحث في المذهب المالكي - ص 125.

³ - أبو الحسن اللّخمي القيرواني - فتاوى الشيخ أبي الحسن اللّخمي - جمع وتحقيق حميد بن محمد لحر - دار المعرفة - الدار البيضاء - المغرب - 1424 هـ - ص 3.

وكان أكثر الناس فقها في زمانه وفهما. ومختصر ابن الحكم، والمدنية لعبد الرحمن بن دينار، والمصنف لإبن أبي شيبة، والواضحة لأبي مروان عبد الملك بن حبيب السلمي القرطبي، الذي حدثت له الرياسة بعد يحيى بن يحيى الليثي بالأندلس، والجامع الصحيح لأبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري، و"الموازية" لأبي عبد الله محمد بن ابراهيم الإسكندري المعروف بابن المواز، وهي من أجل ما ألف المالكيون، وأصح الكتب وأوعبها عندهم، رجحها القابسي على سائر الأمهات، وسنن أبي داود، والجامع الصحيح لأبي عيسى الترمذي، والمبسوط ليحيى ابن اسحاق، وكتاب "مشكل الآثار" لأبي جعفر الطحاوي وكتاب المنتخب لأبي عبد الله محمد بن يحيى بن لبابة الملقب بالبربري، وكتاب أبي عبد الله التستري، ومسائل القاضي أبي بكر بن زرب والنوادر والزيادات لابن أبي زيد القيرواني، وكتابه المختصر أيضا، والمغرب لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين، وثائق ابن العطار أبي عبد الله محمد بن أحمد الأموي يعرف "بابن العطار"، "والتلقين" للقاضي عبد الوهاب والمعونة أيضا، وثائق الباجي، والتقريب لخلف مولى ابن بهلول، وكتاب الايجاز في الناسخ والمنسوخ " لأبي محمد مكّي بن أبي طالب، وكتاب أبي اسحاق التونسي، وكتاب "الشهاب" لأبي عبد الله القضاعي و"التبصرة" لأبي الحسن اللحمي و"الإعلام بنوازل الأحكام" للقاضي أبي الأصبع بن سهل¹.

وكان ابن غانم يبعث إلى الامام مالك أيام قضائه فيما ينزل به من نوازل الخصوم، فيأخذ عليها الأجوبة، وكان يكتب إلى ابن كنانة فيأخذ له الأجوبة من مالك، وكان يكتب أيضا إلى ابن يوسف²، واعتمد ابن أبي زيد في فتاويه على العلماء الكبار، يأتي في طليعتهم إمام المذهب، الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه والأغلبية من تلامذة إمام المذهب، وكانت الأفضية والمسائل التي شغلت المجتمع القيرواني ونزلت بأهله تدفعهم إلى سؤال و استفتاء الشيخ أبي محمد و كانت تغطي جميع

¹ - أبو الوليد محمد بن أحمد بن أحمد بن رشد القرطبي المالكي - فتاوى ابن رشد - تحقيق المختار بن الطاهر التليبي - دار الغرب الاسلامي - بيروت - ط1 - 1407هـ/1987م - صص 43 - 53.

² - القاضي عياض - المدارك - ج3 ص 69.

الأبواب الفقهية في العبادات والمعاملات معطية بذلك نبذة عن مجتمع القيروان في حقبة الشيخ يمكن اعتمادها في مختلف الدراسات¹.

وأبو سعيد خلف بن عمر المعروف بابن أبي هاشم القيرواني، كان يُعرف بمعلّم الفقهاء، من شيوخ الطبقة الرابعة من الصوفية، عالم بنوازل الأحكام فراجا للكرب مع رقة قلب وسرعة دمع وخلوص نيّة، وما حفظ عنه مسألة خطأ قطّ². وللشيخ أبي عمران الفاسي فتاوى تدرج ضمن كتب الفتاوى والنوازل تشهد للرجل بحجم حظه في العلم والمعرفة، كما أن حضور آرائه الفقهية في العديد من نوازل عصره، والاحتفاظ بها بين دفتي المؤلفات في هذا الفن لدليل على قوتها ووزنها، ودليل أيضا على مكانة الشيخ أبي عمران العلمية، وهو الذي انتصب للإفتاء، وتوافد الناس عليه فيما أشكل عليهم من أمر دينهم ودنياهم، وطارت إليه الرسائل من المغرب والأندلس طلبا للجواب، فكان حقا عالما مفتيا مع رياسته للمذهب في عصره. واعتمد في فتاويه على كبار العلماء مستشهدا بأقوالهم مستدلا بأرائهم بدءا بالإمام مالك بن أنس رضي الله عنه وكبار تلامذته ومن جاء بعدهم³.

وكان فقهاء المالكية يفتون الناس فيما يطرأ عليهم من النوازل، وهذا الشيخ أبو الحسن اللخمي كان يستفتى في نوازل مختلفة متعلّقة بالطهارة وما تعلق بها، وفتاوى الصلاة، وأحكام المسجد، وفتاوى الصيام، والزكاة وفريضة الحجّ، وفتاوى الضحايا والذبائح، والجهاد، والإيمان، والنكاح، وفتاوى العزل والطلاق، والنفقات، والبيوع، وفتاوى العيوب والتدليس، والجوائح⁴، والاجارة والأكرية ونحو ذلك، والقضاء والشهادة، والدعاوي، وفتاوى الضرر، والقسمة، والشفعة، والعصّب

¹ - أبو محمّد عبد الله بن أبي زيد القيرواني - فتاوى الإمام بن أبي زيد القيرواني - جمع و تحقيق حميد بن محمّد لحر - دار اللطائف - القاهرة - ط1 - 2012م - ج1 صص 96 - 101.

² - المناوي - حليّة الأولياء - ج2 صص 41 - 42.

³ - أبو عمران موسى بن أبي حاجي الفاسي المالكي - فتاوى أبي عمران الفاسي - جمع وتحقيق محمد البركة - أفريقيا الشرق - الدار البيضاء - المغرب - 2010م - صص 64 - 78 - 84.

⁴ - الجوائح: الجائحة: المصدر الجَوْحُ والإجْتِيَاخُ: وهي الآفة والمصيبة تجتاح الأموال والثمار، أي تستأصلها وتأتي عليها. محمّد عمارة - قاموس المصطلحات الاقتصادية - ص 139.

والاستحقاق، والوديعه، وفتاوى الحبس والوقف، والهبة، والوصايا، وفتاوى الدماء والعقوبات، وأهل الأهواء¹.

ويعدّ كتاب "الإعلام بنوازل الأحكام" من أشهر كتب ابن سهل التي نالت اهتمام العلماء قديما لما حواه هذا الكتاب من اجتهادات وفتاوى في الكثير من الوقائع والنوازل التي كانت محلّ نظرٍ واجتهاد، وقد اعتنى أهل المغرب والأندلس بهذا الكتاب بعناية كبيرة، وتواتر شهاداتهم على هذا المؤلف دليل على أهميته ولذلك كثر المستفيدون منه والمشتغلون به، والمعتمدون عليه في أحكامه ونوازله، والمعلّقون عليه الحواشي والمختصرون له فكان أهل الأندلس يعلمون أبناءهم بعد القرآن الكريم و الأدب والموطأ، والمدونة ووثائق ابن العطار، ثم أحكام ابن سهل².

وكان ابن سهل عارفا بالنوازل بصيرا بالأحكام مقدما في معرفتها وجمع فيها كتابا حسنا مفيدا يعول الحكماء عليه³، ويقول الشيخ ابن سهل عن فتاويه: «... أيام نظري في القضاء والأحكام وزمن تقييدي أحكام غيري في القضاء والحكم جرت على يدي نوازل استطلعت فيها رأي من أدركته من الشيوخ والعلماء وأنفصّلت لديّ مسائل كاشفُت عنها كبار الفقهاء إذ كانوا من أهل هذا الشأن بأرفع مكان وأعلى منزلة وأعظم رسوخا وعلمًا ودرّبة وفهما منها ما شافهتهم فيه ومنها ما كاتبتهم في معانيه...»⁴.

وكانت المسائل تأتي الشيخ ابن رشد من شرق الأندلس وغربه، ومن بر العدو من حاضرة المغرب ومدنه، و غيرها من المدن والكور والحصون مما يبرز مكانة ابن رشد العلمية، ومنزلته الفقهية، إذ كان مرجعا كبيرا في الإفتاء، وجرت عادة الشيوخ بتقديمه على غيره من الشيوخ لرسوخه في العلم،

¹ - اللّخمي - فتاوى الشيخ أبي الحسن اللّخمي - صص 42 - 132.

² - أبو الأصبغ عيسى بن سهل بن عبد الله الأسدي الجبالي - الإعلام بنوازل الأحكام - تحقيق يحيى مراد - دار الحديث - القاهرة - 1428هـ/2007م - صص 3 - 5.

³ - المصدر نفسه - ص 4.

⁴ - المصدر نفسه - صص 25 - 26.

ودرايته بالروايات، وتحقيقه لها، وتقديمه للقضاء والفتيا وإجماع من جُلِّ معاصريه¹، وقد تناولت نوازل ابن رشد القرطبي العديد من جوانب الحياة الاجتماعية والدينية والاقتصادية في الأندلس خلال النصف الثاني من القرن الخامس الهجري، وبداية القرن السادس أي عصري المرابطين والطوائف، فمن ناحية المجتمع تعرضت النوازل لبعض طبقات المجتمع وأهمّ المشكلات الأسرية، والعلاقات بين الجيران، والاحتفالات الأسرية، والعادات والتقاليد، والمرأة ودورها الأدبي والعلمي في العصر المرابطي. وألحّت النوازل أيضا عن المذاهب الدينية الغربية على المجتمع الأندلسي، والتي اعتنقها قلة من الأندلسيين، مما أثار قلق الفقهاء المالكية آنذاك².

وُتسلّطت النوازل الضوء على مسألة الجهاد ضدّ التّصاريّ الإسبان وما ترتّب عن الاعتداء من مشاكل اجتماعية، وتشير أيضا إلى مظاهر الرعاية الاجتماعية، ونظرة الأندلسيين اتجاه المرابطين، وتحدّثت النوازل أيضا عن مظاهر الفساد والانحلال الأخلاقي، وأوضحت سياسة القضاة في تطبيق الحدود، ومن ناحية العمران أوردت النوازل كثيرا من أسماء القرى والحصون والمواضع والعلاقات والنمو السكاني، ومن الناحية الاقتصادية اهتمت النوازل بالبناء واستصلاح الأراضي بالأندلس، وملامح الريف، وتداول العملة، وأثمان العقارات، وأشارت نوازل الشيخ ابن رشد إلى مدى تأثير الحروب والفتن واضطراب الأمن على الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية، ورحلات الحجيج الأندلسيين إلى البقاع المقدّسة³.

واشتهرت عن كبار الفقهاء نوازل وفتاوى سئلوا عنها، فأجابوا فجمعت فتاويهم، وأصبحت مرجعا لكل مستفتي، من ذلك نوازل ابن رشد، وابن الحاج والحاوي لابن عبد النور، وأسئلة عزّ الدين ولغير هؤلاء من العلماء فتاوى أجابوا بها عن أسئلة وجهت إليهم، كأبي الحسن

¹ - ابن رشد الجد - فتاوى ابن رشد - ج 1 ص 61.

² - كمال السيّد أبو مصطفى - دراسات أندلسية في التاريخ والحضارة - مركز الاسكندرية للكتاب - الأزارطة - 1997م - صص 7 - 8.

³ - المرجع نفسه - ص 8 - 9.

القابسي، وابن أبي زيد القيرواني، وأبي الحسن اللّخمي، وابن الصائغ، وتلميذهما الإمام المازري الذي أشارت المصادر لفتاويه، وشهرته في الفتوى جعلت الناس يفرعون إليه، ولها صلة بإطلاق لقب الإمام عليه¹.

وشملت هذه الفتاوى النوازل الاجتماعية والاقتصادية وحتى السياسية الطارئة في تلك الحقبة، وكان يقول: «هذا جوابي أملتته على من كتبه بين يدي وبالله التوفيق»، وتحرى الإمام المازري في ذلك الحقيقة، وأبرز وجه الشرع دون طمع أو حرص على مال، أو جاه أو نفوذ²، وفي سؤال جاء إلى القاضي عياض عن أحد الولاة أراد أن يغصب أرض المَجَشَّر³ وحرثها من عمل اشبيلية، فرفع أصحاب المَجَشَّر شكواهم إلى الأمير وقد أجاب القاضي عياض بأن الوالي غاصب يجب عقوبته وتغريمه⁴.

وقد حلّ بعض علماء ومشايخ المغرب بالأندلس في عهد المرابطين، وكانوا قضاة بها منهم القاضي عياض، وموسى بن حمّاد، وخلوف بن خلف الصنهاجي، وعبد الله بن أبي عرجون التلمساني، ومحمد بن داود العكي، وعبد الله بن سعيد الوجدي، والقضاة بني سمجون الطنجيين وغيرهم، وكان لبعض العلماء والفقهاء مشاركتهم في الإفتاء منهم عبد الله بن محمد بن منصور النكوري، ومنصور بن أبي فوناس الزرهوني، وحسن بن زكون نزيل فاس، وحسن بن وردوش الفاسي، ومحمد بن حسون الفاسي وآخرون، ولنوازل القاضي عياض قيمة فقهية عرفها الفقهاء وأهل النوازل واستفادوا منها، كالونشريسي في كتابه "المعيار"، ولها قيمة تاريخية فيما يتعلّق ببلاد المغرب وسبته، وما ورد في النوازل من ذكر للمعالم والخطط والمساجد والمقابر والحمامات والأسواق والبساتين وأسماء

¹ - أبو عبد الله محمد المازري - فتاوى الإمام المازري - صص 81 - 82.

² - المصدر نفسه - صص 82 - 84.

³ - المَجَشَّر: الجشر: بقل الربيع - والقوم يخرجون بدواهم إلى المرعى - وخيل مجشرة بالحمى أي مرعية. ابن منظور - لسان العرب - مج 1 - ج 8 صص 226 - 227.

⁴ - القاضي عياض وولده محمد - مذاهب الحكام - صص 19 - 20.

الأسر والأعلام المشهورين بسببته، وهذا على غرار كتاب الأنصاري المعروف "اختصار الأخبار". وكذلك ما يتعلق بالفلاحة، والصيد البحري، والملاحة التجارية بهذه المدينة¹.

وجاءت نوازل القاضي عياض في الدعاوى والائتمان، والمياه، والزراعة، والتجارة البحرية، والأحباس، والوصية، وإنصاف المرأة، ورفع الضرر عنها، ويتجلى ذلك أيضا في فتاوى الحضانة التي ألف فيها القاضي عياض تأليفا مستقلا له فيه كلام جميل في معنى الأهلية فيها، وكل ما يتعلق بها². وذكر الشيخ البُرزلي في نوازله كثيرا من الأخبار عن شيخه ابن عرفة، مع ورود المسائل عليه من الأندلس والمغرب، ومواقفه لحماية جامع الزيتونة من الأعراب الذين يلوّثون أبوابه³.

وتوارث العلماء العلم بالفتوى في نوازل الناس وتدرّبوا على ذلك، حيث كان الفقهاء الحكام من أهل الإفتاء يأخذون النظر في المسائل والفصل فيها عن طريق من سبقهم من المشايخ الذين خبروا ذلك حتى يتحرّوا الحق فيما يفتون الناس والمجتمع بما نزل بهم من النوازل والجوائح والمشكل من المسائل، وبهذا كان لفقهاء النوازل على مذهب الإمام مالك رضي الله عنه والذي حفظه علماء المالكية جيلا بعد جيل، بالغ الدور والأثر في حل مشاكل المجتمع وإصلاح أحوال الرعية على اختلاف الأعمار والطبقات والاختصاص.

ومن أشهر كتب النوازل كتاب ابن سهل المعروف "بالأحكام الكبرى"، وهو من الممارسين للقضاء والأحكام بالمغرب والأندلس، ونوازل ابن رشد الجدد، ونوازل ابن الحاج القاضي الشهيد، وتَنقُل عنها كتب النوازل المتقدمة والمتأخرة، ونوازل أبي المطرف عبد الرحمن بن قاسم الشعبي المالقي، وينقل عنها ولد القاضي عياض والبناهي وغيرهما، ونوازل القاضي ابن دبوس الزناقي اليفرنّي التي أسماها "الإعلام بالمحاضر والأحكام" (ت 511هـ/1117م)، ونوازل أبي الوليد هشام بن أحمد الهلالي

¹ - القاضي عياض وولده محمد - مذاهب الحكام - صص 16 - 17

² - المصدر نفسه - صص 16 - 17.

³ - أبو القاسم بن أحمد البلوي التونسي البرزلي - جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام - تحقيق محمد الحبيب الهيلة - دار الغرب الإسلامي - بيروت - ط1 - 2002م - ج1 صص 24 - 25.

الغرناطي المعروف بابن بقوي، ونوازل أبي القاسم أحمد بن محمد بن عمر التميمي المعروف بابن ورد (ت 540هـ/1145م)، ونوازل أحمد بن سعيد بن بشتاغير اللخمي اللورقي (ت 516هـ/1122م)، و"اعتماد الحكام في مسائل الأحكام" للشيخ الفقيه أبي علي حسن بن زكون، ونوازل القاضي عياض¹.

واستمر الاشتغال بفقهِ النوازل إلى حقب لاحقة لعصر الفقهاء المتقدّمين، أصحاب الأئمّهات في النوازل، وأصحاب الباع الطويل والخبرة بما يطراً على المجتمع والناس، وبالرجوع إلى تراث المسلمين في هذا الباب وما جمع نجد ما يدل على ذلك من مؤلفات منها فتاوى أبي إسحاق الشاطبي (ت 790هـ/1388م)، وكتاب "الدرر المكنونة في نوازل مازونة" ليحيى بن موسى المغيلي قاضي مازونة (ت 889هـ/1184م)، والمعيار للونشريسّي². وأجوبة أبي الحسن الصغير (ت 718هـ/1319م)، ونوازل أبي الفضل بن طركاك، ونوازل أبي إسحاق إبراهيم بن هلال الصنهاجي السجلماسي، وغيرهم³.

3- خدمة العلماء لمجتمع الغرب الإسلامي: كان البهلول بن راشد مستجاب الدعاء، لا يرُدُّ السائل وإن كان عليه دين، وكان يحسن إنفاق المال في أبوابه، فأخذ عن معقب بن رباح مائة دينار كان ينوي الذهاب بها إلى بيت الله الحرام وزيارة قبر النبي عليه الصلاة والسلام حاجاً بعدما اشتاق إليهما، وكان قد حجّ من قبل، فضمن له البهلول عشر حجّ مقبولة لقاء إنفاقها، فكان يعطيها لمن يتزوج ويعيش بها، ومن يوسع بها عن عياله وصبيانها ولمن يستر بها وجهه، ولما أمر العكي أجناده بضرب البهلول بسبب وعظ الأخير له. ولما بلغ اثني عشر ألف فارس من أهل الثغور خبر ضرب البهلول بإفريقية، تخلخل العسكر، وجاءوا بأسرهم باب الخليفة، وقالوا للحاجب قد جعلنا حوائجنا

¹ - القاضي عياض وولده محمد - مذاهب الحكّام - صص 11 - 12.

² - الإمام المازري - فتاوى الإمام المازري - ص 80.

³ - أبو الحسن اللخمي - فتاوى الشيخ أبي الحسن اللّخمي - صص 3 - 4.

كلّها في نصرّة البهلول¹. ولم يبلغ العلماء هذا الشأن العظيم إلا بالفقه في دين الله، ورفعة الأخلاق فكان الناس يرقبون أحوالهم وأخبارهم، ويحتاجون إليهم في صلاح مجتمعاتهم.

وقد طالب حفص بن عمر الجزيري من عبد الله بن إبراهيم بن الأغلب بالتخفيف عن الناس، وإسقاط ما ثقل عليهم من الضرائب، فامتنع فدعا عليه حفص ومن معه من العباد فلم يلبث إلا سبعة أيام ثم مات بعدها، وكان إسماعيل بن رباح الجزري قد نهي ولي جزيرة شريك² عن وضع ثقله في أحد مساجد الحصون، وأمر أبو الأحوص أحمد بن عبد الله المتعبّد بسوسة إبراهيم أحمد بن الأغلبي بتوسيع مسجد سوسة، وإصلاح سقائتها وإخراج المحبوسين، ونهى أبو عبد الله محمّد بن أبي حميد المتعبّد بسوسة إبراهيم بن أحمد الأغلبي عن تخريب سوسة أو هدم سورها أو تعذيب أهلها بحجة نيلهم منه والتحدث فيه بالقبيح. وأراد بعض من عبيد إبراهيم بن أحمد الأغلبي النزول بقصر الطوب بسوسة فمنعوا من ذلك، وجاء إبراهيم الأغلبي إلى باب القصر متوعدا فتصدى أبو عثمان سعيد بن إسحاق الكلبي وقال له: «يا إبراهيم تركنا لك الدنيا كلها وانزونا في هذا الثغر؛ فجئت تؤذينا والله لئن لم تَمُرْ لأَهْلِكَ نَكَّك»؛ فمضى إبراهيم على وجهه حتى جاز القصر بمسافة عظيمة³.

وبعد قدوم الإمام سحنون بمذهب الإمام مالك إلى أفريقية، واجتمع له مع ذلك فضل الدين والعقل والورع والعفاف والانقباض، فبارك الله له في المسلمين، فمالت إليه الوجوه، وأحبتة القلوب، وصار زمانه كأنه مبتدأ، قد أمحى ما قبله، فكان أصحابه سُرُج⁴ أهل قيروان⁵، وكان كثير الصدقات والمعروف، كثير الثقة بالناس، وكان يكثّر من الإنفاق على طلبه العلم⁶، والإمام سحنون في

¹ - الدّباغ - معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان - ج 1 صص 269 - 272 277 - 278.

² - جزيرة شريك: في قبلي تونس من إفريقية جزيرة شريك العبسي وكان عاملا عليها، وأمّ أقاليمها مدينة باشو، وهي عمل كبير محتوٍ على بلاد قرى وأنظار كثيرة. الحميري - الروض المعطار - ص 165.

³ - البيلي - الزهاد والمتصوّفة - صص 61 - 63.

⁴ - السُّرُج: مفرد السُّرُج؛ ومعناه الشَّمس والعَلَم. الفيروزآبادي - القامس المحيط - ص 193.

⁵ - القاضي عياض - المدارك - ج 4 ص 51.

⁶ - أبو جيب - الإمام سحنون - صص 51 - 52.

نظر أهل أفريقية، وخاصة الطبقات متوسطة الحال ناصرهم وحاميهم من ظلم الأمراء تارة ومن أصحاب السلطة والنفوذ تارة أخرى، فكان الناس في القيروان ينتظرون بشغف ولهفة مجالس سحنون لكي يعرضوا عليه مظالمهم والمعاوض المتعلقة بحياتهم¹. وكان الناس يلجأون للعلماء والفقهاء والزهاد عندما يحل بهم قحط، كما فعل أهل القيروان مع الشيخ شقران، يسألونهم الدعاء لهم بالسُّقيا؛ فاستجاب الله له وسُقوا من ساعتهم، وكان يعالج الضرير والمصروع بالدعاء².

وكان الإمام مالك إذا دخل عليه ابن غانم وقت سماعه أجلسه إلى جنبه، ويقول لأصحابه: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا جَاءَكُمْ كَرِيمٌ قَوْمٌ فَأَكْرَمُوهُ» ؛ وهذا كريم في بلده، وكان من القضاة المعترين الذين يُسْتُوون بين القوي والضعيف، وقد سُرَّ الإمام مالك بخبر ولايته القضاء على أفريقية، وذلك لعلمه بعلمه ودينه وصلاحه، فبتقديمه يقع النفع به لسائر أفريقية³.

لقد أعطى هؤلاء العلماء مثالا جليًا في حاجة الناس إليهم، في إحقاق الحق، ونشر العدل، وعموم النفع على الرعية، لا يفرقون في ذلك بين حاكم ومحكوم، أو قوي وضعيف، وكتب التراجم مليئة بالأخبار عن الأثر الطيب الذي خلفه أمثال ابن غانم داخل الأقاليم التي عُرفوا بها، وبالْحَقْب المختلفة جيلًا بعد جيل.

وممن كان على سنة الإمام الجنيد رضي الله عنه بطرابلس الغرب العارف بالله عبد الله الشعاب (ت 243هـ/857م)، وعجز بعض الناس عن اتمام مسجد الشعاب، فحركته همته لإتمامه، وكان داعيا إلى الله على نهج الكتاب والسنة، مجاب الدعوة، رفيقا بالناس مع دعائه لهم بالخير، ومن أهل التواضع والتقوى⁴، وكان الشيخ إبراهيم بن أحمد أبو اسحاق السبئي القيرواني أحد العلماء

¹ - محمد زينهم - الإمام سحنون - ص 130.

² - الدباغ - معالم الإيمان - ج 1 صص 285 - 286.

³ - المصدر نفسه - ج 1 ص ص 289 - 296 - 299.

⁴ - أبو عبد الله محمد بن خليل غلبون الطرابلسي - التذكار - تصحيح ونشر الطاهر أحمد الزاوي - المكتبة السلفية - القاهرة - 1349هـ - ص 166.

الصوفية الذين ينزل بدعائهم القطر، أخذ من علم الظاهر والباطن الحظ الوافر الغزير، وكان إذا وقف أهل عصره كابن أبي زيد والقابسي في المشكلات، وحضروا لديه انحلت إليهم تلك المهمات، وكان أكابر القيروان إذا نزلت بهم الحوادث اقتدوا به في أفعاله، فإن أغلق بابه أغلقوه، وإن فتحه فتحوه تأسيًا فيه¹.

ومن أهل البذل والعطاء والكرم، وإنفاق المال في وجوه الخير، ومساعدة الفقراء والمساكين ومواساة المصابين، الشيخ أبو محمد ابن أبي زيد القيرواني، وكان يحسن اختيار المواطن الصالحة لبذل المال تحقيقًا للمصلحة وإعانة للمحتاجين، ودفعًا للفاقة، وتأييلاً للقلوب²، قال الدباغ عنه: «كان رحمه الله من الأجواد وأهل الإيثار والصدقة كثير البذل للفقراء والغرباء وطلبة العلم، كان ينفق عليهم ويكسوهم ويزودهم»³.

وكان الناس يأتون إلى الشيخ أبي جعفر أحمد حمود بن ابراهيم عند اختلافهم ليصلح بينهم، وكان رجلاً صالحاً فاضلاً فقيهاً ثقة، ذا سمعة حسن ووقار وورع، سمع منه الناس، وكان من الزهاد المتعبدين المستجابين، دخل سوسة بألف مثقال فأنفقها، وكانت له مروءة⁴.

والشيخ محمد بن قاسم بن محمد الأموي القرطبي تلميذ أبي محمد بن أبي زيد وأبي الحسن القابسي، وكان من أهل العلم والأدب، والدراية والرواية، والحفظ والمعرفة، على الدين والصلاح والأخلاق الحميدة، وكان حافظاً للفقهاء، وكان حليماً أديباً ظريفاً، حميد المشاركة لإخوانه، حسن الأخلاق، سمحاً، قضياً للحوائج، مات شهيداً سنة 403هـ/1012م⁵، والشيخ عبد الرحمن بن أحمد بن محمد التحيبي يكنى أبا بكر كان مُسنداً للناس في حوائجهم، يمشي معهم يومه كله، لا يكاد

¹ - المناوي - حلية الأولياء - ج 2 ص 12.

² - ابن أبي زيد القيرواني - كتاب الجامع - ص 38.

³ - الدباغ - معالم الإيمان - ج 3 ص 113.

⁴ - القاضي عياض - المدارك - ج 5 ص 326.

⁵ - ابن بشكوال - الصلة - ج 2 ص 718.

يقضي لنفسه معهم حاجة¹، وكان الناس يلجؤون إلى الشيخ أبي عمران الفاسي في المعضلات، وما يُؤثر عليه أنه أنقذ الناس من الاقتتال فيما بينهم في مسألة تمارؤا فيها بالقيروان، وخرجوا عن حد الاعتدال من الجدال، فقصدوا داره، ولما بين لهم وجه الصحة من الخطأ، قامت الجماعة إليه وقالوا: «جزاك الله من عالم خير، لقد شَفَيْتَ ما في صدورنا». ودعوا له كثيرا وانصرفوا عنه².

وكان الشيخ واجاح بن زلو اللمطي تلميذا لأبي عمران الفاسي، وكان المصامدة وأهل نفيس إذا أصابهم قحط استسقوا به؛ فيزورونه ويتبركون بدعائه، فيرسل الله عليهم السحائب بالأمطار³، وكان الناس يجتمعون إلى أبي محمد عبد السلام التونسي إثر كل صلاة جمعة فيدعو لهم واحدا واحدا، وكانت إحدى النسوة قد طلبت منه الدعاء بالتوبة، فأقبلت على طاعة الله، وكانت تلازم بجامع تلمسان نهارا⁴. وهذا أبو العباس أحمد بن محمد بن موسى بن عطاء الله الصنهاجي المعروف بابن العريف من شيوخ الصوفيّة ذكره ابن بشكوال فقال: كان متناهيا في الفضل والدين، منقطعا إلى الخير، وكان العبّاد وأهل الزهد يألّفونه ويقصدونه فيحمدون صحبته⁵.

وعدّ الإمام المازري من أهل الكمال والعلم والتقوى والتواضع في وقته، والإعراض عن ولاية الخطط، وهذا ما حمل الناس على إجلاله والالتفاف حوله واتباع أقواله وآرائه⁶، وكان الشيخ محمد بن عيسى بن محمد بن زنون (ت 580هـ/1184م) من أهل مالقة، وكان من أهل الفقه، والمعرفة بالوثائق، وكان مسارعا إلى الخير، حافظا لكتاب الله مداوما عليه، قائما، كثير المعروف والصدقة،

¹ - ابن بشكوال - الصلّة - ج 2 صص 473 - 474.

² - ابن الزيّات - التّشوّف إلى رجال التّصوّف - صص 87 - 89.

³ - المصدر نفسه - صص 89 - 90.

⁴ - المصدر نفسه - ص 112.

⁵ - المصدر نفسه - ص 118.

⁶ - عبد الوهاب - الإمام المازري - صص 58 - 73.

وكان الفقيه الزاهد أبو الحجاج صاحباً له، وكثيراً ما كان يوجه له المساكين والفقراء، فيرفدهم ويقضي حوائجهم¹.

وكان الشيخ أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن ولاد الأنصاري، من أهل الفضل والعدل والدين والعلم والفقه، وكان أمين قيسارية مالقة، مقصوداً من البلاد، مؤتمناً على الودائع، يقصده الملوك والسادات في حوائجهم²، والشيخ محمد بن علي بن خضر بن هارون الغساني المشهور بابن عسكر، كان جليل المقدار، متفناً في العلوم. كانت الفتوى تدور عليه بمالقة، وهو مبتدئ كتاب أعلام مالقة، في أيام توليه القضاء ظهرت الحقوق، وسار من السيرة الحسنة ما لم يسيرها أحد من قبله، وكان أفضل الناس خلقاً، وأرحبهم صدراً، وأجملهم عشرة، وأتمهم رجولة، وأنداهم يداً، وأكثرهم احتمالاً، يُحسن إلى من أساء إليه، ويجود بماله على من بخل عليه، مع ما كان عليه من سياسة الناس ومداراتهم وقضاء حوائجهم³.

وكان الشيخ محمد بن عبد الله بن محمد الإشبيلي المالكي الحافظ المعروف بأبي بكر بن العربي، عالم أهل الأندلس ومُسْتَنْدَم، صحب أبا حامد الغزالي وأبي بكر الشاشي والطرطوشي، وغيرهم. استقضى بيلده فنفخ الله به أهله، وكان له في الظالمين سورة⁴ مرهوبة⁵، طبق الآفاق بفوائده، وعمل على إشبيلية سورا بالحجارة والآجر بالنورة من ماله، وقدم من رحلته إلى المشرق بعلم كثير، وكان موصوفاً بالفضل والكمال. قام بأمر القضاء أحمد قيام، في شدة على الظالمين، ورفق بالمساكين، وهو الذي سقى الله تعالى به الأندلس بعدما أجدبت من المعارف، وكانت النفوس متطلعة إليه⁶.

¹ - ابن عسكر وابن خميس - أعلام مالقة - ص 110.

² - المصدر نفسه - صص 157 - 158.

³ - المصدر نفسه - صص 175 - 176.

⁴ - سورة: السورة: الحدة. ابن منظور - لسان العرب - مج3 - ج24 ص 2146.

⁵ - ابن العماد - شذرات الذهب - مج6 صص 232 - 233.

⁶ - المقرئ - نفع الطيب - ج2 صص 26 - 29 - 34.

وبأمثال هؤلاء العلماء الفقهاء الصوفية المحققين كان قوام المجتمع، وبما حازوه من أوصاف حميدة كان الناس في حاجة دائمة لهم مع التطلع إليهم والقرب منهم، فانتفعوا بعلمهم، واشتملوا بفضلهم وكرمهم وبمن وولي منهم الخطط والولايات استقام حالهم.

وكان الشيخ الصوفي أبو يعزى يلنور من العارفين المشهورين وخبره مُتفَرِّق، وكان من أكابر أولياء المغرب، دخل المدن فانتفع به خلق كثير، وكان أهل المغرب يَسْتَسْقُونَ به فيُسْقُونَ¹، وكان الشيخ علي أبو الحسن الشاذلي، إذا ركب يمشي أكابر الفقراء وأهل الدنيا حوله، وتُنشر الأعلام على رأسه، وتضرب الكوسات² بين يديه، ويأمر التَّقِيب أن ينادى أمامه، من أراد القطب الغوث فعليه بالشاذلي³، وكان أبو محمّد عبد الله بن إبراهيم المالقي، عرف بالقلفاط، ما تراه يمشي قطّ إلا في حقّ غيره، ولا يلتفت لنفسه ولا لحقّها، يقصد إلى البلد والحكّام في حوائج الناس، داره للفقراء مباحة، حافظا للشريعة والآداب، مشروح الصدر⁴.

والشيخ الصوفي أبو زكرياء يحيى بن محمّد بن عبد الرحمن التادلي، وكان صالحا ورعا مجاب الدعوة، قال لمحمّد بن إبراهيم في عام مجاعة بمراكش: جئني بالفقراء الذين بجامع عليّ بن يوسف، فأتاه بهم، فأخرج قمحا وسمنا كان عنده، ففرّقه عليهم حتى لم يبق له منه شيء⁵، وكان الشيخ الفقيه القاضي العالم العابد المتفتن، أبو علي حسن بن علي المسيلي، يسمّى أبا حامد الصغير جمع بين العلم والعمل والورع، وكان محصّلا مجتهدا، له المصنّفات الحسنة والقصص العجيبة، احتاج إليه الناس في أمر دينهم فمالوا إليه وعولوا في أمرهم عليه، وكان يقول إذا أشير إليه بالتفرد في العلم والتوحد في

¹ - المناوي - حلية الأولياء - ج 2 ص 211.

² - الكوسات: مفردها كوس، دخيلة أيوبية، صنوج من النحاس يشبه الترس الصغير، يدق بأحدها على الآخر بإيقاع مخصوص، والضارب بها كوسي. المناوي - الكواكب الدرّية - ج 2 ص 471.

³ - المناوي - المصدر السابق - ج 2 ص 470.

⁴ - محيي الدين بن العربي - روح القدس - ص 121.

⁵ - ابن الزيات - التثوّف - صص 245 - 246.

الفهم: «أدركت ببجاية سبعين مفتياً ما منهم يعرف الحسن بن علي المسيلي»¹. وهذا من تواضع العلماء وأخلاقهم وزهدهم في حبّ الرياسة والشهرة والظهور، فكانوا بذلك أسوة حسنة لمن تأسى بهم في الأرجاء والمجتمعات التي عاشوا بها أو خارجها، وقد حفظ العلماء المؤرخون عن طريق مؤلفاتهم لأهل العلم والفقهاء والتصوّف قدرهم وعلو مكانهم وبينوا للناس عظيم أخلاقهم².

أثبت العلماء بحقّ أنّهم عصب الحياة الاجتماعية، ويتجلّى ذلك في ما خلفوه من أفضال على البلاد التي كانوا يقطنون بها أو التي انتقلوا إليها فأدوا مهامًا جسيمة وعلى جانب كبير من الخطورة منها تربية الأجيال وتخليقهم بالأخلاق الحسنة، وتنظيم أمور حياتهم وما يطرأ عليها من المشكلات والنوازل والجوائح والأقضية، ورفع الحرج والتسهيل على الناس، وفوق ذلك ولعلّوا مقام العلماء في مجتمع المسلمين عامّة، وبالغرب الاسلامي لجأوا إليهم في قضاء حوائجهم، وإزالة غبنهم، وحمايتهم من أسباب الضياع، ولا يتأتى هذا إلّا لأهل الفضل والعلم والفقهاء، وسعة النّظر، وأهل الزهد وحسن الخلق.

¹ - الحفناوي - تعريف الخلف برجال السلف - ص 60.

² - يسري عبد الغني عبد الله - معجم المؤرخين المسلمين - دار الكتب العلمية - بيروت - ط 1 - 1411هـ/1991م - صص 49 - 52 - 71.

المبحث الثاني: تأسيس العلماء للمؤسسات الاجتماعية والاقتصادية ورعايتها

1- مؤسسات المساجد والرُّبُط والزوايا والمدارس: المسجد هو بيت الله، وبيت الجماعة التي استخدمته في تسيير شؤونها العامة، وأظْهَرُ مثل ذلك هو استخدام المسلمين لمساجدهم دورا للقضاء بعد تقرير العلماء لذلك، وكذلك كانت المساجد معاهدا للتعليم، مع تكفّل الجماعة برواتب ومعاش المعلمين، وهذا ما فيه مدعاة للفخر بالقضاء والعلم والفخر بأهل المعمار، والفخر بأعلام أهل القرآن، بالحسبة والمحتسبين، والشعر والشعراء، بالصلحين من أهل التصوّف، فهؤلاء جميعا كانوا يمثلون مؤسسات المسلمين التي احتفظت بمهالة الإسلام في يدها، ومما أعان على الحفاظ على هذه المؤسسات امتلاك القضاة وأهل العلم للمساجد، ويزداد وضوح الدور الاجتماعي للمساجد ما تذكره كتب الرّحالة أمثال: ابن جبير والعبدي وابن رشيد وابن بطوطة، وكانوا إذا نزلوا بلدا لا يعرفون فيه أحدا أتجهوا إلى المساجد، وهناك يلتقون الغرباء من أمثالهم يسألونهم عن أسعار الفنادق وسبل المعيشة للغريب الطارئ. أو إذا عُرفوا أنّهم من العلماء فإن القاضي أو العامل أو التاجر الكبير أو واحداً من عليّة القوم يقوم بالواجب نحوهم بالإكرام، أو يُعرض عليه عمل يناسب مكانه وعلمه، ويصل الأمر أحيانا إلى المصاهرة، ومن الذين مرّوا بهذه التجربة أيضا الشيخ أبو بكر بن العربي، والشيخ محبي الدين بن عربي¹.

ومن المساجد التي كان لها مكانة وتأثير في مجتمع المسلمين عن طريق شيوخها؛ جامع عقبة بالقيروان، ومسجد سوسة، ومسجد قرطبة الجامع، ومسجد القرويين بفاس²، وكان بطرابلس الغرب رباطات كثيرة يأوي إليها الصالحون³، ومن مفاخرها وأهم الآثار الإسلامية بها "المدرسة المنتصيرية" التي أسّسها ودرّس بها الشيخ الإمام الفقيه القاضي، الأصولي، العالم المتفتّن، القدوة أبو محمّد عبد الحميد بن أبي البركات بن عمران "ابن أبي الدنيا" الصدي الطرابلسي (ت 684هـ/1285م)⁴.

¹ - حسين مؤنس - المساجد - مجلّة عالم المعرفة - الكويت - العدد 37 - 1981م - صص 30 - 34.

² - المرجع نفسه - ص 147.

³ - الحميري - الروض المعطار - ص 389.

⁴ - ناصر الدين محمّد الشريف - الجواهر الإكليلية - صص 108 - 109.

المساجد الجامعة الكبيرة هي التي يقوم السلطان بإنشائها ، وهو الذي يرتب لها الأئمة، ويقوم بأمرها أو من يُفوض إليه شؤونها كالقاضي الذي ينصب لها الإمام، وهناك المساجد الصغيرة التي يتولى شؤونها الأهالي بالإئفاق عليها واتخاذ الأئمة بها¹.

واهتم المرابطون والموحدون ببناء المساجد الجامعة على نمط جامع قرطبة، وكذلك فعل المرينيون واضطلعت هذه المساجد بمختلف الأدوار في مختلف مناحي حياة المسلمين كجامع القرويين بفاس، خاصة وأن الملازمين بها هم من العلماء المالكية الذين جمعوا بين شتى فنون العلم وبين الزهد والعبادة²، وحين ضاق جامع القرويين بالمصلين، التجأ الفقهاء إلى أمير المسلمين علي بن يوسف مطالبين بتوسعة المسجد فأمر بالزيادة فيه، وقد بلغت الزيادة في مساحته خمسين وثمانمائة وألف متر مربع³. وكان المسجد بالإضافة إلى وظيفته الأساسية مُجتمعا للمسلمين ومركزا دينيا واجتماعيا، ومقرا للفصل في القضايا وحلف اليمين، وكان جامع سوسة يحلف فيه الخصوم بين يدي القضاة، كما كان يتم حلف اليمين في جامع مراكش على من أنكر حق الآخر⁴.

ومن أعلام مالقة الشيخ محمد بن عبد الرحمن أبو عبد الله المدحجي ومن أهل العلم والفضل والورع بنى المسجد المنسوب إليه أنفق فيه مالا جمّا، وهو من أعظم المساجد بناء⁵، وأما جامع الأندلس وفي سنة 695هـ/1295م اعتلّ كثير منه، فعرف خطيبه وإمامه الشيخ الفقيه الصالح الورع الفاضل المبارك محمد بن مسونة أمير المسلمين يوسف بن أمير المسلمين يعقوب بن عبد الحق فنقذ أمره بإصلاحه، فأصلح وجدّد كثيرا منه من مال الأحباس، ولما ولي الأمير أبو ثابت ابن الأمير

¹ - محمد عادل عبد العزيز - التربية الإسلامية في المغرب - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - 1987م - صص 49.

² - المرجع نفسه - صص 49 - 51.

³ - حسن علي حسن - الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس - ص 398.

⁴ - كمال السيد أبو مصطفى - جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية في المغرب الإسلامي - مركز الاسكندرية للكتاب - الاسكندرية - 1996م - ص 109.

⁵ - ابن عسكر وابن خميس - أعلام مالقة - ص 81.

عبد الله بن الأمير يوسف بن يعقوب أهتم بأمر الجامع، وكان المتولي لبنائه والنظر فيه العريف أحمد الجياني، والإنفاق في ذلك من بيت المال¹.

وبلغ عدد المساجد ألف مسجد، من جملة العدد المدرستان: مدرسة الشيخ المحدث الراوية المعني بالعلم وأهله، المنفق ماله في نشره واقتناء كتبه، أعجوبة زمانه في ذلك ووقته، الشيخ علي الشاري الغافقي السبتي، والمدرسة الجديدة العظيمة البناء المتسعة الزوايا ذات الصنائع العجيبة، التي بناها السلطان أبو الحسن الدالة على شماعة الملك وعلو المقدار².

وكان أهل الطرق الصوفية الذين يخرجون بالمتاجر فيما يلي الهند غربا وفيما يلي بلاد المغرب الأقصى جنوبا يعمدون إلى بناء الزوايا في كل موضع يصلون إليه، والتاريخ حافل بعشرات الأمثلة على ذلك، وطرق التجارة كانت طرق إسلام في آسيا وإفريقية، وهذه الزوايا كانت طلائع المد الإسلامي، وإذا أردنا أن نتعرف طرق التجارة في هذه النواحي فعلينا تتبع خطوط الزوايا³.

وعدد الربط والزوايا بمدينة سبتة سبع وأربعون ما بين زاوية ورابطة، أضخمها بناء وأعظمها هيكل "رابطة الصيد"، ومن الزوايا الزاوية التي ابتناها أبو عنان بن أبي الحسن، وأعددها هناك للغرباء ولمن اضطر إلى المبيت بها من التجار وغيرهم⁴.

والتدريس بالمسجد كان يتطلب الإذن من القاضي، وكان المحتسب يتولى رعاية التربية وجعلها تسير في إطار الشريعة الإسلامية، ووفق الأخلاق الفاضلة والذوق السليم؛ فكان المحتسب يزور المدارس والكتاتيب بين حين وآخر ليتأكد من سلامة المباني، ومراعاة الشريعة الإسلامية في تعليم الصبيان، والضرب على أيدي المعلمين في الإبلاغ في ضربهم لتلامذتهم، ومنع أدعياء العلم من

¹ - ابن أبي زرع - الأنيس المطرب - صص 76 - 77.

² - محمد الأنصاري - اختصار الأخبار - صص 27 - 28.

³ - حسين مؤنس - المساجد - صص 35 - 36.

⁴ - المرجع نفسه - صص 30 - 32.

التصدي لتعليم الناس أو علاجهم أو الفتوى لهم في الأحكام أو الجلوس للفصل في قضاياهم، ويمنع المحتسب أهل البدع والأهواء من الدعاية ويعزلهم عن المجتمع وعن الأماكن العامة¹.

ومن المدارس في عهد الموحدين المدرسة العامة لتخريج الموظفين أو الحفاظ - ومدرسة تعليم الأمراء - وهناك مدرسة لتعليم الملاحة، ومن أولى المدارس بفاس مدرسة الحلفائين أو الصقارين، ومدرسة العطارين بإزاء جامع القرويين أشرف على إنشائها الشيخ العالم محمد عبد الله بن قاسم المزور²، وبنى الإمام الفقيه، القاضي، الأصولي العالم المتفنن القدوة عبد الحميد بن أبي الدنيا الصديفي الطرابلسي المكنتي أبا محمد (ت 684هـ/1286م) "المدرسة المنتصرية"، وكانت من مفاخر طرابلس وأثرا من الآثار الإسلامية التي أعجب بها الأدباء، وتحدث فيها كثرة من الرحالة³.

وتمثل الزاوية مؤسسة دينية واجتماعية وعلمية تبلورت أنشطتها وخصوصيتها منذ استقرار الإسلام إلى الآن، وتعد مركزا من مراكز التربية الصوفية السنية، ومعهدا لتربية النفوس وتطهيرها، ولذلك اجتهد شيوخ الصوفية في بناء الزوايا وتشبيدها لأجل أداء وظيفتها الاجتماعية من إيواء الغرباء وإطعامهم، وأداء الواجبات الدينية من صلاة وصدقة وذكر وتلاوة قرآن وتعليم وتعلم وغير ذلك⁴، والزوايا ركن من أركان المسجد اتخذت للعبادة، ومع مرور الوقت اتخذت شكلا جديدا على هيئة دور تقام للدراسات العلمية الدينية، وقد اتخذها الصوفية مكانا لإقامة حلقات الذكر فيها⁵؛ فحياة الصوفية عبارة عن سلسلة ذهبية من العهود، والتوجيهات والوصايا والإرشادات، والتطبيق القولي والعملية؛ فليست الزوايا إلا مدارس عملية وأخلاقية وتهديبية يتخرج منها جماعات إثر جماعات

¹ - محمد عادل عبد العزيز - التربية الإسلامية في المغرب - صص 7 - 8.

² - المرجع نفسه - صص 41 - 44.

³ - ناصر الدين محمد الشريف - الجواهر الإكليلية - ص 109.

⁴ - سفيان لوصيف - زاوية بن حمادوش بقجال تاريخ وعلماء - الخريطة التاريخية والأثرية لمنطقة سطيف - منشورات مخبر البحوث والدراسات في حضارة المغرب الإسلامي - جامعة منتوري قسنطينة - دار بهاء الدين للنشر والتوزيع - 2011م - ص 178.

⁵ - عبد الحكيم عبد الغني قاسم - المذاهب الصوفية ومدارسها - مكتبة مدبولي - القاهرة - ط 2 - 1999م - صص 177 - 187.

من المؤمنين الصادقين المخلصين المحبين¹. والمنشآت التكايا² والزوايا والالخنقاوات³ والربط دور في الخدمة الاجتماعية والدينية منها: رعاية الفقراء والالدررايش والمسافرين الذين لا يجدون لهم مأوى في البلاد التي يمرون بها، وخاصة إذا كانوا قاصدين بيت الله الحرام وكان لها أيضا دور هام في نشر الإسلام، والذود عنه في أوقات الخطر، فقلما تجد بلدا مسلما إلا وتجد فيه تكية أو زاوية أو رباط، وكثيرا ما كانت تمارس فيها العبادة، ويتم تحصيل العلوم الشرعية في أروقتها، وقد لعبت هذه المؤسسات أدوارا مهمة اجتماعية ودينية وثقافية وتربوية وجهادية على مر التاريخ، وكان بناؤها ورعايتها ترجمة للإيمان على أرض الواقع⁴.

ومع مرور الزمن أصبحت الرباطات المواجهة للأعداء، والتي ضمّتها دار الإسلام فيما بعد، دورا مستقر طلاب العلم وزوايا تعليمية لعلوم الشريعة مساهمة في النهضة العلمية، وامتدت من طرابلس إلى دواخل الصحراء حتى غانة ثم شرّقت إلى أن ربطت بين غانة وإشبيلية⁵، وانتشرت الربط والزوايا في مختلف أجزاء المغرب، والمتتبع لخط سير عودة المهدي بن تومرت من المشرق ونزوله مدينة بجاية حتى عودته إلى موطن أهله وعشيرته في جبل إيجليز⁶، يرى وجود هذه الأربطة والزوايا. وكان ابن

¹ - عبد الله عبد القادر التليدي - المُطرب بمشاهير أولياء المغرب - دار الأمان - الرباط - ط4 - 1424هـ/2003م - صص 9 - 10.

² - التكايا: هي أوقاف معيّنة وأماكن محدّدة لتحبيس المصاحف وقراءة القرآن أو ما يُعرف "بقراءة الحُرْب"، وهي من الأماكن التي لقيت رواجاً وقبولاً عند العامة وأكثر العلماء. التليدي - المرجع السابق - 157.

³ - الخنقاوات: مفردتها خانقاه. ذكر ابن مرزوق التلمساني (ت 781هـ/1379م) أنّ هذه التسمية تطلق على الزاوية أو الرباط بالمشرق، وبصفة خاصة على المنشآت الصوفية التي يُرَدُّ أصلها إلى التصوّف الإسلامي. عبد العزيز شهبي - الزوايا والصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر - دار الغرب للنشر والتوزيع - الجزائر - 2007م - ص 13.

⁴ - سليم هاني منصور - المرجع السابق - صص 154 - 155.

⁵ - مجموعة من الأساتذة والباحثين - معالم الحضارة الإسلامية في ليبيا - الدار الدولية للاستثمارات الثقافية - القاهرة - ط1 - 2008م - ص 203.

⁶ - جبل إيجليز: جبل صغير حول مدينة مراكش، ومنه قطع الحجر الذي بُني منه قصر علي بن يوسف أمير المسلمين. الحميري - الروض المعطار - ص 540.

تومرت قد مكث في بعضها للتدريس القائم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل إنّ المهدي لقي خليفته عبد المؤمن بن علي في إحدى هذه الأربطة وهو رباط ملالة¹.

والزاوية من حيث الوضع أشبه بالخانقاه الشرقية، وقد زادت تميّزا منذ عصر الموحدين عن الرباط الذي هو لها بمثابة الأم إذ أنّ الرباط مؤسسة متعددة الشعب، إحداها شعبة التعليم والتي عُرفت بالزاوية حيث كان على نفقتها يسكن الطالب ويأكل ويشرب ويلبس ويتعلّم، ثم يتحوّل في الغالب إلى مدرّسٍ بها أو بغيرها من الزوايا، ومنها الزوايا ذات الأبنية المتلازمة حول صحن كبير، وهي الكتاب وغرفة التدريس، والمكتبة والمسجد والمرافق اللازمة، ومنها المبنية عند ضريح الولي الصالح، ومنها الخاصة بالطرق الصوفية والتعليم، وتكون الأراضي التي حول الزوايا حُبساً عليها في الغالب للإنفاق منها ومن الهبات، والأعطيات التي تصلها من أهل الخير²، وكان الناس يجسّون الزوايا على الفقراء يجتمعون فيها ويُنزّلون فيها من يرد عليهم من الغرباء، كما فعلت امرأة ببسطة³، وكان الفقهاء يحمون هذه الزوايا ويرعونها⁴، وكان الملوك والسلاطين يهتمون بزوايا الشيوخ والصالحين، والحبس عليها وتعميرها والنظر في مصالحها لدورها الهام في الحياة العلمية وحركة التصوّف في المغرب الإسلامي، وكانوا يشملون أيضا أبناء هؤلاء الشيوخ وذريتهم بعنايتهم ويُسبغون عليهم فيضا من رعايتهم، ومن ذلك إعفاؤهم من الضرائب والمغرم السلطانية تكريما لهؤلاء الشيوخ الصالحين وتبرّكا بهم وبذريّتهم الصالحة⁵.

¹ - حمدي عبد المنعم محمّد حسين - التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس - ص 342.

² - محمّد عادل عبد العزيز - التربية الإسلامية في المغرب - ص 40.

³ - بَسْطَة: مدينة بالأندلس بالقرب من وادي آش، وهي متوسّطة المقدار حسنة الوضع عامرة أهلة حصينة ذات أسوار وبها تجارات وقَعْلَة بضروب الصناعات وبينها وبين جيان ثلاث مراحل. وهي من كور جيان، وشجر الثوب فيها كثير وعلى قدر ذلك غلّة الحرير، والزيتون وسائر الثمار بها على مثل ذلك من الكثرة. قال البكري وهي مشهورة بالمياه والبساتين. محمّد عبد المنعم الحميري - الروض المعطار - ص 113.

⁴ - الونشريسي - المعيار - ج 7 صص 115 - 116.

⁵ - كمال السيّد أبو مصطفى - جوانب من الحياة في المغرب الإسلامي - ص 110.

وتعتبر الزوايا بمثابة المواضع المُعدَّة لإرفاق الواردين وإطعام المحتاجين من القاصدين، وقامت الربط بدور كبير في توفير الأمن والاستقرار في المواضع المخوفة، حيث أمنت الطرق ووفرت الطمأنينة للمسافرين والتجار، وكان بعض الصالحين يسهمون في تأمين السبل حيث يقيمون في المواضع المخوفة التي كانت فيما مضى مأوى لأهل الفساد وقُطّاع الطرق الذين يهاجمون القوافل والتجار، وانتشرت ربط الصوفية في بلاد المغرب بالمنستير وقابس وسوسة بالمغرب الأدنى، ورابطة ابن بيكي ببجاية ورباط تلمسان بالمغرب الأوسط، وبسببها وحدها بلغ عدد الرُّبُط والزوايا سبعا وأربعين رباطا محاذيا للبحر¹.

وكان للطرق الصوفية التي ميّزتها روابط الأخوة حركة فعالة ومؤثرة وشديدة الالتصاق بالحياة العامة بالمغرب الإسلامي، وهذا ما يفسر إقبال المغاربة عليها². واعتبر الصوفية ملاذا حقيقيا للذين عانوا ويلات الفتن بالأندلس، خاصة بالربع الأخير من القرن 3هـ/9م في آخر عصر الإمارة، وازداد نشاط الصوفية نتيجة سوء الأحوال مع مطلع القرن الخامس الهجري³، وبالمغرب الأقصى أصبح الصوفية الملجأ والملاذ حين تنزل بالناس الأزمة والشدة، وبلغ من تكريم المنصور الموحد للصوفية أنه كان يتبرك بهم، كما فعل مع الشيخ أحمد بن جعفر الخزرجي المعروف بأبي العباس السبتي، وحبس عليه مدرسة للعلم والتدريس، وزاوية للفقراء ودارا لسكناه بأحواز جامع الكتبيين⁴.

وانتقلت الطريقة القادرية إلى المغرب على يد الشيخ أبي مدين شعيب الأنصاري الأندلسي فنشرها هناك وجاء من بعده الشيخ عبد السلام بن مشيش فزادت انتشارا على يده⁵، وللزوايا ارتباط ارتباط وثيق بتوعية المجتمع وتعليمه من جهة، والحفاظ على عناصر هويته من جهة أخرى وحفظه من الأخطار والآفات سواء ما تعلق بها بالفكر أو المعاش وما يتهدد أمن الناس، خاصة وأنّ المشرفين على تسييرها ومباشرة مختلف أدوارها من المشهود لهم بالعلم والكفاءة والعقل والحرص على مصالح

¹ - كمال السيد أبو مصطفى - جوانب من الحياة في المغرب الإسلامي - صص 110 - 111.

² - البيلي - الزهاد والمتصوفة - ص 100.

³ - المرجع نفسه - صص 179 - 194.

⁴ - حسن علي حسن - الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس - صص 477 - 478.

⁵ - الخليل النحوي - بلاد شنقيط المنارة والرباط - ص 121.

الأمة، كما دَلَّ على ذلك جهابذة التاريخ الإسلامي، في أمهات كتب السير والتراجم والتاريخ وعلم الأرض.

2- مؤسسة الأوقاف (الأحباس)

كانت الكعبة المشرفة أول وقف عرفه النَّاس، وإبراهيم الخليل عليه السلام وقف أوقافا لاتزال باقية إلى يومنا هذا، وبدأ الوقف في العصر الإسلامي مع بدء العهد النبوي في المدينة المنورة ببناء مسجد قُباء ثم المسجد النبوي، وتصدَّق سيِّدنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بسبع حدائق بالمدينة كانت لمخيريقي اليهودي تملكها عنه بعد وفاته إثر قتاله مع المسلمين في غزوة أحد، وقد وقف الخلفاء الراشدون وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم أموالهم تأسيا برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ¹.

تنوّعت الأحباس في المغرب الإسلامي شأنها في ذلك شأن الأحباس في المشرق الإسلامي ولعلَّ من أهمها الحبس على المساجد والمدارس والربط أو الزوايا والمقابر والأضرحة، وكذلك الحبس على الفقراء والمساكين واليتامى والمرضى والذراري والزوجات وغير ذلك²، ويكون النظر في الأحباس للقاضي الذي يباشرها بالنظر، أو يقدِّم من يباشر ذلك، وفِعْلُ كُلِّ منهما يمضي في حدود التصرف على وجه النظر، ولا يترك القاضي بيد الناظر التصرف كيف شاء، وشدَّد العلماء والفقهاء على حفظ الأحباس من الضياع، والتعرُّض لأكلها بالباطل المحض، وعدُّوا تواطؤ جماعة المسلمين على ذلك من المناكر³.

وكانت الأوقاف الأندلسية شأنها شأن الأحباس المشرقية نوعين: أحدهما يسمى الوقف الخيري وهو الذي يكون ابتداء وانتهاء على جهة البرِّ والخير كالوقف على المساجد والمدارس ومكاتب الأيتام والربط والأسبلة وغيرها، ومن أمثلة هذا النوع من الوقف في الأندلس وثيقة وقف الشيخ

¹ - منذر قحف - الوقف في الإسلام - دار الفكر - دمشق - ط1 - 2000م - صص 19 - 20.

² - كمال السيد أبو مصطفى - جوانب من حضارة المغرب الإسلامي - ص 27.

³ - محمد الهبطي الموهبي - فتاوى تتحدى الإهمال - وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب - 1419هـ/1998م - ج 1 صص 360 - 363.

أبي جعفر أحمد بن دحنين الذي عهد بثلاث متروكه في أنواع من البر، وعيّن في سيتانة بقرية الزاوية خارج غرناطة، والثاني يسمى الوقف الأهلي ويكون ابتداء على الواقف وأسرته وذريته إلى أن ينقرضوا ثم بعدهم على جهات البر والخير وأهم ما كان يجبس في الأندلس الضياع والبساتين والدور والحمامات والفنادق والأرحاء والحوانيت والمقابر لدفن موتى المسلمين، والصهاريج والأفران ودور الطراز والمصاحف والكتب والخيل والسلاح للجهاد¹، وكان الإشراف على الأحباس في الأندلس ضمن اختصاصات القاضي، وبلغ من اهتمام أمراء بني أمية وخلفائهم في الأندلس بالأحباس أنهم كانوا يسندونها أحيانا إلى قاضي الجماعة بالحاضرة، كقاضي الجماعة بقرطبة ابن كنانة في عهد حكم الرضي بن هشام (180-206هـ/796-821م)، وفي نص ظهير ولاية ابن الساعي قضاء قرطبة في عهد الخليفة المنتصر (350-366هـ/961-976م) حيث أوصاه الخليفة: «أن يحدّد الكشف والامتحان عن أموال الناس والأحباس»، وفي عصر دويلات الطوائف فصلت الأحباس عن اختصاص القاضي وخصّص لها وظيفة مستقلة تسمى "صاحب الأحباس" كالشيخ عيسى بن محمد الرعيني، وكان والده الشيخ محمد الرعيني صاحب أحباس قرطبة أو ألمريّة، وبطليلة عبد الرحمن بن محمد بن البيرولة وقاسم بن كهلان، وبإشبيلية أحمد بن طيب، وكان ذلك في عهد المعتمد بن عباد (461 - 484هـ/1069-1091م) وفي عهد المرابطين اهتم الأمراء بالأحباس، واحترموا القواعد الفقهية المنظمة لها، واهتم علي بن يوسف بن تاشفين بالأحباس في المغرب والأندلس، ومن أمثلة ذلك توسعة جامع القرويين بفاس، الذي أوكل أمر توسعته إلى القاضي ابن داود².

وتنوّعت موارد الوقف من عقار ومنقول ونقود، وكذلك تعددت مصارفه لتشمل مختلف نواحي الحياة الاقتصادية والاجتماعية والعسكرية والسياسية، ولقد قام الوقف بدور كبير في المجتمعات الإسلامية، وساهم في بقاء المجتمع المسلم محصّنا، ففي المجال الديني كان له دور في بناء المساجد والمعاهد، وفي التربية والتعليم نشر العلوم واقامة المدارس والمكتبات وتوفير الرواتب للمعلمين، وفي مجال

¹ - كمال السيد أبو مصطفى - تاريخ وحضارة الأندلس - صص 167 - 175.

² - كمال السيد أبو مصطفى - جوانب من حضارة المغرب الإسلامي - صص 176 - 179.

الصحة إنشاء المستشفيات وأماكن تعلّم الطب، وفي المجال الاجتماعي تأهيل العنصر البشري، والتخفيف من أزمات المجتمع، وفي الاقتصاد تمويل مختلف النشاطات، وتوفير الكسب الطيب مع المشروعات ذات المصلحة الاجتماعية المرجحة، وفي المجال السياسي حفظ المجتمع زمن اختلال الدولة، فضلا عن محاربة الأعداء عن طريق دعم المؤسسات المنوطة بذلك¹.

وقد عكف فقهاء المالكية على تنظيم الأوقاف والأحباس عن طريق الفتاوى التي كانوا يصدرونها سواء تعلق ذلك بالمصلحة العامة كأماكن العبادة أو ما يتعلق بالمعاش². وتذكر كتب الحسبة الأندلسية أن الأحباس يمنع من تغيير شكلها عمّا وُضعت له، ويمنع من أراد أن يدخل فيها شيئا في منفعه، أو يحرفها عن موضعها إلى ما هو أحسن منه وأسهل لأنها أحباس، والأحباس لا تغير عن حالها بوجه ولا حال³، وكان الشيخ الفقيه أبو محمد الرعيني مشتغلا بالأحباس في أيام محمد⁴ بن زنون⁵. ومن الفقهاء والعلماء البارزين المشاركين في تنظيم الأوقاف وحماتها الشيخ ابن أبي زيد القيرواني الذي كانت له أحكام في مختلف مواضيع الحبس منها حبس الفُرُس في الغزو، وحبس المساجد، وعن الأحباس إذا تهدمت وخرّبت وبقي منها ما يصلح كيف يُعمل فيه، وكيفية تقسيم أموال الحبس⁶، وله كتاب شرح مسألة الحبس⁷، وللشيخ ابن رشد الجّد تفصيل وتنظيم لمسائل الأحباس، ومن المسائل البارعة في الحبس الكلام على الحبس المعقب وتقسيم أحكامه باختلاف ألفاظه، وتقسيم مسائله، وفي كراء حوانيت الأحباس⁸، وللإمام اللخمي فتاوى منظمة للحبس متعلّقة

¹ - سليم هاني منصور - الوقف ودوره في المجتمع الإسلامي المعاصر - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط1 - 1425هـ/2004م - صص 9 - 10.

² - أبو الحسن اللخمي - فتاوى الإمام أبي الحسن اللخمي - صص 123 - 124.

³ - كمال السيد أبو مصطفى - تاريخ وحضارة الأندلس - ص 168.

⁴ - محمد بن زنون: أبو بكر محمد بن محمد بن زنون كان فاضلا أديبا بارعا، شاعرا مفلّقا، وكاتبا مجيدا حسن الخلق جميل العشرة، وله أمداح في الأمراء وأشعار كثيرة في الزهد. ابن عسك - أعلام مالقة - ص 161.

⁵ - ابن عسك وابن خميس - أعلام مالقة - ص 244.

⁶ - ابن أبي زيد القيرواني - فتاوى ابن أبي زيد القيرواني - ج2 صص 374 - 375.

⁷ - الدباغ - معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان - ج3 ص 111.

⁸ - ابن رشد الجّد - فتاوى ابن رشد - ج3 صص 1889 - 1932.

بجوانب عدة منه، بدءاً بتحسيس الأشياء مع عدم ذكر الجهة المحبس عليها، وكان الإمام اللّخمي كثيراً ما يستدل بأقوال الإمام مالك رضي الله عنه وابن القاسم وغيرهما من العلماء¹.

وكان العلماء والفقهاء يهتمون بتنظيم الأحباس خاصة ما تعلّق منها بدور العبادة وما ينفع الناس في معيشتهم كالمساجد والجنّات والدور، ويصدرون أحكامهم بما يساير الحق وفيه النفع للناس وحفظ المصلحة العامة على مذهب المالكية كما كان يفعل الإمام أبو الحسن اللّخمي²، وكان تلميذه الإمام المازري يشارك في تنظيم الأحباس في القيروان بإبداء الرأي في سورها وأبراجها السائرة إلى الهلاك، بعد أن سأل الناس ذلك، ففصّل فيه بكلام شاف، وكان الشيخ أبو الطيب يحض على إصلاحه، وكذلك مخازن المنستير والساكنين فيها، وأحباس الغراسة³.

ومن كبار العلماء المشاركين في رعاية الأوقاف وحفظها عن طريق الفتوى والآراء العلمية التي كانوا يصدرونها الشيخ العالم الفقيه أبو عمران الفاسي، وكان يكتب مجيباً في الحبس على العقب، ورجوع الحبس إلى المحبس، وحبس المسجد، وعن حبس الدفن، وحبس العبد، وحبس الأموال الموقوفة مع الأملاك، وله مقارنات في أقوال العلماء، واستدلالات من أمهات الكتب كالمدونة مما يدل على سعة علمه، ودقة نظره⁴.

وكان للفقهاء فتاوى تتعلّق بالأحباس، ومما يلفت النظر في نوازل كتب الوصاية والأحباس والصدقات والهبات في هذا المجموع شيوع الوصية بالثلث على المساكين وتحسيس المرافق والمنافع على المحتاجين، مثل "جنان المساكين" و"حانوت أحباس المساكين" مما يعكس روح الخير والإحسان داخل مجتمع سبتة⁵، وقد ذكر القاضي عياض مجموعة من المسائل المتعلقة بالأحباس، ومنها التحسيس بوصية، وعن الكنيسة يبنى فيها مسجد أين تؤول أحباسها، وحفظ حرمة أحباس دور العبادة

¹ - محمّد المصلح - الإمام أبو الحسن اللّخمي - ج 1 صص 844 - 851.

² - أبو الحسن اللّخمي - فتاوى الإمام أبي الحسن اللّخمي - صص 123 - 124.

³ - الإمام المازري - فتاوى الإمام المازري - صص 187 - 193.

⁴ - أبو عمران الفاسي - فتاوى أبي عمران الفاسي - صص 125 - 129.

⁵ - القاضي عياض وولده محمّد - مذاهب الحكّام - ص 16.

كالمساجد، وعن الأسوار التي قال فيها: «وأسوار المسلمين من مصالحهم مجراها مجرى أحباسهم وأوقافهم التي لا يجوز تغييرها ولا نقلها عن مواضعها ولا هدم شيء منها ولا تغييره عن حاله المتقررة»¹، وبمثل هذه الصرامة في الأحكام الفقهية حفظ الفقهاء وعلماء الأمة بالغرب الإسلامي على غرار مشرقه حفظوا على الناس مصالحهم وجنبوهم الوقوع في الفوضى في مجالات شتى متعلقة بحياتهم اليومية، فكانوا بذلك سببا قويا وعملا رئيسا في تنظيم شؤون الحياة العامة، والنأي بها عن كل ما من شأنه أن يفسد السير الآمن لهذه الحياة التي كانوا جزء لا يتجزأ من أفرادها الفاعلين.

وقد سجّل لنا الشيخ أبو العباس أحمد بن يحيى الونشريسي في كتابه المعيار فتاوى العلماء والفقهاء في الأحباس على اختلاف أوجهها، كأحباس المساجد والمدارس، ومنايع الماء، والمقابر والجهاد، وأحباس اليهود، وتقسيم الغلة، والأحباس المجهولة، والتحبس على الفقراء، وكيفية ترتيب مصالح الحبس، وحبس الطريق، وشروط الانتفاع، وتنفيذ وصايا الحبس، وعلاقة السلطان بالأحباس، وآلية الانتقال، والحبس على طلبة العلم، وعلى الأيتام والمساكين، والمحاسبة عليها، وأحباس الفلاحة والكراء، والجوائح التي كانت تلم بالحبس، وزكاة الأحباس².

وكان العلماء يحرصون على أموال الأحباس نقيّة لا يخالطها مال حرام أو مشبوه، وكانت بيد حمود بن سمعون أحباس جامع تلمسان وقد صاح به أبو محمد عبد السلام التونسي ونهاه عن العودة إلى إسلاف الأمير تميم بن يوسف بن تاشفين من مال الأحباس، وقال: «فليس للأمير مال يقضي منه مال الحبس إلا ماله الخبيث»؛ فقال حمود أشهد الله وأشهدكم أنّ الأمير في حل مما استسلف، وأني أدفع من مالي في مال الأحباس للجامع الخمسمائة دينار؛ فقال عبد السلام: «الآن طابت نفسي»³، ومن الأوقاف بمدينة سبتة الخزائن العلمية الثمانية الموقّفة على طلاب العلم، أقدمها الخزانة

¹ - القاضي عياض وولده محمد - مذاهب الحكماء - صص 193 - 207.

² - الونشريسي - المعيار - ج 7 صص 515 - 528.

³ - ابن الزيات - التشوّف - ص 111.

الشهيرة ذات الأصول العتيقة، والمؤلفات الغريبة، خزانة الشيخ علي الشاري، وهي أول خزانة وقفت بالمغرب على أهل العلم نفعه الله بها، وأعظمها إحدى خزانتَي الجامع العتيق¹.

ومن المنظمين للأحباس والحافظين لها الشيخ عيسى الغبريني الذي كانت له فتاوى في أحباس الخوارج ببطلانها، فإن لم يكن رَجَعَ الحبس إلى الفقراء والمساكين².

إنَّ جمع العلماء بين الفقه وعلم الكلام الذي يميّزون بهما الفرق الشاذة عن مذهب أهل الحق، يضاف إلى ذلك أمانتهم وخلقهم الرفيع، كل هذا جعلهم بالفعل الحماة الحقيقيين لهذه المؤسسة التي لعبت دورا كبيرا في مجتمع الغرب الإسلامي، والذي لولا توافر هذه الشروط فيهم لضاعت بذلك كثير من الحقوق.

وكان العلماء يرون أن كتب العلم والمصاحف من أصلها من باب الحبس، ووضعها في مكان معين إنما يراد به تعريفها بذلك المكان، وفائدة من يصلح النظر فيها، فإذا انتفع بها في غير ذلك الموضع في حيلة حتى تردّ إليه³.

وأفتى الشيخ المفتي أبو القاسم ابن سراج في كتب خزانة الجامع الأعظم بحاضرة غرناطة بنفاد شرط الحبس الذي اشترط أن لا تقرأ الكتب إلا فيها، ومنها ما اشترط أن يخرج لكن بعد وضع رهن أو ثقة⁴، وأفتى الشيخ عبد الله العبدوسي في كتب كثيرة محبسة بيد أمين وهو الخطيب، وتعلقت الفتوى بمكان وضع هذه الكتب⁵. وكان العلماء والفقهاء يوقفون كتبهم، ومنهم منقطع القرين في الفضل والزهد والعلم الشيخ أبو عمر هارون بن سالم (ت 238هـ/939م)، وكانت كتبه موقوفة عند أحمد بن خالد⁶، والشيخ إبراهيم الزاهد الأندلسي الذي كان له سماع من الإمام سحنون، وحُبِسَتْ

¹ - محمد الأنصاري السبتي - اختصار الأخبار - ص 29.

² - الونشريسي - المعيار - ج 7 صص 362 - 363.

³ - المصدر نفسه - ج 7 ص 37.

⁴ - المصدر نفسه - ج 7 صص 227 - 228.

⁵ - المصدر نفسه - ج 7 ص 55.

⁶ - القاضي عياض - المدارك - ج 4 ص 142.

كتبه عند ابن عمر بعد وفاته¹. وكان الشيخ سليمان بن سالم القطان (ت 281هـ/894م) ممن سمعوا من الإمام سحنون وغيره، ومن المحدثين عن محمد بن مالك بن أنس، وكان كثير الكتب والشيوخ وغلبت عليه الرواية والتقييد، وله تأليف في الفقه، تُعرف كتبه بالكتب السليمانية، مضافة إليه². ومن أهل رية أبو محمد قاسم بن حامد الأموي، عليه كان مدار الفتيا في وقته ببلده، سمع من العتيبي وابن مزين وكان زاهدا ورعا ناسكا، من أهل الوجاهة والتقدم في الفقه، وحبس كتبه، وكان جُلها بخطه³.

وكان موسى بن سليمان الأموي (ت 293هـ/906م) من أهل البرة، أدرك كثيرا من رجال الإمام سحنون، وكان من الصالحين، ويعرف بابن أبي الخضر الصغير لزهده كان فيه، وكان كثير الجمع، جيد الضبط أوصى بتحسيس كتبه على يدي علي بن الحسن⁴، ومنهم الشيخ أبو جعفر أحمد بن ابراهيم ويقال ابن سعدون المتعبد، وكان رجلا صالحا فاضلا فقيها، ثقة من أهل سوسة، كتب جميع كتب محيي بن عمر، ولما مات وقف عليه وكانت وفاته سنة ثلاث أو أربع وعشرون وثلاث مائة⁵، وعمد العلماء والفقهاء إلى حبس كتبهم خوفا من المصادرة كما فعل الشيخ أبو محمد عبد الله بن أبي هاشم بن مسرور التجيبي المعروف بابن الحجام في زمن الشيعة العبيديين منها الثلث عند أبي محمد بن أبي زيد القيرواني، ولما مات قبض السلطان على ذلك، وسلّم الثلث⁶، وقد حبس الإمام القابسي كُتبا واشترط أن لا يعطى منها إلا كتابا واحدا، قال: إن احتاج طالب لكتابين منها إن كان مأمونا أعطي، وإنما يمنع من ذلك غير المأمون. وعليه يتخرّج إخراج الكتب من خزائنها لمن ينتفع بها في منزله⁷.

¹ - القاضي عياض - المدارك - ج 4 ص 237.

² - المصدر نفسه - ج 4 ص 356 - 357.

³ - المصدر نفسه - ج 4 ص 466.

⁴ - الخشني - أحبار الفقهاء - ص 189.

⁵ - القاضي عياض - المصدر السابق - ج 2 ص 326 - 327.

⁶ - المصدر نفسه - ج 5 ص 330 - 331.

⁷ - الونشريسي - المعيار - ج 7 ص 291.

وعلى غرار أحباس أماكن العبادة والجهاد هناك أحباس صرفت في الصدقة على المساكين خلال شهر رمضان، وأموال تصرف على المؤسسات الاستشفائية، والأحباس الزيرية كان مصدرها أحباس الأفراد وأحباس الحكام أو سلاطين الدولة الذين حبسوا جزءا معتبرا من أملاكهم على المدارس والزوايا، خصوصا بعد انتشار التصوف وظهور زوايا كثيرة بالقرى والأرياف. ومن أبواب صرف الأحباس أيضا بالغرب الإسلامي الحياة التعليمية والعلمية بشكل عام، وكانت الأحكام الفقهية صارمة، بحيث لا تسمح بتحويل أرض الأحباس عما وضعت له، وليس لأحد أن يستفيد من أموالها¹.

لا شك أن الأدوار التي أنيطت بها المؤسسات الاجتماعية والاقتصادية أدوار لا يستهان بها، والتي وقف التاريخ عندها موقف المفاخر، جعلت المتتبع لها يقف على أهمية هذه المؤسسات ومن قبلها أهمية المتصدّرين لتنظيمها وتسييرها ورعايتها، ويدرك حجم المسؤولية الملقاة على عاتق علماء العقيدة والكلام والفقهاء المالكي والصوفية من أهل التمييز والنظر وصواب الشريعة وأهل خلق السماحة والبذل والعطاء اتجاه المجتمعات وأهلها بهذه الجهة من العالم الإسلامي.

¹ - صالح بن قرية وآخرون - تاريخ الجزائر في العصر الوسيط - المركز الوطني للدراسات والبحث - الجزائر - طبعة خاصة - وزارة المجاهدين - 2007م - صص 157 - 158.

المبحث الثالث: مهام علماء المالكية والصوفية والأشاعرة الاقتصادية

1- تولي العلماء للخطط الاقتصادية: الإقتصاد: من القصد والقصد: استقامة الطريق، والاقتصاد فيما له طرفان -إفراط وتفریط- يكون محمودا على الإطلاق، وفي القرآن الكريم ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾¹، ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يُقْتِرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾²، وقد يكتى بالاقتصاد عمّا تردّد بين المحمود والمذموم، كالواقع بين الجور والعدل، وفي القرآن الكريم: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللَّهِ﴾³، والاقتصاد: هو علم تدبير الأموال والثروات الفردية والاجتماعية، ادخارا وتنمية وتوزيعا، على نحو من الاستقامة والتوازن، الذي يتوسّط بين الإسراف والتقتير، وبين المبالاة والتقصير، وبين الإفراط والتفریط⁴.

والاقتصاد الاسلامي: هو مذهب ونظام، يشمل مجموعة الأصول والمبادئ والقواعد الاقتصادية العامة المستخرجة من القرآن الكريم والسنة النبوية، والبناء الاقتصادي المُقام على هذه الأصول والمبادئ والقواعد، مُراعى فيه مقتضيات المصالح المتغيّرة والمتطوّرة بحسب الزمان والمكان⁵، ويذكر الونشريسي المناصب الاقتصادية وهي: ولاية الحسبة، وولاية السوق، والسعاية وجباية الصدقة،

¹ - سورة لقمان - الآية 19.

² - سورة الفرقان الآية 67.

³ - سورة فاطر الآية 32.

⁴ - محمّد عمارة - قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الاسلامية - دار الشرق - بيروت - القاهرة - ط 1 - 1413هـ/1993م - ص 59.

⁵ - المرجع نفسه - ص 59.

وولاية الحرص¹ - أي حرز الثمار ومعرفة مقدارها- وولاية صرف النفقات والقروض المقدرة على مستحقيها وإيصال الزكاة لأصنافها، وقسمة الغنائم وإيصال مال الغائبين إليهم².

ويجب أن يكون المحتسب رجلاً عفيفاً، خيراً، ورعاً، عالماً، غنياً، نبيلاً، عارفاً بالأمر، محنكاً، فطناً، لا يميل ولا يرتشي، فتسقط هيئته ويُستخفّ به ولا يُعبأ به، ولا يستعمل في ذلك خساس الناس ولا من يريد أن يأكل أموال الناس بالباطل والمهونة، والاحتساب أخو القضاء، وهو لسان القاضي وحاجبه ووزيره وخليفته، فمن ذلك أن يعضده ويحميه، ويمضي أحكامه وأفعاله، والحاجة إلى المحتسب ضرورة حتى لا يُهمل الناس وتضيع أمورهم، فإن حصل ذلك فسدت السياسة، وفتحت أبواب من المفاسد كثيرة، وهذا الباب إن أحكم ربطه، صلح به العالم والرئيس والناس أجمعون، لأن في هذا الباب تدخل إقامة أبواب من الدين من الفرائض والسنن، ومن عمل الأبدان والصناعات³.

وكان الإمام سحنون أول من قدّم أمناء في الحسبة، وهو أول من نظر فيها، إذ كانت قبل للأمرء دون القضاة⁴، وبلغت ولاية الحسبة مبلغاً عظيماً بفضل عناية من تولّاها من الفقهاء، حتى أن ملوك الإسبان احتفظوا بهذا النظام الاسلامي وتمسكوا به بعد خروج المسلمين من الأندلس⁵، وعندما كان العالم الفقيه عيسى بن مسكين قاضياً على إفريقية ولّى على الحسبة أبا القاسم الطرزي⁶، وكان الشيخ أبو إسحاق إبراهيم بن حسين بن عاصم بن كعب بن محمد الثقفي (ت 256هـ/870م) قد

¹ - الحرص: في الأموال هو حرز -تقدير- بالظنّ لما على النخل من الرطبِ تمراً ولما على الكرم من العنب زيباً. والحرص يكون للنخل والكروم خاصة. وأصل الحرص القول بالظنّ وفاعل الحرص: خارص، وجمعه خراصون. وفي القرآن الكريم ﴿إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ الأنعام 148. محمد عمارة - قاموس المصطلحات الاقتصادية - ص 190.

² - أحمد بن يحيى الونشريسي - كتاب الولايات - تعليق محمد الأمين بلغيت - لافوميك - الجزائر - 1985م - صص 21 - 22.

³ - محمد بن أحمد بن عبدون التحيي وآخرين - ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب - تحقيق ليفي بروفنسال - المعهد العالمي الفرنسي للآثار الشرقية - القاهرة - 1955م - مج 2 صص 20 - 21.

⁴ - الدبّاغ - معالم الإيمان - ج 2 ص 87.

⁵ - مصطفى الهروس - المدرسة المالكية الأندلسية - ص 260.

⁶ - القاضي عياض - المدارك - ج 3 ص 342.

تصرّف في أحكام السوق أيام الأمير محمد¹، وصاحب السوق كان يُعرف بصاحب الحسبة، لأن أكثر نظره إنما كان فيما يجري في الأسواق من غشّ وخديعة ودّينٍ ونفقة مكيال وميزان وشبهة، وقد يجعل له الحكم في عيوب الدور وشبّهها، وأن يخاطب حكام البلد في الأحكام².

وبحاضرة قرطبة وفي عهد يوسف بن تاشفين، كان صاحب السوق وأحكامه بما الفقيه الحافظ أبو طالب المكي³، وكان الشيخ ابن غانم إذا جلس رمى إليه الخصوم الشقاق فيها قصصهم مكتوبة، وكان يجد فيها مسائل تتعلق بالبيوع بين الناس والأمراء أو مواليتهم فيقوم بالفصل في هذه القضايا دون تأخير أو مباطلة، ودون تفريق بين الحاكم والمحكوم، كما حدث مع أبي هارون مولى إبراهيم بن الأغلب، وكان هارون الرشيد كلّف إبراهيم بن الأغلب لاسترجاع دّينٍ له على رجل من إفريقية يقال له حاتم الأبرازي، ورفض الشيخ ابن غانم أن يسلم المال إلى أمير المؤمنين دون عدليّ استخلاف له لقبض هذا المال؛ فقال فيه إبراهيم بن الأغلب: «لله تلافه ما أنفذ بصيرته وأمضى عزيمته»⁴، ومن الذين ذكرتهم كتب الحسبة وأحكام السوق والنوازل الذين كانوا معظّمين لعلمهم وفقههم من أصحاب السوق الشيخ يحيى بن عمر، وكان الناس يستفتونه فيما تعلّق بأحكام السوق⁵.

وكان الإمام الباجي ينقل عن الفقيه الأندلسي عيسى بن دينار عن سيّدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فيما يتعلّق بأحكام السوق⁶، ومن المتصرفين في أحكام السوق بالأندلس الشيخ عبد الله بن حسين بن عاصم، المسندة إليه مهام "ولاية السوق"، وكان الوزير صاحب الأحكام ابن الليث يشاور الفقهاء في أحكام السوق بالأندلس ومنهم الشيخ ابن عتاب، وممن تولى أيضا خطة الاحتساب الشيخ حسين بن أحمد بن عاصم، والشيخ حفص بن سعيد بن جابر، وغالبا ما كان

¹ - ابن الفرضي - تاريخ العلماء والرواة - ج 1 صص 16 - 17.

² - الونشريسي - المعيار - ج 10 ص 77.

³ - ابن أبي زرع - الأنيس المطرب - ص 168.

⁴ - القاضي عياض - المدارك - ج 3 صص 70 - 71.

⁵ - مصطفى الهروس - المدرسة المالكية الأندلسية - صص 257 - 258 261 - 262.

⁶ - المرجع نفسه - ص 262.

الولاية في بلاد الأندلس يجمعون بين ولاية السوق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، زيادة إلى بعض الخطط الأخرى التي لها صلة بهذا الجانب كالشرطة وغيرهما، ولا يتم هذا إلا إذا كان صاحب الخطة عالما فقيها بالأحكام الشرعية، مُطَّلعا على أنواع العلم وفنونه¹.

ومن أعلام المذهب المالكي بالأندلس المتولّين لهذه الخطة الشيخ أبو صالح أيوب بن سليمان المعافري، وكان إماما في رأي مالك وأصحابه، متقدّما في الشورى، دارت عليه الفتوى وعلى الشيخ محمّد بن عمر بن لبابة، وكان ورعا عفيفا متعاوناً، من أهل التصرف في ضروب من العلم²، وفي سنة 324هـ/936م أيام الخليفة عبد الرحمن الناصر أصبح للحاجب أربعة وزراء خُصِّصَ لكلّ منهم أمر من أمور الدولة يشرف عليه، منهم وزير الحُسْبَانِ المال³، ويعتبر القاضي أعظم الولاية خطرا، بعد الإمام لما يتقلّده من تنفيذ القضايا، وتخليد الأحكام ومنها الأموال وما يتصل بذلك من ضروب المنافع ووجوه المضار⁴، وباتفاق القاضي والوزير يكون صلاح الدولة وصلاح العالمين، ويجب للوزير أن يحدّ العمال والمتصرفين من القبّاض والخِراض وغيرهم أن لا يتعدى أحد منهم أكثر مما جعل إليه من الحدّ⁵، ومن الذين وُلّوا خطة المواريث بقرطبة القاضي أبو عبد الله محمّد بن حارث بن أسد الخشني القيرواني الأندلسي (ت 361هـ/972م)⁶.

والخراج هو ما يؤخذ على الأرض التي تزرع حبوبا ونخلا وعنبا وفاكهة، وما يؤخذ على المزارعين مثل الغنم والدجاج، وما يؤخذ على ما يصاد من السمك، فكان يجمع الخراج ويرسل منه الجزية إلى دار الخلافة، وكانت ضرائب أخرى بجانب الخراج يؤديها التجار وأصحاب الحرف، والجزية

¹ - مصطفى الهروس - المدرسة المالكية الأندلسية - صص 255 - 258.

² - القاضي عياض - المدارك - ج 5 صص 149 - 150.

³ - أحمد السيّد دراج - صناعة الكتابة وتطوّرها في العصور الإسلامية - رابطة العالم الإسلامي - مكّة الكريمة - 1401هـ/1981م - ص 51.

⁴ - الخشني - قضاة قرطبة وعلماء إفريقية - صص 11 - 12.

⁵ - أحمد بن عبدون - ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب - ص 15.

⁶ - عبد القادر بوباية - المؤنس في مصادر تاريخ المغرب والأندلس - دار كوكب العلوم - الجزائر - ط 1 - 1432هـ/2011م - ص 31.

المفروضة على أهل الذمة، وهذه الجبايات كانت منظمة تنظيماً دقيقاً، ويحرص عليها رجال متخصصون، وكانت تدخل من جرائها على الخزينة السلطانية أموال طائلة¹، واحتلت دار ضرب السكة بالقيروان مكاناً مجاوراً لدار الإمارة بالقرب من المسجد الجامع حيث تقوم غالب مصالح الحكومة مثل دواوين الخراج والجند والرسائل، وكان للدار ناظر خاص على نظامها ومسير العمل بها، ويرجع نظره إلى الأمير أو الوالي مباشرة²، وقد عني الولاة وخاصة بني المهلب بتوزيع موات الأرض على من يستحقها وكانوا يخففون عن البادية الخراج ولا يثقلون كواهلهم بالضرائب³.

والخراج: ما يأخذه السلطان فيقع على الضريبة والجزية ومال الفيء ويختص غالباً بضريبة الأرض، وأول من وضع نظام الخراج في الدولة الإسلامية سيّدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد فتح العراق والشام ومصر⁴، وعامل الخراج يُشترط فيه الإسلام والحرية والأمانة والكفاية - أي مضطلعاً مضطلعاً بالحساب والمساومة وكيفية خرص الثمار - وأن يكون عالماً بحقوق بيت المال وما يجب له... وغير ذلك، ويشترط فيه العلم والفقّه حتى لا يضعه على من لا يجب، ولا يسقطه عمّن وجب عليه، ومشاورة أهل العلم والرأي ومحاورتهم، ويتحلّى وبالآداب ومنها السيرة الحسنة والأخلاق الحميدة، والمعاملة الطيبة عند استيفاء الخراج، ومنها الرفق بأهل الخراج، وكذلك العدل والإنصاف، والعفة⁵.

وكان العلماء يُنظّمون أموال الجباية ويتكلمون في ذلك بالتفصيل كما حدث مع الإمام اللّخمي الذي كان يُستفتى في جباية السلطان في الديوان الذي أسسه بنو عبيد، وكيفية التعامل معه⁶.

¹ - محمد عمرو الطّمّار - المغرب الأوسط في ظلّ صنهاجة - ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر - 2010م - ص 184.

² - المرجع نفسه - ص 186.

³ - محمد محمد زيتون - القيروان - ص 155.

⁴ - محمد عمارة - قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية - صص 187 - 188.

⁵ - محمد عثمان بشير - أحكام الخراج - دار الأرقم - الكويت - ط 1 - 1406هـ/1986م - صص 111 - 117.

⁶ - الونشريسي - المعيار - ج 9 ص 559.

وكان الشيخ السيوري¹ يتحدث في ما يعرض من مشكلات خاصة بأموال الجباية والعمال عليها في تونس².

واتّبعت دولة المرابطين حكم الشريعة الاسلامية في جباية الضرائب، وهذا لنشأتها الدينية وتأثرها بتعاليم الفقيه عبد الله بن ياسين، فكان أمير المسلمين يوسف بن تاشفين يلتزم بتحصيل ما تجيزه الشريعة الإسلامية من الفروض مثل الزكاة والأعشار وأخماس الغنائم وجزية أهل الذمة³. يقول ابن أبي زرع فيه: «وكان رحمه الله... جوادا كريما سخيا زاهدا في الدنيا، لباسه الصوف... ولم يوجد في بلد من بلاده ولا في عمل من أعماله على طول أيامه رسم مكس ولا معونة ولا خراج في حاضرة ولا بادية إلا ما أمر الله تعالى به وأوجبه حكم الكتاب والسنة من الزكاة والأعشار وجزية أهل الذمة وأخماس غنائم المشركين، وجبي في ذلك من المال على وجهه ما لم يجبه أحد قبله... وردّ أحكام البلاد إلى القضاء، وأسقط ما دون الأحكام الشرعية⁴.

كان المشرف على هذه المعاملات الاقتصادية علماء المالكية الذين كان لهم دراية بعلم الأصول والفروع على مذهب الإمام مالك رضي الله عنه، ودرائتهم بأهل الإسلام وغيرهم من الملل، وبالفرق الأخرى من غير أهل السنة والجماعة، متحلّين في ذلك بالخلق الحسن والعفة فيما أوكل إليهم من وظائف ومهام تخص أموال الناس واقتصاد الدولة.

وكتب يوسف بن تاشفين إلى أهل المرية بإرسال المعونة، فردّ عليه قاضي المدينة أبو عبد الله بن الفراء بكتاب رفض فيه أن يمدّه بالمال على اعتبار أن هذه الضرائب غير شرعية، وطلب القاضي

¹ - السيوري: أبو القاسم عبد الخالق بن عبد الوارث. خاتمة علماء إفريقية، وآخر شيوخ القيروان. ذو البيان البديع في الحفظ والقيام على المذهب، والمعرفة بخلاف العلماء. وكان فاضلا، نظارا، زاهدا، أدبيا، وله تعليقات على المدونة. أخذ عنه أصحابه وعليه تفقه عبد الحميد واللّحمي، ويعدّهم حسان البربري، وطال عمره فكانت وفاته سنة 460هـ/1068م. ابن فرحون - الدياج - ص 259.

² - الونشريسي - المعيار - ج 9 صص 561 - 562.

³ - حمدي عبد المنعم محمّد حسين - التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس - ص 317.

⁴ - ابن أبي زرع - الأنيس المطرب - صص 136 - 137.

من أمير المسلمين بأن يدخل المسجد الجامع بمدينة مراكش ويقسم أمام المملأ بأنه ليس عنده درهم في بيت مال المسلمين، ثم وعده القاضي في النهاية بالنظر في معاونته إذا ثبت ذلك¹.

ومن ثمار مشاورة الفقهاء والعلماء والصلحاء في عهد يوسف بن تاشفين الذي كان محباً فيهم مقرباً لهم صادراً عن رأيهم مكرماً لهم، وابنه علي بن يوسف الذي سلك طريق أبيه في جميع أموره² إلغاء الدولة للضرائب الفادحة على التجارة والمتاجر، وكان لهذا أكبر الأثر على تشجيع التجار الذين نمت ثرواتهم وشاركوا في مختلف مظاهر الحياة، وكذلك الحال بالنسبة للصناعات والحرفيين فقد فتحت أبواب المغرب أمام صناعات الأندلس، حيث كان الصناع والمهندسون والحرفيون يأتون إلى المغرب يعرضون على أمير المسلمين وعمال الدولة خبراتهم ومهاراتهم³، ولإنعاش الزراعة أُقْطِعَ الجنود أرضاً يزرعونها ويستثمرونها وينتفعون بخيراتها وفلاحتها بالمغرب والأندلس لقاء الدفاع عن الوطن⁴.

وللقاضي الحفاظ على بيت المال، وتفقد أمر العاملين فيه وفي أبوابه، ولا يتصرف في شيء منه إلا برأي من القاضي، ويستعمل رأيه في ذلك مع الفقهاء، فيدبرون أمره، ويصلحون شأنه⁵، وكان الوزير في بعض الأحيان يختص بالإشراف على الشؤون المالية وما يتبع ذلك من الإشراف على العمال والمتصرفين في أموال الدولة، وكان لخبرة الوزير بالشؤون المالية مع عدله وإنصافه أثره في رخاء الحياة الاقتصادية وسعة أرزاق الناس، وقد ظهر ذلك جلياً حين تولى منصب الوزارة في عهد الناصر، الشيخ أبو عبد الله محمد بن علي بن أبي عمران الضيرير، فرأى الناس في أيام وزارته الخصب وسعة الأرزاق وكثرة العطاء مثل الذي رأوا في أيام أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن أو قريباً منه⁶، وولى أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن بن علي الفقيه القاضي أبو عبد الله بن الصقر قضاء اشبيلية، ثم نقله

¹ - حمدي عبد المنعم محمد حسين - التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس - صص 317 - 318.

² - ابن أبي زرع - الأنيس المطرب - ص ص 137 - 157.

³ - حمدي عبد المنعم - المرجع السابق - صص 338 - 339.

⁴ - المرجع نفسه - صص 359 - 360.

⁵ - ابن عبدون وآخرين - ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب - ص 10.

⁶ - حسن علي حسن - الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس - ص 103.

إلى حضرته، فولّاه الخزائن وبيوت الأموال¹، وولي الشيخ ابن السليم قضاء قرطبة في عهد الخليفة المنتصر حيث أوصاه: «أن يجدد الكشف والامتحان عن أموال الناس والأحباس»²، وعقب رمضان من سنة 580هـ/يناير1185م بعث الأمير يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن إلى طلبة اشبيلية بأمرهم بدفع ما تحصل من زكاة الفطر للشيخ الفقيه القاضي أبي المكارم يوزّعه على الضعفاء والمساكين رفقا بهم وتوسّعةً عليهم³، ويرجع هذا النتاج الوافر من الأموال لحسن التدبير، وحسن اختيار القائمين على جباية الأموال، من أهل الفقه والعلم والأمانة والخبرة، وانعكس ذلك على المجتمع بالغرب الإسلامي، الذي استقرت حالته الاجتماعية والاقتصادية وبقيت على أحسن حال حقبة من الزمن، لا تزال آثارها مَرَوِيَّة في الأسفار المؤرخة لهذه الدول ورجالها.

2- تصنيف العلماء ومشاركتهم في أحكام المعيشة والاقتصاد: وكان للعلماء فتاوى على مذهب الإمام مالك رضي الله عنه في معاملات البيوع بين الناس، وفصلوا في ذلك أيما تفصيل في الشراء والبيع، والعقود والدين، وصفة الدينار والسكة، وشراء القوت، والقسمة والشركة والوكالة⁴، وألّف الشيخ عليّ بن زياد التونسي تلميذ الإمام مالك كتاب "خير من زنته" وهو كتاب في البيوع قال الإمام سحنون: كتاب خير من زنته، أصله لابن أشرس، إلا أنا سمعناه من ابن زياد⁵.

وللإمام سحنون حديث ضمن أحكامه عن البيوع وله تفصيل في ذلك⁶، وكتاب أحكام السوق ليحيى بن عمر الأندلسي فعلاوة على القيمة التاريخية لهذه الوثيقة، اشتملت على أخبار قيّمة تتعلق

¹ - ابن أبي زرع - الأنيس المطرب - ص 207.

² - كمال السيد أبو مصطفى - تاريخ وحضارة الأندلس - صص 176 - 177.

³ - إ. ليفي بروفنصال - رسائل مُوحَدِيَّة - المطبعة الاقتصادية - الرباط - 1941م - ص 167.

⁴ - اللخمي - فتاوى الإمام أبي الحسن اللّخمي - صص 82 - 87.

⁵ - القاضي عياض - المدارك - ج 3 صص 80 - 81.

⁶ - الونشريسي - المعيار - ج 6 ص 286.

بالحياة الاجتماعية والاقتصادية في إفريقية والأندلس¹. ويعتبر كتاب فتاوى ابن أبي زيد وثيقة اقتصادية نظرا لما يحتويه من أحكام حول مسائل متعلقة بالاقتصاد منها الزكاة والبيوع والمزارعة، والسماجرة².

ومن المؤلفات في علم الاقتصاد كتاب "الأموال" لأحمد بن نصر بن جعفر الداودي الأسدي البسكري المتوفي سنة 402هـ/1011م³، ويعدّ هذا الكتاب وثيقة تاريخية مفصلة لأربعة قرون بأحاديث صحيحة، وروايات تاريخية موثوقة، وتحديث هذه النسخة عن مواضيع مختلفة في الأموال، وفي مجال العدل الاقتصادي، وقد عالج الشيخ أبو جعفر الداودي جملة من القضايا الإدارية والاقتصادية بمنطقة المغرب الإسلامي منذ القرن الرابع الهجري⁴، وكتاب آداب الحسبة والمحاسب لصاحبه أحمد بن عبد الله بن عبد الرؤوف القرطبي المتوفي سنة 424هـ/1034م، وتتضمن هذه الرسالة مادة فقهية وتشريعية تثري القوانين الإدارية الخاصة بالتنظيم الاقتصادي والاجتماعي للمسلمين، متحدّثا عن المعاملات في البيوع والصناعات، إضافة إلى التأريخ لمجموعة من المهن والحرف التي كان يمارسها أهل الأندلس، والتي كان لها قوانين وعليها أمناء ومحاسبون⁵.

وعلى نَسَجِ كتب الأحكام تطرق الشيخ أبو عمران الفاسي لأقضية خاصة بالاقتصاد والمعيشة ما يتّصل بالمعاوضات والبيوع، والعقود والشركة، والإجارات والأكرية والسمسار والضمان، والمياه والأشربة والغراسية والأطعمة⁶، ويُعدّ الشيخ أبي الوليد بن رشد من المقدمين عند أمير المسلمين يوسف بن تاشفين، والحامي لوحدة الأمة الأندلسية تحت حكم المرابطين، وبراعته في العلم أنتجت ثروة فقهية جيّدة، ومادة قانونية إسلامية صحيحة في الاقتصاد، وفي مجالات أخرى بالمغرب

¹ - الونشريسي - المعيار - ج6 صص 286 - 303.

² - ابن أبي زيد القيرواني - فتاوى الإمام ابن أبي زيد - ج1 صص 101 - 103.

³ - بشير ضيف بن أبي بكر بن البشير بن عمر الجزائري - فهرست معلمة التراث الجزائري - مراجعة عثمان بدري - منشورات ثالة - الجزائر - ط2 - 2007م - ص 475.

⁴ - عبد القادر بوبايا - المونس - صص 45 - 46.

⁵ - المرجع نفسه - ص 49.

⁶ - أبو عمران الفاسي - فتاوى أبي عمران الفاسي - ص 198.

والأندلس. وهذا من خلال كتابه "فتاوى الأحكام الفقهية"، أو "فتاوى ابن رشد"¹. وقد أحصى الشيخ المؤرخ عبد الواحد المراكشي² وثائق هامة في عهد المرابطين والموحدين خاصة بالبيع والمعاوضات والعقود، وفي شراء وبيع المملوك، وفي عيوب المبتعات والمواريث، ووثائق القسمة والكرء والإجارة والوكالة، والمغارسة والشركة، وهي وثائق تحمل الأحكام الفقهية في كل جانب من جوانب الاقتصاد بالغرب الإسلامي³.

وللشيخ محمد بن أبي محمد السقطي المالقي الأندلسي كتاب رفيع القدر في خطة الحسبة وما تعلق بها، وكل ما جاء فيه جمعه صاحبه من كثرة الأسفار، والرحلة إلى مختلف البلدان، وملاقة ثقات المسافرين وأمناء التجار، مع ما تصرف فيه من الأشغال، ويذكر سبب التأليف وهو اطلاع الناس على الحلال والحرام في هذه المعاملات⁴، وتطرّق الشيخ محمد المالقي إلى مقدّمة في الحسبة والمحتسب، وتحدث عن الكياليين والمكاييل، والموازين والعملة، ومختلف الحرف من الجزار والعطار، وكذلك تحدّث عن سوق النخاسة، والجلّاسين⁵، وعن الصنّاع وصنائعهم⁶، وتطرّق الشيخ يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البرّ النمري القرطبي (ت 463هـ/1070م) في "إجماعاته" في مسائل الاقتصاد لمناحي مختلفة منها: البيوع والصرف، وحكم التعامل بالربا، والمعاملة مع الذمّي، والمضاربة والشفعة والعتق، والميراث والوصية⁷، وللشيخ بن عبد البرّ أيضا كتاب "الإشراف" وهو خاص

¹ - أبو الوليد بن رشد - فتاوى ابن رشد - صص 8 - 9.

² - عبد الواحد المراكشي - المعجب - صص 5 - 6.

³ - عبد الواحد المراكشي - وثائق المرابطين والموحدين - تحقيق حسين مؤنس - مكتبة الثقافة الدينية - الظاهر - ط 1 - 1997م - صص 643 - 652.

⁴ - أبو عبد الله محمد بن أبي محمد السقطي المالقي الأندلسي - آداب الحسبة - معهد الدراسات العليا المغربية - تقديم كولان وليفي بروفنسال - مكتبة أورنيست ليروس - باريس - 1931م - ص 1.

⁵ - الجلّاسين: الجلائس: من ألوان الطعام، وهو: زُقاق تصنع منه بعض الحلوى أو المحشوات. محمد عمارة - قاموس المصطلحات الاقتصادية - ص 151.

⁶ - المصدر نفسه - ص 74.

⁷ - سيّد عبده بكر عثمان - إجماعات ابن عبد البرّ - رسالة ماجستير غير منشورة جامعة القاهرة - كلية العلوم - قسم الشريعة الإسلامية - 1424هـ/2000م - صص 573 - 576.

بالموارث¹. وكان الشيخ أبو عمر يوسف النمري هذا حافظا عالما بالخلاف في الفقه، وألف مما جمع وحصل عن الشيوخ تواليف نافعة²، وللإمام أبي الحسن اللخمي أحكام تعالج أقضية في مسائل الاقتصاد وحياة الناس اليومية منها الفتاوى الفقهية في الزكاة والبيوع، والصرف ونحوه، والبنیان والإجارة والأكرية ونحو ذلك³.

وللإمام الطرطوشي تفصيل في استجباء الخراج، وفي بيت المال والإنفاق منه وسيرة العمال، وتدوين الدواوين وفرض الأرزاق، وتقدير الجزية⁴، وللشيخ أبي الأصبع بن سهل مشاركة في فقه الاقتصاد عن طريق الأحكام والفتاوى التي أفردتها لذلك والتي جعلها في البيوع، والصدقات والهبات، ومسائل الاحتساب⁵، وكان الإمام المازري صاحب حديث في المعاملات الاقتصادية المختلفة المشتملة على البيوع والرهن والضمان والوكالات، والوصية والقراض، والإغتيال والإجارة والتعويض، وقد ضمنها وثيقته المحتوية على أحكام التعامل الاقتصادي⁶. ومن الذين كان لهم باع في ذكر المسائل الاقتصادية ومعاملاتها والتأصيل لها، وتقديم الحلول فيما أشكلَ منها، الشيخ العالم الفقيه المؤرخ القاضي عياض وابنه الشيخ محمد حيث نجد في مؤلفهما مذاهب الأحكام شرحاً لقضايا السمسار والوصايا، والصدقات والهبات، والرهن والوكالات، والمزارعة والشركة، والبيوع والصرف، والإستراء، والأكرية، وغيرها من المسائل الخاصة ب حياة الناس الاقتصادية⁷، وللشيخ محمد بن عبد الله اللبلي الإشبيلي كتاب في "أحكام الزكاة" قسمه إلى عشرة فصول، مع ذكر عديد المسائل في كل فصل، مرتباً المسائل ترتيباً محكماً، مع ذكر الأدلة واستنباط الأحكام، مركزاً على النقل من كبار علماء

¹ - سيد عبده بكر عثمان - إجماعات ابن عبد البر - ص 25.

² - الضبي - بُعْيَةُ الْمُتَمَسِّس - ج 2 ص 659 - 660.

³ - أبو الحسن اللخمي - فتاوى الإمام أبي الحسن اللخمي - ص 144.

⁴ - الطرطوشي - سراج الملوك - ص 3.

⁵ - ابن سهل - الإعلام بنوازل الأحكام - ص 752.

⁶ - الإمام المازري - فتاوى الإمام المازري - صص 92 - 93.

⁷ - القاضي عياض وولده محمد - مذاهب الحكماء - ص 345.

المالكية، وأحيانا بذكر آراء المذاهب الثلاثة الأخرى خصوصا الإمام أبو حنيفة والإمام الشافعي، وأقوال العلماء كسفيان الثوري، وإبراهيم النخعي¹.

وكان الشيخ محمد بن عبد الله اللبلي بحرَ الفقه وحَبْرَه، وفقهه الأندلس في وقته، وحافظ المغرب لمذهب الإمام مالك². ومن أهمّ الوثائق المختصة في تنظيم حياة الناس الاقتصادية، الرسائل الثلاث في الحسبة لأصحابها الشيخ أحمد بن عبدون التجيبي، والشيخ أحمد بن عبد الله بن عبد الرؤوف، والشيخ عمر بن عثمان الجرسيفي، وتكمن أهمية هذه الوثيقة في القيمة العلمية والتاريخية، وصدورها عن أهل التخصص من علماء وفقهاء المالكية، وكذلك معالجتها لكم هائل من قضايا ومسائل الاقتصاد، ورصد للخطط مع الشرح، وذكر للباعة وأصحاب المهن والحرف والصنائع، وأعوان الحاكم من وزير وقاضٍ ومحتسب، وصاحب المدينة، وصاحب الموارث، وتبين الوثيقة أيضا حدود اختصاص العمال بالتفصيل، كل هذا يجعلها مصدرا رئيسا في هذا المجال³.

ومن علماء المالكية والكلام المشهورين بسببته والمدرسين بها، الشيخ القاضي أبو العباس أحمد العزفي السبتي (ت 633هـ/1235م) صاحب كتاب "إثبات ما ليس منه بدّ لمن أراد الوقوف على حقيقة الدينار والدرهم والصاع والمد"، وقد ناقش الشيخ العزفي في مؤلفه هذا أفضية المكاييل الشرعية والأوزان، وموضوع النقود الإسلامية حيث سطر تاريخها ويقف عند أوزانها وما ورد فيها من أقوال العلماء، وأثبت أسماء المكاييل والموازين وتفسير ألفاظها وأجزائها ومقاديرها، مقدما قاموسا بأهم المصطلحات المستعملة في هذا الميدان بفهم وتوفيق بين آراء الفقهاء المالكية. واعتمد الشيخ العزفي

¹ - أبو بكر محمد بن عبد الله بن يحيى بن الجعد الفهري اللبلي الإشبيلي المالكي - أحكام الزكاة - عناية محمد شايب شريف - دار ابن حزم - لبنان - ط 1 - 1432هـ/2011م - ص 7.

² - المصدر نفسه - ص 11.

³ - أحمد بن عبدون - ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب - صص 129 - 130.

في هذا التأليف على أمّهات الكتب منها الجامع الصحيح للبخاري، والموطأ للإمام مالك، والسنن الكبرى للبيهقي¹.

ومن تصانيف الفقهاء والعلماء في موضوع الاقتصاد بالغرب الإسلامي:

- "مقالات وتنبهات في المكايل والأوزان" لأبي بكر بن خلف المواق، قاضي فاس (ت 559هـ/1202م).
- "ذكر مقدار النّصاب الذي تجب فيه الزكاة من الذهب والفضة" لأبي محمّد عبد الواحد بن محمّد الباهلي الغافقي.
- "الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكّة" لأبي الحسن علي بن يوسف الحكيم.
- "فتوى" لأبي محمّد عبد الحق بن عطية أصدرها سنة 616هـ/1219م، احتفظ بها ابن الجياب في كتابه "التقريب والتيسير لإفادة المبتدئين" أو "المبتدئة بصناعة مساحة السطوح".
- مقالة في الأوزان لعليّ بن محمّد بن القطان الفاسي (ت 628هـ/1230م).
- مقالة لولده حسن بن عليّ بن محمّد.
- مقالة في المكايل الشرعية لابن البناء المراكشي (ت 721هـ/1321م).
- "النكت العلمية في مشاكل الغوامض الوزنية" لأبي بكر القلوسي الملقّب "بالفار" وهي أرحوزة عروضية كان يدرّسها في مراكش على عهد الموحدين².

شكّل هذا الانتاج العلمي في مجال الاقتصاد ثروة نظرية حقيقية، اعتمد عليها الحكام في تسيير شؤون الرعية، وهذا ما كان له بالغ التأثير على حياتهم اليومية بتسيير أمور معاشهم، سواء بجل العلماء والفقهاء المعضلات في مجالسهم ومؤلفاتهم ورسائلهم، أو بتولي الخطط والمناصب ذات الصلة، ولم يتوقفوا عن مباشرة الأعمال، وعن التنظير للاقتصاد حقبة تلو الأخرى، وجيلاً بعد جيل.

¹ - أبو العباس أحمد الغزفي السبتي - حقيقة الدينار والدرهم والصاع والمدّ - دراسة محمّد الشريف - الجمع الثقافي - أبوظبي - 1999م - صص 17 - 22.

² - المصدر نفسه - صص 12 - 13.

3- جمع العلماء بين العلم والمهن والحرف: كثيرا ما يُعزى التواكل وتعطيل الأخذ بالأسباب والحُمول في المجتمع إلى الصوفية والعلماء والفقهاء، بل ويَتَّهمهم البعض سواء عن قصد أو عن غير قصد أنّهم عامل مباشر في تخلف المسلمين، خاصة في ميدان العمل والاستزاق، وأنّ علماء الأشاعرة شرحوا صفة الله الرزاق على هذا النحو، وأنّ العلماء يدعون الناس إلى عدم الأخذ بالأسباب في التكسب، وأن الصوفية هم سبب خمول المجتمع وتعطيل حركيته الاقتصادية والاجتماعية، ولا لشيءٍ أن يصحح هذا أو يُفنّده سوى الواقع العملي.

وللصوفية ألقاب منها: القصّاز، الوراق، الحزّاز، الخوّاص، البزّاز، الحلاج، الرّجّاج، الحصري، الصّيرفي، المقرئ... وهذه الألقاب مأخوذة من مهن لهم، ولقد كان الصوفية منهم الفقير، ومنهم الغني، ومنهم العازف عن الثراء العريض، ومنهم أصحاب الثروات الضخمة التي يؤدّون فيها حقّ الله وينفقون منها في سبيله¹.

وكان يقال للإمام الجنيد "الحزّاز"² لأنّه كان يعمل الحزّ³ وقد أخذ الإمام سحنون بمذهب أهل المدينة في كل شيء، حتى في العيش، وكان يقول: «ما أحبّ أن يكون عيش الرجل إلا على قدر ذات يده، ولا يتكلّف أكثر ما في يده، فإن كان له مال حلال اعتمد عليه وتفرّغ للعبادة، وإن لم يكن عنده فعليه بكسب يده، فذلك أولى من مسألة الناس»⁴.

وخرج الإمام سحنون يوما على طلبته وعلى كتفه المحراث، وبين يديه الزوج، فقال لهم: «إن الغلام حمّ البارحة، فإذا فرغت أسمعتمكم»، ولم يخلّ علمه بينه وبين العمل في أرضه⁵، ومن سكان

¹ - عبد الحليم محمود - عبد السلام بن مشيش - ص 73.

² - الحزّاز: معروف من الثياب مشتق منه، عربي صحيح، وهو من الجواهر الموصوف بها. والجمع خزوز، وبائعته خزّاز. ابن منظور - لسان العرب - مج 2 - ج 13 ص 1149.

³ - ابن خلكان - وفيات الأعيان - ج 1 ص 374.

⁴ - القاضي عياض - المدارك - ج 4 ص 54.

⁵ - أبو جيب - الإمام سحنون - ص 34.

القيروان تلميذ الإمام سحنون الشيخ إبراهيم الزاهد الأندلسي الذي كان خياطاً¹. وكان الشيخ الصوفي عبد الله بن مسرة من العلماء والزهاد، وكان يتكسب من عمل يده²، ومن المعاصرين للإمام يحيى بن يحيى الليثي، الشيخ الفقيه المؤرخ الشاعر عبد الملك بن حبيب، وكان طبيباً أيضاً³، ومن تلامذة الشيخين الإمام سحنون وأسد بن الفرث الشيخ أبو محمد عبد الرحمن بن عبد ربه الربيعي الزاهد من أهل القيروان، وكان تاجراً بسوق البزازين في القيروان، وكانت له ضيعة واسعة، وكان يملك سبعة عشر ألف شجرة زيتون، وكان مع ذلك أزهد أهل زمانه كثير الصدقة والمعروف، لم يكن للدنيا عنده قَدْر⁴.

والشيخ أبو محمد عبد الله (ت 243هـ/857م) القطب العارف بالله تعالى، وكان رحمه الله من كبار الصوفية على طريقة الإمام الجنيد، وأحد الزهاد الورعين، وعباد الله المتقين مشتغلاً بنفسه، متخلياً عما في أيدي الناس، وكان نجاراً ولا يأكل إلا من كسب يده، أحد الصالحاء الفضلاء من أهل طرابلس ونسب مسجد الشعاب إليه لأنه هو الذي أتمه ولزم السكنى فيه⁵، ومنهم الشيخ أحمد بن خالد بن يزيد بن محمد بن سالم بن الجباب أي كان يبيع الجبب، قال محمد بن محمد بن أبي دليم: «كان أحمد بن خالد من أهل العلم والخير، وكنا نأتيه، فنجده يخدم بيده في تحويل زرعه في أنادير⁶، وغير ذلك»⁷.

وقال أحمد بن خالد «كانت أمي تغزل وأبيع غزلها، فأشترى به الورق والكتب، وكان بالأندلس إمام وقته غير مُدافعٍ في الفقه والحديث والعبادة»⁸، وقد كان الشيخ أبو محمد عبد الله

¹ - القاضي عياض - المدارك - ج 4 ص 237.

² - البيهقي - الزهاد والمتصوفة - صص 180 - 181.

³ - شُرحبيلي - يحيى بن يحيى الليثي - ص 27.

⁴ - محمد بن محمد زيتون - القيروان - ص 352.

⁵ - ناصر الدين محمد شريف - الجواهر الإكليلية في أعيان علماء ليبيا من المالكية - ص 44.

⁶ - أنادير: وهو البيدر أو كُدس القمح. محمد عمارة. قاموس المصطلحات الاقتصادية - ص 589.

⁷ - القاضي عياض - المدارك - ج 5 صص 174 - 175.

⁸ - المصدر نفسه - ج 5 صص 176 - 177.

بن أبي زيد القيرواني من ذوي الثراء واليسر، فقد آتاه الله بسطةً في الرزق ويسره للحسن، وكان مورده في كل يوم ألف درهم ولم يجتمع عنده نصاب زكاة لأنه كان يصرفه للفقراء والمساكين وغيرهم، وكان ممن من الله عليه بسعة المال وبسطة اليد، وقيل إنه كان يملك ثلثي القيروان، وكان يدخل له يومياً ألف دينار، وخصّص شيئاً من ماله لبنت الشيخ محرز بن خلف، وجعله بيد من يتجر به فلما كبرت وطلبت للبناء أي الزواج أرسل إليها ما أثمرت التجارة وهو مقدار خمسين ألف دينار¹، والشيخ أحمد بن فتح بن عبد الله المعافري (ت403هـ/1012م) كان تاجرًا بقرطبة، وهو من تلامذة الحافظ الكناني بمصر، والشيخ بن مهان².

وكان الشيخ السموأل بن يحيى المغربي العالم باليهودية والاسلام، بإجماع المترجمين من أعيان علماء القرن السادس الهجري في الطب والرياضيات، وهو صاحب كتاب إفحام اليهود³، وكان الشيخ أبو الحسن الشاذلي، وهو من صفوة الصفوة الصوفية، صاحب مزارع وكان له ثيران، وحصاد ودراس⁴، ومن أهل بجانة الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله بن خالد بن مسافر الهمداني الوهراني ويعرف بابن الخراز (ت411هـ/1020م)، روى عن جلة من العلماء، وكان رجلاً صالحاً منقبضاً، وكان معاشه من ثياب كان يبتاعها ببجانة ويقصرها ويحملها إلى قرطبة، فتباع له ويتاع في ثمنها ما يصلح لبجانة، ويجلب كتبه فيقرأ عليه في خلال ذلك⁵. وكان الإمام المازري قد أفرغ جده في دراسة الطب حتى أتقنه، وملك زمامه، وألّف فيه، حتى قيل إنّه كان يُفزع إليه في الطب كما يُفزع إليه في الفتوى في الدين⁶، وكان الشيخ محمد بن سعدون بن علي بن بلال القيرواني (ت485هـ/1092م) كان من أهل العلم بالفروع والأصول، وكتب الحديث بمكة ومصر والقيروان، وله تأليف عدة منها كتابه في

¹ - ابن أبي زيد القيرواني - الجامع في السنن - ص 39.

² - محمد زين العابدين رستم - صحيح الإمام مسلم في الأندلس - ص 270.

³ - السموأل بن يحيى المغربي - إفحام اليهود - ص 13.

⁴ - عبد الحليم محمود - عبد السلام بن بشيش - صص 73 - 74.

⁵ - ابن بشكوال - الصلة - ج 2 ص 471.

⁶ - حسن حسني عبد الوهاب - الإمام المازري - ص 69.

الفقه على مذهب الامام مالك رضي الله عنه، وكان خروجه من القيروان للتجارة؛ فطاف بلاد المغرب والأندلس، وأخذ الناس عنه هناك كأهل قرطبة وبلنسية وألمرية وغير ذلك من البلاد وفتح الله لهم على يده¹، وكان العلامة محمد بن ابراهيم الغساني (ت 663هـ/1235م) المستوطن آسفي من بلاد المغرب الأقصى، عدلا في الرواية ضابطا للغة، ذاكرا للأدب والتاريخ عالما بالأنساب، مشاركا في الفقه، ضاربا في قرض الشعر، وكان يحترف التجارة في حانوت بقيسارية آسفي، وكان مع ذلك متينا الدين².

خصّ الله الأندلس من الربيع، وغدق السّقياء، ولذادة الأقوات وفراهة الحيوان، ودرور الفواكه وكثرة المياه، وتبحّر العمران، وجودة اللباس، وشرف الآنية، وكثرة السلاح، وصحة الهواء، وبيضاض ألوان الانسان، ونبل الأذهان، وقبول الصنائع، وشهامة الطباع، ونفوذ الإدراك، وإحكام التمدن والإعمار، بما حُرّمه الكثير من أقطار، مما سواها³، وورث سكان غرناطة صناعات مزدهرة كصناعات الأسلحة والحزف والخزف والجلود، كما ورثوا معرفة وتجربة في استغلال خيرات أرضهم الخصبة، وأدى الاضطراب الداخلي، والمد الأجنبي إلى الاتجاه إلى النشاط البحري، لأنّ جُلّ طعام الأندلسيين كان من البحر⁴. وكان الشيخ الفقيه العالم المتأدّب سليمان بن خلف ابن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي المكنى أبا الوليد الباجي أجّر نفسه ببغداد لحراسة الدروب، ولما رجع إلى الأندلس كان يضرب ورق الذهب، ويعقد الوثائق، قال عياض: قال لي أصحابه: كان يخرج إلينا للإقراء، وفي يده أثر المطرقة⁵.

وحين مرض المنصور الموحد استدعى أبا العباس السبتي المتصوّف لعلاجه⁶، وكان أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن بن علي أطباء منهم الفقيه الأجلّ أبو الوليد بن رشد، استدعاه أمير المؤمنين إلى سكنى مراكش سنة برسم الطب، ثم ولاه القضاء بقرطبة وهو ابن رشد الحفيد، ومنهم

¹ - السّمالي - الإعلام بمن حلّ مراكش وأغمات من الأعلام - ج 4 ص 9.

² - الحفناوي - تعريف الخلف برجال السلف - ص 332.

³ - المقرّي - أزهار الرياض - ص 61.

⁴ - شمس الدّين محمد الراعي الأندلسي - انتصار الفقير السالك لترجيح مذهب الإمام مالك - ص 21.

⁵ - المقرّي - نفع الطيب - ج 2 صص 76 - 77.

⁶ - حسن علي حسن - الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس - ص 478.

الوزير أبو بكر بن زهر وكان من أهل المعرفة بالطب والحفظ للغة والأدب والمجالسة والمحاضرة، مشاركاً في الفقه والحديث والتفسير، وكان يحفظ كتاب البخاري بأسانيدِهِ، وكان من أهل السخاء والحمية، شاعراً مجيداً، له أشعار بديعة في الزهد¹، وكان الشيخ محمد بن أحمد بن فرج اللخمي الغرناطي المعروف بالطرسوني قائماً على النحو والفقه والقراءة، مجيداً في ذلك مُحْكَمًا لِمَا أَخَذَ فِيهِ، مشاركاً في الأصلين والمنطق، رتب العلوم بالأندلس، وكان صَنَعَ اليدين يسفر ويُحْكَم تراكيب الطّب، وبالجملة فهو من أجلّ نبلاء عصره الذين قلّ أمثالهم².

وكان للشيوخ والعلماء خبرة بالأدواء والعلاج من خلال مؤلفاتهم في الطب ومنها "أطيب الطيب" و"الطبّ المسنون في دفع الطاعون" لأحمد بن يحيى بن أبي بكر بن عبد الواحد بن أبي حجلة أبو العباس التلمساني، و"نظم الأدوية المفردة"، و"ذخيرة الألباب المفردة في التأليف عن الأشباه"، و"شرح الفصول" لأبي قراط، و"شرح كتاب مقدّمة المعرفة" و"صدوق العيون في تنقيح القانون" و"لطائف الأنوار" لعمر بن علي القلعي بن البنوخ أبو جعفر الطيب (ت 575هـ/1179م)، و"الشفاء في الطبّ المسند عن المصطفى صلّى الله عليه وسلّم". لأحمد بن يوسف التيفاشي القسنطيني (ت 651هـ/1253م)، و"رجز في الطبّ" لمحمد بن أحمد بن محمد بن أندارس البجائي الأموي (ت 674هـ/1275م)³. ويعتبر الشيخ أحمد بن إبراهيم الجزائر القيرواني من أعظم أطباء المسلمين، وفي سيرته أنّه كان يخرج بعد صلاة العشاء ويقف على باب الجامع ليداوي المرضى من الفقراء، وكان يصطحب معه من يحمل أصناف الأدوية فيعطيه منها ما يرى، وكان يعمل ذلك حُبّاً في "الله" وبرّاً بأمة "سيدنا مُحَمَّدٍ صلّى الله عليه وسلّم"، وعلى هذا كان الكثيرون من أهل الطبّ الصُّلحاء⁴.

¹ - ابن أبي زرع - الأنيس المطرب - ص 207.

² - التنبكي - نيل الابتهاج بتطريز الديباج - ص 389.

³ - بشير ضيف الجزائري - فهرست معلمة التراث الجزائري - صص 455 - 459.

⁴ - حسين مؤنس - المساجد - ص 35.

وأثبت العلماء، أنّهم أهل لتقلد المسؤوليات الإدارية الاقتصادية وأظهروا في ذلك كفاءة كبيرة، خاصة وأنّ أهلها يجب أن يتوافر فيهم شرط العلم والنظر، وحسن الخلق، يضاف إلى هذا اضطلاعهم بالتنظير لقوانين الاقتصاد المستندة على شريعة الإسلام التي مثلها مذهب الإمام مالك رحمه الله، وجمعوا في ذلك بين النظرية والتطبيق، واستطاعوا أن يوصلوا ذلك إلى المجتمع عن طريق ما باشروه من أعمال بأنفسهم، ولم يمنعهم من ذلك العلم وجلالة القدر، بل على العكس فهم رأوا ذلك زيادة لرفعتهم بتعليم الناس والمجتمع ما ينتفعون بهم في حياتهم.

- شكّل العلماء قاعدة حقيقية يرتكز عليها مجتمع الغرب الإسلامي في تحضّره، بل حتى في تأثيره على غيره من المجتمعات.

- في الجانب الاجتماعي ركّزوا على إصلاح الأخلاق، ثم اهتموا بمصالح الناس وما يطرأ عليهم من نوازل وعملوا جهدهم على حلّ المُشكّل منها، عن طريق النّظر والفقّه، ولاتّصافهم بالأخلاق الرفيعة على طريقة الصوفية المحقّقين انحاز إليهم عناصر المجتمعات التي عاشوا بها، ومثّلوا بحقّ الملاذ الحقيقي لهم، وكان الالتفاف بهم مظهرًا قويًا على محبّتهم والحاجة إليهم.

- وعنى العلماء المذكورون آنفا بإنشاء المؤسسات الاجتماعية والاقتصادية ورعايتها رعاية فائقة وتنظيمها تنظيمًا مُحكمًا لإدراكهم خطرها العظيم، بل وفي كثير من الأحيان كانوا يباشرون تسييرها بأنفسهم.

- وقد تولّى العلماء الخطط والمناصب الإدارية ذات الاتّصال المباشر بالمجتمع والاقتصاد، فأداروا المصالح العامة إدارة حسنة، وأرسوا القواعد القانونية الاقتصادية عن طريق الأحكام الشرعية المُؤصّلة التي أصدروها، وعن طريق المصنّفات والرسائل التي تركوها، وتوجّوا ذلك كلّه بالجمع بين النظرية والتطبيق حتى يتأسّى بهم العامة، وكان من بين أهم نتائج ذلك ازدهار المجتمع ورفّعته في مظهره ومخبره، ونشر الإسلام خارج ديار المسلمين، وهذا ما انعكس بالإيجاب على ساكنة الغرب الإسلامي بدوهم وحضّرتهم.

خاتمة

يمثل سيّدنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والصحابة رضوان الله عليهم والتابعين، المرجعية التي اعتمد عليها الأئمة الثلاثة في التأسيس للعلوم التي جاءوا بها من العقيدة والفقه والتصوّف، وقيمة الأثر الذي أرسّوه بمنطقة الغرب الإسلامي بمناحي الحياة كلها؛ فاستطاعوا بذلك أن يحفظوا طريقة أهل الحقّ. ويمكن أن نُخْلِصَ من هذه الدراسة إلى ما يلي:

- شكّلت شخصية الإمام مالك المحورية، ما يُعرف بالمذهب الفقهي المالكي مذهب أهل المدينة المنوّرة، الذي هو عُمْدَةُ أهل الغرب الإسلامي في حياتهم الدينية والاجتماعية، السياسية والاقتصادية.
- يعتبر الإمام أبو الحسن الأشعري مؤسس علم الكلام الذي موضوعه العقيدة، وكان المرجع في الردّ على المِلَلِ والفرق وحماية طريقة الحقّ؛ فسُمِّي أتباعه من عموم المسلمين " أهل السنّة والجماعة".
- والإمام أبو القاسم الجنيد معلّم القوم وسيّد الطائفتين أي علماء الشريعة والحقيقة، حيث أثبت الصوفية على طريقة إمامهم أنّ الأخلاق قِوَامُ المجتمع، بفضل القيم التي زرعوها بين الناس.
- حمَلَ علوم الأئمة ومبادئهم التي ناضلوا من أجلها جُلَّة من علماء وصلحاء الغرب الإسلامي من الرجال والنساء، هذا علاوة عن العلماء بالمشرق الإسلامي من الأصحاب والتلاميذ.
- أسهم الحاملون لهذه العلوم في نشرها بين الناس؛ فكثرت الطلبة المتلقّون، وكثرت معهم التصانيف في هذه العلوم وما يتفرّع عنها، حتى أنّ الأمراء والحكّام أصبغوا مذاهب الأئمة بالصبغة الرسمية.
- كانت هذه المناهج الثلاثة تجتمع في الأغلبية الساحقة من علماء الغرب الإسلامي، والذين كان لهم صِلات روحية وعلمية وأدبية بإخوانهم من علماء المشرق.
- استمدت المدارس والحواضر والمراكز العلمية قيمتها من قيمة العلماء والفقهاء والمتكلمين والصوفية الصالحين الذين عاشوا حياتهم مدرّسين ومعلّمين بها.
- اتّسمت الحياة العلمية بالمنظرات والجدال العلمي البناء المُفضي إلى الوقوف على الحقيقة العلمية.

- كان لردود ومناظرات العلماء مع الفرق وأهل الملل والنحل الأخرى كاليهود والنصارى والملاحدة مواقف مشهودة سجّلها التاريخ الإسلامي.
- ساهم العلماء المالكية والأشاعرة والصوفية في توطيد أركان حكم الدول السنيّة التي قامت بأرض الغرب الإسلامي، إذ كان منهم من جمع بين العلم والسياسة، وتأديب الأمراء والحكام.
- من أكبر التحدّيات التي واجهت الفقهاء وعلماء العقيدة والصوفية، ظهور الخوارج والشيعة العبيديين؛ إذ أرادوا القضاء على مذهب أهل السنّة والجماعة الذي ناضل من أجله العلماء، مع شدّ أزر الخلفاء والولاة ومساندتهم؛ فدفعوا ثمنا غاليا لقاء هذه المقاومة.
- مثلت نجل غير الإسلام خطرا حقيقيا على الغرب الإسلامي، وفي ظلّ تضعف الدول وضعف الأمراء بالانشقاق، سارع المالكية والأشاعرة والصوفية إلى نجدة بلاد المسلمين بحمل راية الجهاد.
- العمل على تربية المجتمع وإصلاحه وحلّ معضلاته، ونشر الفضائل ومحاسن الأخلاق بين الناس.
- التف الناس حول العلماء ولجأوا إليهم لما كانوا عليه من الرفق، والكرم، والنجدة، والشجاعة، وحسن الخلق، والأخذ بأيدي الناس، وتساوى عندهم في ذلك الحاكم والمحكوم.
- إنشاء المؤسسات الاجتماعية والاقتصادية ورعايتها، ولولا المالكية والأشاعرة والصوفية لما استطاعت أن تؤدي دورها الذي تمّ به حماية الحواضر والبوادي من الآفات الاجتماعية والاقتصادية.
- الدور الاقتصادي للعلماء بتولّي الخطط والمناصب الاقتصادية، وكانوا عند حسن ظن الأمراء والرعيّة بهم، إذ خلّفوا أيضا تراثا قيّما في ميدان التصنيف الاقتصادي، ولم تمنعهم مكانتهم من ممارسة المهن والحرف تعليما للناس بالحال قبل المقال.
- لا يزال البحث قائما شريطة الموضوعية والعمق والإنصاف المنقذ من الغلط المبعد والموهم للحقيقة.
- واستشرافا للمستقبل: وجب الاعتراف للأئمة الثلاثة وأتباعهم بالنفع والأثر الطيّب وضرورة التأسّي بهم لعظم القدر، وسموّ الخلق والمكانة، والسعة والعلوّ الكعب والرسوخ في العلم، وصدق النصيحة.

ملاحق

الملحق رقم (01) قصيدة من نظم الشيخ سعدون الوارنجيني عن الإمام مالك وموطأه:

وَيَسْأَلُكَ سَبِيلَ الْفِقْهِ وَيَطْلُبُ	أَقُولُ لِمَنْ يَرَوِي الْحَدِيثَ وَيَكْتُبُ
فَلَا تَعُدُّ مَا تَحْوِي مِنَ الْعِلْمِ يَشْرِبُ	إِنْ أَحْبَبْتَ أَنْ تُدْعَى لَدَى الْخَلْقِ عَالِمًا
يَرَوْحُ وَيَعْدُو جِبْرَائِيلَ الْمُقَرَّبَ	كَيْفَ تَتْرَكَ دَارًا كَانَ بَيْنَ بُيُوتِهَا
بِسُنَنِهِ أَصْحَابُهُ قَدْ تَادَّبُوا	وَمَاتَ رَسُولُ اللَّهِ فِيهَا وَبَعْدَهُ
فَكُلُّ أَمْرٍ مِنْهُمْ لَهُ فِيهِ مَذْهَبٌ	وَفُرِّقَ شَمْلُ الْعِلْمِ فِي تَابِعِيهِمْ
وَمِنْهُ صَحِيحٌ فِي الْمَجَسِّ وَأَجْرَبُ	فَخَلَّصَهُ بِالسَّبْبِ لِلنَّاسِ مَالِكُ
فَمَا بَعْدَهُ إِنْ فَاتَ لِلْحَقِّ مَطْلَبُ	فَبَادِرْ مُوْطَأَ مَالِكٍ قَبْلَ مَوْتِهِ
فَإِنَّ الْمَوْطَأَ الشَّمْسُ وَالْعَيْرُ كَوَكْبُ	وَدَعِ لِلْمَوْطَأِ كُلِّ عِلْمٍ ثَرِيدَهُ
فَذَاكَ مِنَ التَّوْفِيقِ بَيْتٌ مُخَيَّبُ	وَمَنْ لَمْ يَكُنْ كَتَبَ الْمَوْطَأَ بِبَيْتِهِ
بِأَفْضَلِ مَا يُجْزَى اللَّيْبُ الْمَهْدَبُ	جَزَى اللَّهُ عَنَّا فِي مَوْطَأِهِ مَالِكًا
فَصَارَتْ بِهِ الْأَمْثَالُ فِي النَّاسِ تُضْرَبُ	لَقَدْ فَاقَ أَهْلَ الْعِلْمِ حَيًّا وَمَيِّتًا
بِمُنْدَفِقِ ظَلَّتْ غَزَالِيهِ تُسْكَبُ ¹	فَلَا زَالَ يَسْقَى قَبْرَهُ كُلَّ عَارِضٍ

¹ - ابن فرحون - الديباج - ص 74.

الملحق رقم (02) قصيدة من نظم الشيخ هبة الله بن عساكر عن اعتقاد الأشعري:

إِنَّ إِعْتِقَادَ الْأَشْعَرِيِّ مُسَدَّدٌ	لَا يَمْتَرِي فِي الْحَقِّ إِلَّا مُمْتَرِي
وَبِهِ يَقُولُ الْعَالِمُونَ بِأَسْرِهِمْ	مَنْ بَيَّنَّ ذِي قَلَمٍ وَصَاحِبِ مِنْبَرٍ
وَالْمَدَّعُونَ عَلَيْهِ غَيْرَ مَقَالَةٍ	مَا فِيهِمْ إِلَّا جَهْلٌ مُفْتَرِي
فَدَرِ التَّعَامِي وَاعْتَصِم بِمَقَالِهِ	وَاعْلَمْ يَقِيناً أَنَّهُ الْقَوْلُ السَّرِي
وَأَرْفُضْ مَلَامَةً مَنْ نَهَاكَ بِجَهْلِهِ	عَمَّا يَرَاهُ لِأَنَّهُ لَمْ يَشْعُرِ
وَإِذَا لِحَاكَ الْعَاذِلُونَ فُئِلَ لَهُمْ	قَوْلَ إِمْرِي فِي دِينِهِ مُسْتَبْصِرِ
إِنْ كَانَ مَنْ يَنْفِي التَّقَائِصَ كُلَّهَا	عَنْ رَبِّهِ يَرْمُونَهُ بِتَمَشُّعِرِ
وَتَرَوْنَهُ ذَا بِدْعَةٍ فِي عَقْلِهِ	فَلْيَشْهَدْ الثَّقَلَانِ أُنِّي أَشْعَرِي ¹

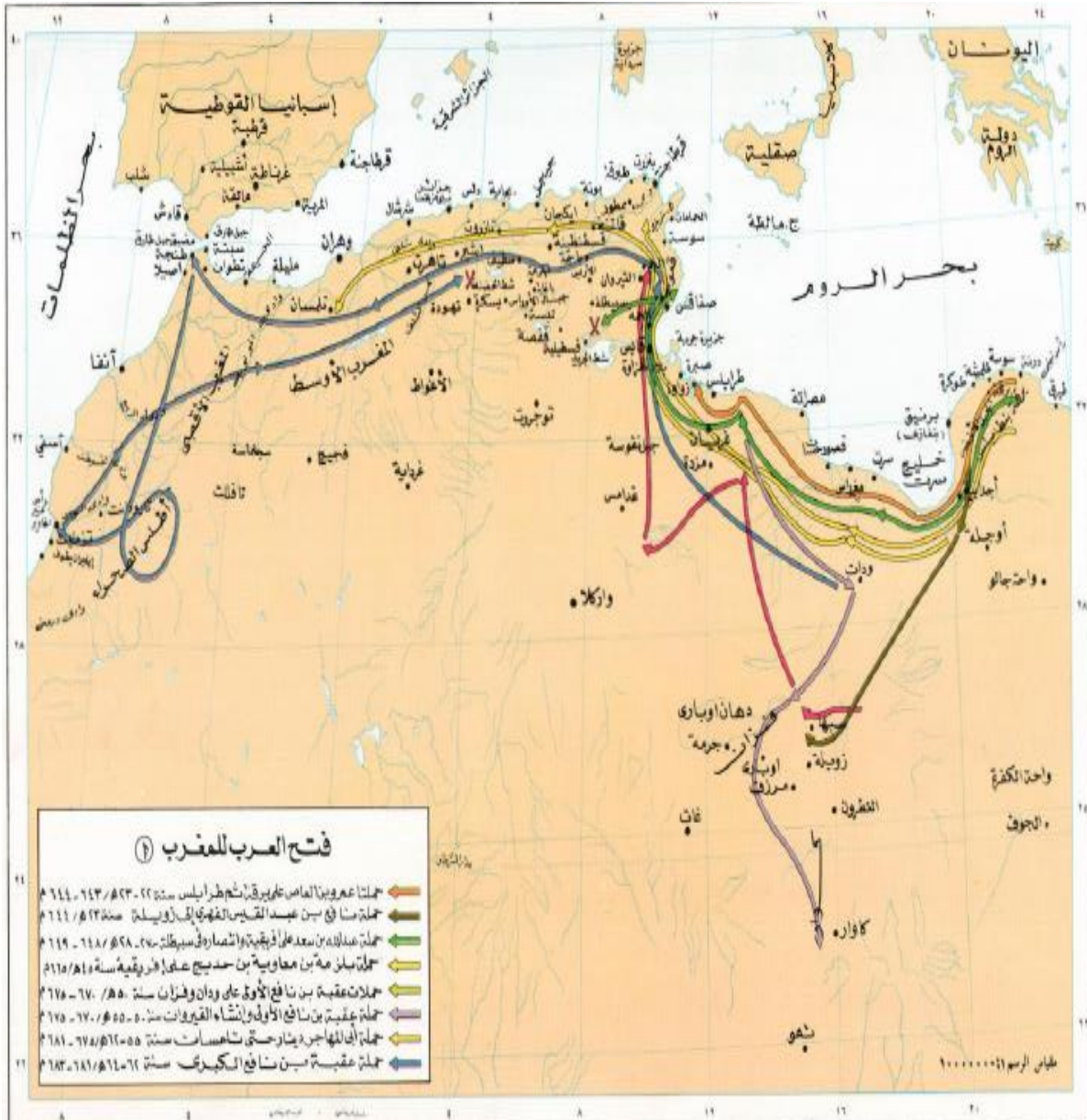
¹ - ابن عساكر - تبيين كذب المفتري - ص 363.

الملحق رقم (03) قصيدة من نظم الشيخ عبد القادر بن أبي سماحة عن سند علم التصوف:

وَمِنْهُ اسْتَمَدَتِ الْفُحُولُ الدِّرَايَةَ	وَتَلَكُّمُ مِنْ بَحْرِ النُّبُوَّةِ أَنْشَأَتْ
عَلَيْهِمْ مِنَ الْإِلَهِ أَزْكَى تَحِيَّةٍ	فَخَذَهُمْ بِنَظْمٍ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ
أَبِي الْقَاسِمِ الْجُنَيْدِ رُوحِ الْمَجَادَةِ	عَنِ الشَّيْخِ تَاجِ الْعَارِفِينَ رَأْسِهِمْ
عَنْ الْمَعْرُوفِ الْكَرْخِيِّ بِنَحْمِ الدَّلَالَةِ	عَنِ الشَّيْخِ سَرِيِّ السَّقَطِيِّ بِنَحْلِ مَغَلَسٍ
عَنِ الْعَجْمِيِّ حَبِيبِهِمْ ذِي الْإِنَابَةِ	إِلَى دَاوُودِ الطَّائِيِّ الَّذِي فَاضَ عِلْمُهُ
نُجُومِ الدُّجَى وَنُورِ كُلِّ مُنِيرَةٍ	إِلَى الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ الَّذِي فَاقَ نُورُهُ
وَبَابِ مَدِينَةِ الْعُلُومِ الْجَلِيلَةِ	إِلَى سَيْفِ رَبِّنَا الْمُهَنْدِ لِلْعِدَا
عَلَيْهِ رِضَاءُ اللَّهِ فِي كُلِّ لَمْحَةٍ	أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ صَهْرٍ نَبِينَا
وَنُورُهُ عَيْنُ الْكَوْنِ مِنْ غَيْرِ مِرْيَةٍ	إِلَى تَاجِ مَنْ وَافَى الْقِيَامَةَ جُمْلَةً
وَمَعْدِنُ أَسْرَارٍ وَعُنْصُرُ نِعْمَةٍ	مُحَمَّدِ الْهَادِي إِلَى النَّاسِ رَحْمَةً
بِدَالِ دَوَامِ الْمُلْكِ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ	عَلَيْهِ صَلَاةُ اللَّهِ ثُمَّ سَلَامُهُ
تَلَقَّاهَا مِنَ اللَّوْحِ مَحْفُوظِ الْأَمَانَةِ	فَعَنْ جِبْرِيلِ الْأَمِينِ عَنْ إِسْرَافِيلِ قَدْ
قَدْ كَانَ وَمَا يَكُونُ مِنْ كُلِّ ذَرَّةٍ	عَنِ الْقَلَمِ الْمَأْمُورِ بِالْخَطِّ الَّذِي
فَسَلَّمَ وَصَدَّقَ وَأَحْكَمَنَّ بِصِحَّةٍ ¹	وَكُلُّ بِأَمْرِ رَبِّنَا وَقَضَائِهِ

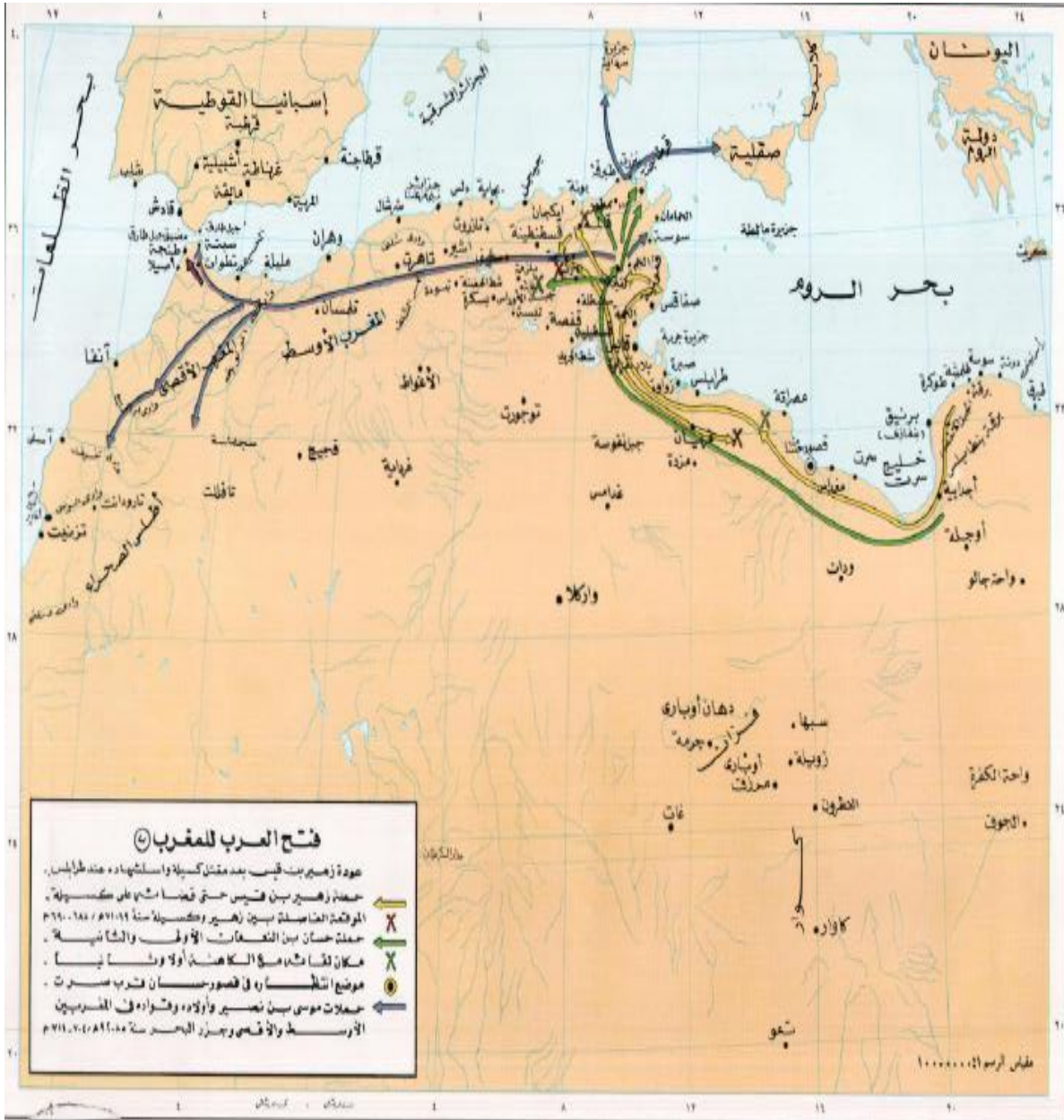
¹ - أبو محمد عبد القادر بن محمد بن سليمان السماحي - كؤوس التداني ورياض التهاني - شرح مولاي الناصر - دار ابن خلدون - تلمسان - 2014م - صص 25 - 28.

الملحق رقم (04): الفتح الإسلامي لبلاد المغرب (أ)¹.

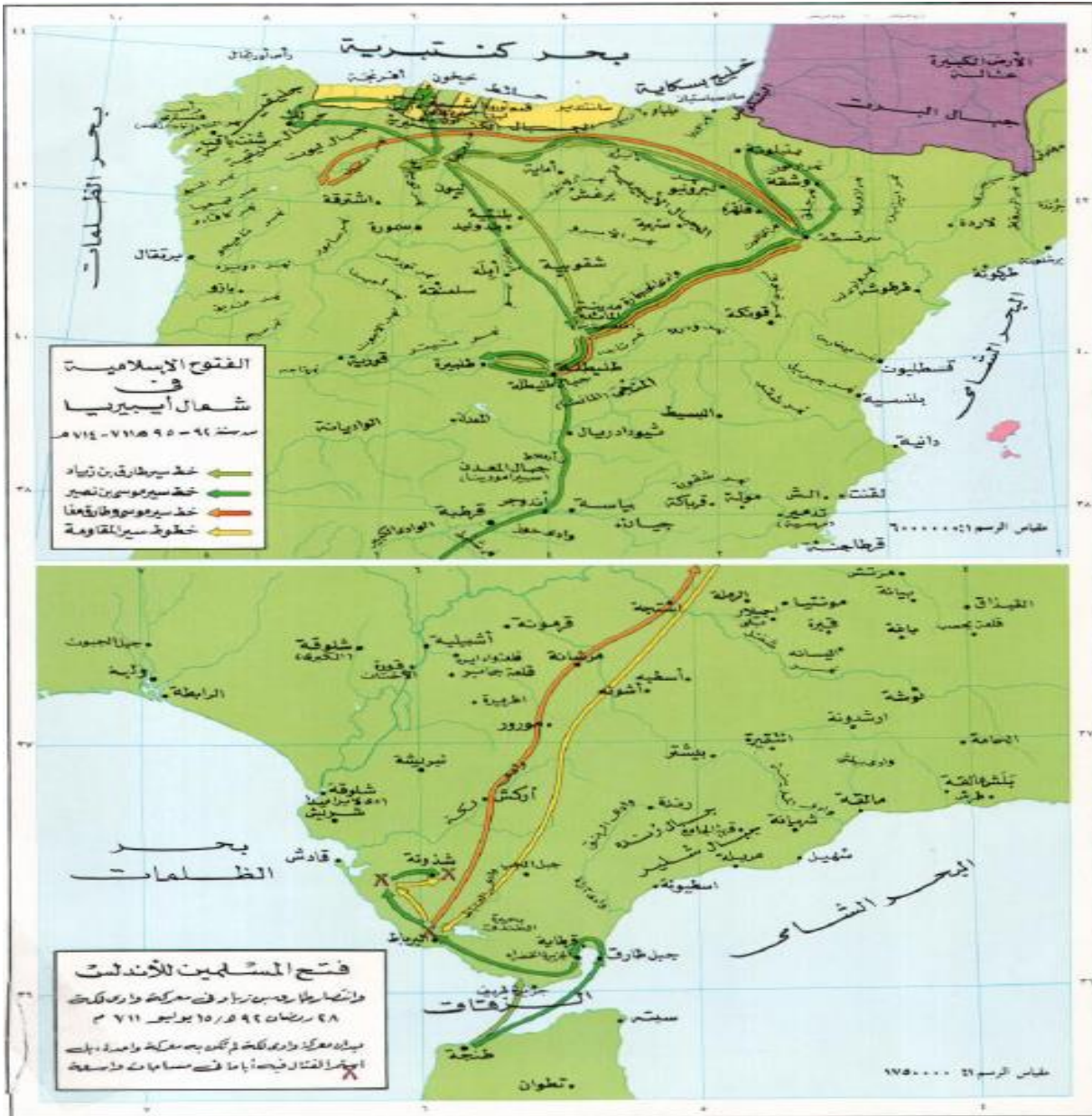


¹ حسين مؤنس - أطلس تاريخ الإسلام - الزهراء للإعلام العربي - القاهرة - ط 1 - 1407هـ/1987م - ص 120.

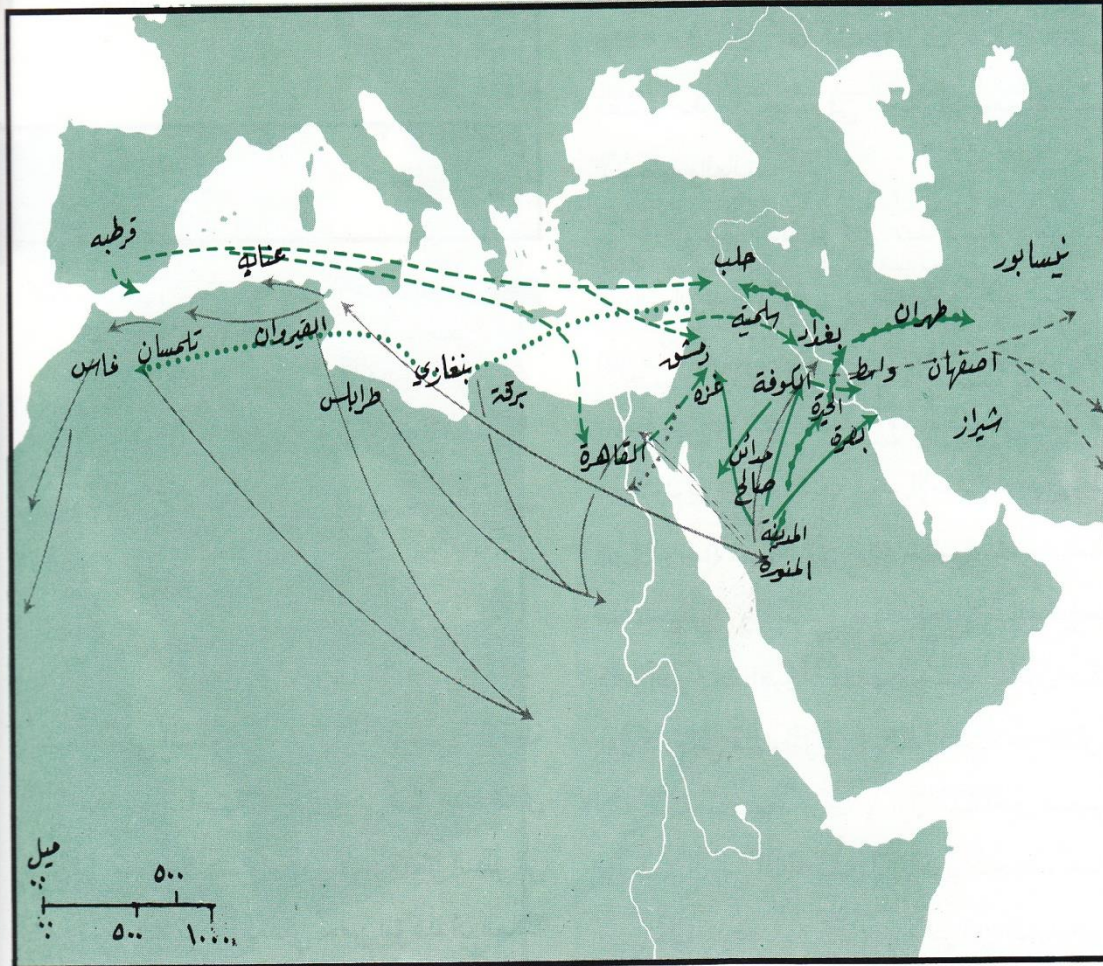
الملحق رقم (05): الفتح الإسلامي لبلاد المغرب (ب)¹.



الملحق رقم (06): الفتح الإسلامي لبلاد الأندلس¹.



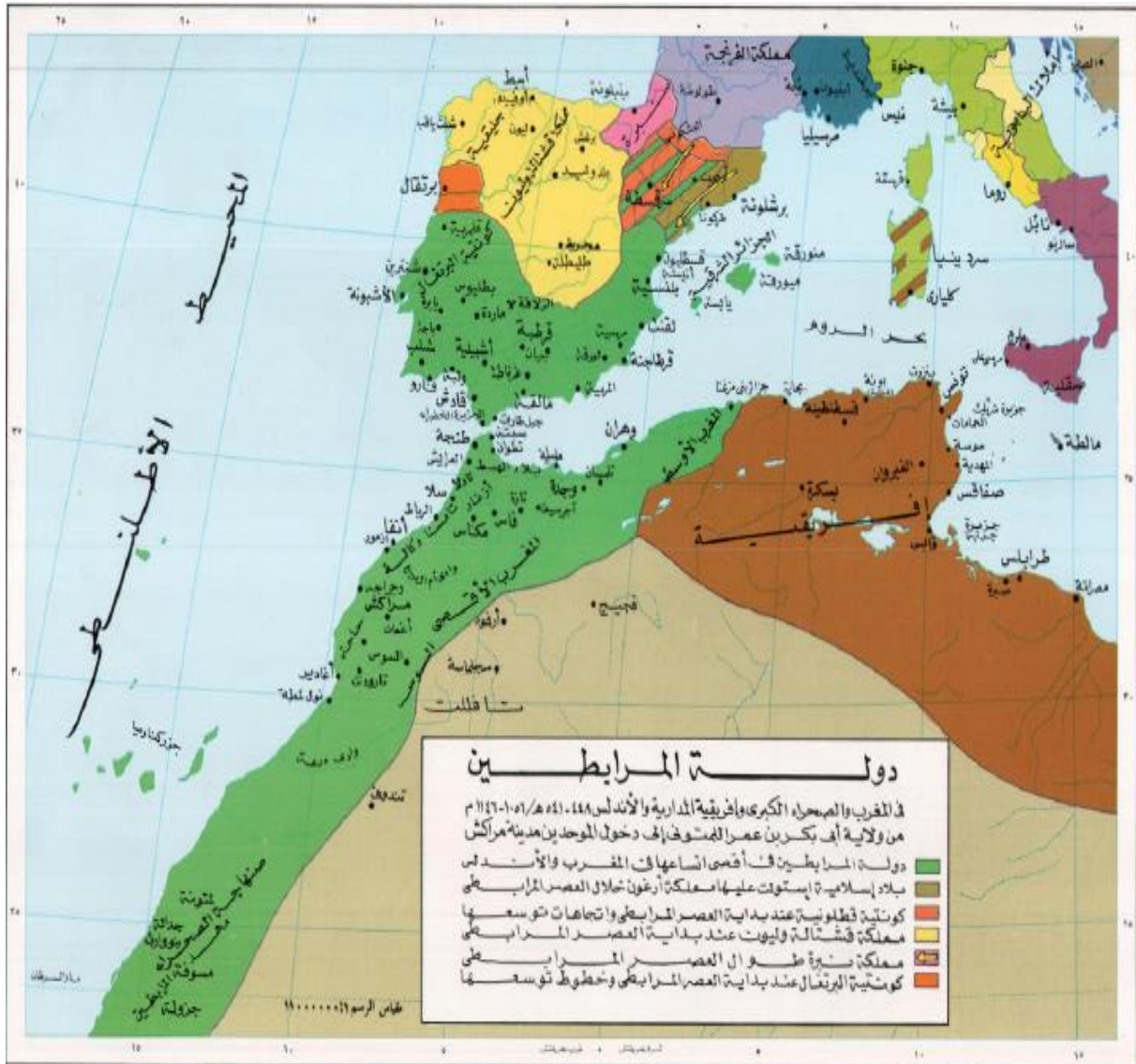
¹ - حسين مؤنس - المرجع السابق - ص 122.

الملحق رقم (07): الإنتشار الجغرافي للمذاهب الفقهية¹.

- | | | | |
|--------|--|--------|------------|
| -----> | المذهب الحنفي. | -----> | من قرطبة |
| ====> | تلامذة مالك : | ————> | من المدينة |
| ————> | عبد الرحمن بن قاسم، ابن الحكم، عبد الرحيم
خالد، الأشهب. | ————> | من المدينة |
| ————> | من المدينة |> | من السلمية |
|> | المذهب الشافعي ١٩٩هـ / ٨١٤م | | |
|> | المذهب الحنبلي. | | |

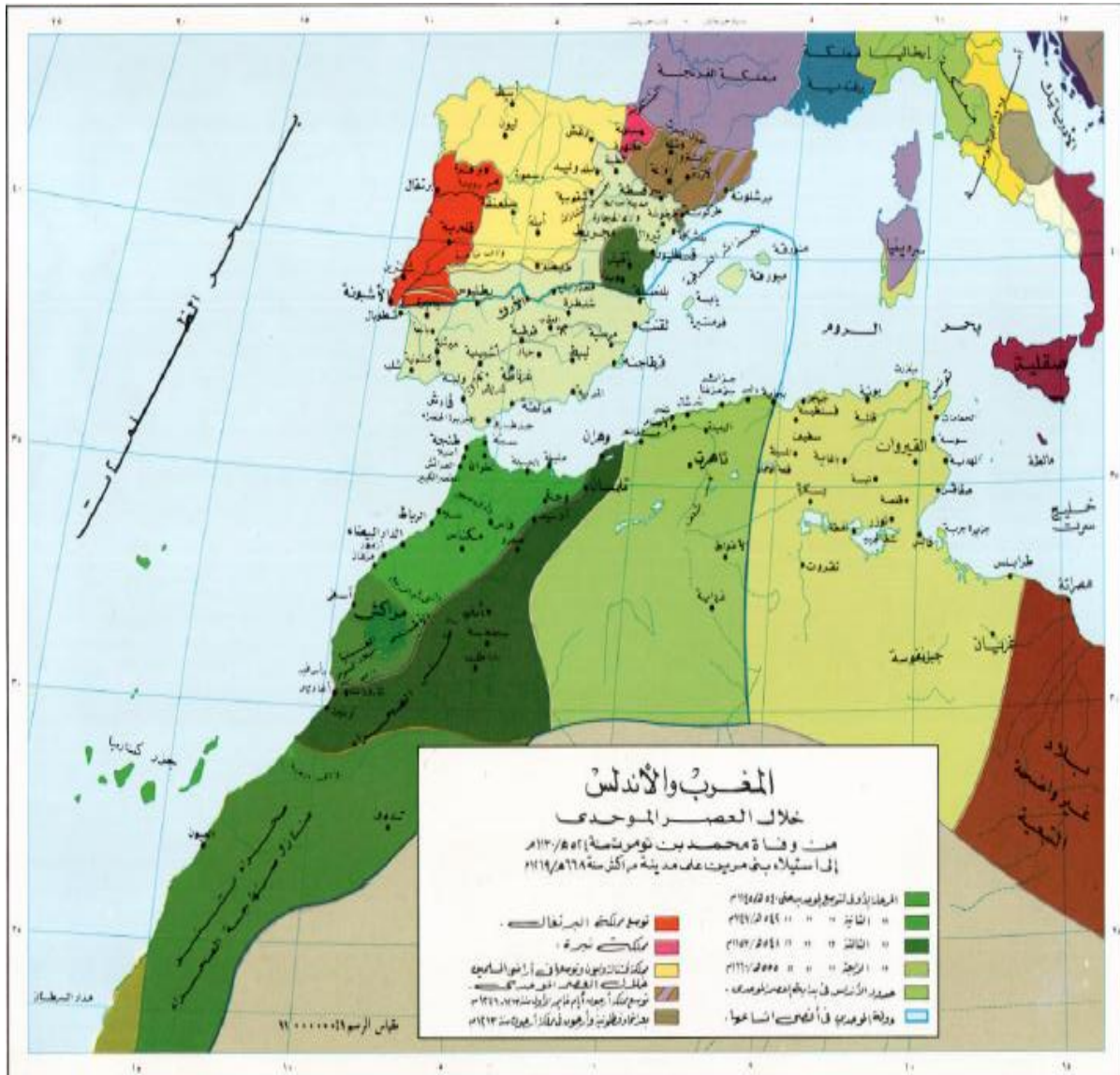
¹ - إسماعيل راجي الفاروقي ولوس لمياء الفاروقي - أطلس الحضارة الإسلامية - ترجمة عبد الواحد لؤلؤة - مكتبة العبيكان - الرياض - 1419هـ/1998م - ص 200.

الملحق رقم (08): الغرب الإسلامي في عصر المرابطين¹.



¹ - حسين مؤنس - المرجع السابق - ص 165.

الملحق رقم (09): الغرب الإسلامي في عصر الموحدين¹.



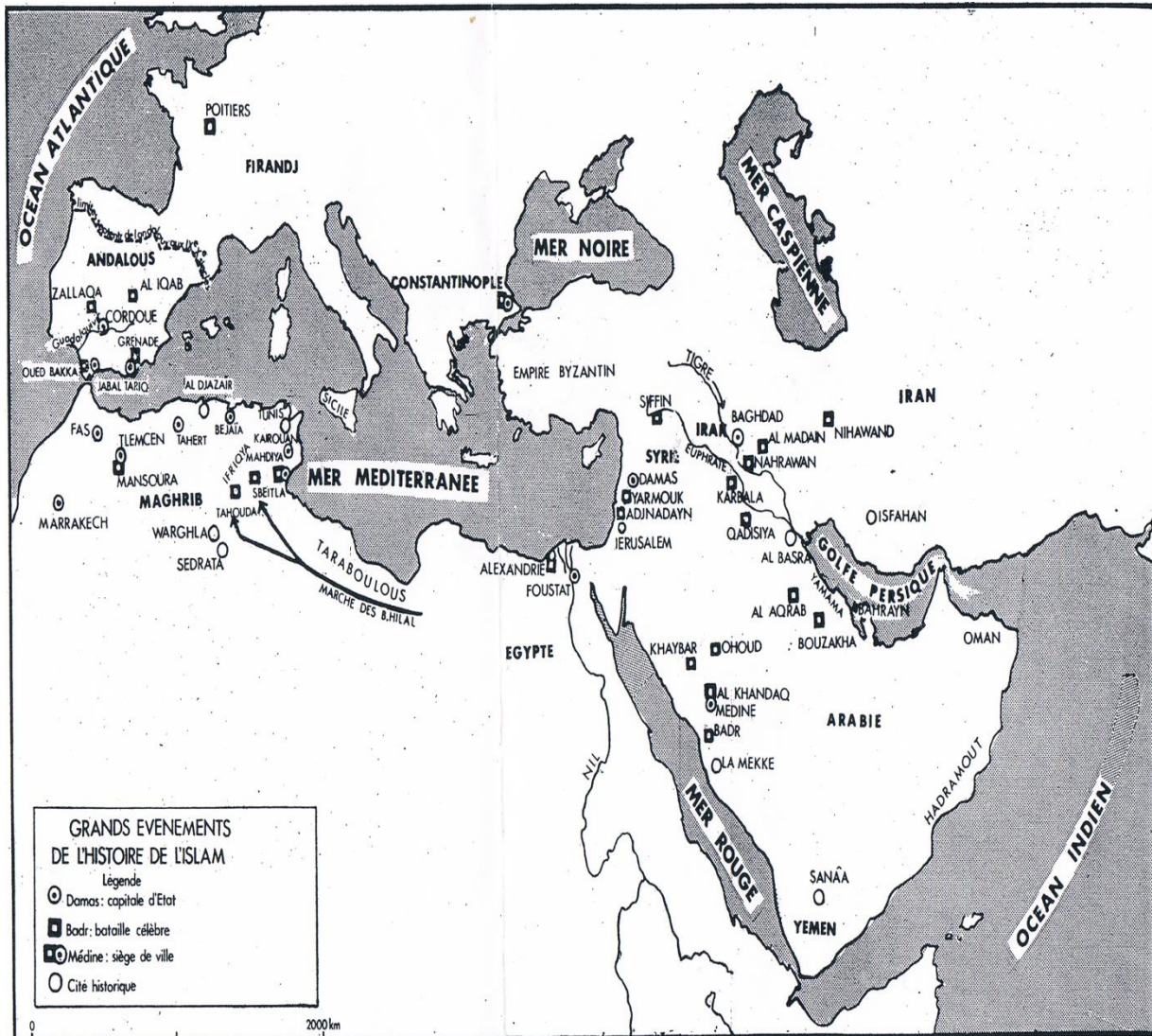
¹ - حسين مؤنس - المرجع السابق - ص 166.

الملحق رقم (10): إحصاء لخطط أهم المساجد بالغرب الإسلامي¹.

خطط المساجد الأساس	
المنطقة ١	قاعة ذات سقف مُعمَد (بفناء ذي أطواق عادة)
مراكش	جامع القَصْبِيَّة (حوالي ١١٨٥ - ١١٩٠ م)
	الكُتَيْبِيَّة (١١٢٥ - ١١٣٠ م)
الرباط	جامع الحَسَن (١١٩٥ - ١١٩٦ م)
تِنَمَال	المسجد الجامع (١١٥٣ - ١١٥٤ م)
الجزائر	الجامع الكبير (نهاية القرن ١١ م)
طرابلس	جامع الناقة (القرن الثامن - التاسع م)
قرطبة	الجامع الكبير (٧٨٥ - ٩٨٧ م)
فاس	بوعنانيَّة (١٣٥٠ - ١٣٥٥ م)، مع أطواق مقببة
	القرويين (٨٥٧ م)
القيروان	الجامع الكبير (٨٣٦ م)
تونس	جامع الزيتونة (٨٦٤ م)
سوسة، تونس	الجامع الكبير (٨٥٠ - ٨٥١ م)
صفاقس	الجامع الكبير (٩٩٨ م)
المهدية، تونس	الجامع الكبير (٩١٦ م)
تلمسان	مسجد المنصور (القرن الرابع عشر م)
	الجامع الكبير (١٠٨٢ - ١١٣٦ م)
	وحدات مقببة
طليطلة	باب مردون (٩٩٩ م)
و مدينة الجزائر	جامع السماكين (١٦٦٠ م)

¹ - الفاروقي - المرجع السابق - ص 575.

الملحق رقم (11): خريطة جغرافية باللّغة الأجنبية عن انتشار الإسلام في العهد الأموي وأهمّ المدن والمواضع الرئيسية¹.



¹ - Amar Dhina - grands tournants de l'histoire de l'islam - SNED - Alger - 2^{ème} édition - 1982 - p 169.



الفهارس العامة



فهرس الآيات القرآنية الكريمة

الصفحة	الآية	الرقم	السورة
28	﴿فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾	78	النساء
131	﴿ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾	34	آل عمران
223	﴿إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾	148	الأنعام
131	﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾	179	الأعراف
28	﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾	172	
27	﴿لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾	122	التوبة
222	﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾	67	الفرقان
131	﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾	172	الأعراف
180	﴿ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾	37	النمل
222	﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾	19	لقمان
222	﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾	32	فاطر
120	﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾	23	الجاثية
182	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ﴾	10	الصف

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

الصفحة	الحديث	الرقم
21	«إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِئَةِ سَنَةٍ...»	01
23	«تَقَدَّمَ لِشَأْنِكَ»	02
27	«اللَّهُمَّ عَلِّمَهُ الدِّينَ...»	03
30	«هَلَكَ أَهْلُ الْعَقْدِ»	04
37	«بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ...»	05
41	«ضُمَّهُ إِلَى صَدْرِكَ وَبُئْتَهُ فِي أُمَّتِي»	06
46	«عَلَيْكَ بِسُنَّتِي»	07
47	«خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ...»	08
182	«مَنْ أَعْبَرَتْ قَدَمَاهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ...»	09
201	«إِذَا جَاءَكُمْ كَرِيمٌ قَوْمٌ فَأَكْرِمُوهُ»	10

فهرس الأعلام البشرية

حرف الألف	
214	إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام
132، 78	إبراهيم الخواص
150، 144، 114	إبراهيم الربعي التونسي
236، 219	إبراهيم الزاهد الأندلسي تلميذ سحنون
233	إبراهيم النخعي
116	إبراهيم بن أحمد البصري
120، 118	إبراهيم بن أحمد بن الأغلب
224، 200، 145، 138	إبراهيم بن الأغلب
143	إبراهيم بن تاشفين
139	إبراهيم بن حسين بن خالد القرطبي
78	إبراهيم بن شيبان
64	الأبلي هارون بن سعيد
76، 60	الأبياني الأشعري
27	ابن الأثير
106	أحمد بن إبراهيم الأنصاري القرطبي
36	أحمد البقلي
209	أحمد الجياني العريف
36	أحمد الرفاعي
61	أحمد الصديفي
233، 12	أحمد العزفي
108	أحمد الغبريني
90، 77	أحمد المعافري القرطبي
78، 63	أحمد بن أبي الحواري

فهرس الأعلام البشرية

162	أحمد بن أبي ربال
99	أحمد بن أحمد بن عبادة القرطبي
118	أحمد بن الأغب
199	أحمد بن بشتاغبر اللحمي اللورقي
71 ، 48 ، 44 ، 35	أحمد بن حنبل
219	أحمد بن خالد
236 ، 68	أحمد بن خالد الجباب
98	أحمد بن خالد المالقي
215	أحمد بن دحنين
146	أحمد بن دحيم
103	أحمد بن رحيق
69	أحمد بن سعيد
215	أحمد بن طيب
126 ، 106 ، 105	أحمد بن عبد الصمد الأنصاري الخزرقي
233 ، 230	أحمد بن عبد الله بن عبد الرؤوف القرطبي
85 ، 68	أحمد بن لبابة أبو عمر
69	أحمد بن مطرف
64	أحمد بن موسى الغافقي
230 ، 60	أحمد بن نصر الداودي
199 ، 115	أحمد بن ورد
91	أحمد بن يزيد القرشي
191 ، 35	أحمد زروق
233	أحمد عبدون التجيبي
91	ابن الأحمر
200	أبو الأحوص أحمد بن عبد الله
119	الأخرم الشيعي

فهرس الأعلام البشرية

59	ابن أخي وهب
164، 98	إدريس الأول
164، 153، 140، 98	إدريس بن إدريس
75	الأذري الحسين بن حاتم
48	الإسترأبازي أبو نعيم
193	أبو إسحاق التونسي
116	أبو إسحاق القاضي
142	إسحاق اللواتي
26، 53، 71، 72، 105، 110، 139، 236، 171	أسد بن الفرات
48	الإسفرائيني أبو إسحاق
47	إسماعيل بن إسحاق
61، 19	إسماعيل بن سيدة
91	إسماعيل بن عبد الرحمن المصري
34	إسماعيل بن نجيد
60	الأسواني أبو جعفر
111	إشراق السوداء
54، 56، 72، 113، 229	ابن أشرس عبد الرحمن
1، 2، 5، 16، 32، 33، 40، 45، 46، 47، 48، 74، 76، 77، 78، 82، 84، 85، 86، 107، 121، 123، 126، 163، 176، 242	الأشعري أبو الحسن عليّ
67، 28	أشهب
146	ابن أصبغ أبو محمد قاسم القرطبي
141، 28	أصبغ بن الفرّج
141	أصبغ بن خليل القرطبي
67	أصبغ بن مالك الزاهد

فهرس الأعلام البشرية

232، 198، 195، 193، 11	أبو الأصبع عيسى بن سهل
142	أبو الأصبع موسى بن أحمد
47	الإصبهاني أبو نعيم
76، 60	الأصيلي عبد الله بن إبراهيم
68	ابن الأعجم
63	الأكفاني
181، 180	ألفنسو
115	ابن الإمام أبو زيد
144	ابن الإمام عبد العزيز الأنصاري
110	أمية بن عبد الله الهمداني
198	الأنصاري محمد بن القاسم السبتي المؤرخ
73، 57، 42، 28	الأوزاعي
66	أويس القرني
107	الإيلاني
225، 86	أيوب بن سليمان المعافري
حرف الباء	
68، 67	ابن باز إبراهيم بن محمد
157، 156، 115، 85، 75، 74، 47، 36	الباقلاني أبو بكر محمد بن الطيب
48، 47	الباهلي أبو الحسن البصري
121	البعجلي محمد بن علي
135	ابن البراء أبو القاسم
193	البربري يحيى بن لبابة
163، 160	ابن البرذون
64، 55	ابن البرقي
207	ابن أبي البركات عبد الحميد
53	البنزاز

فهرس الأعلام البشرية

35	البزاز أبو حمزة البغدادي
63	البزازي
108	البسكري أبو القاسم يوسف
11، 59، 62، 109، 203	ابن بشكوال
64، 132	بشير بن عمروس
109	البطليوسي أبو محمد
61، 121	البغدادي المعتزلي علي بن أبي أحمد
126	ابن بقي أبو القاسم
81	أبو بكر الأنطاكي
176، 202	أبو بكر التجيبي
44	أبو بكر الخطيب
47، 77، 204	أبو بكر الشاشي
163	أبو بكر الصديق رضي الله عنه (عتيق)
52	أبو بكر العطوي
89، 92، 108، 109، 115، 125، 126، 143، 149، 168، 170، 189، 204	أبو بكر بن العربي محمد
14، 102	أبو بكر بن خميس
193	أبو بكر بن زرب
239	أبو بكر بن زهر
78	أبو بكر بن سعدان
88	أبو بكر بن عبد الرحمن شيخ السيوري
160	أبو بكر بن عذرة
166، 167، 169	أبو بكر بن عمر اللمتوني
54	أبو بكر بن عياش
46، 47	أبو بكر بن فورك
10	البكري أبو عبيد

فهرس الأعلام البشرية

49، 45	بلال بن أبي بردة
57	بن أبي ذيب
234، 93	ابن البناء الأزدي المراكشي
198	البناهي
81	بندار بن محمد
53، 54، 56، 64، 72، 87، 90، 97، 113، 130، 151، 185، 199، 200	البهلول بن راشد
215	ابن البيرولة عبد الرحمن بن محمد
69	البيري عبد الأعلى
234	البيهقي
حرف التاء	
115	أبو تاشفين عبد الرحمن بن أبي حمو
14، 158، 163	ابن التبان أبو محمد بن عبد الله
109	التجيبى أبو العباس
176	التجيبى أبو القاسم بن أبي بكر
68	التجيبى إسحاق بن إبراهيم
106	التدمري عبد الجليل
193	التستري أبو عبد الله
120، 179	تميم بن المعز بن باديس الصنهاجي
144، 218	تميم بن يوسف بن تاشفين
77، 99، 115، 126، 149، 211، 212	ابن تومرت محمد
239	التيفاشي أحمد بن يوسف القسنطيني
حرف الثاء	
111	ثابت الجرجاني
208	أبو ثابت بن عبد الله بن يوسف بن يعقوب

فهرس الأعلام البشرية

224	الثقفي ابراهيم بن حسين
57	ثور بن زيد
51، 50، 29	أبو ثور
حرف الجيم	
48، 46	الجبائي المعتزلي
94	جبر الله بن القاسم الأندلسي
158، 55	جبله بن حمود
159	الجبنياني
207، 91	ابن جبير
86	الجدامي سعدون بن إسماعيل
99	ابن جراح محمد الأنصاري
175، 137	جرجير بن ميخائيل الأنطاكي
233	الجرسيفي عمر بن عثمان
42	ابن جريح
35	الجزيري أبو محمد
239	الجزار أحمد بن إبراهيم القيرواني
99	الجزنائي عليّ أبو الحسن
200	الجزيري إسماعيل بن رباح
200	الجزيري حفص بن عمر
52	جعفر الخلدي
42	جعفر الصادق
152، 74	أبو جعفر المنصور
55	جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه
1، 2، 5، 6، 34، 35، 49، 50، 51، 52، 70، 78، 79، 80، 81، 82، 84، 126، 170، 176، 235، 236، 242	الجنيد أبو القاسم بن محمد

فهرس الأعلام البشرية

138 ، 118	ابن أبي الجواد
36	ابن الجوزي عبد الرحمن
59	الجوهري
234	ابن الجياب
62	الجياني شيخ أبو الوليد بن رشد
حرف الحاء	
224	حاتم الأبرازي
90	حاتم بن عثمان
171 ، 137	أبو الحاج يوسف بن زيري
28	ابن الحاجب
51 ، 50 ، 49	الحارث المحاسبي
41	أبو حازم التابعي
237 ، 91	الحافظ الكناني
47	الحاكم النيسابوري
80	حبيب العجمي
79	حبيب المغربي
26	حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة
154	ابن حبيب
204 ، 167	أبو الحجاج
220 ، 159	ابن الحجام محمد بن مسرور التحيبي
122 ، 119 ، 61	الحداد أبو عثمان بن سعيد
90	ابن الحذاء
107	ابن حرازم
190 ، 80	الحرالي علي بن أحمد
114 ، 67 ، 62 ، 48	ابن حزم الظاهري
142	أبو الحزم بن جهور

فهرس الأعلام البشرية

85	الحساب عبد الله بن يحيى
88	حسان البربري
80، 28	الحسن البصري
199	أبو الحسن الصغير
63	حسن الفارسي
100	أبو الحسن المريني السلطان
162	أبو الحسن بن أبي الرجال
199، 197	حسن بن زكون
206، 205، 80	الحسن بن علي المسيلي
79	الحسن بن مفرج
173	الحسن سلطان تونس
82	الحسين الدمياطي
107	ابن الحصار
114	ابن حضرم محمد بن نصر
54	الحفري أبو زكرياء
225	حفص بن سعيد بن جابر
215	حكم الرضي بن هشام
176، 146، 141	الحكم المستنصر
98	الحكم بن هشام
50	الحلاج
56	حماد بن يحيى السجلماسي
120	حمديس القطان أحمد
218	حمود بن سمعون
44	الحميدي أبو عبد الله الأندلسي
172، 10	الحميري
31	أبو حنيفة النعمان

99، 73	ابن حنين علي بن أحمد الكتاني
177، 18، 8	ابن حيان
حرف الخاء	
54	أبو خارجة
105	خديجة بنت سحنون
78، 50	الخرّاز أبو سعيد
237	ابن الخراز عبد الرحمن بن خالد الهمداني الوهراني
93	الخرستاني أبو القاسم
146	ابن خزر محمد المغراوي
116	الخشني عبد الله بن محمد أبي جعفر
225، 141، 86، 85	الخشني محمد بن حارث
106	الخشني مصعب بن محمد
220	ابن أبي الخضر الصغير
46	الخطيب البغدادي
181، 144، 9، 8	ابن الخطيب لسان الدين
77	الخلعي
56	خلف بن أبي جعفر
194	خلف بن عمر أبي هاشم القيرواني
193	خلف مولى ابن بهلول
158، 56	ابن خلكان
197	خلوف بن خلف الصنهاجي
77	ابن خليل محمد الأندلسي
138	ابن خليفة محمد الأنصاري
28	خليل المالكي
160	ابن أبي خنزير الشيعي

فهرس الأعلام البشرية

78	أبو الخير الأقطع
حرف الدال	
60	الداني
193	أبو داود صاحب السنن
29	داود الظاهري
98، 79	ابن داود القاضي
217	داود بن القاسم الأوربي
152	داود بن حاتم بن يزيد
55، 53	داود بن يحيى
202، 151، 144	الدباغ أبو زيد
198	ابن دبوس الزناتي اليفرني
92	ابن دحية أبو الخطاب
92	ابن دحية أبو عمر
72، 56	دراس بن إسماعيل الفاسي
236، 69	ابن أبي دليم محمد بن محمد
210	ابن أبي الدنيا عبد الحميد الطرابلسي
160	ابن الدهان أبو القاسم
36	الدوري مهذب الدين
68	الديري
81	الديلسي أبو إسحاق
حرف الذال	
62	أبو ذر الحافظ
50	الذري
حرف الراء	
123	الرابي حوشيل اليهودي
77	الرازي شيخ الصقلي

فهرس الأعلام البشرية

47	رافع الحمال
61	الرباحي
159، 157	ربيع القطان
78	ربيع بن عبد الله القيرواني
42	ربيعة الرأي
175، 172	رجار أمير النورمان
62	ابن رزق
238	ابن رشد الحفيد
54	الرعيبي أبو زياد
215	الرعيبي عيسى بن محمد
158	الرعيبي يوسف
124	الرقوطي محمد بن أحمد
8	الرقيق القيرواني
108	ابن الرمامة الفقيه
66	ابن الرمامة
64	ابن رمح
36	رمضان الكردي
90	الرواسي
137	رؤح بن حاتم المهلبّي
حرف الزاي	
101، 59	زاوي بن زيري بن مناد الصنهاجي أبو مُثَنّي
59	زاوي بن مناد بن عطية الصنهاجي
54	ابن أبي زائدة يحيى
146، 141، 78	الزبيدي محمد
41	أبو الزبير التابعي

فهرس الأعلام البشرية

41	الزبيري عبد الله بن مصعب
79	الزجاجي أبو عمر
227، 10	ابن أبي زرع الفاسي
86	ابن زركون
197	الزرهوني منصور بن أبي فوناس
113، 112	زفر بن الهذيل
105	الزقاق قاسم بن محمد
35	زكريا الأنصاري
109	أبو زكريا الغرناطي
181	ابن زمرك أبو عبد الله
193، 188	ابن أبي زمنين محمد
61	الزهري أبو القاسم بن محمد
205، 66، 13	ابن الزيات التادلي
53	ابن زياد أبو الحسن
171، 170، 140، 139، 104، 26	زيادة الله الأغلي السلطان
9، 28، 56، 61، 65، 86، 87، 100، 105، 115، 121، 160، 163، 187، 193، 197، 202، 216، 220، 230، 237	ابن أبي زيد القيرواني أبو محمد عبد الله
90	زيد بن سنان
حرف السين	
46	الساجي
21	ابن الساعي القاضي
201، 159	السبائي إبراهيم بن أحمد القيرواني
135، 126	ابن سبعين عبد الحق
90	السجزي
53، 54، 55، 59، 61، 63، 64، 65، 67،	

فهرس الأعلام البشرية

71، 72، 85، 87، 90، 97، 105، 114، 118، 119، 131، 138، 139، 151، 152، 185، 192، 200، 201، 219، 220، 223، 229، 230، 235، 236	سحنون بن سعيد
79	السدرى محمد
219	ابن سراج أبو القاسم
44	السراج النيسابوري
49، 50، 51، 80	السري السقطي
121	ابن سعدون أبو عبد الله
220	سعدون المتعبّد أحمد بن إبراهيم
246	سعدون الوارجيني
34	سعيد إسماعيل
36	ابن أبي سعيد أبو الفضل
10	أبو سعيد الأول
160	سعيد الخولاني
137	سعيد بن أبي هند
54	سعيد بن حبيب التنوخي
69	سعيد بن خلف الصوفي
79	سعيد بن سلام المغربي
61	سعيد بن فلحون
165	سعيد بن هشام المصمودي
28، 53، 54، 233	سفيان الثوري
58	سفيان بن عيينة
231	السقطي محمد بن أبي محمد المالقي
76، 78، 107	السلالجي عثمان بن عبد الله
93	السلفي طاهر

فهرس الأعلام البشرية

229	ابن السليم القاضي
220	سليمان بن سالم القطان
145	سليمان بن عبد الرحمن الداخل
59	سليمان بن نجاح
248	السماحي عبد القادر بن محمد بن سليمان
155	سمغو بن محمد
237، 123	السموأل بن يحيى المغربي
185	سند بن عنان الأسدي
119	سهل صاحب سحنون
48	السهلكي أبو الفضل
114	ابن سيار قاسم بن محمد
98	سيد الناس اليعمري
227، 163، 153، 88	السيوري عبد الخالق
حرف الشين	
186	الشادلي يحيى بن إبراهيم
237، 205، 191، 81، 80، 35	الشاذلي أبو الحسن
219، 209	الشاري عليّ الغافقي السبتي
199، 122، 115، 28	الشاطبي
199، 122، 115، 28	الشاطبي أبو إسحاق
233، 188، 71، 44، 42	الشافعي محمد الإمام
145، 97، 73، 58	شبطون زياد بن عبد الرحمن اللّخمي
160، 121	ابن شبلون أبو القاسم
50	الشبلي
56، 53	شجرة بن عيسى المعافري
111	الشرجي عثمان بن علي

فهرس الأعلام البشرية

109، 99	الشريف الإدريسي
100	الشريف السبتي
236، 201، 79	الشعاب عبد الله
44، 42	شعبة بن الحجاج
198	الشعبي عبد الرحمن بن قاسم
186، 72، 54	شقران بن علي
111	الشنوني محمد بن خلصة
73	الشيرازي أبو إسحاق
حرف الصاد	
113	أبو صالح أيوب بن سليمان
169، 164	صالح بن طريف
197، 114	ابن الصائغ أبو بكر
105	الصائغ عبد الحميد
35	ابن الصباغ أبو الحسن بن القوصي
47	الصعلوكي أبو سهل النيسابوري
76	ابن أبي صفرة
229	ابن الصقر أبو عبد الله
107	الصقر عبد الرحمن بن محمد الأنصاري
106	ابن الصقيل محمد بن علي الأنصاري
92	صلاح الدين الأيوبي
156، 155، 19	الصنعاني أبو عبد الله
63	الصيرفي
110	ابن الصيرفي عثمان بن سعيد
حرف الضاد	
175	ابن الضابط الصفاقسي
160	الضبي أبو محمد

228	الضرير محمد بن عليّ
حرف الطاء	
23، 22	طارق بن زياد
138، 114، 68	ابن طالب القاضي
44	أبو طاهر إبراهيم الأندلسي
75	أبو طاهر البغدادي
62	الطبري أبو الطيب
59	الطبري المالكي
29	الطبري محمد بن جرير
193	الطحاوي أبو جعفر
60	الطرابلسي تلميذ القابسي
223، 110	الطرزي أبو القاسم
147، 132، 77	الطرطوشي محمد أبو بكر
239	الطرسوني محمد بن أحمد بن فرج
199	ابن طركاك أبو الفضل
25	طريف أبو زرعة
189	ابن طفيل يحيى بن محمد
124	ابن الطلاع
115، 76	الظلمنكي أبو عمر
188	ابن أبي الطواجن الكتامي
115	طوى الهلالي
حرف العين	
124	عيسى عليه الصلاة والسلام
121	العابدي محمد بن علي الأنصاري
40	أبو عامر الأصبحي
140	عامر القيسي

فهرس الأعلام البشرية

111	العبادية جارية المعتضد
239	أبو العباس التلمساني أحمد بن يحيى
238، 213، 13	أبو العباس السبتي
232، 231، 106، 85	ابن عبد البرّ القرطبي
156	عبد الجبار البصري
98، 80	عبد الحق الإشبيلي
88	عبد الحق بن سعدون
59	عبد الحق بن غالب
88	عبد الحميد المهدي
26	عبد الرحمن الأول
70	عبد الرحمن الجامي
145، 163، 73	عبد الرحمن الداخل
193	عبد الرحمن بن دينار
228، 147، 146، 91	عبد الرحمن الناصر
20	عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما
88	عبد الرحمن بن أبي بكر شيخ السيوري
217، 115، 90، 71، 67، 54، 28	عبد الرحمن بن القاسم
61	عبد الرحمن بن عبد المؤمن
236	عبد الرحمن بن عبد ربه
188	عبد الرحمن بن عثمان أبو المطرف
91	عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه
107	عبد الرحمن بن محمد الصقر الأنصاري
147	عبد الرحمن بن محمد الناصر
174	عبد السلام البرجيني
137	عبد السلام البرقي

فهرس الأعلام البشرية

203 ، 186 ، 149 ، 66	عبد السلام التونسي
108	عبد السلام الزواوي
67	عبد الصمد بن القاسم
79	عبد العزيز التونسي
64	عبد العزيز بن يحيى المدني
125	عبد الغفور .
81 ، 80	عبد القادر الجيلاي
65	عبد الله التاهرتي
143	أبو عبد الله الزاهد بن أخ القاضي عياض
90	عبد الله الطويل
219	عبد الله العبدوسي
103	عبد الله العطيطير
158 ، 121	عبد الله المحتال الشيعي
78	أبو عبد الله المغربي السوسي
169	عبد الله بن أبي البرغواطي
130 ، 72	عبد الله بن أبي حسان اليحصبي
78	عبد الله بن الجلاء
20	عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما
29 ، 27	عبد الله بن العباس رضي الله عنهما
42	عبد الله بن المبارك
180 ، 141	عبد الله بن بلكين بن باديس
224	عبد الله بن حسين بن عاصم
168	عبد الله بن حمو بن عمر اللواتي
41	عبد الله بن دينار
55	عبد الله بن سعد تلميذ جبلة
114	عبد الله بن طالب

فهرس الأعلام البشرية

29، 20	عبد الله بن عمر رضي الله عنهما
،201، 193، 137، 113، 90، 72، 53 224	عبد الله بن غانم
107	أبو عبد الله محمد التميمي
171	عبد الله بن محمد الكاتب
227، 172، 170، 169، 168، 167، 166	عبد الله بن ياسين الجزولي
177	عبد الملك بن أبي عامر
87، 64، 54	عبد الملك بن أبي كريمة
236، 193، 90، 58	عبد الملك بن حبيب
109	عبد الملك بن زهر
81	عبد الملك بن قلمون
164، 22	عبد الملك بن مروان
67	عبد الملك زونان
105	عبد المنعم الكندي
100	عبد المهيمن الحضرمي
212، 173، 149	عبد المؤمن بن علي
196	ابن عبد النور
231، 148	عبد الواحد المراكشي
144	عبد الواحد بن أبي حفص
100، 2	عبد الواحد بن عاشر
234	عبد الواحد بن محمد الباهلي الغافقي
187	عبد الوهاب بن تمر المالكي
60	عبدوس أبو الفرج
119	ابن عبدون
،159، 158، 157، 156، 121، 119 226، 162، 160	عبيد الله الشيعي

فهرس الأعلام البشرية

165، 164	عبيد الله المعتزلي
51	أبو عبيد
117، 111	أبو عبيدة الميورقي
121	العبيدي أبو القاسم
224	ابن عتاب
220، 192	العتبي أبو عبد الله محمد
168	عتيق بن عمران النفزاوي
40	عثمان بن عبد الله التيمي القرشي
20	عثمان بن عفان رضي الله عنه
99	عثمان بن مالك أبو بكر
81، 77	أبو عثمان بن مشرف
76، 56	ابن العجوز عبد الرحمن
35	ابن عجيبة
28	العدوي
8	ابن عذارى المراكشي
55	أبو العرب
52، 69، 70، 80، 92، 107، 189، 191، 207	ابن عربي محيي الدين (ابن سُرّاقة)
197	ابن أبي عرجون عبد الله التلمساني
198، 115	ابن عرفة
111	عريف
203، 109	العريف أحمد بن محمد الصنهاجي
81	عزّ الدين بن عبد السلام
156	العزير بالله المعزّ
75، 48، 46	ابن عساكر هبة الله
110	عصام الخولاني

فهرس الأعلام البشرية

129	أبو عصفور
119	ابن أبي عصفور
60، 36	العطار عبد الملك
195، 193	ابن العطار محمد بن أحمد الأموي
78	أبو عقال غلبون
96، 26، 20	عقبة بن نافع
55	ابن أبي عقبة هبة الله
197	العكي محمد بن داود
147، 141	ابن علكدة أحمد بن عبادة
162، 103	علي إقبال بن مجاهد العامري
176، 61	علي التميمي
47	أبو علي الدقاق
179، 108، 59	أبو علي الصديقي
79	أبو علي الكاتب
155، 153، 147	علي بن أبي طالب رضي الله عنه
36	علي بن البوقي
220	علي بن الحسن
149، 107، 106، 76، 65	علي بن حرزهم
160	أبو علي بن خلدون
229، 113، 90، 87، 72، 56، 53	علي بن زياد التونسي
105	علي بن عبد العزيز البسطي الأندلسي
106	علي بن محمد الحاتمي
107	علي بن محمد الخزرجي الفاسي
234، 107	علي بن محمد بن القطان الفاسي
234	علي بن يوسف الحكيم

فهرس الأعلام البشرية

144، 148، 149، 178، 205، 208، 215، 228، 234	علي بن يوسف بن تاشفين
42	ابن علية
189	العماد عبد الحليم المغربي
110	أبو عمر الصقلي
224، 226	عمر بن الخطاب رضي الله عنه
21	عمر بن عبد العزيز
69	عمر بن عيسى الكتامي
108	أبو عمران الأشيري
60، 75، 76، 79، 88، 159، 162، 167، 170، 194، 203، 230	أبو عمران الفاسي
20، 29	عمرو بن العاص رضي الله عنه
100، 209	أبو عنان بن أبي الحسن
54	عون بن يوسف
13، 59، 62، 93، 99، 109، 115، 116، 117، 119، 122، 143، 149، 157، 158، 185، 197، 198، 199، 217، 232، 238	عياض القاضي
96	عيسى الصميلي
41، 59، 137، 193، 224	عيسى بن دينار
140	أبو العيش محمد بن إدريس بن عمر
حرف الغين	
186	ابن غالب أبو الحسن
125	ابن غرسية الشعوي
63، 65، 77، 88، 133، 149، 204	الغزالي محمد أبو حامد

فهرس الأعلام البشرية

238	الغساني محمد بن إبراهيم
164	أبو غفير
حرف الفاء	
234	الفار أبو بكر القلوسي
36	أبو الفتوح الصوفي
228	الفراء أبو عبد الله.
14	ابن فرحون المالكي أبو إسحاق
142، 104، 86، 85	ابن الفرضي
130، 118، 113، 112، 90، 72، 53، 151، 137	ابن فروخ عبد الله الفارسي
175	الفرياني أبو الحسن
175	الفرياني عمر بن حسن
121	ابن فثون
107	الفندلاوي محمد بن عبد الكريم
حرف القاف	
163، 158، 121، 86، 76، 75، 60، 59، 220، 202، 197، 193، 188	القابسي أبو الحسن
78	أبو القاسم المغربي
105	قاسم بن الحاج محمد الأموي
68	قاسم بن ثابت بن حزم
220	قاسم بن حامد الأموي
215	قاسم بن كهلان
68	قاسم بن محمد
28	القاضي إسماعيل
61	القالي البغدادي
157	القائم بن المهدي

115	القباب
239	أبو قراط
28	القرافي
173	قراقش
151	أبو قرّة المغيلي الصفري
134	ابن القسي أحمد بن الحسين
115	القشّالي القاضي الفاسي
33	القشيري بن هوزان
51 ، 49	القصاب محمد بن علي البغدادي
193	القضاعي أبو عبد الله
234	ابن القطان حسن بن علي بن محمد
121 ، 74	القلانسي إبراهيم بن عبد الله أبو إسحاق
139	ابن قلزم إبراهيم بن يزيد
239	القلعي عمر بن علي
205	القلفاط عبد الله بن إبراهيم المالقي
180 ، 140	القليعي أبو جعفر
121	ابن القمودي أبو بكر
89	القوطية عبد الملك بن سليمان الأموي.
131	القويّيع
حرف الكاف	
73	الكتاني صاحب الأزهار العاطرة
172	ابن كثير الدمشقي
54	ابن أبي كريمة
68	الكشوري
52	الكعي أبو القاسم المعتزلي
200	الكلبي سعيد بن إسحاق

فهرس الأعلام البشرية

215، 193، 112	ابن كنانة صاحب الإمام مالك
158	الكيزاني أبو محمد
حرف اللآم	
225، 114	ابن لبابة محمد بن عمر
68	اللباد محمد
56	ابن اللباد
233، 232	اللبلي محمد بن عبد الله الإشبيلي
15، 66، 88، 105، 193، 194، 197، 217، 216	اللخمي علي بن محمد أبو الحسن
105	اللخمي محمد بن عبد الله
105	اللّخمي محمد بن محمد
23، 22	لذريق
110	لقمان بن يوسف الغساني
76	اللؤلؤي
71، 58، 54، 44، 42	الليث بن سعد
224	ابن الليث
58، 67، 71، 73، 85، 90، 130، 139، 145، 192، 193، 236	الليثي يحيى بن يحيى
حرف الميم	
1، 23، 27، 29، 30، 31، 41، 44، 45، 46، 59، 67، 91، 96، 118، 132، 153، 157، 182، 187، 189، 191، 192، 199، 201، 214، 239، 240، 242	محمد صلى الله عليه وسلم
16، 33، 74	الماتريدي
15، 28، 61، 120، 133، 143، 149، 175، 190، 197، 203، 217، 232، 237	المازري أبو عبد الله

فهرس الأعلام البشرية

199	المازوني يحيى بن موسى المغيلي
179	ابن مالك الأندلسي الفقيه
100	مالك بن المرثّل
1، 2، 3، 13، 14، 28، 29، 38، 40، 41، 42، 43، 44، 45، 47، 53، 54، 56، 57، 58، 62، 63، 64، 69، 70، 71، 72، 73، 74، 77، 78، 79، 80، 81، 82، 83، 84، 85، 87، 89، 90، 94، 99، 100، 106، 112، 113، 114، 118، 121، 126، 129، 130، 136، 137، 138، 139، 140، 141، 142، 144، 146، 147، 151، 152، 153، 154، 155، 158، 161، 162، 163، 164، 168، 172، 176، 182، 185، 192، 193، 194، 198، 200، 201، 217، 225، 227، 229، 233، 234، 238، 240، 242	مالك بن أنس الأصبحي
144، 115	مالك بن وهيب الإشبيلي
88	الماهري أبو القاسم
103	مبشر بن سليمان
162، 147، 103، 47	مجاهد العامري
80	ابن محجوبة يحيى السطيفي
237، 71	أبو محرز الكناني
237	محرز بن خلف
143	محمد مشكان
92	محمد أبو بكر الأنصاري
92	محمد أبو جعفر الأنصاري

فهرس الأعلام البشرية

134	محمد الأصولي
216، 215	محمد الرعيني صاحب الأحباس
47	محمد الطبري العراقي
142	محمد القيسي القرطبي
147	محمد الناصر
205	محمد بن إبراهيم
181	محمد بن أبي بكر بن عاصم
78	محمد بن أبي حميد السوسي
239	محمد بن أحمد البجائي الأموي
189	محمد بن أحمد التلمساني
69	محمد بن أحمد الزناتي
78، 63	محمد بن أحمد السوسي
97	محمد بن أحمد بن تميم
142	محمد بن أحمد بن هرثة
106	محمد بن أغلب بن موسى المرسي
53	محمد بن الأشعث
138، 131، 116	محمد بن أغلب
139	محمد بن الحسن بن عبد العظيم
155	محمد بن الفتح
148	محمد بن حامد
139	محمد بن حسون
197	محمد بن حسون الفاسي
108، 88	محمد بن حماد الصنهاجي
98	محمد بن داود القاضي
207، 100	محمد بن رشيد الرحالة
155	محمد بن سارو بن مدرار

فهرس الأعلام البشرية

138 ، 119 ، 114 ، 59	محمد بن سحنون
237	محمد بن سعدون القيرواني
111 ، 82	محمد بن شجاع الصوفي
78	محمد بن طيب المصري
130 ، 101	محمد بن عبد الرحمن بن الحكم
113	محمد بن عبد الرحمن تلميذ أبو صالح
176	محمد بن عبد القوي
91	محمد بن عبد الكريم التميمي
99	محمد بن عبد الله الفهري القروي
35	محمد بن علي
202	محمد بن قاسم الأموي القرطبي
105	محمد بن قرقاش
122	محمد بن محبوب
69	محمد بن مردنيش
63	محمد بن مسروق
77	محمد بن مسلم الصقلي
208	محمد بن مسونة
59	محمد بن معاذ
47	محمد بن موسى بن عمران
57	محمد بن وردان
81 ، 68 ، 67	محمد بن وضاح
105	محمد بن يوسف الأنصاري
99	أبو محمد يشكر
179 ، 140	أبو محمد يعلى المصمودي
220	محيي بن عمر
157	مخلد بن كيداد الخارجي

فهرس الأعلام البشرية

أبو مدين شعيب	66، 67، 79، 80، 81، 89، 99، 107، 115، 190، 213
ابن مذحج أبو القاسم بن محمد الإشبيلي	61
ابن مذحج أبو الوليد بن محمد الإشبيلي	61
ابن مذحج أبوبكر محمد الإشبيلي	61
المرابطي عبد الله	103
مرتيل إبراهيم بن حسين	85
المرسى محمد	116
مروان البوني	108
مروان بن الحكم	20
مروان بن عبد الملك الطنجي	140
مروان بن نصرون	159
أبو مروان عبد الملك المصمودي	140، 179
المروزي أبو إسحاق	46، 60
مریم بنت محمد الفهري	99
المزوار محمد عبد الله بن قاسم	210
ابن مسرة أبو إبراهيم	68، 76، 80
ابن مشرف	77
المصحفي جعفر بن عثمان	146
مصعب بن محمد الخشني	106
المطجن	35
ابن أبي مطر	56
معاوية أبي سفيان رضي الله عنه	25
معاوية بن حديج	25
أبو معاوية الضير	78
معاوية بن صالح	73

فهرس الأعلام البشرية

20	معبد بن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنهما
131، 111	المعتضد بن عبّاد
215، 131	المعتمد بن عبّاد
163، 162، 161، 156، 134، 120	المعزّ بن باديس الصنهاجي
199	معقب بن رباح
69	المعلم أبو عبد الله
141	المعيطي عبد الله بن عبد الله
190	المغاور عبد الله المغربي
199، 130	ابن مقاتل العكي
9، 8	المقري
88	المقري أبو عبد الله بن أبي سفيان
174	مكرم المتعبّد
193	مكي بن أبي طالب
107	ابن الملجوم
123	ابن ملكا هبة الله
159	الممسي أبو الفضل
125	ابن منّ الله أبو الطيّب
30	أبو منصور
173	المنتصر أبو عبد الله محمّد أمير تونس
41	ابن المنكدر محمّد
66	منية بنت ميمون الدكالي
105	مهريّة بنت الحسن بن غلبون
81	ابن المهنّد طاهر بن محمد
193، 56	ابن المواز
234	المواق أبو بكر بن خلف

فهرس الأعلام البشرية

49	أبو موسى الأشعري رضي الله عنه
55	موسى القطان
220	موسى بن سليمان الأموي
137	موسى بن عبد الرحمن
78، 64، 55	موسى بن معاوية الصمادحي
25، 22	موسى بن نصير
124، 36	الموفق البغدادي
حرف النون	
144	الناصر الموحدى
97	الناصر بن علناس السلطان
67، 58، 41	نافع أبو عبد الله إمام القراءات
103	نافع بن رحيق
186، 91، 88، 80، 66، 57	ابن النحوي أبو الفضل يوسف بن محمد التوزرى
81	نقشبند محمد بهاء الدين
197	النكورى محمد بن منصور
99	ابن نموى الفاسى
109	النميرى أحمد بن فرج
79	النهرجورى
78، 34	النورى أحمد بن محمد
حرف الهاء	
52	هارتمان HARTMAN
78	أبو هارون الأندلسى
224، 137، 43	هارون الرشيد
219	هارون بن سالم
224	أبو هارون مولى إبراهيم بن الأغلب

فهرس الأعلام البشرية

163، 160	ابن الهذيل القيرواني
42	ابن هرمز
85، 84	المهروي عبد بن أحمد أبو ذر
177، 146	هشام بن الحكم المؤيد
145	هشام بن عبد الرحمن الداخل
63	هشام بن عمار الصوفي
199، 198	المهلاي هشام بن أحمد الغرناطي
حرف الواو	
203، 170، 166	واجاج بن زلو اللمطي
143	الوادآشي محمد الجروي الأنصاري
167	ابن وانودين مسعود الزناتي المغراوي
142	الوثائقي محمد بن حزب الله
197	الوجددي عبد الله بن سعيد
104	الوزاق عباس بن عمرو بن هارون الكناني
8	الوزاق محمد بن يوسف المؤرخ
199، 115	ابن ورد القاسم
197	ابن وردوش حسن الفاسي
90، 78، 64، 55	وكيع بن الجراح
204	ولاد محمد بن أبي بكر الأنصاري.
140	ابن الولي المغراوي
175	وليام
62، 76، 77، 84، 111، 112، 113، 114، 124، 131، 132، 138، 139، 187، 224، 238	أبو الوليد الباجي
28، 62، 95، 108، 114، 115، 178، 195، 196، 198، 216، 230، 231، 238	أبو الوليد بن رشد

فهرس الأعلام البشرية

23، 22	الوليد بن عبد الملك
222، 218، 197، 11	الونشريسى أبو العباس
71، 67، 59، 42، 28	ابن وهب
حرف الياء	
100	اليابوري أبو عبد الله
42	يحيى الأنصاري
146	يحيى بن إدريس
193	يحيى بن إسحاق
90	يحيى بن الجياني
44	يحيى بن سعيد القطان
89، 54	يحيى بن سلام
230، 224، 68	يحيى بن عمر الأندلسي
87	يحيى بن عمر الزاهد
167، 166	يحيى بن عمر اللمتوني
85	يحيى بن مزين
143	ابن يربوع أبو إسحاق
152، 151، 137، 97	يزيد بن حاتم المهلي
42	يزيد بن عبد الله الهادي
92	اليسع الجياني البنلنسي
205، 190، 107، 89، 80، 79، 66	أبو يعزى يلنور
208	يعقوب بن عبد الحق
123	يعقوب بن نسيم اليهودي
229، 173	يعقوب بن يوسف
23	يليان

فهرس الأعلام البشرية

140، 148، 167، 168، 172، 179، 180، 227، 228، 231	يوسف بن تاشفين السلطان
106	يوسف بن عبد العزيز بن عديس الأنصاري
148، 149، 173، 229، 238	يوسف بن عبد المؤمن أبو يعقوب
115	يوسف بن علي بن تاشفين السلطان
208، 209	يوسف بن يعقوب الموحدى
93	ابن يوسف

فهرس الأمم والشعوب والدول والأسر

حرف الألف	
164، 155، 140، 73، 10	الأدارة
171، 170، 152، 114، 26، 25	الأغالبه (آل الأغلب)
100	آل العزف
55	آل جعفر بن أبف طالب
142	آل خطاب
177، 162، 136، 20	الأمفون
19	الأندلفش
156، 155، 121، 117	أهل البف (آل البف)
227، 226، 148، 125	أهل الذمة
125	أهل الكتاب
حرف الباء	
20، 21، 22، 24، 26، 152، 153، 164، 165، 166، 172	البربر
170، 169، 165، 164	برغواطه
55	بنو إسرائيل
176	بنو توففن
175، 97	بنو حمّاد
134	بنو سلفم
197، 140	بنو سمجون
21	بنو مخزوم
107	بنو مزغنه
134	بنو هلال

فهرس الأمم والشعوب والدول والأسر

164، 10	بنو يفرن
164	بملوانة
164	بملولة
حرف الجيم	
166	جدالة
حرف الراء	
179، 178، 173، 172، 19	الروم
حرف الزاي	
168، 167، 164، 10	زناتة
حرف الشين	
145	الشاميون
حرف الصاد	
169، 166، 161	صنهاجة
حرف الطاء	
215، 196، 180، 177، 144، 143، 111	الطوائف
حرف العين	
170، 158، 152، 151، 74	العباسيون
8، 91، 117، 118، 119، 121، 155، 156، 157، 158، 159، 160، 161، 220، 226، 242	العبيديون
172، 151، 109، 97، 89، 54، 26، 23، 22، 20، 19	العرب
حرف الغين	
164	غياثة
حرف الفاء	
164	فازاز
175، 172، 170، 24، 6	الفرنجية (الإفرنج)
164	فندلاوة

فهرس الأمم والشعوب والدول والأسر

حرف القاف	
114	قريش
حرف الكاف	
156	كتامة
حرف اللام	
180 ، 168 ، 166	لمتونة
168	لمطة
حرف الميم	
164	مازار
167 ، 164	المجوس
164	مديونة
، 134 ، 133 ، 108 ، 101 ، 98 ، 18 ، 16 ، 15 ، 13 ، 10 ، 8 ، 148 ، 149 ، 155 ، 161 ، 167 ، 168 ، 196 ، 170 ، 196 ، 231 ، 215 ، 208	المرابطون
، 48 ، 45 ، 33 ، 32 ، 31 ، 27 ، 26 ، 25 ، 24 ، 22 ، 8 ، 6 ، 1 ، 49 ، 84 ، 86 ، 90 ، 96 ، 97 ، 98 ، 103 ، 105 ، 109 ، 116 ، 122 ، 123 ، 124 ، 125 ، 134 ، 149 ، 151 ، 153 ، 154 ، 158 ، 167 ، 171 ، 172 ، 173 ، 174 ، 177 ، 178 ، 179 ، 180 ، 181 ، 183 ، 186 ، 191 ، 199 ، 200 ، 206 ، 207 ، 208 ، 214 ، 215 ، 218 ، 223 ، 227 ، 228 ، 230 ، 235 ، 243 ، 242 ، 240 ، 239	المسلمون
58	مصمودة (المصامدة)
168 ، 10	مغراوة
97	المهالبة
، 149 ، 148 ، 137 ، 116 ، 108 ، 98 ، 16 ، 15 ، 13 ، 10 ، 173 ، 180 ، 210 ، 212 ، 231 ، 234	الموحدون

فهرس الأمم والشعوب والدول والأسر

حرف النون	
،174 ،171 ،154 ،146 ،126 ،125 ،124 ،123 ،25 ،6 243 ،196 ،181 ،176 ،175	النصارى
حرف الهاء	
168	هنزرجة
حرف الواو	
168	ورركة
حرف الراء	
،237 ،218 ،214 ،154 ،126 ،125 ،124 ،123 ،122 243	اليهود

فهرس الأعلام الجغرافية

حرف الألف	
19	أباريا
214	أُحد (غزوة)
152	أذربيجان
140	أرشقول
181	الأرك (موقعة)
152	أرمينية
138	أريولة
196 ، 177	الإسبان
238	آسفي
170 ، 92 ، 91 ، 59 ، 20 ، 18 ، 16	الإسكندرية
209 ، 20	آسيا
19	اشبانية
19 ، 18	أشبونة
61 ، 63 ، 67 ، 89 ، 91 ، 92 ، 101 ، 103 ، 105 ، 111 ، 144 ، 146 ، 197 ، 204 ، 211 ، 215 ، 229	إشبيلية
170 ، 169 ، 168 ، 167	أغمات
10 ، 18 ، 19 ، 20 ، 21 ، 22 ، 26 ، 54 ، 55 ، 56 ، 60 ، 61 ، 71 ، 73 ، 75 ، 76 ، 79 ، 86 ، 88 ، 97 ، 117 ، 119 ، 120 ، 121 ، 132 ، 134 ، 137 ، 138 ، 144 ، 152 ، 156 ، 158 ، 161 ، 162 ، 170 ، 171 ، 172 ، 173 ، 175 ، 176 ، 179 ، 188 ، 199 ، 209 ، 223 ، 230 ، 224	إفريقية

18	إقليم الشام
220	ألبرة
235 ، 228 ، 215 ، 103 ، 101	ألمرية
2 ، 3 ، 6 ، 8 ، 9 ، 11 ، 12 ، 14 ، 15 ، 16 ، 18 ، 19 ، 20 ، 22 ، 23 ، 24 ، 25 ، 26 ، 29 ، 58 ، 63 ، 68 ، 69 ، 71 ، 72 ، 73 ، 74 ، 76 ، 77 ، 81 ، 86 ، 90 ، 91 ، 93 ، 94 ، 95 ، 97 ، 98 ، 99 ، 100 ، 101 ، 102 ، 103 ، 104 ، 106 ، 108 ، 109 ، 112 ، 113 ، 115 ، 116 ، 122 ، 124 ، 125 ، 127 ، 136 ، 137 ، 138 ، 141 ، 142 ، 143 ، 144 ، 145 ، 146 ، 162 ، 166 ، 177 ، 178 ، 179 ، 180 ، 181 ، 193 ، 194 ، 195 ، 196 ، 198 ، 204 ، 208 ، 213 ، 214 ، 215 ، 216 ، 223 ، 224 ، 225 ، 228 ، 230 ، 231 ، 233 ، 236 ، 238 ، 239	الأندلس
حرف الباء	
160	باب أبي الربيع بالقيروان
160	باب تونس بالقيروان
138	باجة
237 ، 141	بجانة
213 ، 211 ، 206 ، 145 ، 108 ، 107 ، 97 ، 92 ، 67	بجاية
19	بجر الأنقلشيين
24 ، 19	البحر المتوسط الشامي
19	البحر المظلم
175	برشك
177	برشلونة

137، 20	برقة
237، 212، 105	بسطة
28	البصرة
179، 103، 101	بظليوس
238، 96، 81، 78، 62، 50، 46، 29	بغداد
177، 19	بلاد الإفرنج
174	بلاد الروم
18	بلاد الزاب
170، 167، 166، 161، 22، 18	بلاد السوس
164	بلاد فازاز
238، 144، 142، 103، 101	بلنسية
96	بيت المقدس
حرف التاء	
164	تادلا
169، 164، 18	تامسنا
213، 186، 164، 123، 107، 98، 67، 66، 60	تلمسان
175	تنس
،176، 174، 173، 135، 134، 97، 60، 56، 53	تونس
227	
118، 18	تيهت
حرف الجيم	
99	جامع الأندلس
97	جامع الزيتونة
100	الجامع العتيق بسبته
208، 207، 99	جامع القرويين

213	جامع الكتبيين
18	جبال ءاوتان
18	جبال برقة
152، 117	جبال نفوسة
19	جبل أطرجنش
19، 18	جبل الشارات
19	جبل الصوف
211	جبل إيجليز
18	جبل درن
19	جبل طرنجس
94، 95، 103، 110، 111، 141، 142، 162، 212، 177	الجزائر الشرقية
15، 2	الجزائر المدينة
175، 172	جزيرة جربة
26، 24	جزيرة سردانية
200	جزيرة شريك
104	جزيرة شقر
18، 25، 172، 180	جزيرة طريفة (الجزيرة الخضراء)
175	جزيرة قرقنة
26	جزيرة قوصرة
24، 104، 242	جزيرة يابسة
175	جيغل
حرف الحاء	
43، 76، 113	الحجاز
180	حصن أليط برشلونة

25	حصن غليانة بصقلية
177	حصن ممقصر بالأندلس
حرف الخاء	
133	خرسان
حرف الدال	
147، 141، 101	دانية
168، 167	درعة
96، 92، 62	دمشق
حرف الراء	
213	رابطة ابن بيكى ببجاية
67، 66	رابطة العباد بتلمسان
213	رابطة تلمسان
100	رباط الفتح بسلا
158	رباط القيروان
179	رباط بطليوس
170	رباط سوسة
172، 167	رباط عبد الله بن ياسين
212، 149	رباط ملالة
170	رباط هرثمة بن أعين بإفريقية
158	رقادة
220	رية
حرف الزاي	
215	الزاوية (قرية خارج غرناطة)
213	زاوية أبي العباس السبتي
100	زاوية أبي زكريا الحاجي بسلا

209	زاوية أبي عنان بسبته
100	زاوية السلطان أبي الحسن المريني
100	الزاوية الكبرى بسبته
100	زاوية التّسّاك بسلا
181، 179	الزلاقة (موقعة)
100	زاوية الياهوري بسلا
حرف السين	
142	سالم مدينة بالأندلس
12، 18، 91، 99، 116، 143، 144، 168، 172، 197، 198، 209، 213، 217، 218، 233	سبته
88، 123، 155، 167، 168، 170	سجلماسة
26، 101، 144، 171، 179	سرقسطة (سرقوسة)
18، 100، 149	سلا
152	السند
167	السودان
78، 158، 160، 173، 200، 202، 213، 220	سوسة
215	سيتانة
حرف الشين	
164	شالة
29، 63، 64، 65، 73، 97، 226	الشام
165	شدونة
175	شرشال
حرف الصاد	
173، 175	صفاقس

،114 ،110 ،94 ،93 ،91 ،77 ،61 ،26 ،25 ،24 175 ،171 ،139 ،126	صقلية
20	الصين
حرف الطاء	
،160 ،152 ،137 ،117 ،79 ،53 ،20 ،18 ،15 236 ،211 ،210 ،207 ،201 ،175 ،173 ،172	طرابلس الغرب (اطرابلس)
64	طرسوس
،126 ،125 ،105 ،103 ،69 ،68 ،67 ،59 ،53 215 ،178 ،146 ،137	طليطلة
143 ،22 ،18	طنجة
حرف العين	
،112 ،88 ،81 ،76 ،75 ،71 ،62 ،54 ،49 ،47 126	العراق
حرف الغين	
،27 ،18 ،15 ،14 ،12 ،11 ،8 ،6 ،4 ،3 ،2 ،1 ،96 ،95 ،92 ،84 ،82 ،74 ،71 ،53 ،45 ،40 ،185 ،129 ،127 ،118 ،112 ،108 ،104 ،103 ،240 ،234 ،231 ،221 ،219 ،218 ،206 ،191 243 ،242	الغرب الإسلامي
،143 ،141 ،140 ،139 ،116 ،102 ،101 ،91 ،9 238 ،219 ،215 ،180 ،144	غرناطة
حرف الفاء	
،98 ،94 ،91 ،88 ،78 ،77 ،72 ،65 ،60 ،15 ،10 ،197 ،167 ،146 ،123 ،107 ،106 ،105 ،99 234 ،215 ،210 ،207	فاس

حرف القاف	
213، 175، 143	قابس
8، 57، 59، 61، 67، 68، 69، 73، 81، 89، 91، 95، 100، 101، 102، 103، 109، 137، 141، 142، 144، 146، 147، 207، 215، 225، 229، 237، 238، 239	قرطبة
200	قصر الطوب بسوسة
174، 160	قصر المرابطين بالمنستير
69	قصر كتامة بالأندلس
25	قصر يانة بصقلية
164	قلع غياثة
107	القلعة
107، 88، 66، 57	قلعة بني حمّاد بالمغرب الأوسط
18، 20، 53، 54، 56، 57، 59، 60، 64، 72، 75، 90، 96، 97، 104، 113، 114، 116، 118، 119، 121، 123، 130، 137، 140، 141، 144، 151، 152، 156، 157، 158، 159، 160، 161، 162، 166، 167، 173، 174، 194، 201، 203، 207، 226، 236، 237، 238	القيروان
238	قيسارية آسفي
204	قيسارية مالقة
حرف الكاف	
169	كريفة

حرف اللّام	
103	لورقة
72	ليبيا
حرف الميم	
161، 18	ماسة
172، 26	مالطة
208، 204، 203، 139، 138، 102، 14	مالقة
23	المائدة
110	مدرسة ابن الصيرفي بالجزائر الشرقية
124	مدرسة ابن الطلاع بقرطبة
213	مدرسة أبي العباس السبتي
209	المدرسة الجديدة بسبته
210	مدرسة الحقاظ
210	مدرسة الحلفائين (الصفارين) بفاس
209	مدرسة الشيخ الشاري بسبته
100	المدرسة العجيبة بسلا
210	مدرسة العطارين بفاس
100	المدرسة العظمى بسلا
100	مدرسة المسجد الأعظم بسلا
210	مدرسة المّلاحة
210، 207	المدرسة المنتصية بطرابلس الغرب
100	مدرسة المهديّة

98	المدرسة النظامية بفاس
20، 29، 43، 44، 45، 57، 68، 71، 73، 74، 96، 213، 214، 155	المدينة المنورة
13، 66، 145، 149، 173، 178، 180، 205، 239، 234، 228، 208	مراكش
142، 101، 69	مُرسية
226، 152، 151، 138، 97	المسجد الجامع الأعظم بالقيروان
164، 98	المسجد الجامع بتلمسان
101	المسجد الجامع بغرناطة
228	المسجد الجامع بمراكش
98	مسجد الشرفاء بفاس
236، 201	مسجد الشَّعَاب بطرابلس الغرب
208	مسجد المذحجي بمالقة
214، 44، 41	المسجد النبوي الشريف
99	مسجد زُقاق الماء بفاس
207، 200	مسجد سوسة
99	مسجد طريانة بفاس
214	مسجد قُباء
207	مسجد قرطبة الجامع
8، 14، 18، 40، 53، 64، 65، 72، 76، 77، 78، 79، 81، 89، 90، 91، 92، 93، 95، 104، 127، 132، 139، 142، 147، 164، 165، 204، 211، 243، 214	المشرق

18، 29، 53، 54، 58، 71، 73، 76، 90، 91، 92، 97، 104، 116، 144، 152، 156، 161، 188، 237، 226	مصر
2، 3، 6، 8، 9، 10، 12، 13، 14، 15، 16، 18، 19، 20، 22، 53، 60، 64، 71، 72، 73، 74، 75، 76، 78، 79، 80، 81، 86، 87، 89، 91، 92، 93، 94، 95، 96، 97، 98، 107، 109، 112، 115، 116، 127، 129، 130، 133، 134، 144، 146، 147، 149، 152، 153، 155، 156، 161، 164، 165، 167، 168، 170، 173، 179، 180، 188، 194، 195، 197، 198، 205، 209، 211، 212، 213، 215، 228، 231، 233، 238	المغرب
10، 73، 122، 140، 155، 161، 166، 170، 209، 213، 238	المغرب الأقصى
15، 79، 97، 98، 107، 108، 117، 213	المغرب الأوسط
29، 58، 90، 134، 141	مكة المكرمة
66	مكناس
64، 88، 160، 174، 213، 217	الْمُنَسْتِير
24، 142	منورقة (منرقة)
121، 157، 171، 172، 173، 175، 179	المهدية
24، 25، 26، 103، 104، 110، 111، 114، 116، 142	ميورقة
حرف النون	
203	نفيس
49	نھاوند

18	نهر النيل
53	نيسابور
حرف الهاء	
209، 20	الهند
حرف الواو	
20	وادي القبروان
165	وادي بَرَباط بالأندلس
23	وادي لكَة بالأندلس
107	وَرَكلا
107	وهران

فهرس الكتب الواردة في المتن

حرف الألف	
48	الإبانة عن أصول الديانة للأشعري
62	الأبنية وأخبار الفقهاء لمحمد بن مذجج
44	إجماع أهل المدينة للإمام مالك
231	إجماعات عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي
199	أجوبة أبي الحسن الصغير
9	الإحاطة في أخبار غرناطة لابن الخطيب
60	أحكام الديانة والمنقذ في شبه التأويل لأبي الحسن القابسي
232	أحكام الزكاة لمحمد بن عبد الله اللبلي الإشيلي
230	أحكام السوق ليحيى بن عمر الأندلسي
62	إحكام الفصول في أحكام الأصول لأبي الوليد الباجي
63	إحياء علوم الدين لمحمد أبي حامد الغزالي
114	اختصار أجوبة القاضي أبو الوليد بن رشد لإبراهيم الربعي التونسي
198	اختصار الأخبار للأنصاري
121	اختصار كتاب الكشاف لمحمد العابدي الأنصاري
231	آداب الحسبة لمحمد بن أبي محمد السقطي المالقي
230	آداب الحسبة والمحتسب لأحمد بن عبد الله بن عبد الرؤوف القرطبي
51	أدب المفتقر إلى الله للجنيد
73	الأزهار العاطرة للكتاني
61	الأستظهار في الرد على الفكرية لابن أبي زيد القيرواني
190	الاستقامة للنجاة يوم القيامة لأحمد الحرالي الأندلسي
54	الأسدية لأسد بن الفرات

فهرس الكتب الواردة في المتن

105	الإشارة في قراءة الأئمة السبعة المختارة
231	الإشراف لعبد الله بن محمد بن عبد البرّ النمري القرطبي
190	إصلاح العمل لانقضاء الأجل لأحمد الحرالي الأندلسي
239	أطيب الطيب لأبي العباس التلمساني
60	الإعتقادات للقباسي
199	إعتماد الأحكام في مسائل الأحكام لحسن بن زكون
77	أعزّ ما يطلب لمحمد بن تومرت
198	الإعلام بالمحاضر والأحكام لابن دبوس الزناتي اليفرنبي
198 ، 195 ، 193 ، 11	الإعلام بنوازل الأحكام لأبي الأصبع بن سهل
14	أعلام مالقة لابن عساكر
106	آفاق الشموس وأعلاق النفوس لأحمد بن عبد الصمد الأنصاري الخزرجي
237 ، 123	افحام اليهود للسموأل بن يحيى المغربي
109	اقتباس الأنوار والتماس الأزهار لعبد الله اللخمي
57	الإقتداء بأهل المدينة لابن أبي زيد القيرواني
117	الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع للقاضي عياض
121	الإمامة والردّ على الرافضة للقلانسي
188	أنس المرید لابن زمنين
108	أنوار الفجر لأبي بكر بن العربي
10	الأنيس المطرب لابن أبي زرع الفاسي
193	الإيجاز في الناسخ والمنسوخ لمكي بن أبي طالب
105	الإيماء في مذاهب السبعة القراء لمحمد بن عبد الله اللّحمي
حرف الباء	
187	برّ الوالدين للطرطوشي
107	برنامج ابن الملجوم
8	البيان المغرب لابن عذارى المراكشي

فهرس الكتب الواردة في المتن

107	البيان في تنقيح البرهان لابن الحصار
62	البيان والتحصيل لأبي الوليد بن رشد
حرف التاء	
142	تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس لابن الفرضي
44	التاريخ الكبير لأبي بكر الخطيب
178	التاريخ الكبير لأبي مروان بن حيان
193	التبصرة لأبي الحسن اللخمي
48	تبين كذب المفتري لابن عساكر
105	تبيين المعاني
70	تحفة السفارة إلى حضرة البردة لمحبي الدين بن عربي
114	تحقيق المذهب لأبي الوليد الباجي
92	ترتيب الرحلة للترغيب في الملة لأبي بكر بن العربي
109 ، 13	ترتيب المدارك للقاضي عياض اليعصبي السبتي
62	التسديد إلى معرفة التوحيد لأبي الوليد الباجي
13	التشوّف إلى رجال التصوّف لابن الزيات
70	تفسير الشيخ الأكبر لمحبي الدين بن عربي
48	تفسير المختزن للأشعري
58	تفسير الموطأ لعبد الملك بن حبيب
48 ، 43	تفسير غريب القرآن للإمام مالك
193	التقريب لخلف مولى ابن بهلول
234	التقريب والتسيير لإفادة المبتدئين لابن الجياب
193	التلقين للقاضي عبد الوهاب
106	التمهيد لما في الموطأ من معاني وأسانيد لابن عبد البر القرطبي
106	التوطئة في اللغة العربية لعبد الجليل التدمري
حرف الثاء	
57	الثقة بالله والتوكّل عليه لابن أبي زيد القيرواني

فهرس الكتب الواردة في المتن

233	ثلاث رسائل في الحسبة لأحمد بن عبدون
حرف الجيم	
193	الجامع الصحيح لأبي عيسى الترمذي
239، 193، 88، 86، 60	الجامع الصحيح لمحمد بن إسماعيل البخاري
107	الجمال والتفصيل في معاني التنزيل لعلي بن محمد الحاتمي
181	جنة الرضى في التسليم لما قدر الله وقضى لمحمد بن أبي بكر بن عاصم
حرف الحاء	
196	الحاوي لابن عبد النور
189	حجة الحفاظين ومحجة الواعظين لمحمد بن أحمد التلمساني
43	حساب مدار الزمن ومنازل القمر للإمام مالك
12	حقيقة الدينار والدرهم والمد للعزفي
188	حياة القلوب لابن زنين
حرف الخاء	
229	خير من زنتة لعلي بن زياد التونسي
حرف الدال	
199	الدرر المكنونة في نوازل مازونة ليحيى بن موسى المغيلي
51	دواء التفريط للجنيد
234	الدوحة المشتبكة في ظوابط دار السكة لعلي بن يوسف الحكيم
14	الديباج المذهب لابن فرحون المالكي
حرف الذال	
57	الذب عن مذهب مالك لابن أبي زيد القيرواني
239	ذخيرة الألباب في التأليف عن الأشباه لأبي قراط
234	ذكر مقدار النصاب الذي تجب فيه الزكاة من الذهب والفضة لعبد الواحد بن محمد الباهلي الغافقي

فهرس الكتب الواردة في المتن

121	ذمُّ بني عبيد لأبي عبد الله بن سعدون
حرف الراء	
60	رتبة العلم وفضله للقابسي
239	رجز في الطبِّ لمحمد بن أحمد البجائي الأموي
114	الردّ على ابن حزم لإبراهيم الربيعي التونسي
60	الردّ على البكرية للقابسي
121	الردّ على الشكوكية لمحمد البجلي
121	الردّ على الشيعة لإبراهيم عبد الله القلانسي
61	الردّ على القدرية لابن أبي زيد القيرواني
60	الردّ على القدرية لأحمد بن نصر الداودي
61	رسالة في أصول التوحيد لابن أبي زيد القيرواني
43	رسالة في الآداب والمواعظ للإمام مالك
43	رسالة في الأقضية للإمام مالك
125	رسالة في الردّ على ابن غرسية الشعوبي لأبي الطيّب بن منّ الله
43	رسالة في الردّ على القدرية للإمام مالك
124	رسالة في الردّ على اليهود لموفق الدّين البغدادي
43	رسالة في الفتوى للإمام مالك
57	الرسالة لابن أبي زيد القيرواني
10	الروض المعطار للحميري
حرف السين	
70	سرّ أسماء الله الحسنى لمحبي الدين بن عربي
187، 147	سراج الملوك للطرطوشي
189، 63	سراج المهتدين لأبي بكر بن العربي
193	سنن أبي داود
234	السنن الكبرى للإمام البيهقي

فهرس الكتب الواردة في المتن

44	السيرة للإمام مالك
حرف الشين	
60	شرح البخاري لأحمد بن نصر الداودي
61	شرح البرهان للإمام المازري
239	شرح الفصول لأبي قراط
62	شرح الموطأ لأبي الوليد الباجي
190	شرح الموطأ لأحمد الحرالي الأندلسي
60	شرح الموطأ لأحمد بن نصر الداودي
61	شرح كتاب مسلم للإمام المازري
239	شرح كتاب مقدّمة المعرفة لعمر بن علي القلعي
100	شرح مقصورة حازم للشريف السبتي
190	الشفاء لأحمد الحرالي الأندلسي
239	الشفاء في الطبّ المسند عن المصطفى صلى الله عليه وسلّم لأحمد بن يوسف التيفاشي القسنطيني
99	الشفاء للقاضي عيّاض
105	الشمس المنيرة في القراءات السبعة الشهيرة
193	الشهاب لأبي عبد الله القضاءي
حرف الصاد	
234، 193، 88، 86، 60	صحيح البخاري لمحمّد بن إسماعيل البخاري
239	صدوق العيون في تنقيح القانون لعمر بن علي القلعي
109	الصلة لابن بشكوال
حرف الطاء	
239	الطبّ المسنون في دفع الطاعون لأبي العباس التلمساني
62	طبقات النحويين واللغويين لمحمّد بن مذجح

فهرس الكتب الواردة في المتن

حرف العين	
192	العتبية لمحمد العتبي
190	العروة لأحمد الحرالي الأندلسي
78	العقيدة البرهانية للسلاجي
حرف الفاء	
230	فتاوى ابن أبي زيد
231	فتاوى ابن رشد الجد
196	فتاوى المازري
194	فتاوى أبي عمران الفاسي
187	الفتن للطرطوشي
70	الفتوحات المدنية لمحيي الدين بن عربي
70	الفتوحات المكية لمحيي الدين بن عربي
234	فتوى أبي محمد عبد الحق بن عطية
48	الفصول في الردّ على الملحدّين للأشعري
58	فضل الصحابة لعبد الملك بن حبيب
51	الفناء للجنيد
62	فهرسة أبو الوليد بن رشد
حرف القاف	
92	قانون التأويل لأبي بكر بن العربي
109	قصص الأنبياء وسياسة الرؤساء لأبي زكرياء الغرناطي
100	القلم الأعلا لعبد المهيمن الحضرمي
63	القواصم والعواصم لأبي بكر بن العربي
حرف الكاف	
193	كتاب أبي إسحاق التونسي
193	كتاب أبي عبد الله التستري
230	كتاب الأموال لأحمد بن نصر بن جعفر الداودي

فهرس الكتب الواردة في المتن

48	كتاب اللّمع لأبي الحسن الأشعري
63	كتاب المتكلمين لأبي بكر بن العربي
43	كتاب النجوم للإمام مالك
220	الكتب السلیمانية لسليمان بن سالم القطان
48	كشف الأسرار وهتك الأستار لأبي الحسن الأشعري
60	كشف المقالة في التوحيد للقباسي
حرف اللّام	
62	لحن العامة لمحمد بن مذحج
239	لطائف الأنوار لعمر بن علي القلعي
107	اللمعة في ذكر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وأولاده السبعة لأبي عبد الله التميمي
حرف الميم	
114	مايجب على المتناظرين من الأدب لأبي الوليد الباجي
193	المبسوطة ليحيى بن إسحاق
189	مجالس الأذكار وعرائس الأفكار ليحيى بن محمد بن طفيل
109	المحاسن والفضائل في معرفة العلماء الأفاضل لابن بشكوال
193	مختصر ابن الحكم
107	مختصر السير والمغازي لعبد الرحمن بن محمد الصقر الأنصاري
193	المختصر لابن أبي زيد القيرواني
193	المدنية لعبد الرحمن بن دينار
،55 ،57 ،88 ،116 ، 192 ،195 ،217	المدونة للإمام سحنون
232	مذاهب الحكام للقاضي عياض وولده محمد
77	المرشدة لمحمد بن تومرت
63	المسالك في شرح موطأ مالك لأبي بكر بن العربي
193	مسائل القاضي أبو بكر بن زرب

فهرس الكتب الواردة في المتن



192	المستخرجة لمحمد العتي
193	مُشكَلُ الآثار لأبي جعفر الطحاوي
193	المصنف لابن أبي شيبة
106	المطالع على الصحيح لأحمد بن إبراهيم الأنصاري
9	معالم الإيمان للدباغ
124	المعتبر في الحكمة لهبة الله بن ملكا
60	المعلمين للقاسي
193	المعونة للقاضي عبد الوهاب
11، 12، 197، 199، 218	المعيار المُعرب للونشريسي
150	معين الحُكّام لابراهيم بن حسن الربعي التونسي
92	المُعرب في أخبار محاسن أهل المغرب لليسع الجياني
10	المُعرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب للبكري
193	المغرب لمحمد أبي عبد الله بن أبي زنين
106	المفهم على صحيح مسلم لأحمد بن إبراهيم الأنصاري
48	مقالات الاسلاميين للأشعري
234	مقالات وتنبهات في المكايل والأوزان لأبي بكر بن خلف المواق
234	مقالة في الأوزان لحسن بن علي محمد القطان
234	مقالة في الأوزان لعلي بن محمد بن القطان الفاسي
234	مقالة في المكايل الشرعية لابن البناء المراكشي
126	مقام المدرك في افحام المشرك للخزرجي
106، 125، 126	مقامع الصلبان ومرتع أهل الإيمان لأحمد بن عبد الصمد الأنصاري الخزرجي
108	المقدّمات لمحمد بن رشد الجد

فهرس الكتب الواردة في المتن



58	مكارم الأخلاق لعبد الملك بن حبيب
60	الملخص في الموطأ للقاسي
60	المهّد في الفقه لأبي الحسن القاسي
120 ، 61	مناقضة رسالة البغدادى المعتزلى لابن أبى زيد القيروانى
193	المنتخبه لمحمد بن لبابة
62	المنتقى لأبي الوليد الباجي
57	المنفرجة لابن النحوي التوزري
113	المنهاج في ترتيب الحجاج لأبي الوليد الباجي
193	الموازية لابن المواز
188	المواعظ المنظومة في الزهد لابن زمنين
،58 ،53،54 ،43،29 ،73 ،72 ،71 ،60 ،143 ،106 ،86،87 ،234 ،195 ،190	الموطأ للإمام مالك بن أنس
139	المونس لمحمد بن حسون
51	الميثاق للجنيد
حرف النون	
109	نزهة المشتاق للإدرسي
188	النصائح المنظومة لابن زمنين
61	نظر الفرائد في علم العقائد للإمام المازري
239	نظم الادوية المفردة لأبي قراط
190	نظم في التصوّف ليحيى بن محمد بن طفيل
8	نفع الطيب للمقري
70	نفحات الأنس لعبد الرحمن الجامي
105	نفس الصباح في غريب القرآن وناسخه ومنسوخه لأحمد بن عبد الصمد الأنصاري الخزرجي

فهرس الكتب الواردة في المتن

120	النقط القطعية في الردّ على الحشوية للمازري
234	النكت العلمية في مشاكل الغوامض الوزنية للقللوسي "الفار"
193، 57	النوادر والزيادات لابن أبي زيد القيرواني
196	نوازل ابن الحاج
196	نوازل ابن رشد
199	نوازل ابن ورد
199	نوازل أبي إسحاق إبراهيم بن هلال الصنهاجي
199	نوازل أبي الفضل بن طركاك
198	نوازل أبي المطرف عبد الرحمن بن قاسم الشعبي
199	نوازل أحمد بن سعيد بن بشتاغير اللخمي اللورقي
198	نوازل البرزلي
198، 197	نوازل القاضي عياض
198	نوازل هشام بن أحمد الهلالي الغرناطي
حرف الهاء	
62	هتك سُتور الملحدين لمحمد بن مذحج
حرف الواو	
120	الواضح للمازري
193، 58	الواضحة في الفقه والسنن لعبد الملك بن حبيب
193	وثائق ابن العطار
193	وثائق الباجي
231	وثائق المرابطين والموحدّين لعبد الواحد المراكشي
60	الورع للقابسي



قائمة المصادر
والمراجع



أ- القرآن الكريم برواية ورش.

ب- كتب الحديث:

1- البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة (ت 256هـ/870م) - الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور النبي صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه - تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر - دار طوق النجاة - بيروت - ط 1 - 1422هـ.

2- مالك بن أنس أبو عبد الله الأصحبي (ت 179هـ/795م) - موطأ الإمام مالك - مؤسسة الأهرام - القاهرة - 1998م.

ج- المصادر:

1- ابن أبي دينار الرعيني محمد بن أبي القاسم القيرواني (ت 1110هـ/1698م) - المؤنس في أخبار إفريقية وتونس - مطبعة الدولة التونسية - تونس - ط 1 - 1286هـ.

2- ابن أبي زرع الفاسي أبو الحسن علي بن عبد الله (كان بقيد الحياة في النصف الأول من القرن 8هـ/14م) - الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار المغرب وتاريخ مدينة فاس - صور للطباعة والوراقة - الرباط - 1972م.

3- ابن أبي زيد أبو محمد عبد الله القيرواني (ت 386هـ/996م) - كتاب الجامع - تحقيق محمد أبو الاجفان وعثمان بطيخ - مؤسسة الرسالة - بيروت - المكتبة العتيقة - تونس - ط 3 - 1403هـ/1983م.

4- ابن أبي زيد أبو محمد عبد الله القيرواني (ت 386هـ/996م) - فتاوى الامام بن أبي زيد القيرواني - جمع و تحقيق حميد بن محمد لحمير - دار اللطائف - القاهرة - ط 1 - 2012م.

5- ابن الأثير أبو الحسن علي بن محمد (ت 630هـ/1233م) - الكامل في التاريخ - راجعه وصححه محمد يوسف الدقاق - دار الكتب العلمية - بيروت - ط 4 - 1424هـ/2002م.

6- الإدريسي أبو عبد الله محمد (توفي حوالي سنة 558هـ/1163م) - نزهة المشتاق في اختراق الآفاق - مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة - 1433هـ/2002م.

- 7- الأدفوي أبو الفضل كمال الدين جعفر بن ثعلب المصري (ت 748هـ/1376م) - الموفى
بمعرفة التصوّف والصوفي - تحقيق: محمّد عيسى صالحية - الكويت - مكتبة دار العروبة للنشر
والتوزيع - 1408هـ/1977م.
- 8- الأشعري أبو الحسن علي بن اسماعيل (ت 324هـ/935م) - الإبانة عن أصول الديانة -
تحقيق بشير محمّد عيون - مكتبة دار البيان - دمشق - مكتبة المؤيد - الطائف - ط 3 -
1411هـ/1990م.
- 9- الأشعري أبو الحسن علي بن اسماعيل (ت 324هـ/935م) - مقالات الاسلاميين واختلاف
المصلّين - تصحيح هلموت ريتز - دار فارنز شتايز - قيسبادن - ط 3 - 1400هـ/1980م.
- 10- الأنصاري محمد بن القاسم السبتي (كان بقيد الحياة سنة 825هـ/1422م) - اختصار
الأخبار عمّا كان بثغر سبته من سني الأخبار - تحقيق عبد الوهاب بن منصور - وزارة الثقافة
والتعليم - الرباط - ط 2 - 1403هـ/1983م.
- 11- الأيجي عبد الرحمن بن أحمد (ت 750هـ/1349م) - المواقف في علم الكلام - عالم
الكتب - بيروت - د.ت.
- 12- البرزلي أبو القاسم بن أحمد البلوي التونسي (ت 844هـ/1440م) - جامع مسائل
الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتيين والحكّام - تحقيق محمد الحبيب الهيلة - دار الغرب الاسلامي -
بيروت - ط 1 - 2002م.
- 13- ابن بشكوال أبو القاسم خلف بن عبد الملك - (ت 578هـ/1183م) - الصلة - تحقيق
إبراهيم الإبياري - دار الكتاب المصري - القاهرة - دار الكتاب اللبناني - بيروت - ط 1 -
1410هـ/1989م.
- 14- البغدادي عبد القاهر بن طاهر بن محمّد (ت 469هـ/1076م) - الفرق بين الفرق -
تحقيق محمّد محيي الدين عبد الحميد - المكتبة العصرية - صيدا - بيروت - 1416هـ/1995م.

- 15- البكري أبو عبيد (ت 487هـ/1094م) - المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب - دار الكتاب الإسلامي - القاهرة - د.ت.
- 16- البلاذري أحمد بن يحيى بن جابر (ت 279هـ/892م) - البلدان وفتوحها وأحكامها - تحقيق سهيل زكار - دار الفكر - بيروت - ط 1 - 1412هـ/1992م.
- 17- التادلي الزيات أبو يعقوب يوسف بن يحيى (ت 627هـ/1229م) - التشوف إلى رجال التصوف - تحقيق أحمد التوفيق - كلية الآداب - الرباط - ط 2 - 1997م.
- 18- التفتزاني سعد الدين (ت 791هـ/1388م) - شرح العقائد النسفية - تحقيق أحمد حجازي السقا - مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة - ط 1 - 1407هـ/1987م.
- 19- التبتكي أحمد بابا (ت 1036هـ/1627م) - نيل الابتهاج بتطريز الديباج - تقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة - كلية الدعوة الإسلامية - طرابلس الغرب - ط 1 - 1989م.
- 20- الجزنائي أبو الحسن عليّ (كان بقاء الحياة سنة 766هـ/1365م) - جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس - تحقيق عبد الوهاب منصور - المطبعة الملكية - الرباط - ط 2 - 1411هـ/1991م.
- 21- الجنيد أبو القاسم بن محمد (ت 297هـ/909م) - رسائل الجنيد - تحقيق علي حسن عبد القادر وبرعي وجداي - القاهرة - 1409هـ/1988م.
- 22- ابن حبان محمد أبي حاتم بن أحمد البُستي (ت 354هـ/965م) - مشاهير علماء الأمصار - تعليق مجدي بن منصور سيد الشورى - دار الكتب العلمية - بيروت - ط 1 - 1416هـ/1995م.
- 23- الحميدي أبو عبد الله محمد بن أبي نصر (ت 488هـ/1095م) - جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس - الدار المصرية للتأليف والترجمة - مطابع سجل العرب - القاهرة - 1966م.
- 24- الحميري أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم - صفة جزيرة الأندلس - تعليق إ. لافي بروفنصال - دار الجيل - بيروت - ط 2 - 1408هـ/1988م.

- 25- الحميري عبد المنعم محمّد - الروض المعطار في خبر الأقطار - تحقيق إحسان عباس - مكتبة لبنان - بيروت - ط 1 - 1975.
- 26- الخزرجي أحمد بن عبد الصمد (ت 519هـ/1125م) - مقامع الصلبان - تحقيق عبد المجيد الشربيني - مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية - الجامعة التونسية - 1975م.
- 27- الخشني أبو عبد الله محمّد بن حارث (ت 361هـ/971م) - طبقات علماء إفريقية - تحقيق محمد زينهم محمد عزب - مكتبة مدبولي - القاهرة - ط 1 - 1413هـ/1993م.
- 28- الخشني أبو عبد الله محمّد بن حارث (ت 361هـ/971م) - قضاة قرطبة وعلماء إفريقية - تصحيح السيّد عزّت العطار الحسيني - مكتبة الخانجي - القاهرة - ط 2 - 1415هـ/1994م.
- 29- الخشني أبو عبد الله محمّد بن حارث (ت 361هـ/971م) - أخبار الفقهاء والمحدثين - تحقيق ماريا لويسا آبيلا ولويس مولينا - المجلس الأعلى للأبحاث العلمية - معهد التعاون مع العالم العربي - مدريد - 1991م.
- 30- ابن الخطيب محمّد لسان الدّين (ت 776هـ/1374م) - أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الإحتلام من ملوك الإسلام - تحقيق إلفي بروفنسال - دار المكشوف - بيروت - ط 2 - 1956م.
- 31- ابن الخطيب محمّد لسان الدّين (ت 776هـ/1374م) - الإحاطة في أخبار غرناطة - تحقيق محمّد عبد الله عنان - مكتبة الخانجي - القاهرة - ط 2 - 1393هـ/1973م.
- 32- ابن خلفون محمّد الأندلسي (ت 636هـ/1238م) - أسماء شيوخ الامام مالك بن أنس - تحقيق محمّد زينهم محمّد عزب - مكتبة الثقافة الدينية - الظاهر - 1989م.
- 33- ابن خلكان أبو العباس شمس الدّين أحمد بن محمّد (ت 681هـ/1282م) - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان - تحقيق إحسان عباس - دار صادر - بيروت - 1972م.
- 34- الدّبّاغ أبو زيد عبد الرّحمن بن محمّد الأنصاري الأسيدي (ت 696هـ/1296م) - معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان - أكمله وعلّق عليه التّنوخي أبو الفضل أبو القاسم عيسى بن ناجي

- (ت 739هـ/1338م) - تصحيح إبراهيم شيوخ - مكتبة الخانجي - مصر - ط 2 - 1388هـ - 1968م.
- 35- الدبّاغ أبو زيد عبد الرحمن بن محمّد الأنصاري الأسيدي (ت 696هـ/1296م) - معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان - أكمله وعلّق عليه أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى بن تاجي التنوخي (839هـ/1435م) تحقيق وتعليق محمّد ماضور - المكتبة العتيقة - تونس - مكتبة الخانجي - مصر - فيفري 1978م.
- 36- ابن دقيق العيد أبو الفتح تقيّ الدّين (ت 702هـ/1302م) - شرح الأربعين حديثا التّوّيّة - تصحيح محمد منير الدمشقي - إدارة الطباعة المنيريّة - مصر - ط 2 - 1352هـ.
- 37- الراعي الأندلسي شمس الدين محمّد بن محمّد (ت 853هـ/1187م) - انتصار الفقير السالك لترجيح مذهب الإمام مالك - تحقيق محمد أبو الأحنان - دار الغرب الإسلامي - بيروت - ط 1 - 1981م.
- 38- ابن رشد أبو الوليد محمّد بن أحمد القرطبي المالكي (ت 520هـ/1126م) - فتاوى ابن رشد - تحقيق المختار بن الطاهر التليلي - دار الغرب الاسلامي - بيروت - ط 1 - 1407هـ/1987م.
- 39- الرشاطي أبو محمّد (ت 542هـ/1147م) - الأندلس في اقتباس الأنوار - وابن الخراط الإشبيلي (ت 582هـ/1186م) اختصار اقتباس الأنوار - تقديم إيميليو مولينا وخائنتو بوشك بيلا - المجلس الأعلى للأبحاث العلمية - مدريد - 1990م.
- 40- الرقيق القيرواني (توفي بعد سنة 425هـ/1033م) - تاريخ إفريقية والمغرب - تحقيق: عبد الله العلي الزيدان وعزّ الدين عمر موسى - دار الغرب الإسلامي - بيروت - ط 1 - 1990م.
- 41- الزبيدي أبو بكر محمد بن الحسن الأندلسي (ت 379هـ/989م) - طبقات النحويين والنّغويين - تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم - دار المعارف - مصر - ط 2 - 1984م.

- 42- الزبيدي أبو بكر محمد بن حسن بن مدحج (ت 379هـ/989م) - لحن العوام - تحقيق رمضان عبد التواب - مكتبة الخانجي - القاهرة - ط2 - 1420هـ/2000م.
- 43- السبكي تاج الدين (ت 771هـ/1369م) - طبقات الشافعية الكبرى - تحقيق محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح الحلو - دار إحياء الكتب العربية - القاهرة - ط1 - 1383هـ/1964م.
- 44- السَّقْطِي أبو عبد الله محمد بن أبي محمد المالقي الأندلسي - آداب الحسبة - تقديم - كولان وليفني بروفنسال - معهد الدراسات العليا المغربية - مكتبة أوزنيست ليروس - باريس - 1931م.
- 45- السكوني أبو علي عمر (ت 717هـ/1317م) - عيون المناظرات - تحقيق سعد غراب - منشورات الجامعة التونسية - كلية الآداب والعلوم الإنسانية - 1976م.
- 46- السلمي أبو عبد الرحمن محمد (ت 412هـ/1021م) - الطبقات الصوفية - تحقيق أحمد الشرباصي - مؤسسة دار الشعب - مصر - ط2 - 1419هـ/1998م.
- 47- السلمي أبو عبد الرحمن محمد بن أحمد بن الحسين (ت 412هـ/1021م) - المقدمة في التصوّف - تحقيق يوسف زيدان - مكتبة الكليات الأزهرية - مصر - 1986م.
- 48- بن سماك أبو القاسم محمد العاملي (كان بقيد الحياة في الربع الأول من القرن 9هـ/15م) - الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية - دراسة وتحقيق عبد القادر بوباية - دار الكتب العلمية - بيروت - ط1 - 2000م.
- 49- السماحي أبو محمد عبد القادر بن محمد بن سليمان (ت 1025هـ/1626م) - كؤوس التداني ورياض التهاني "الياقوتة" - شرح مولاي الناصر - دار ابن خلدون - تلمسان - 2014م.
- 50- السموأل بن يحيى المغربي (ت 570هـ/1174م) - إفحام اليهود - تحقيق محمد عبد الله الشرقاوي - دار الجليل - بيروت - ط3 - 1410هـ/1990م.
- 51- ابن سهل أبو الأصغ عيسى بن عبد الله الأسدي الجباني (ت 486هـ/1093م) - الإعلام بنوازل الأحكام - تحقيق يحيى مراد دار الحديث - القاهرة - 1428هـ/2007م.

- 52- السيوطي جلال الدين (ت 911هـ/1505م) - تاريخ الخلفاء - تعليق محمود رياض الحلبي - دار المعرفة - بيروت - ط4 - 1420هـ/1999م.
- 53- الششتريني أبو الحسن علي بن بسام (ت 542هـ/1148م) - الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة - تحقيق احسان عباس - دار الثقافة - بيروت - 1417هـ/1997م.
- 54- ابن الشَّمَاع أبو عبد الله محمّد بن احمد (ت 873هـ/1459م) - الأدلّة البيّنة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية - تحقيق الطاهر محمّد المعموري - الدار العربية للكتاب - تونس - 1984م.
- 55- الشيرازي أبو اسحاق الشافعي (ت 476هـ/1083م) طبقات الفقهاء - تحقيق إحسان عباس - دار الرائد العربي - بيروت - ط1 - 1970م.
- 56- ابن الصغير أبي زكريا يحيى المالكي (كان بقيد الحياة في القرن 3هـ/9م) - أخبار الأئمة الرستمين - تحقيق محمّد ناصر وإبراهيم بحاز - دار الغرب الإسلامي - بيروت - ط1 - 1986م.
- 57- الضبي أحمد بن يحيى (ت 599هـ/1202م) - بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس - تحقيق إبراهيم الأبياري - دار الكتاب المصري - القاهرة - دار الكتاب اللبناني - بيروت - ط1 - 1410هـ/1989م.
- 58- الطرطوشي أبو بكر محمّد بن محمّد بن الوليد الفهري المالكي (ت 520هـ/1126م) - سراج الملوك - تصحيح إبراهيم الدسوقي عبد الغفار - مطبعة بولاق - مصر - 1279هـ.
- 59- ابن عبد الحكم أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (ت 257هـ/871م) - فتوح مصر والمغرب - تحقيق عبد المنعم عامر - الأمل للطباعة والنشر - القاهرة - 1961م.
- 60- ابن عبدون محمّد بن أحمد التجيبي وآخرين - ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب - تحقيق ليفي بروفنسال - المعهد العالمي الفرنسي للآثار الشرقية - القاهرة - 1955م.

- 61- ابن عذارى أبو عبد الله محمد بن محمد المراكشي (ت 712هـ/1312م) - البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب - تحقيق ج. س. كولان و إ. ليفي برونفسال - دار الثقافة - بيروت - ط3 - 1983م.
- 62- ابن عربي محيي الدين (ت 638هـ/1240م) - روح القدس في محاسبة النفس - جمع محمود محمود الغراب - مطبعة نضر - دمشق - ط2 - 1414هـ/1994م.
- 63- ابن عساكر أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الدمشقي (ت 571هـ/1175م) - تاريخ مدينة دمشق - دراسة وتحقيق عمر بن غرامة العمروي - دار الفكر - بيروت - ط1415هـ/1995م.
- 64- ابن عساكر أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الدمشقي (ت 571هـ/1175م) - تبين كذب المفتري بما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري - القدسي - دمشق - 1347هـ.
- 65- ابن عسكر أبو عبد الله وخميس بن أبي بكر - أعلام مالقة - تحقيق الترغي عبد الله المرابط - دار الآمان - الرباط - دار الغرب - بيروت - ط1 - 1420هـ/1999م.
- 66- ابن العماد محمد شهاب الدين (ت 1079هـ/1668م) - شذرات الذهب في أخبار من ذهب - تحقيق محمود الأرنؤوط - دار كثير - دمشق - بيروت - ط1 - 1407هـ/1979م.
- 67- العزفي أبو العباس أحمد السبتي (ت 633هـ/1235م) - إثبات ما ليس منه بد لمن أراد الوقوف على حقيقة الدينار والدرهم والصاع والمقد - دراسة محمد الشريف - المجمع الثقافي - أبوظبي - 1999م.
- 68- عياض بن موسى القاضي اليحصبي (ت 544هـ/1149م) - الإلماع - تحقيق السيد أحمد صقر - دار التراث - القاهرة - المكتبة العتيقة - تونس - ط1 - 1389هـ/1970م.
- 69- عياض القاضي اليحصبي (ت 544هـ/1149م) - الغنية فهرست شيوخ القاضي عياض - تحقيق ماهر زهير جزّار - دار الغرب الاسلامي - بيروت - ط1 - 1406هـ/1982م.

- 70- عياض بن موسى بن عياض القاضي السبتي (ت 544هـ/1149م) - ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك - تحقيق محمد بن شريفه - وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب - 1390هـ/1970م.
- 71- عياض القاضي وولده محمد - مذاهب الحكام في نوازل الأحكام - تحقيق محمد بن شريفة - دار الغرب الإسلامي - بيروت - ط 2 - 1997م.
- 72- أبو عمران موسى بن أبي حاجي الفاسي المالكي (ت 430هـ/1039م) - فتاوى أبي عمران الفاسي - جمع وتحقيق - محمد البركة - أفريقيا الشرق - الدار البيضاء - المغرب - 2010م.
- 73- الغبريني أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله (ت 704هـ/1304م) - عنوان الدراية في من عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية - تحقيق عادل نويهض - دار الآفاق الجديدة - بيروت - ط 2 - 1979م.
- 74- الغزالي محمد أبو حامد (ت 505هـ/1111م) - كتاب الذهب الأبرز في أسرار خواص كتاب الله العزيز - تحقيق عبد الحميد صالح حمدان - مكتبة الكليات الأزهرية - مكتبة ومطبعة الفجر الجديد - مصر - د.ت.
- 75- غلبون أبو عبد الله محمد بن خليل الطرابلسي (كان بقيد الحياة في سنة 1133هـ/1720م) - التذكار - تصحيح ونشر الطاهر أحمد الزاوي - المكتبة السلفية - القاهرة - 1349هـ.
- 76- أبو الفدا عماد الدين بن الأفضل (ت 732هـ/1331م) - التبر المسبوك في تواريخ الملوك - تحقيق محمد زينهم عزب - مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة - ط 1 - 1415هـ/1995م.
- 77- ابن فرحون أبو إسحاق إبراهيم بن علي المالكي (ت 799هـ/1397م) - الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب - تحقيق مأمون بن محيي الدين الجنان - دار الكتب العلمية - بيروت - ط 1 - 1417هـ/1996م.

- 78- ابن الفرضي أبو الوليد بن محمد بن يوسف الأزدي (ت 403هـ/1012م) - تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس - تصحيح ونشر السيّد عزت العطار الحسيني - مطبعة المدني - القاهرة - ط1 - 1408هـ/1988م.
- 79- ابن فورك محمد بن الحسن (ت 406هـ/1015م) - مقالات الشيخ أبو الحسن الأشعري - تحقيق أحمد عبد الرّحيم السايح - مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة - ط2 - 1427هـ/2000م.
- 80- القابسي أبو الحسن علي (ت 403هـ/1012م) - الرسالة المفصلة - تحقيق أحمد خالد - الشركة التونسية للتوزيع - تونس - ط1 - جانفي 1986م.
- 81- القشيري أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن (ت 465هـ/1072م) - الرسالة القشيرية - تحقيق: معروف مصطفى زريق - بيروت - صيدا - ط1 - 1421هـ/2001م.
- 82- ابن القوطية أبوبكر محمد بن عمر (ت 367هـ/983م) - تاريخ افتتاح الأندلس - تحقيق إسماعيل العربي - المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر - 1989م.
- 83- ابن كثير أبو الفداء عماد الدين اسماعيل عمر القرشي الدمشقي (ت 774هـ/1343م) - البداية والنهاية - تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي - دار هجر - جيزة - ط1 - 1419هـ/1998م.
- 84- اللبلي أبو بكر محمد عبد الله بن يحيى الفهري الاشيلي المالكي (ت 586هـ/1190م) - أحكام الزكاة - عناية محمد شايب شريف - دار ابن حزم - لبنان - ط1 - 1432هـ/2011م.
- 85- اللّخمي أبو الحسن القيرواني (ت 487هـ/1086م) - فتاوى الشيخ أبو الحسن اللّخمي - جمع وتحقيق حميد بن محمد لحر - دار المعرفة - الدار البيضاء- المغرب - 1424هـ.
- 86- الماتريدي أبو منصور محمد بن محمد السمرقندي (ت 333هـ/944م) - كتاب التوحيد - تحقيق بكر طوبال اوغلي ومحمد آروشي - دار صادر - بيروت - مكتبة الارشاد - استانبول - 1422هـ/2001م.

- 87- المازري أبو عبد الله محمد (ت 536هـ/1141م) - فتاوى الإمام المازري - تقديم وجمع وتحقيق الطاهر المعموري - الدار التونسية للنشر - تونس - فيفري 1994م.
- 88- المالكي أبو بكر عبد الله بن محمد (ت 474هـ/1081م) - رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونسأكلهم - تحقيق بشير البكوش - مراجعة محمد العروسي المطوي - دار الغرب الإسلامي - بيروت - ط2 - 1414هـ/1994م.
- 89- مجهول (كان بقاء الحياة في الربع الأول من القرن 9هـ/15م) - تاريخ الأندلس - تحقيق عبد القادر بوباية - دار الكتب العلمية - بيروت - ط1 - 2007م.
- 90- مجهول (كان بقاء الحياة في نهاية القرن 9هـ/15م) - جغرافية وتاريخ الأندلس - دراسة وتحقيق عبد القادر بوباية - مؤسسة البلاغ للنشر والدراسات والأبحاث - الجزائر - طبعة خاصة - 2013م.
- 91- مجهول - مفاخر البربر - دراسة وتحقيق عبد القادر بوباية - دار أبي رقرق للطباعة والنشر - الرباط - ط1 - 2005م.
- 92- مجهول - أخبار مجموعة في فتح الأندلس - مطبع ربنير - مدريد - 1867م.
- 93- محمد بن تومرت (ت 522هـ/1128م) - أعز ما يطلب - تحقيق عبد الغني أبو العزم - مؤسسة الغني - الرباط - المغرب - 1997م.
- 94- المراكشي عبد الواحد (ت 625هـ/1228م) - المَعْجَب في تلخيص أخبار المغرب - تحقيق محمد سعيد العريان - إشراف محمد توفيق عويضة - المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي - الجمهورية العربية المتحدة - 1963م.
- 95- المراكشي عبد الواحد (ت 625هـ/1228م) - وثائق المرابطين والموحدين - تحقيق حسين مؤنس - مكتبة الثقافة الدينية - الظاهر - ط1 - 1997م.

- 96- ابن مريم المليتي المديوني التلمساني (كان ب قيد الحياة سنة 1025هـ/1616م) - البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان - تحقيق عبد القادر بوباية - دار الكتب العلمية - بيروت - 1435هـ/2014م.
- 97- المقرري شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني (ت 1041هـ/1631م) - نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب - تحقيق إحسان عباس - دار صادر - بيروت - 1408هـ/1988م.
- 98- المقرري شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني (ت 1041هـ/1631م) - أزهار الرياض في أخبار عياض - تحقيق مصطفى السقا وآخرون - مطبعة لجنة التأليف والنشر - القاهرة - 1361هـ/1942م.
- 99- زين الدين محمد عبد الرؤوف المناوي (ت 1031هـ/1621م) - الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية - تحقيق محمد أديب الجادر - دار صادر - بيروت - 1999م.
- 100- ابن وردان (كان ب قيد الحياة في القرن 10هـ/16م) - تاريخ مملكة الأغالبة - تحقيق محمد زينهم محمد عزب - مكتبة مدبولي - القاهرة - ط 1 - 1408هـ/1988م.
- 101- أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني (ت 430هـ/1038م) - حليه الأولياء وطبقات الأصفياء - دار الكتب العلمية - بيروت - ط 1 - 1409هـ/1988م.
- 102- الونشريسي أبو العباس أحمد بن يحيى (ت 914هـ/1508م) - المعيار المُعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب - إشراف محمد حجي - وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الرباط - 1401هـ/1981م.
- 103- الونشريسي أبو العباس أحمد بن يحيى (ت 914هـ/1508م) - كتاب الولايات - تعليق محمد الأمين بلغيت - لافوميك - الجزائر - 1985م.

د- المراجع باللغة العربية

- 104- أعراب سعيد - مع القاضي أبي بكر بن العربي - دار الغرب الإسلامي - بيروت - ط 1 - 1407 هـ / 1987 م.
- 105- الألوسي حسام - دراسات في الفكر الفلسفي الإسلامي - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت - ط 1 - 1400 هـ / 1980 م.
- 106- أبو الخيل الحسين محمد بن ابراهيم بن صالح - جهود علماء الأندلس في الصراع مع النصارى - دار أصداء - القصيم - الطبعة الأولى - 1419 هـ / 1998 م.
- 107- باي حاتم - الأصول الاجتهادية التي يبنى عليها المذهب المالكي - وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الكويت - ط 1 - 1432 هـ / 2011 م.
- 108- بروفنصال ليفي - رسائل موحدية - المطبعة الاقتصادية - الرباط - 1941 م.
- 109- بشير عبد الرحمن - اليهود في المغرب العربي - إشراف قاسم عبده قاسم - عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية - ط 1 - 2001 م.
- 110- بشير محمد عثمان - أحكام الخراج - دار الأرقم - الكويت - ط 1 - 1406 هـ / 1986 م.
- 111- بوباية عبد القادر - المؤنس في مصادر تاريخ المغرب والأندلس - دار كوكب العلوم - الجزائر - ط 1 - 1432 هـ / 2011 م.
- 112- البوطي محمد سعيد رمضان - السلفية مرحلة زمنية مباركة لا مذهب إسلامي - دار الفكر - دمشق - ط 1 - 1408 هـ / 1988 م.
- 113- بونابي الطاهر - التصوّف في الجزائر - دار الهدى - عين مليلة - الجزائر - 2004 م.
- 114- بن قربة صالح وآخرون - تاريخ الجزائر في العصر الوسيط - المركز الوطني للدراسات والبحث - الجزائر - طبعة خاصة وزارة المجاهدين - 2007 م.

- 115- البيلي محمّد بركات - الزهاد والمتصوفة في بلاد المغرب والأندلس - دار النهضة العربية - القاهرة - 1993م.
- 116- التليدي عبد الله عبد القادر - المطرب بمشاهير أولياء المغرب - دار الآمان - الرباط - ط4 - 1424هـ/2003م.
- 117- تيمور أحمد باشا - المذاهب الفقهية الأربعة - دار الآفاق العربية - القاهرة - ط1 - 1421هـ/2001م.
- 118- الثعالبي عبد العزيز - تاريخ شمال إفريقيا - تحقيق أحمد بن ميلاد ومحمّد إدريس - تقديم حمادي الساحلي - دار الغرب الإسلامي - بيروت - ط2 - 1407هـ/1987م.
- 119- جمال أحمد طه - مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين - دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر - الاسكندرية - 2001م.
- 120- الجميلي رشيد عبد الله - تاريخ الدولة العربية الإسلامية - مكتبة المعارف - الرباط - ط1 - 1983م.
- 121- أبو جيب سعدي - الإمام سحنون - دار الفكر - دمشق - الطبعة الأولى - 1401هـ/1981م.
- 122- الجيدي عمر - مباحث في المذهب المالكي بالمغرب - مطبعة المعارف الجديدة - الرباط - ط1 - 1983م.
- 123- حامد الشافعي دياب - الكتب والمكتبات في الأندلس - دار قباء - القاهرة - ط1 - 1998م.
- 124- الحجوي محمّد بن الحسن الثعالبي - الفكر السامي في تاريخ الفقه الاسلامي - مطبعة البلدية - فاس - 1345هـ.
- 125- الحجوي علي عبد الرحمن - التاريخ الأندلسي - دار القلم - دمشق - بيروت - ط2 - 1402هـ/1981م.

- 126- حسن علي حسن - الحضارة الاسلامية في المغرب والأندلس - مكتبة الخانجي - مصر - ط1 - 1980م.
- 127- الحضري بك محمد - تاريخ الأمم الإسلامية - المكتبة التجارية الكبرى - مصر - ط2 - 1344هـ/1962م.
- 128- حمدي عبد المنعم - التاريخ الحضاري للمغرب والأندلس - دار المعرفة الجامعية - مصر - 1998م.
- 129- حمدي عبد المنعم محمد حسين - مدينة سلا في العصر الإسلامي - مؤسسة شباب الجامعة - الإسكندرية - 1993م.
- 130- الحفناوي أبو القاسم محمد - تعريف الخلف برجال السلف - مطبعة بدير فونتانة الشرقية - الجزائر - 1326هـ/1906م.
- 131- خطاب محمد شيت - قادة فتح المغرب العربي - دار الفكر - بيروت - ط7 - 1404هـ/1984م.
- 132- الخلفي عبد العزيز - الإختلاف الفقهي في المذهب المالكي - دار الحديث الحسنية - الرباط - ط1 - 1414هـ/1993م.
- 133- الدقر عبد الغني - الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة - دار القلم - دمشق - ط3 - 1419هـ/1998م.
- 134- درّاج أحمد السيّد - صناعة الكتابة وتطورها في العصور الإسلامية - رابطة العالم الإسلامي - مكّة المكرمة - 1401هـ/1981م.
- 135- دوزي رينهارت - ملوك الطوائف - ترجمة كامل كيلاني - مكتبة ومطبعة عيسى الحلبي - القاهرة - ط1 - 1351هـ/1933م.
- 136- دندش عصمت عبد اللطيف - الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين - دار الغرب الإسلامي - بيروت - ط1 - 1408هـ/1988م.

- 137- رستم محمد بن زين العابدين - صحيح الإمام مسلم في الأندلس - جامعة القاضي عياض - كلية الآداب - المغرب - د.ت.
- 138- رستم سعد - الفرق والمذاهب الاسلامية - الأوائل للنشر والتوزيع - دمشق - ط3 - تشرين الثاني 2005م.
- 139- ربه عطا علي محمد شحاتة - اليهود في بلاد المغرب الأقصى - دار الكلمة - دمشق - ط1 - 1999م.
- 140- السّمالي العباس بن ابراهيم - الإعلام بمن حلّ مراكش وأغمات من الأعلام - مراجعة عبد الوهاب منصور - المطبعة الملكية - الرباط - 1413هـ/1993م.
- 141- سحر السيّد عبد العزيز سالم - برغواطة هراطقة المغرب في العصر الإسلامي - مؤسسة شباب الجامعة - الاسكندرية - 1993م.
- 142- السنّان حمد والعنجري فوزي - أهل السنّة الأشاعرة شهادة علماء الأمة وأدلّتهم - دار الضياء - الكويت - ط1 - 2006م.
- 143- السيّد عبد العزيز سالم وسحر السيّد عبد العزيز - نصوص تاريخية في التاريخ الإسلامي - مؤسسة شباب الجامعة - الإسكندرية - 1982م.
- 144- سيسالم عصام - جزر الأندلس - دار العلم للملايين - بيروت - ط1 - 1984م.
- 145- شُرْحِبيلي محمد بن حسن - يحي بن يحي الليثي وروايته للموطأ - جامعة القرويين - كليّة الشريعة - أكادير - 1416هـ/1994م.
- 146- الشريف محمد ناصر الدين - الجواهر الاكليلية في أعيان علماء ليبيا من المالكية - دار البيادق - الأردن - ط1 - 1420هـ/1999م.
- 147- ضيف بشير بن أبي بكر بن البشير بن عمر الجزائري - فهرست معلمة التراث الجزائري - مراجعة عثمان بدري - منشورات ثالة - الجزائر - ط2 - 2007م.

- 148- الطّمّار محمّد عمرو - المغرب الأوسط في ظلّ صنهاجة - ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر - 2010م.
- 149- طه جمال أحمد - مدينة فاس في عهد المرابطين والموحّدين - دار الوفاء - الإسكندرية - 2001م.
- 150- عادل عبد العزيز محمّد - التربية الاسلامية في المغرب - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - 1987م.
- 151- عبد الوهاب حسن حسني - الإمام المازري - لجنة البعث الثقافي الإفريقي - دار الكتب الشرقية - تونس - 1955م.
- 152- عزّ الدّين عمر أحمد موسى - تنظيمات الموحّدين ونظّمهم - الجامعة الأمريكية - بيروت - 1969م.
- 153- عزّ الدّين عمر أحمد موسى - دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي - دار الشروق - بيروت - القاهرة - ط 1 - 1403هـ/1983م.
- 154- عزب محمد زينهم محمّد - الإمام سحنون - دار الفرجاني - القاهرة - 1992م.
- 155- علاوي محمد الطاهر - أبو مدين شعيب - شركة دار الأمة - تلمسان - 2011م.
- 156- علي جمعة محمّد - المدخل إلى دراسة المذاهب الفقهية - دار السلام - القاهرة - ط 2 - 1422هـ/2002م.
- 157- علي أحمد - الأندلسيون والمغاربة في بلاد الشام - دار طلاس - دمشق - ط 1 - 1989.
- 158- عون فيصل بدير - التصوف الإسلامي الطريق والرجال - مكتبة سعيد رأفت جامعة عين شمس - مصر - 1983م.
- 159- عنان محمّد عبد الله - دولة الإسلام في الأندلس - مكتبة الخانجي - القاهرة - 1417هـ/1997م.

- 160- عيسى عبد القادر - حقائق عن التصوّف - دار المقطم - القاهرة - 1426هـ/2005م.
- 161- ابن عجيبة عبد الله أحمد - معراج التشوف إلى حقائق التصوّف - تحقيق عبد المجيد خيالي - مركز التراث الثقافي المغربي - الدار البيضاء - 1425هـ.
- 162- الغرياني محمّد عزّ الدين - المذهب المالكي - جمعية الدعوة الإسلامية العالمية - طرابلس الغرب - 2010م.
- 163- الفاروقي إسماعيل راجي ولوس لمياء الفاروقي - أطلس الحضارة الإسلامية - ترجمة عبد الواحد لؤلؤة - مكتبة العبيكان - الرياض - 1419هـ/1998م.
- 164- قاسم عبد الحكيم عبد الغني - المذاهب الصوفية ومدارسها - مكتبة مدبولي - القاهرة - ط 2 - 1999م.
- 165- القاسمي الحسني عبد المنعم - أعلام التصوف في الجزائر - دار الخليل القاسمي - بوسعادة المسيلة - ط 1 - 1427هـ.
- 166- القاسمي خالد محمّد مبارك - تاريخ الحضارة الإسلامية في الأندلس - دار الثقافة للنشر - القاهرة - ط 1 - 1429هـ/2008م.
- 167- قحف منذر - الوقف في الإسلام - دار الفكر - دمشق - ط 1 - 2000م.
- 168- كزّو أبو القاسم محمد - عصر القيروان - دار طلاس - تونس - ط 1 - 1973م - دمشق - ط 2 - 1989م.
- 169- كف أحمد - أعلام التصوف الاسلامي - دار التعاون - القاهرة - ط 2 - 1414هـ/1994م.
- 170- مجموعة من الأساتذة والباحثين - معالم الحضارة الإسلامية في ليبيا - الدار الدولية للإستثمارات الثقافية - القاهرة - ط 1 - 2008م.

- 171- محمّد محمّد زيتون - القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية - دار المنار - القاهرة - ط 1 - 1408هـ/1988م.
- 172- محمود عبد الحليم - عبد السلام بن مشيش - دار المعارف - القاهرة - 1979م.
- 173- محمود عبد الحليم - أبو مدين الغوث - دار المعارف - القاهرة - 1985م.
- 174- المرزوقي محمّد - قابس - مكتبة الخانجي - مصر - مكتبة المثنى - بغداد - 1962م.
- 175- أبو مصطفى كمال السيّد - تاريخ وحضارة الأندلس - مركز اسكندرية للكتاب - الإسكندرية - 1997م.
- 176- أبو مصطفى كمال السيّد - جوانب من حضارة المغرب الإسلامي - مؤسسة شباب الجامعة - الإسكندرية - 1997م.
- 177- أبو مصطفى كمال السيّد - جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية في المغرب الاسلامي - مركز الاسكندرية للكتاب - الاسكندرية - 1996م.
- 178- أبو مصطفى كمال السيّد - دراسات أندلسية في التاريخ والحضارة - مركز الاسكندرية للكتاب - الأزارطة - 1997م.
- 179- أبو مصطفى كمال السيّد - دراسات في تاريخ وحضارة المغرب والأندلس - مركز الإسكندرية للكتاب - الإسكندرية - 1997م.
- 180- المصلح محمّد - الإمام أبو الحسن اللخمي - دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث - دبي - ط 1 - 1428هـ/2007م.
- 181- مخلوف محمّد بن محمّد - شجرة النور الزكية في طبقات المالكية - المطبعة السلفية ومكتبتها - القاهرة - 1349هـ.
- 182- الملا أحمد علي - دراسات في علم العقيدة الإسلامية - قصر الكتاب - البليدة - ط 1 - 1406هـ/1986م.

- 183- ممدوح حسين - الحروب الصليبية في شمال إفريقيا - تقديم شاكر مصطفى - دار عمار - عمان-الأردن - ط1 - 1419هـ/1998م.
- 184- منصور سليم هاني - الوقف ودوره في المجتمع الإسلامي المعاصر - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط1 - 1425هـ/2004م.
- 185- مؤنس حسين - أطلس تاريخ الإسلام - الزهراء للإعلام العربي - القاهرة - ط1 - 1407هـ/1987م.
- 186- مؤنس حسين - فجر الأندلس - دار المناهل - بيروت - ط1 - 1423هـ-2002م.
- 187- الميداني عبد الغني العنيمي - شرح العقيدة الطحاوية - تحقيق محمد مطيع الحافظ ومحمد رياض المالح - دار الفكر - دمشق - ط2 - 1412هـ/1992م.
- 188- النبهان يوسف بن اسماعيل - جامع كرامات الأولياء - تحقيق ابراهيم عطوى عوض - مركز أهلنسة بركات رضا فور بندر غجرات - الهند - ط1 - 1422هـ/2001م.
- 189- الناصري أبو العباس أحمد بن خالد - الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى - تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري - دار الكتاب - الدار البيضاء - 1954م.
- 190- النحوي الخليل - بلاد شنقيط المنارة والرباط - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - تونس - 1987م.
- 191- نصر سلمان - أعلام المذهب المالكي - دار ابن حزم - بيروت - ط1 - 1432هـ/2011م.
- 192- الهبتي المواهي محمد - فتاوى تتحدى الإهمال - وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب - 1419هـ/1998م.
- 193- الهروس مصطفى - المدرسة المالكية الأندلسية - وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب - 1418هـ/1997م.
- 194- هند شلبي - القراءات بإفريقية - الدار العربية للكتاب - بيروت - ط1 - 1983م.

195- هويدي يحيى - دراسات في علم الكلام والفلسفة الإسلامية - دار الثقافة للطباعة والنشر - القاهرة - ط 1 - 1965م.

196- يحيى بوعزيز - أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة - دار الغرب الإسلامي - بيروت - ط 1 - 1995م.

ه- المعاجم والقواميس

1- عمارة محمّد - قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية - دار الشرق - بيروت - القاهرة - ط 1 - 1413 هـ / 1993م.

2- الفيروزآبادي مجد الدين محمّد بن يعقوب (ت 817هـ/1414م) - القاموس المحيط - تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة - اشراف محمّد نعيم العرقسوسي - مؤسسة الرسالة - ط 8 - 1426هـ/2005م.

3- مجمع اللغة العربية - المعجم الوسيط - إشراف عبد العاطي عطية وآخرون - مكتبة الشروق الدولية - جمهورية مصر العربية - ط 4 - 1425هـ/2004م.

4- ابن منظور محمّد بن مكرم الأنصاري الأفرقي (ت 711هـ/1311م) - لسان العرب - تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرون - دار المعارف - القاهرة - ط 1 - 1419هـ/1998م.

5- يسري عبد الغني عبد الله - معجم المؤرخين المسلمين - دار الكتب العلمية - بيروت - ط 1 - 1411هـ/1991م.

و- الرسائل الجامعية

1- الدليمي انتصار محمد صالح - التحدّيات الداخلية والخارجية التي واجهت الأندلس - رسالة ماجستير غير منشورة - كلية الآداب - جامعة الموصل - 1426هـ/2005م.

2- زيان علي - المعرفة التاريخية في الأندلس - رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط غير منشورة - جامعة منتوري قسنطينة - كلية العلوم الاجتماعية والانسانية - 1432هـ/2011م.

- 3- سيّد عبده بكر عثمان - إجماعات ابن عبد البرّ - رسالة ماجستير - جامعة القاهرة - كلية العلوم - قسم الشريعة الإسلامية - 1424هـ/2000م.
- 4- عشي علي - المغرب الأوسط في عهد الموحدين - رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط - كلية العلوم الاجتماعية والانسانية والاسلامية - جامعة الحاج لخضر باتنة - 1433-1434هـ/2011-2012م.
- 5- شهداني علياء هاشم ذنون محمّد - فقهاء المالكية دراسة في علاقاتهم العلمية في الاندلس والمغرب - رسالة دكتوراه فلسفة في التاريخ الاسلامي - كلية التربية جامعة الموصل - محرم 1424هـ/آذار 2003م.
- 6- ولد خسال سليمان - جهود فقهاء المغرب العربي في بناء النظام الإسلامي السياسي - رسالة دكتوراه في العلوم الإسلامية - جامعة الجزائر - كلية العلوم الإسلامية - 1429هـ/2008م.

ز- الدوريات

- 1- بلمهدي يوسف - ارتباط تصنيف الفقه العقيدة والسلوك وآثاره في المنظومة القانونية - رسالة المسجد - وزارة الشؤون الدينية والأوقاف - الجزائر - العدد الأول - جمادى الثانية 1424هـ/ أوت 2003 م.
- 2- سيب خير الدين - انتشار المذهب المالكي في بلاد المغرب - ملامح عن المذهب المالكي بعد مرحلة التأسيس - الملتقى الوطني الرابع للفقه المالكي - تنظيم وزارة الشؤون الدينية والأوقاف - دار الثقافة - عين الدفلى - 08-09-10 ربيع الثاني 1429هـ/ 14-15-16 أفريل 2008م.
- 3- لوصيف سفيان - زاوية بن حمادوش بقجال تاريخ وعلماء - الخريطة التاريخية والأثرية لمنطقة سطيف - منشورات مخبر البحوث والدراسات في حضارة المغرب الإسلامي - جامعة منتوري قسنطينة - دار بهاء الدين للنشر والتوزيع - 2011م.

- 4- مؤنس حسين - مجلة عالم المعرفة - المساجد - إشراف أحمد مشاري العدواني - الكويت -
عدد 37 - 1981م.

ح- الموسوعات

- 1- بن بريكة محمد - موسوعة الحبيب للدراسات الصوفية - التصوّف الإسلامي - دار المتون -
الجزائر - ط 1 - 1427هـ / 2006م.
- 2- الحفني عبد المنعم - موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية - دار الرشاد - القاهرة
- ط 1 - 1413هـ / 1993م.
- 3- دُغيم سميع - موسوعة مصطلحات علم الكلام الإسلامي - مكتبة لبنان ناشرون - بيروت
- ط 1 - 1419هـ / 1998م.
- 4- مؤنس حسين - موسوعة تاريخ الأندلس - مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة - ط 1 -
1416هـ / 1996م.

ط- المراجع باللّغة الأجنبية

- 1- **Amar Dhina** - grands tournants de l'histoire de l'islam - SNED - Alger - 2^{eme}
édition - 1982.
- 2- **Amdouni Hassan** - les quatres califes - al qalam édition - paris - 3^{em} édition
- 2000.
- 3- **Baghdadi Khalid** - foi et islam - traduit par feyzullah de kamah - wakfi
ikhlas - istanbul - turquie - 7^{eme} édition - 1991.
- 4- **Bouzina - Ofriha Fatima Zohra** - sidi boumedienne ibn rochd - édition
dalimen- Alger - 2011.
- 5- **Djebar Ahmed** - une histoire de la science arabe - entretien avec jean
rosmorduc - édition du seuil - mai 2001.
- 6- **Dumont Jean Paul** - les sophistes fragments et témoignages - presses
universitaires de France - paris - 1^{er} édition - 1969.
- 7- **Hadjadji Hamdane** - de la poésie andalouse sous les reyes des taifas v°/ xi °
siele - éditions zyriab - Alger - 2002.
- 8- **Sanchez Cloudio - Albornoz** - l'espagne musulmane - opu/ publisud -
édition espana - calpe - 1985.

ي- المواقع الالكترونية

- 1- alborj.blogspot.com
- 2- archiv.org/details/abdelhalimmahmoud
- 3- malikiaa.blogspot.com
- 4- www.4shared.com
- 5- www.almishkat.net
- 6- www.al-mostafa.com
- 7- www.book.fikhweb.com/book categories

فهرس الموضوعات

إهداء

شكر وتقدير

01	مقدمة
18	تمهيد
39	الفصل الأول: ظهور مذاهب الأئمة ووصولها إلى الغرب الإسلامي
40	المبحث الأول: التعريف بالأئمة الثلاثة
40	الإمام أبو عبد الله مالك بن أنس
45	الإمام أبو الحسن عليّ الأشعري
49	الإمام أبو القاسم بن محمد الجنيد
53	المبحث الثاني: أبرز تلامذة الأئمة والآخذين عنهم
53	علماء المالكية
59	علماء الكلام والعقيدة
63	علماء الزهد والتصوف
71	المبحث الثالث: إنتشار مذاهب الأئمة بالغرب الإسلامي
71	وصول المذهب المالكي إلى بلاد الغرب الإسلامي
74	انتشار مذهب الأشعري بالغرب الإسلامي
78	ذيع التصوّف ببلاد الغرب الإسلامي
83	الفصل الثاني: أثر علوم الأئمة على الغرب الإسلامي
84	المبحث الأول: الروابط والصلات العلمية
84	العلاقة بين الأشاعرة والمالكية والصوفية

89 الصلة العلمية بين المشرق والمغرب
93 الصلات العلمية بين المغرب والأندلس
96 المبحث الثاني: الحواضر والمراكز العلمية ببلاد الغرب الإسلامي
96 أهم حواضر ومراكز بلاد المغرب
100 أهم المراكز العلمية ببلاد الأندلس وجزائر البحر
104 أبرز العلوم المدرّسة من المالكية والأشاعرة والصوفية
112 المبحث الثالث: مناظرات وردود علماء الفقه والكلام والتصوّف
112 المناظرة بين علماء المالكية والأشاعرة والصوفية
116 مناظرة العلماء لأهل الأهواء والبدع
122 مناظرة العلماء لأهل الملل الأخرى والردّ عليهم
128 الفصل الثالث: الأثر السياسي للأئمة الثلاثة بالغرب الإسلامي
129 المبحث الأول: اضطلاع العلماء المالكية والصوفية والأشاعرة بسياسة الرعيّة
129 دور العلماء في الاستقرار السياسي
135 تويّي العلماء للخَطَطِ والولايات
145 تأديب وتربية العلماء للحكّام والأمراء
151 المبحث الثاني: مقاومة العلماء الأشاعرة والمالكية والصوفية للخوارج والشيعة
151 تصدّي العلماء للخوارج
155 مقاومة العلماء للعبديين
164 المبحث الثالث: ردّ الأشاعرة والمالكية والصوفية لخطر نحل غير الإسلام
164 تقويم العلماء لقبائل البربر وانهاء الكيانات المعادية
170 ردّ المالكية والصوفية والأشاعرة لخطر الفرنجة ببلاد المغرب
177 تصدّي العلماء للنصارى بالأندلس

184الفصل الرابع: الأثر الاجتماعي والإقتصادي للأئمة على الغرب الاسلامي.....
185المبحث الأول: الدور الاجتماعي لعلماء المالكية والأشاعرة والصفوية.....
185نشر الأخلاق الفاضلة بالمجتمع وتقويمه.....
192حلّ العلماء لمسائل الأحكام والنوازل والأقضية.....
199خدمة العلماء لمجتمع الغرب الإسلامي.....
207المبحث الثاني: تأسيس العلماء للمؤسسات الاجتماعية والاقتصادية ورعايتها.....
207مؤسسات المساجد والزُيُط والزوايا والمدارس.....
214مؤسسة الأوقاف (الأحباس).....
222المبحث الثالث: مهام علماء المالكية والصفوية والأشاعرة الاقتصادية.....
222تولّي العلماء للخِطط الاقتصادية.....
229تصنيف العلماء ومشاركتهم في أحكام المعيشة والاقتصاد.....
235جمع العلماء بين العلم والمهن والحرف.....
241خاتمة.....
244ملاحق.....
256الفهارس العامة.....
257فهرس الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة.....
259فهرس الأعلام البشرية.....
294فهرس الأمم والشعوب والدول والأسر.....
298فهرس الأعلام الجغرافية.....
310فهرس الكتب الواردة في المتن.....
321قائمة المصادر والمراجع.....
346فهرس الموضوعات.....

مُلَخَّص

الكتابة في التاريخ عموماً تكتسي أهمية كبيرة ليس من حيث تدوين الأحداث الماضية فحسب، بل إنّ استشراف المستقبل من أهم مقاصد هذه الكتابة، وضمن هذا الإطار يأتي موضوع: "أثر الأئمة الأشعري ومالك والجنيد على الغرب الإسلامي" المُتناول فتح المسلمين للغرب الإسلامي، ثمّ انتشار المذهب المالكي والعقيدة الأشعرية والتصوّف بهذا المِصر، وحديثٌ عن جمع العلماء بين هذه المناهج الثلاثة وحماتها من التيارات الشاذّة وأهم المراكز العلمية، وقيام العلماء بسياسة الرعيّة وتأديب الخلفاء والأمراء وحمية المسلمين من الأخطار الداخلية والخارجية، وتأسيس أتباع الأئمة لمجتمع متماسك ومستقر من خلال نشر الأخلاق الفاضلة والتشريع الصحيح وإنشاء المؤسّسات الاجتماعية والاقتصادية النافعة. والوصول إلى القيمة الكبيرة التي ميّزت الأئمة الثلاثة مالك بن أنس وأبي الحسن الأشعري وأبي القاسم الجنيد "أئمّة أهل السنّة والجماعة"، والتفسير التاريخي لقول العلامة الشيخ عبد الواحد بن عاشر في نظمه الشهير:

"في عَقْدِ الْأَشْعَرِيِّ وفي فَهْمِ مالِكٍ وفي طَرِيقَةِ الْجُنَيْدِ السَّالِكِ".

Summary

In general, writing the history has a great importance, not only as a way of recording past events, but to visualize the future too, taking into account to the past as a reference, serving this objective. Here is this thesis, talking about a valuable side of the islamic world with a regard for the topic. Under the title of :«The impact of ashaari imams, malek, and el djounaid on the islamic west».

At the end of this thesis, I samm-up that imams: malek - ashaari, and djounaid, and the great work they have done covered different life's sides. This work was transmited to their followers «the followers of souna and jamaa» in the Islamic west : Maghreb and Andalus and sea isles.

